

الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

شارك في تحقيق هذا الجزء

محمد زهران، عيسى عيسى، غياث الحاج أحمد

الجزء التاسع

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامع لأحكام القرآن

والبين لما تضمنته من الشئ وأبي الفتح

بجميع الحقوق محفوظة للنّاشِر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

بيروت - لبنان
وطني المصيبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت - لبنان
للطباعة والنشر والتوزيع تليفاكس: ٣٩٠٣٩٠ - ٣١٩٠٣٩٠ فاكس: ٨١٥١١٢ - ٨١٥١١٥ ص.ب: ١١٧٤٦٠

Al-Resalah

PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:818615-P.O Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا﴾ «غير» نصب بـ «ابتغى». «حَكْمًا» نصب على البيان، وإن شئت على الحال^(١). والمعنى: أفتغير الله أطلب لكم حاكماً؛ وهو الذي كفاكم مؤونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل، أي: المبين.

ثم قيل: الحَكَمُ أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحَكَمٍ إلا مَنْ يَحْكُمُ بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح. والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يُسَمَّى بها مَنْ يَحْكُمُ بغير الحق^(٢).

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد اليهود والنصارى. وقيل: مَنْ أسلم منهم كَسَلْمَانَ وضهيب وعبد الله بن سلام. ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن. ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: إنَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِحَقٍّ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: من الشاكين في أنهم يعلمون أنه منزل من عند الله.

وقال عطاء: الذين آتيناهم الكتاب هم رؤساء أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي^(٣).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٢/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣٣٧/٢.

(٣) ذكره البغوي ١٢٥/٢.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ قراءة أهل الكوفة بالتوحيد^(١)، والباقون بالجمع. قال ابن عباس: مواعيدُ ربك، فلا مغيّرَ لها^(٢). والكلماتُ ترجع إلى العبارات، أو إلى المتعلقات من الوعد والوعيد وغيرهما^(٣).

قال قتادة: الكلماتُ هي القرآنُ لا مبدلٌ له^(٤)، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: فيما وعدَ وحكم، لا رادٌ لقضائه، ولا خُلفٌ في وعده^(٥).

وحكى الرّماني عن قتادة: لا مبدلٌ لها فيما حكم به^(٦)، أي: إنه وإن أمكنه التغيير والتبديلُ في الألفاظ كما غيرَ أهل الكتابِ التوراةَ والإنجيلَ؛ فإنه لا يُعتدُّ بذلك.

ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن؛ لأنه حقٌّ لا يمكن تبديله بما يناقضه؛ لأنه من عند حكيم لا يخفى عليه شيءٌ من الأمور كلها^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُعْضِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَلْبِغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَعْضِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: الكفار ﴿يُعْضِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: عن الطريق التي تؤدي إلى ثواب الله. ﴿إِنْ يَلْبِغُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ «إِنْ» بمعنى

(١) يعني قرأه عاصم وحزمة والكسائي، السبعة ص ٢٦٦، والتيسير ص ١٠٦.

(٢) أورده الواحدي في الوسيط ٣١٤/٢ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ١٢٥/٢.

(٤) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ١١١/٣.

(٥) زاد المسير ١١١/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٥٠٨/٩.

(٧) قوله: كلها، من (م).

ما^(١)، وكذلك: ﴿وَأَنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، أي: يَخْدُسُونَ وَيَقْدُرُونَ^(٢)؛ ومنه الخَرْصُ، وأصله القطع. قال الشاعر:

تَرَى قِصَدَ الْمُرَّانِ فَمِثْلًا كَأَنَّهُ تَذَرُّعُ^(٣) خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَابِطِ^(٤)

يعني جريداً يُقَطَعُ طَوَّلاً، وَيَتَّخَذُ مِنْهُ الحُصْرُ. وهو جمعُ الخَرْصِ، ومنه: خَرَّصَ يَخْرُصُ النَّخْلَ خَرْصاً إِذَا حَزَّرَهُ لِيَأْخُذَ الحَرَاجَ مِنْهُ. فالخارِصُ يَقَطَعُ بِمَا لَا يَجُوزُ القَطْعُ بِهِ؛ إِذْ لَا يَقِينُ مَعَهُ^(٥). وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ في «الذاريات» إن شاء الله تعالى^(٦).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ قال بعض الناس: إِنَّ «أعلم» هنا بمعنى يعلم؛ وأنشد قولَ حاتم الطائي:

فَحَالَفْتُ^(٧) طَيْئِي مِنْ دُونِنَا حِلْفًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَهُمْ تُخْدَلًا^(٨)

وقول الخنساء:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٣/٢ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣٤٤/٣ ، والكشاف ٤٦/٢ .

(٣) لم تجود الكلمة في النسخ الخطية، والمثبت من (م)، والمصادر.

(٤) قائله قيس بن الخطيم، وهو في ديوانه ص ٣٩ ، والصحاح (خرص)، وروايته فيه: تُلْقَى كَأَنَّهَا، بدل: فَمِثْلًا كَأَنَّهُ؛ وقوله: قِصَدَ جمع قِصْدَةٍ؛ وهي القطعة من الشيء إذا انكسر، وقوله: المُرَّانُ: الرماح الصلبة اللدنة؛ واحدها مُرَّانَةٌ، وقوله: تَذَرُّعٌ؛ قال الأصمعي: تذرع فلان الجريد إذا وضعه في ذراعه فشطبه، وقوله: الخِرْصَانُ أصلها اللُّضْبَانُ من الجريد، وقوله: الشَّوَابِطُ جمع الشاطبة، وهي المرأة التي تقشر العبيب، ثم تلقية إلى المنقبة، فتأخذ كل ما عليه بسكينها حتى تتركه دقيقاً ثم تلقية المنقبة إلى الشاطبة ثانية، فشطبه على ذراعها وتذرعه. اللسان (قصد، مرن، ذرع).

(٥) ينظر تفسير الطبري ٥٠٩/٩ ، تهذيب اللغة ١٢٩/٧ - ١٣١ .

(٦) عند تفسير الآية (١٠) منها.

(٧) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): تحالفت، والمثبت من (خ)، وهو المرافق للمصادر.

(٨) في النسخ: خولا، والمثبت من المصادر، والبيت لم نقف عليه في ديوان حاتم، وهو في تفسير الطبري ٥١٠/٩ ، ومجمع البيان ١٧٥/٨ . وقوله: حِلْفٌ، هو الحلف، وحوكت اللام بالكسر للضرورة.

القوم أعلم^(١) أَنْ جَفَنَتْهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسْرِي^(٢)
وهذا لا حجة فيه؛ لأنه لا يطابق «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»^(٣). ولأنه يحتمل أن
يكونَ على أصله. ﴿مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ «من» بمعنى: أي؛ فهو في محل رفع،
والرافع له: «يضل». وقيل: في محل نصب بأعلم، أي: إنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ أَيُّ النَّاسِ
يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ. وقيل: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بمن يضل. قاله بعض
البصريين، وهو حسن؛ لقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وقوله في آخر النحل
[الآية: ١٢٥]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»^(٤). وقري
«يُضِلُّ»، وهذا على حذف المفعول، والأول أحسن؛ لأنه قال: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ»^(٥) فلو كان من الإضلال لقال: وهو أعلم بالهادين.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنَّا ذِكْرًا أَمْ لِلَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنَّا ذِكْرًا أَمْ لِلَّهِ عَلَيْهِ﴾ نزلت بسبب أناس أتوا النبي ﷺ،
فقالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ما نقتل، ولا نأكل ما قتل الله! فنزلت: ﴿فَكُلُوا - إِلَى
قوله - وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ». خرجه الترمذي وغيره^(٦).

(١) في (د) و(ز) و(م): الله أعلم، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لتفسير الطبري ٥١١/٩،
ومجمع البيان ١٧٥/٨.

(٢) ديوان الخنساء ص ٥٦، وفيه: الحي يعلم، بدل: الله أعلم، وقوله: جفنته؛ أي: قصعته، والجمع
جفان وجفئات. ينظر القاموس (جفن).

(٣) أي إن دخول الباء في «المهتدين» يبيِّن أن «أعلم» ليس بمعنى «يعلم»؛ إذ إن قوله: «وهو أعلم
بالمهتدين» معطوف على ما قبله. ينظر تفسير الطبري ٥١٠/٩ - ٥١١، ومجمع البيان ١٧٥/٨.

(٤) تفسير الطبري ٤٣١/٩، ٥١٠، ومشكل إعراب القرآن ٢٦٦/١، والمحور الوجيز ٣٣٨/٢، قال
مكي: ولا يحسن تقدير حذف حرف الجر لأنه من ضرورات الشعر.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٧٩/٢، والقراءة المذكورة نُسبت في القراءات الشاذة ص ٢٤٠ والمحتسب
٢٢٨/١ للحسن.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٠٦٩) وأبو داود (٢٨١٩) سن طريق عطله بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن
عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حديث حسن غريب... ورواه بعضهم عن عطله بن السائب،
عن سعيد بن جبير، عن النبي ﷺ مرسلًا.

قال عطاء: هذه الآية أمرٌ بذكر اسم اللّٰه على الشّراب والذّبيح وكلّ مطعوم^(١).
وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، أي: بأحكامه وأوامره آخذين؛ فإنّ الإيمان
بها يتضمّن ويقتضي الأخذ بها والانقياد لها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: المعنى: ما المانع
لكم من أكل ما سمّيت عليه ربّكم وإنّ قتلتموه بأيديكم^(٣). ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾، أي: بين
لكم الحلال من الحرام، وأزيل عنكم اللبس والشك.

فـ «ما» استفهام يتضمّن التقرير. وتقدير الكلام: وأي شيء لكم في ألا تأكلوا.
فـ «أن» في موضع خفض بتقدير حرف الجر. ويصحّ أن تكون في موضع نصب على
ألا يُقدّر حرف جر، ويكون الناصبُ معنى الفعل الذي في قوله: «مَا لَكُمْ»؛
تقديره^(٤): ما يمنعكم؟ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ يريد: من جميع ما
حرّم، كالميتة وغيرها، كما تقدّم في «البقرة»^(٥). وهو استثناء منقطع^(٦).

وقرأ نافع ويعقوب: «وقد فصل لكم ما حرّم» بفتح الفعلين. وقرأ أبو عمرو وابن
عامر وابن كثير بالضم فيهما، والكوفيون: «فصل» بالفتح، «حرّم» بالضم^(٧).

(١) أخرجه الطبري ٥١١/٩ - ٥١٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٣٣٨/٢ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٣٨/٢ .

(٤) بعدها في (خ) و(د) و(ز) و(م): أي. والمثبت من (ظ)، وفي المحرر الوجيز ٣٣٨/٢، والكلام منه:
تقديره: ما يجعلكم، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢٦٧/١ .

(٥) ٣٥/٢ - ٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٣٣٩/٢ .

(٧) هي قراءة عاصم من رواية شعبة، وحمزة والكسائي. أما قراءة عاصم من رواية حفص؛ فكقراءة نافع
ويعقوب. السبعة ص ٢٦٧، والتيسير ص ١٠٦، والنشر ٢/٢٦٢ .

وقرأ عطية العوفي: «فَصَلَّ خفيفة»^(١). ومعناه: أبان وظهر؛ كما قرئ: «الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ»^(٢) [هود: ١]، أي، استبانته. واختار أبو عبيد^(٣) قراءة أهل المدينة. وقيل: «فَصَلَّ»، أي: بيّن^(٤)، وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْسِنَتَكُمْ وَالدَّمَ وَلَعْنُ الْفَنزِيرِ﴾ الآية [٣].

قلت: هذا فيه نظر؛ فإنَّ «الأنعام» مكية، والمائدة مدنية، فكيف يُحيلُ بالبيان على ما لم ينزل بعد^(٥)؟ إلا أن يكونَ «فَصَلَّ» بمعنى يفصل. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا كَيْفًا لِيُحْلِلُونَ﴾ وقرأ الكوفيون: «يُضِلُّون»^(٦) من أضلَّ. ﴿يَاهُوَ آيَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني المشركين حيث قالوا: ما دَبَّحَ اللهُ بِسُكِينِهِ خَيْرٌ مِمَّا دَبَّحْتُمْ بسكاكينكم. «بِغَيْرِ عِلْمٍ»، أي: بغير علم يعلمونه في أمر الذَّبْحِ^(٧)؛ إذ الحكمةُ فيه إخراجُ ما حرَّمه الله علينا من الدم؛ بخلاف ما مات حَتْفَ أَنْفِهِ؛ ولذلك شرع الذكاة في محلٍّ مخصوصٍ ليكونَ الذَّبْحُ فيه سبباً لجذب كلِّ دمٍ في الحيوان بخلاف غيره من الأعضاء^(٨). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ﴾ للعلماء فيه أقوالٌ كثيرة. وحاصلها

(١) في (د) و(م): بالتخفيف، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لمعاني القرآن للنحاس ٤٨٠/٢، والكلام منه، وقراءة عطية العوفي في القراءات الشاذة ص ٤٠.

(٢) القراءات الشاذة ص ٥٩، والمحتسب ٣١٨/١.

(٣) في (م): أبو عبيدة.

(٤) هو قول قتادة أخرجه الطبري ٥١٣/٩.

(٥) ينظر تفسير الرازي ١٦٦/١٣.

(٦) السبعة ص ٢٦٧، والتيسير ص ١٠٦.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢٨٧/٢، وتفسير الرازي ١٦٧/١٣.

(٨) القبس ٦١٧/٢.

راجع إلى أن الظاهر ما كان عملاً بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عُقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى؛ وهذه المرتبة لا يبلغها إلا من اتقى وأحسن؛ كما قال: ﴿ثُمَّ اتَّقُوا رَبَّ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا﴾ [المائدة: ٤٩٣]. وهي المرتبة الثالثة حسب ما تقدم بيانه في «المائدة»^(١). وقيل: هو ما كان عليه الجاهلية من الزنى الظاهر واتخاذ الحلائل في الباطن^(٢). وما قدمنا جامع لكل إثم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجْبِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: روى أبو داود^(٤) قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية.

وروى النسائي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، قال: خاصمهم المشركون، فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه^(٥)! فقال الله سبحانه لهم: لا تأكلوا؛ فإنكم لم تذكروا اسم الله عليها. وتنشأ هنا مسألة أصولية، وهي:

(١) ١٦٧/٨ .

(٢) تفسير البغوي ١٢٦/٢، والنكت والعيون ١٦٠/٢ .

(٣) بعدها في (م): وموجب لكل أمر .

(٤) برقم (٢٨١٩) من حديث ابن عباس ؓ، وسلف قريباً .

(٥) سنن النسائي المجتبى ٢٣٧/٧، والكبرى (٤٥١١) (١١١٠٦) والكلام بعده من أحكام القرآن لابن العربي ٧٣٩/٢ . وقوله: خاصمهم المشركون، أي: خاصم المؤمنين المشركون: فقالوا في معرض الاستدلال على بطلان دين المسلمين: بأنكم تحرمون ذبيحة الله تعالى التي هي الميتة، وتحللون ذبيحتكم! . قاله السندي في حاشيته على النسائي . والحديث سلف بنحوه قريباً .

الثانية: وذلك أنَّ اللفظَ الواردَ على سبب؛ هل يُقصرُ عليه أم لا؟ فقال علماؤنا: لا إشكالَ في صحة دعوى العمومِ فيما يذكره الشارع ابتداءً من صيغِ ألفاظِ العموم. أما ما ذكره جواباً لسؤالٍ فيه تفصيل، على ما هو معروفٌ في أصول الفقه^(١)؛ إلا أنه إن أتى بلفظٍ مستقلٍّ دون السؤالِ لِحَقِّ^(٢) بالأوّل في صحة القصدِ إلى التعميم؛ فقوله: «لا تأكلوا» ظاهرٌ في تناول الميتة، ويدخلُ فيه ما ذكر عليه غيرُ اسمِ الله بعموم أنه لم يذكر عليه اسم الله، وبزيادة ذكرٍ غيرِ اسمِ الله سبحانه عليه الذي يقتضي تحريمه نصّاً بقوله: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِيَتَّخِرَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وهل يدخلُ فيه ما ترك المسلم التسميةَ عمداً عليه من الذبح، وعند إرسالِ الصيدِ؟ اختلف العلماء في ذلك على أقوالٍ خمسة، وهي المسألة^(٣).

الثالثة: القول الأوّل: إن تركها سهواً أكلاً جميعاً؛ وهو قولُ إسحاقٍ وروايةٌ عن أحمد بن حنبل. فإن تركها عمداً لم يُؤكَلَا؛ وقاله في الكتاب^(٤) مالكٌ وابنُ القاسم، وهو قولُ أبي حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن حيّ وعيسى وأضْبَغ، وقاله سعيد ابنُ جبيرة وعطاء، واختاره النحاس^(٥)، وقال: هذا حسن^(٦)؛ لأنه لا يُسمَّى فاسقاً إذا كان ناسياً.

الثاني: إن تركها عمداً أو ناسياً يأكلهما. وهو قولُ الشافعي والحسن، وزُوي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء وسعيد بن المسيّب^(٧) وجابر بن زيد وعكرمة

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٣٩/٢. وينظر المحصول في أصول الفقه له ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) في (ظ): إلا أنه أتى بلفظٍ مستقلٍّ دون السؤال ولحق.

(٣) قوله: المسألة، من (م). وما قبله بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٧٣٩/٢.

(٤) ٥١/٢.

(٥) في معاني القرآن ٤٨١/٢، وينظر الناسخ والمنسوخ له ٣٥٣/٢، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه

لمكي ص ٢٨٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٤٠/٢.

(٦) في (د) و(ز) و(ظ): أحسن، والمثبت من (خ) و(م)، وهو الموافق لمعاني القرآن للنحاس.

(٧) بعدها في (خ) و(ظ) و(م): والحسن. وقد سلف ذكره، والمثبت من (د) و(ز).

وأبي عياض وأبي رافع وطاوس وإبراهيم النَّخَعِيّ وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقتادة^(١).

وحكى الزُّهْرَاوِيُّ عن مالك بن أنس أنه قال: توكّلُ الذبيحة التي تُرُكَّت التسميةُ عليها عمداً أو نسياناً. وعن ربيعة أيضاً.

قال عبد الوهَّاب^(٢): التسميةُ سنَّةٌ؛ فإذا تركها الذابح ناسياً أكلت الذبيحةُ في قول مالك وأصحابه^(٣).

الثالث: إن تركها عمداً أو ساهياً حُرِّمَ أكلها. قاله محمد بن سيرين وعبد الله بن عياش^(٤) بن أبي ربيعة وعبد الله بن عمر ونافع وعبد الله بن يزيد^(٥) الحَظْمِيُّ والشَّعْبِيُّ؛ وبه قال أبو ثور وداود بن عليّ وأحمدُ في رواية^(٦).

الرابع: إن تركها عمداً كُرهَ أكلها؛ قاله القاضي أبو الحسن والشيخ أبو بكر من علمائنا^(٧).

الخامس: قال أشهب^(٨): توكّل ذبيحةً تارك التسمية عمداً إلا أن يكون مستخفاً، وقال نحوه الطبري^(٩).

(١) الاستذكار ٢١٦/١٥ - ٢١٧ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٤٠/٢ . وليس فيهما ذكر أبي عياض .

(٢) في المعونة ٦٦٥/١ ، و ٦٩٨/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٣٤٠/٢ .

(٤) في النسخ الخطية: عبد الله بن عباس، وهو خطأ، والكلام في المحرر الوجيز ٣٤٠/٢ ، بنحوه، وينظر الموطأ ٤٨٨/٢ ، وعبد الله بن عياش وُلد بالحيشة حيث هاجر إليها أبوه، وكان قديم الإسلام، وأدرك عبد الله من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، ومات سنة (٦٤هـ). ينظر الإصابة ١٨٨/٦ .

(٥) في النسخ: عبد الله بن زيد، وهو عبد الله بن يزيد بن زيد، والمثبت من المحرر الوجيز، وينظر تفسير الطبري ٥٢٩/٩ .

(٦) التمهيد ٣٠٢/٢٢ ، والاستذكار ٢٢٠/١٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٤٠/٢ ، والمغني ٢٥٨/١٣ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٠/٢ . أبو الحسن: هو ابن القصار، وأبو بكر: هو الأبهري .

(٨) في النواذر والزيادات ٣٦٠/٤ .

(٩) تفسيره ٥٣٢/٩ ، والمحرر الوجيز ٣٤٠/٢ ، وعنه نقل المصنف .

[قال القاضي أبو بكر رحمته]: يجب أن تُعَلَّقَ هذه الأحكامُ بالقرآن والسنة والدلائل المعنوية التي أسستها الشريعة، فأما القرآن فقد [قال ^(١) الله تعالى: ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، فبيّن الحالين وأوضح الحكمين. فقوله: «لا تأكلوا» نهى [محمول] على التحريم، [و] لا يجوز حملُه على الكراهة؛ لتناوله في بعض مقتضياته الحرام المحض، ولا يجوز أن يتبعض، أي: يراد به التحريم والكراهة معاً؛ وهذا من نفيس [علم] الأصول ^(٢).

وأما النَّاسِي فلا خطابٌ توجّه إليه؛ إذ يستحيلُ خطابُه، فالشَّرْطُ ليس بواجب عليه ^(٣).

وأما التارك للتسمية عمداً فلا يخلو من ثلاثة أحوال: إما أن يتركها إذا أضجع الذبيحة ويقول: قلبي مملوءٌ من أسماء الله تعالى وتوحيده، فلا أفترقُ إلى ذكر [ذلك] بلساني؛ فذلك يجزئه؛ لأنه ذكر اللّه جلّ جلاله وعظّمه. أو يقول: إنَّ هذا ليس بموضع تسمية صريحة؛ إذ ليست بقربة؛ فهذا أيضاً يجزئه [لكونه على مذهبٍ يصحُّ اعتقاده اجتهاداً للمجتهد فيه وتقليداً لمن قلّده]. أو يقول: لا أسمي، وأيُّ قدرٍ للتسمية؟ فهذا متهاون [كافر] فاسقٌ لا تؤكلُ ذبيحته. قال ابن العربي ^(٤): واعجب لرأس المحققين إمام الحرمين حيث قال: ذكُرَ اللّهُ تعالى إنما شُرِعَ في القُرْب، والذَّبْح ليس بقُرْبَة. وهذا يعارض القرآن والسنة؛ قال رحمته في الصحيح: «ما أنهر الذمَّ وذُكر اسمُ الله عليه فكلُّ» ^(٥). فإن قيل: المرادُ بذكر اسم الله بالقلب ^(٦)؛ لأنَّ الذكر

(١) قبلها في (خ) و(ظ): أدلة.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٠/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٢/٢.

(٤) في أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٢/٢، وما قبله وبين حاصرتين منه.

(٥) قطعة من حديث رافع بن خديج أخرجه أحمد (١٥٨٠٦)، والبخاري (٢٥٠٧)، ومسلم (١٩٦٨).

(٦) في النسخ: القلب، والمثبت من (م)، وهو الموافق لأحكام القرآن ٧٤١/٢.

يضاد النسيان، ومحلُّ النسيانِ القلبُ، فمحلُّ الذكرِ القلبُ، وقد روى البراء بن عازب: «اسم الله على قلب كل مؤمن سمِّي أو لم يسم»^(١) [ولهذا تجزئه الذبيحة إذا نسي التسمية تعويلاً على ما في قلبه من اسم الله سبحانه].

قلنا: الذكر باللسان وبالقلب، والذي كانت العرب تفعله تسمية الأصنام والنُّصبِ باللسان، فنسخ الله ذلك بذكره في الألسنة، واشتهر ذلك^(٢) في الشريعة حتى قيل لمالك: هل يُسمِّي الله تعالى إذا توضعاً؟ فقال: أيريد أن يذبح^(٣)؟
وأما الحديث الذي تعلقوا به من قوله: «اسمُ اللهِ على قلب كلِّ مؤمن» فحديث ضعيفٌ [لا تَلْتَقُوا إِلَيْهِ]^(٤).

وقد استدلَّ جماعةٌ من أهل العلم على أنَّ التسميةَ على الذبيحة ليست بواجبة بقوله^(٥) عليه الصلاة والسلام لأنام سألوه، قالوا: يا رسول الله، إنَّ قوماً يأتوننا باللحم؛ لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «سَمُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَكَلُوا». أخرجه الدارقطني عن عائشة^(٦)، ومالك^(٧) مرسلًا عن هشام بن عروة عن

(١) لم نقف عليه من حديث البراء عند غير ابن قدامة في المغني ٢٥٨/١٣ وهو ضعيف كما سيذكر المصنف. وأخرجه ابن عدي في الكامل ٦/٢٣٨١، والدارقطني (٤٨٠٣)، والبيهقي ٩/٢٤٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، ونقل ابن عدي عن أحمد تضعيفه. وأخرجه الدارقطني (٤٨٠٨)، والبيهقي ٩/٢٣٩ من حديث ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وأعله ابن القطان كما في نصب الراية ٤/١٨٢، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٨٥٤٨)، والدارقطني (٤٨٠٦) عن ابن عباس من قوله بنحوه.

وأخرجه أبو داود في المراسيل (٣٧٨) عن الصلت السدوسي مرسلًا، ونقل الزيلعي في نصب الراية ٤/١٨٣ عن ابن القطان قوله: وفيه [أي الحديث] مع الإرسال أن الصلت لا يعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا.

(٢) في أحكام القرآن ٢/٧٤١: واستمر ذلك.

(٣) في (د) و(ظ): أتريد أن تذبح، والمثبت من (خ) و(د) و(م).

(٤) أحكام القرآن ٢/٧٤٠ - ٧٤١.

(٥) في (د) و(ز) و(م): لقوله، والمثبت من (خ) و(ظ).

(٦) برقم (٤٨٠٩)، وأخرجه أيضاً البخاري (٢٠٥٧)، وأبو داود (٢٨٢٩)، والنسائي ٧/٢٣٧، وابن ماجه (٣١٧٤).

(٧) في الموطأ ٢/٤٨٨.

أبيه، لم يُختلف عليه في إرساله، وتأوله بأن قال في آخره: وذلك في أول الإسلام. يريد قبل أن ينزل عليه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾. قال أبو عمر^(١): وهذا ضعيف، وفي الحديث نفسه ما يردّه، وذلك أنه أمرهم فيه بتسمية اللّٰه على الأكل؛ فدلّ على أنّ الآية قد كانت نزلت عليه. ومما يدلّ على صحة ما قلناه أنّ هذا الحديث كان بالمدينة، ولا يختلف العلماء أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ نزل في سورة «الأنعام» بمكة.

ومعنى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي: لمعصية؛ عن ابن عباس^(٢). والفِسْق: الخروج؛ وقد تقدّم^(٣).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ الشَّيَاطِينُ لِيُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل^(٤).

روى أبو داود^(٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ الشَّيَاطِينُ لِيُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم فكلّوه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

قال عكرمة: عنى بالشياطين في هذه الآية مرّدة الإنس من مجوس فارس. وقال ابن عباس وعبد الله بن كثير: بل الشياطين الجنّ، وكفرة الجنّ أولياء قريش^(٦).

وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قيل له: إنّ المختار يقول: يُوحى إليّ، فقال:

(١) في التمهيد ٢٢/٢٩٩ - ٣٠٠، وما قبله منه بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٩/٥٣٠.

(٣) ٣٦٨/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٨٧، وتفسير البغوي ٢/١٢٧.

(٥) برقم (٢٨١٨)، وسلف بنحوه ص ٨ من هذا الجزء.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٣٤٠، والأقوال بنحوها في تفسير الطبري ٩/٥٢٠ - ٥٢٢.

صدق، إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ^(١).

وقوله^(٢): «لِيَجَادِلُوكُمْ». يريد قولهم: ما قتل الله لم تأكلوه، وما قتلتموه^(٣) أكلتموه!

والمجادلة: دفع القول على طريق الحجّة بالقوّة؛ مأخوذ من الأجدل: طائر قويّ.

وقيل: هو مأخوذ من الجدّالة، وهي الأرض؛ فكانه يغلبه بالحجة ويقهره حتى يصير كالمجدول بالأرض.

وقيل: هو مأخوذ من الجدّ، وهو شدّة القتل؛ فكان كلّ واحدٍ منهما يفيلُ حُجّةً صاحبه حتى يقطعها، وتكون حقاً في نصره الحقّ، وباطلاً في نصره الباطل^(٤).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن أَطَعْتُمُوهُمْ﴾، أي: في تحليل الميتة ﴿لَكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾. فدلّت الآية على أنّ من استحلّ شيئاً مما حرّم الله تعالى صار به مُشركاً. وقد حرّم الله سبحانه الميتة نصّاً؛ فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك^(٥).

قال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرِك مشركاً إذا أطاعه في الاعتقاد [الذي هو محلُّ الكفر والإيمان]؛ فأما إذا أطاعه^(٦) في الفعل وعقدّه سليمٌ مستمرٌّ على التوحيد والتصديق فهو عاصٍ؛ فافهموه^(٧). وقد مضى في «المائدة»^(٨).

(١) تفسير أبي الليث ١/٥١٠. وأخرجه الطبري ٩/٥٣٠ عن ابن عباس، وابن أبي حاتم ٤/١٣٧٩، عن ابن عمر وابن عباس. والمختار هو أبو إسحاق بن أبي عبيد القفي.

(٢) لفظة: قوله، من (م)، وكذلك لفظة: قولهم، الآية.

(٣) في (خ) و(ظ): قتلتم.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٤٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٨٧، وتفسير أبي الليث ١/٥١٠.

(٦) في (د) و(ز): فإن أطاعه، وفي أحكام القرآن: فإذا أطاعه.

(٧) أحكام القرآن ٢/٧٤٣، وما بين حاصرتين منه.

(٨) ١٠٧/٨.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ قرأ الجمهور بفتح الواو، دخلت عليها همزة الاستفهام. وروى المُسَيَّبِيُّ^(١) عن نافع بن أبي نعيم: «أَوْ مَنْ كَانَ» بإسكان الواو. قال النحاس^(٢): يجوز أن يكونَ محمولاً على المعنى، أي: انظروا وتدبروا^(٣): أغيرَ الله أبتغي حَكَمًا، أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيِينَاهُ؟ قيل: معناه: كان ميتاً حين كان نطفةً، فأحييناه بنفخ الروح فيه؛ حكاه ابن بحر^(٤). وقال ابن عباس: أو من كان كافراً فهديناه^(٥). نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل^(٦).

وقال زيد بن أسلم والسُّدِّي: «فَأُحْيِينَاهُ»: عمر رضي الله عنه. «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ»: أبو جهل لعنه الله^(٧).

والصحيح أنها عامةٌ في كل مؤمن وكافر^(٨).

وقيل: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم. وأنشد بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة:

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق المدني الثقة، أخذ القراءة عرضاً عن أبيه عن نافع، روى عنه مسلم وأبو داود. كان من العلماء العالمين، مات سنة (٢٣٦). طبقات القراء ٩٨/٢.

(٢) في إعراب القرآن ٩٤/٢، وما قبله منه.

(٣) في إعراب القرآن: وتبيئوا.

(٤) النكت والعيون ١٦٣/٢. وابن بحر: هو علي بن إبراهيم بن سلمة.

(٥) أخرجه الطبري ٥٣٥/٩.

(٦) تفسير البغوي ١٢٨/٢ وأسباب النزول للمواحد ص ٢١٩، وتفسير الرازي ١٧٢/١٣.

(٧) قول زيد بن أسلم أورده الواحد في الوسيط ٣١٩/٢، وقول السدي أورده النحاس في معاني القرآن ٤٨٣/٢، وأخرجه الطبري ٥٣٣/٥ عن الضحاك.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٢، وتفسير الرازي ١٧٣/١٢.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فاجسامهم قبل القبور قبور
وإنّ امرأ لم يخَيّ بالعلم ميّت فليس له حتى النشور نشور^(١)
والنور عبارة عن الهدى والإيمان. وقال الحسن: القرآن^(٢). وقيل: الحكمة^(٣).

وقيل: هو النور المذكور في قوله: ﴿يَتَعَنُّ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ وقوله:
﴿أَنْظُرُونَا نَقْشَ مِنْ نُورِكُمْ﴾^(٤) [الحديد: ١٢-١٣].

﴿يَمْشِي يَوْمَهُ﴾، أي: بالنور ﴿فِي آثَابِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، أي: كمن هو؛
ف «مثل» زائدة^(٥). تقول: أنا أكرم مثلك؛ أي: أكرمك. ومثله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ
النَّعْمِ﴾ [المائدة: ٩٥]. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقيل: المعنى: كمن مثله مثل من هو في الظلمات^(٦). والمثل والمثل واحد.
﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي: زين لهم الشيطان عبادة
الأصنام^(٧)، وأوهمهم أنهم أفضل من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَتَّكِرُوا فِيهَا وَمَا
يَتَّكِرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ المعنى: وكما زيننا
للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية ﴿مُجْرِمِيهَا﴾^(٨) مفعول أول لجعل

(١) النكت والعيون ١٦٣/٢ .

(٢) أورده الماوردي في النكت والعيون ١٦٣/٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٧/٣ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٢ .

(٤) المحرر الوجيز ٣٤١/٢ .

(٥) تفسير البغوي ١٢٨/٢ ، والوسيط ١١٧/٣ .

(٦) تفسير الطبري ٥٣٣/٩ .

(٧) ذكره البغوي ١٢٨/٢ من قول ابن عباس.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٢ ، وتفسير الطبري ٥٣٧/٩ .

﴿أَكْبَرُ﴾ الثاني، على التقديم والتأخير. وجعل بمعنى صيّر. والأكابر جمع الأكبر^(١). قال مجاهد: يريد العظماء^(٢). وقيل: الرؤساء والعظماء، وخصّهم بالذكر؛ لأنهم أقدروا على الفساد^(٣).

والمكر: الحيلة في مخالفة الاستقامة، وأصله القتل؛ فالماكر يقتل عن الاستقامة، أي: يصرف عنها.

قال مجاهد: كانوا يجلسون على كل عَقَبَةٍ أربعة ينقرون الناس عن اتباع النبي ﷺ^(٤)؛ كما فعل من قبلهم من الأمم السالفة بأنبيائهم.

﴿وَمَا يَتَكُفَّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: وبال مكرهم راجع إليهم. وهو من الله عز وجل الجزاء على مكر الماكرين بالعذاب الأليم^(٥). ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في الحال؛ لفرط جهلهم أن وبال مكرهم عائد إليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ بين شيئاً آخر من جهلهم، وهو أنهم قالوا: لن نؤمن حتى نكون أنبياء، فنؤتى مثل ما أوتي موسى وعيسى من الآيات^(٦)؛ ونظيره: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ شِئْئًا مِّثْلَ مَا أُوتِيَ﴾ [المدثر: ٥٢].

والكناية في «جاءتهم» ترجع إلى الأكابر الذين جرى ذكرهم. قال الوليد بن

(١) مشكل إعراب القرآن ٢٦٨/١، والمحذر الوجيز ٣٤١/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥٣٧/٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٤/٢.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط ٣١٩/٢، وابن الجوزي في زاد المير ١١٨/٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٨٤/٢، وتفسير الطبري ٥٣٧/٩.

(٦) تفسير الطبري ٥٣٩/٩.

المغيرة: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك؛ لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً^(١). وقال أبو جهل: والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً؛ إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. فنزلت الآية^(٢).

وقيل: لم يطلبوا النبوة، ولكن قالوا: لا نصدقك حتى يأتينا جبريل والملائكة يخبروننا بصدقك. والأول أصح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ أي: بمن هو مأمونٌ عليها وموضِعٌ لها^(٣).

و«حيث» ليس ظرفاً هنا، بل هو اسمٌ نصبٌ نصب المفعول به على الاتساع؛ أي: الله أعلم أهل الرسالة. وكان الأصل: الله أعلم بمواضع رسالته، ثم حذف الحرف، ولا يجوز أن يعمل «أعلم» في «حيث» ويكون ظرفاً، لأنَّ المعنى يكون على ذلك: الله أعلم في هذا الموضع، وذلك لا يجوز أن يوصف به البارئ تعالى، وإنما موضعها نصب بفعل مضمَر دَلَّ عليه «أعلم»^(٤). وهي اسمٌ كما ذكرنا.

والصَّغَارُ: الضَّيْمُ والدُّلُّ والهَوَانُ، وكذلك الضُّغْرُ؛ بالضم، والمصدر: الضُّغْرُ؛ بالتحريك، وأصله من الضُّغْرُ دون الكبير؛ فكأنَّ الدُّلَّ يصغُرُ إلى المرء نفسه. وقيل: أصله من الضُّغْرُ، وهو الرُّضَا بالدُّلِّ؛ يقال منه: صَغَرَ يَصْغُرُ؛ بفتح الغين في الماضي وضمها في المستقبل. وصَغِرَ بالكسر؛ يَصْغَرُ بالفتح؛ لغتان؛ صَغَرًا وصَغَارًا، واسم الفاعل صَاغِرٌ وصَغِيرٌ. والصَّاعِرُ: الراضي بالضَّيْمِ. والمَصْغُوراءُ^(٥) الصَّغَارُ. وأرض

(١) أورده البغوي ١٢٨/٢، والرازي في تفسيره ١٧٥/١٣.

(٢) أورده البغوي ١٢٨/٢، والزمخشري في الكشاف ٤٨/٢.

(٣) تفسير الرازي ١٥٦/١٣. وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص: «رسالته»، والباقون: «رسالاته».

(٤) إملاء ما من به الرحمان للمكبري بهامش الفتوحات الإلهية ٦٣٤/٢، وتفسير النسي ٧٥/٢، والدر المصون ١٣٧/٥.

(٥) جمع صغير، ووقع في (د) و(ز) و(ظ): والمصغور، وفي (خ): الصغوراء، والمثبت من (م)، وهو الموافق للصَّاح (صغر)، والكلام منه ومن تهذيب اللغة ٢٣/٨ بنحوه.

مُضْغِرَةً: نَبْئُهَا [صَغِيرٌ] لَمْ يَطَّل. عن ابن السكيت^(١).

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، فحذف. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي: سيصيب الذين أجرموا عند الله صَغَارًا. الفراء: سيصيب الذين أجرموا صَغَارًا من الله. وقيل: المعنى: سيصيب الذين أجرموا صَغَارًا ثابتٌ عند الله. قال النحاس^(٢): وهذا أحسنُ الأقوال؛ لأنَّ «عند» في موضعها.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: يوسعه له، ويوفقه، ويزين عنده ثوابه. ويقال: شرح: شق، وأصله التوسعة. وشرح الله صدره: وسَّعه بالبيان لذلك. وشرحت الأمر: بيَّنته وأوضحته. وكانت قريش تشرح النساء شَرْحًا، وهو مما تقدَّم من التوسعة والبسط، وهو وَظُّ المرأةِ مستلقيةً على قفاها^(٣). فالشرح: الكشف؛ تقول: شرحت الغامض؛ ومنه تشريح اللحم. قال الراجز:

كَمْ قَدْ أَكَلْتُ^(٤) كَيْدًا وَإِنْفَحَهُ ثُمَّ ادَّخَرْتُ أَلِيَّةً مُشْرَحَهُ
والقطعة منه شريحة. وكلُّ سمين من اللحم ممتدُّ فهو شريحة^(٥).

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾: يُغْوِيهِ ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، وهذا ردُّ على

(١) في إصلاح المنطق ص ٤٠٥، وما بين حاصرتين منه ومن الصحاح (صفر).

(٢) في معاني القرآن ٢/٤٨٤، وما قبله منه بنحوه، وقول الفراء في معاني القرآن له ١/٣٥٣.

(٣) تهذيب اللغة ٤/١٧٩، والمحرم الوجيز ٢/٣٤٣.

(٤) في النسخ: كم أكلت، والمثبت من (م)، وهو الموافق للمصادر.

(٥) الصحاح (شرح)، وينظر اللسان (شرح، نفع)، وقوله: إنفحة؛ بكسر الهمزة وفتح الفاء: كَرِشُ العَمَلِ أو الجَدِّي ما لم يأكل، فإذا أكل فهو كَرِشٌ، ويقال: وِثْفَةٌ؛ بكسر الميم، والجمع: أنافع. الصحاح (نفع).

القدرية^(١). ونظير هذه الآية من السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ». أخرجه الصحيحان^(٢). ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدرِ وتنويره. والدين العبادات؛ كما قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. ودليلُ خطابه أَنَّ مَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ضَيَّقَ صَدْرَهُ، وَأَبْعَدَ فَهْمَهُ، فَلَمْ يَفْقَهُهُ. والله أعلم.

ورُوي أَنَّ عبدَ الله بنَ مسعود قال: يا رسولَ الله، وهل ينشُرُ الصدرُ؟ فقال: «نعم، يدخلُ القلبَ نورًا». فقال: وهل لذلك من علامة؟ فقال ﷺ: «التَّجَافِي عن دارِ العُورِ، والإنابةُ إلى دارِ الخلودِ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزولِ الموتِ»^(٣).

وقرأ ابن كثير: «ضَيْقًا» بالتخفيف^(٤)؛ مثل: هَيِّنْ وَلَيِّنْ؛ لغتان^(٥). ونافع وأبو بكر: «حَرَجًا» بالكسر^(٦)، ومعناه الضيقُ. كرَّر المعنى، وحَسَّن ذلك؛ لاختلاف اللفظ^(٧).

والباقون بالفتح؛ جمع حَرَجَةٍ، وهو شِدَّةُ الضيقِ أيضاً، والحَرَجَةُ: الغَيْضَةُ^(٨)؛ والجمع حَرَجٌ وحَرَجَات. ومنه: فلانٌ يتحرَّجُ، أي: يُضَيِّقُ على نفسه في تركه هواه

(١) تفسير الرازي ١٣/١٧٧، والمحرر الوجيز ٢/٣٤٣.

(٢) صحيح البخاري (٧١)، وصحيح مسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه، وهو في مسند أحمد (١٦٨٣٧).

(٣) أخرجه الطبري ٩/٥٤٢، ٥٤٣ من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود بنحوه، وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود أبيه كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٩٦، وأخرجه الحاكم ٤/٣١١ وفي إسناده عدي ابن الفضل؛ قال الذهبي في تلخيص المستدرک: عدي ساقط، وأخرجه أيضاً الطبري ٩/٥٤١، ٥٤٢ عن أبي جعفر المدائني مرسلًا، وأبو جعفر هذا كذبه أحمد وابن المديني والنسائي كما في الميزان ٢/٥٠٤. وينظر ما قاله ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٤) السبعة ص ٢٦٨، والتيسير ص ١٠٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٥، والحجة للقراء السبعة ٣/٤٠٠.

(٦) السبعة ص ٢٦٨، والتيسير ص ١٠٦.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٤٥٠، وينظر مشكل إعراب القرآن ١/٢٦٩.

(٨) هي الشجر الملتف؛ والغبيضة أيضاً: مغيضٌ ماءٌ يجتمع، فبنت فيه الشجر. ينظر اللسان (غيض).

للمعاصي^(١). قاله الهَرَوِيُّ.

وقال ابن عباس: الحَرَجُ موضعُ الشجرِ الملتفت، فكأنَّ قلبَ الكافرِ لا تصل إليه الحكمةُ كما لا تصل الرَّاعيةُ إلى الموضع الذي التفَّ شجره^(٢). ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعنى؛ ذكره مكِّي^(٣) والشعلبي وغيرهما. وكل ضيقٌ: حَرَجٌ وحَرَجٌ. قال الجوهري^(٤): مكانٌ حَرَجٌ وحَرَجٌ، أي: ضيقٌ كثير الشجر لا تصل إليه الرَّاعية. وقرئ: ﴿يَجْمَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ و«حَرَجًا»، وهو بمنزلة الوَحْدِ^(٥) والوَجْدِ، والفَرْدِ والفَرْدِ، والدَّنْفِ والدَّنْفِ؛ في معنى واحد. وحكاه غيره عن الفراء^(٦)، وقد حَرَجَ صدره يَحْرَجُ حَرَجًا.

والحَرَجُ: الإثمُ. والحَرَجُ أيضاً: الناقةُ الضامرةُ. ويقال: الطويلةُ على وجه الأرض. عن أبي زيد، فهو لفظ مشترك.

والحَرَجُ: خشبٌ يُشَدُّ بعضه إلى بعض يُحملُ فيه الموتى. عن الأصمعي، وهو قول امرئ القيس:

فلَمَّا تَرَيْتَنِي فِي رِحَالَةِ^(٧) جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي^(٨)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٥/٢، وتهذيب اللغة ١٣٧/٤، والصحاح (حرج).

(٢) أورده أبو الليث ٥١٢/١، والرازي في تفسيره ١٨٣/١٣.

(٣) في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٥٠/١ - ٤٥١، وأخرجه الطبري ٥٤٥/٩، وذكره أيضاً النحاس في معاني القرآن ٤٨٦/٢، والبغوي في تفسيره ١٢٩/٢، والرازي في تفسيره ١٨٣/١٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٣/٢.

(٤) في الصحاح (حرج).

(٥) في النسخ الخطية: الواحد، والمثبت من (م)، وهو الموافق للصحاح.

(٦) في (د) و(ظ): وحكاه عنه الفراء، وكلام الفراء في معاني القرآن ٣٥٣-٣٥٤.

(٧) في (د) و(ز) و(ظ): حالة، والمثبت من (خ) و(م)، وهو الموافق للمصادر.

(٨) ديوان امرئ القيس ص ٩٠، وقوله: الرَّحَالَةُ: خشبات كان يُحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً، وهي الحَرَجُ، وجابر هذا من بني تغلب، وقوله: القَرُّ: مركب من مراكب النساء كالهودج، وقوله: أكفاني، أي: ثيابي، فصور ثيابه أكفانا لمرضه. شرح الديوان.

وربما وُضِعَ فوقَ نَعَشِ النساءِ؛ قالَ عنترة يصف ظليماً:

يَنْبَغْنَ قُؤْلَةً رَأْسَهُ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنٍ مُحَيِّمٌ^(١)

وقال الرَّجَّاجُ: الحَرَجُ: أَضْيِقُ الضَّيْقِ. فإذا قيل. فلان حَرَجُ الصدرِ، فالمعنى: ذو

حَرَجٍ في صدره، فإذا قيل: حَرَجٌ، فهو فاعل^(٢).

قال النحاس^(٣): حَرَجٌ اسمُ الفاعلِ، وَحَرَجٌ مصدرٌ وُصِفَ به؛ كما يقال: رجل

عَذْلٌ وِرْضاً.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ قرأه ابن كثير بإسكان الصَّادِ

مخففاً^(٤)، من الصعود، وهو الطلوعُ. شَبَّ الله الكافرَ في نفوره عن الإيمان^(٥) وثقله

عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه؛ كما أن صعودَ السماء لا يُطاق^(٦). وكذلك

يَصَّاعد، وأصله: يَتَصاعد، أدغمت التاء في الصاد، وهي قراءةُ أبي بكر^(٧)

والنخعي؛ إلا أن فيه معنى فعلٍ شيءٍ بعدَ شيءٍ، وذلك أثقلُ على فاعله.

وقرأ الباقر بالتشديد من غير ألف، وهو كالذي قبله. معناه: يتكلف ما لا يطيق

شيئاً بعدَ شيءٍ؛ كقولك: يَتَجَرَّعُ ويتفرَّق^(٨).

(١) الصحاح (حرج)، والبيت في المعاني الكبير ٣٤٥/١، وتهذيب اللغة ١٣٩/٤، واللسان (حرج، نعش). وقوله: قلة رأسه: أعلاه، فهو يصف نعمة يتبعها رثاؤها - جمع رثل: ولدُ النعامة - وهي تبسط جناحها، وتجملها تحتها؛ يقول: هذا الظليم قد علاه من كانه حرج على نعش. المعاني الكبير وتهذيب اللغة.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٩٠/٢ بنحوه، وتهذيب اللغة ١٣٧/٤.

(٣) في إعراب القرآن ٩٥/٢.

(٤) السبعة ص ٢٦٨، والتيسير ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) في (خ) و(م): من الإيمان، والكلام في الكشف عن وجوه القرآيات السبع ٤٥١/١.

(٦) تفسير أبي الليث ٥١٢/١.

(٧) هو شعبة أحد راويي عاصم. السبعة ص ٢٦٩، والتيسير ص ١٠٧.

(٨) في (م): يتفوق.

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ: «كَأَنَّمَا يَتَّصَعَدُ».

قال النحاس^(١): ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ: يصعد ويصاعد واحداً والمعنى فيها^(٢): أَنْ الْكَافِرَ مِنْ ضَيْقِ صَدْرِهِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ؛ كَأَنَّهُ^(٣) يَسْتَدْعِي ذَلِكَ.

وقيل: المعنى: كَادَ قَلْبُهُ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ نُبُوًّا عَنِ الْإِسْلَامِ^(٤).

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ عليهم؛ كجعله ضيق الصدر في أجسادهم. وأصل الرِّجْسِ في اللغة: النَّثْنُ. قال ابن زيد: هو العذاب. وقال ابن عباس: الرِّجْسُ: الشَّيْطَانُ^(٥)، أي: يسلطه عليهم. وقال مجاهد: الرِّجْسُ ما لا خَيْرَ فِيهِ^(٦). وكذلك الرِّجْسُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ هُوَ النَّثْنُ. فمعنى الآية - والله أعلم - ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: هذا الذي أنت عليه يا محمد والمؤمنون دينُ ربك لا اعوجاج فيه^(٨). ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾، أي: بيّناها ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

(١) في معاني القرآن ٤٨٧/٢، وقراءة ابن مسعود فيه، وذكرها أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٣/٢.

(٢) في (خ) و(م): فيهما، والمثبت من (د) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لمعاني القرآن للنحاس.

(٣) في (م): فكانه.

(٤) زاد المسير ١٢١/٣.

(٥) في (م): الرجس هو الشيطان.

(٦) أخرج الأقوال الطبري ٥٥١/٩ - ٥٥٢.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٤٨٨/٢.

(٨) تفسير الطبري ٥٥٣/٩، والوسيط ٣٢٢/٢، وتفسير البغوي ١٣٠/٢.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾، أي: للمتذكرين. ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: الجنة، فالجنة دارُ الله^(١)؛ كما يقال: الكعبة بيتُ الله. ويجوز أن يكونَ المعنى: دار السلامة، أي: التي يسلمُ فيها من الآفات^(٢). ومعنى ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونةٌ لهم عنده يُوصلُهم إليها بفضلِهِ^(٣). ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: ناصرُهم ومُعِينهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آلَافًا مِّنَ الَّذِينَ أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثْوَانِكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾^(٤) نصب على الفعل المحذوف، أي: ويومَ نحشرهم نقول. ﴿جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحال. والمراد حشرُ جميع الخلقِ في موقف القيامة.

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ﴾ نداء مضاف. ﴿قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ أي: من الاستمتاع بالإنس، فحذف المصدر المضاف إلى المفعول وحرف الجر^(٥)؛ يدلُّ على ذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾. وهذا يردُّ قولَ من قال: إنَّ الجنَّ هم الذين استمتعوا من الإنس؛ لأنَّ الإنسَ قبلوا منهم^(٦). والصحيح أن كلَّ واحدٍ مستمتعٌ بصاحبه، والتقدير في العربية: استمتع بعضنا ببعضنا^(٧)، فاستمتع الجنُّ من الإنس

(١) أخرجه الطبري ٥٥٤/٩ من قول السدي.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٨٨/٢، وينظر تفسير أبي الليث ٥١٣/١.

(٣) الوسيط ٣٢٢/٢.

(٤) بالنون هي قراءة السبعة غير عاصم من رواية حفص. السبعة ص ٢٦٩، والتيسير ص ١٠٧.

(٥) في (ظ): وحذف الجر.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٩٥/٢.

(٧) في النسخ: بعضاً، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢.

أنهم تلذذوا بطاعة الإنس إياهم، وتلذذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زنوا وشربوا الخمر ياغوا الجن إياهم^(١).

وقيل: كان الرجل إذا مرّ بوادٍ في سفره، وخاف على نفسه قال: أعوذ برّب هذا الوادي من جميع ما أخذ^(٢)، وفي التنزيل: ﴿وَأَنْتَ كَانَ يَجَالُ مِنْ الْإِنْسِ يُؤْذُونَ بِيكُلٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، فهذا استمتاع الإنس بالجن^(٣). وأما استمتاع الجن بالإنس فما^(٤) كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر^(٥).

وقيل: استمتاع الجن بالإنس أنهم يعترفون أنّ الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يحذرون^(٦).

ومعنى الآية تقرير^(٧) الضالّين والمضلّين وتوبيخهم في الآخرة على أعين العالمين.

﴿وَبَلِّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا﴾ يعني الموت والقبر، وواقينا نادمين. ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ﴾ أي: موضع مقامكم. والمثوى: المقام. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء ليس من الأول.

قال الزجاج: يرجع إلى يوم القيامة، أي: خالدين في النار إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدّتهم في الحساب، فالاستثناء منقطع^(٨).

وقيل: يرجع الاستثناء إلى النار، أي: إلا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار في

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٥ - ٩٦ بنحوه، وينظر معاني القرآن له ٢/٤٨٩.

(٢) أخرجه الطبري ٩/٥٥٦ من قول ابن جريج بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٤٨٩، والنكت والعيون ٢/١٦٨.

(٤) في (د): فيما.

(٥) تفسير البغوي ٢/١٣١، وزاد المسير ٣/١٢٤.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٢/٤٩٠، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩١.

(٧) في (م): تفرّج.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٤٩١، والكلام منه بنحوه.

بعض الأوقات^(١).

وقال ابن عباس: الاستثناء لأهل الإيمان. ف«ما» على هذا بمعنى من^(٢).

وعنه أيضاً أنه قال: هذه الآية توجب الوقف في جميع الكفار، ومعنى ذلك: أنها توجب الوقف فيمن لم يمت؛ إذ قد يُسلم^(٣).

وقيل: «إلا ما شاء الله» من كونهم في الدنيا بغير عذاب^(٤).

ومعنى هذه الآية معنى الآية [١٠٦] التي في «هود»: قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾. وهناك يأتي مستوفى إن شاء الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ أي: في عقوبتهم وفي جميع أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمقدار مجازاتهم^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ المعنى: وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض؛ أجعلُ بعضَ الظالمين أولياءَ بعض^(٦)، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غداً. ومعنى «نؤيِّ» على هذا: نجعل ولياً^(٧). قال ابن زيد: نسلط ظلمةَ الجنِّ على ظلمةِ الإنس^(٨). وعنه أيضاً: نسلط بعضَ الظلمة على بعض،

(١) تفسير البغوي ١٣١/٢.

(٢) الوسيط ٣٢٣/٢.

(٣) تفسير البغوي ١٣١/٢، والنكت والعيون ١٦٩/٢، وتفسير الطبري ٥٥٧/٩ - ٥٥٨.

(٤) زاد المسير ١٢٤/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢.

(٦) تفسير الطبري ٥٥٩/٩، وتفسير البغوي ١٣١/٢.

(٧) زاد المسير ١٢٤/٣، والمحرر الوجيز ٣٤٦/٢.

(٨) أخرجه الطبري ٥٥٩/٩.

فيهلكه ويذله^(١).

وهذا تهديدٌ للظالم؛ إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر، ويدخل في الآية جميع من يظلم^(٢)، أو يظلم الرعيّة، أو التاجرُ يظلم الناسَ في تجارته، أو السارقُ وغيرهم^(٣).

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم قفيف، وانظر فيه متعجباً. وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولّى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم^(٤).

وفي الخبر عن النبي ﷺ: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»^(٥).

وقيل: المعنى: نكلُ بعضهم إلى بعض فيما يختارونه من الكفر، كما نكلهم غداً إلى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم من العذاب. أي: كما فعل^(٦) بهم ذلك في الآخرة؛ كذلك فعلُ بهم في الدنيا.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿تُولَّوْهُ مَا قَوْلَانٌ﴾ [النساء: ١١٥]: نكله إلى ما وكل إليه نفسه.

قال ابن عباس: تفسيرها: هو أن الله إذا أراد بقوم شراً ولّى أمرهم شرارهم^(٧)؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

(١) أورده الماوردي في النكت والعيون ١٧١/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٦/٢ بنحوه.

(٢) بعدها في (م): نفسه.

(٣) تفسير أبي الليث ٥١٣/١ بنحوه.

(٤) أورد القولين أبو الليث في تفسيره ٥١٣/١.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٣٤، من حديث ابن مسعود، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٦٢٤، والمنائوي في فيض القدير ٧٢/٦، وفي إسناده: الحسن بن زكريا، قال السخاوي: هو المنوي منهم بالوضع، فهو آفته.

(٦) في النسخ: كما فعلنا، والمثبت من (م).

(٧) أورده البغوي في تفسيره ١٣١/٢، وسلف نحوه في الصفحة قبلها.

قوله تعالى: ﴿يَنْمَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِيكُمْ وَيُذَرُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّهَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْمَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾، أي: يوم نحشرهم نقول لهم^(١): ألم يأتكم رسل، فحذف، فيعرفون بما فيه اقتضائهم.

ومعنى «منكم»: في الخلق والتكليف والمخاطبة. ولما كانت الجن ممن يُخاطب ويُعقل قال: «منكم»؛ وإن كانت الرسل من الإنس^(٢)، وغلب الإنس في الخطاب كما يُغلب المذكر على المؤنث.

وقال ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي؛ كما قال: ﴿وَأَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]^(٣).

وقال مقاتل والضحاك: أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس^(٤).

وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والشُّدْر من الجن؛ ثم قرأ: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذِرِينَ﴾^(٥). وهو معنى قول ابن عباس، وهو الصحيح على ما يأتي بيانه في «الأحقاف».

وقال الكلبي: كانت الرسل قبل أن يُبعث محمد ﷺ يُبعثون إلى الإنس والجن جميعاً^(٦).

(١) قوله: لهم، من (م).

(٢) إعراب القرآن ٩٦/٢، ومعاني القرآن؛ كلاهما للنعاس ٤٩٢/٢.

(٣) معاني القرآن للنعاس ٤٩٢/٢، وأخرج قول ابن عباس الطبري ٥٦١/٩.

(٤) قول مقاتل أورده أبو الليث في تفسيره ٥١٤/١، وابن الجوزي في زاد المسير ١٢٥/٣، وقول الضحاك أخرجه الطبري ٥٦٠/٩.

(٥) أورده الواحدي في الوسيط ٣٢٣/٢، والبغوي في تفسيره ١٣١/٢.

(٦) أورده الزمخشري في الكشاف ٥١/٢، والطبرسي في مجمع البيان ١٩٩/٨، وأبو حيان في البحر المحيط ٢٢٣/٤ بلفظ: كانت الرسل قبل أن يُبعث محمد ﷺ يُبعثون إلى الإنس والجن، ورسول الله ﷺ بُعث إلى الإنس والجن، وينظر تفسير البغوي ١٣١/٢.

قلت: وهذا لا يصح، بل في صحيح مسلم^(١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي؛ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَتُبْعَثُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ». الحديث. على ما يأتي بيانه في «الأحقاف». وقال ابن عباس: كانت الرسل تُبْعَثُ إِلَى الْإِنْسِ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بُعِثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ ذَكَرَهُ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ^(٢).

وقيل: كان قوم من الجن استمعوا إلى الأنبياء، ثم عادوا إلى قومهم وأخبروهم، كالحال مع نبينا عليه الصلاة والسلام. فيقال لهم: رسلُ الله وإن لم يُنصَّ على إرسالهم^(٣). وفي التنزيل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْثُ وَالْمَرَجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢٢] أي: من أحدهما، وإنما يخرج من الملح دون العذب، فكذلك الرسلُ من الإنس دون الجن؛ فمعنى «منكم»: أي: من أحدكم، وكان هذا جائزاً؛ لأنَّ ذَكَرَهُمَا سَبَقَ^(٤).

وقيل: إنما صيِّرَ الرسلَ في مخرج اللفظ من الجميع؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ قَدْ ضَمَّتَهُمَا عَرَصَةُ الْقِيَامَةِ، وَالْحِسَابَ عَلَيْهِمْ دُونَ الْخَلْقِ؛ فَلَمَّا صَارُوا فِي تِلْكَ الْعَرَصَةِ فِي حِسَابٍ وَاحِدٍ فِي شَأْنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ خَوِطَبُوا يَوْمَئِذٍ بِمَخَاطَبَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَهُمْ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ بَدْءَ^(٥) خَلْقِهِمْ لِلْعِبَادِيَّةِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْعِبَادِيَّةِ، وَلِأَنَّ الْجِنَّ أَصْلُهُمْ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَأَصْلُنَا مِنْ تَرَابٍ، وَخَلَقْتَهُمْ غَيْرُ خَلْقِنَا؛ فَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ وَعَدُوْنَا إِبْلِيسَ عَدُوًّا لَهُمْ، يِعَادِي مُؤْمِنَهُمْ، وَيُوَالِي كَافِرَهُمْ. وَفِيهِمْ أَهْلٌ^(٦) أَهْوَاءَ: شَيْعَةٌ وَقَدَرِيَّةٌ وَمُرْجِيَّةٌ يَتَلَوْنَ كِتَابِنَا. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْجِنِّ [١١ و ١٤] مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾. ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾،

(١) برقم (٥٢١)، وسلف ٢٥٨/٤.

(٢) في تفسيره ٥١٤/١، وذكره أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ١٢٥/٣.

(٣) تفسير الرازي ١٩٥/١٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٢، وتفسير البغوي ١٣٢/٢.

(٥) في (خ) (وز): لأن بدو، وفي (د) (و(ظ)): لأنه بدو، والمثبت من (م).

(٦) لفظة: أهل، من (ظ).

على ما يأتي بيانه هناك.

﴿يَقْتُصُونَ﴾ في موضع رفع نعت لرسول^(١). ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ أي: شهدنا أنهم بَلَّغُوا. ﴿وَعَرَّضْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قيل: هذا خطابٌ من الله للمؤمنين؛ أي: إن هؤلاء قد عرَّضتهم الحياة الدنيا، أي: خدعتهم، وظنوا أنها تدوم، وخافوا زوالها عنهم إن آمنوا.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، أي: اعترفوا بكفرهم^(٢). قال مقاتل: هذا حينَ شهدت عليهم الجوارحُ بالشُّركِ وبما كانوا يعملون^(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ في موضع رفع عند سيبويه، أي: الأمرُ ذلك. و«أن» مخففةٌ من الثقيلة، أي: إنما فعلنا هذا بهم؛ لأنني لم أكنُ أهلك القرى بظلم^(٤)، أي: بشركهم قبل إرسال الرسل إليهم، فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

وقيل: لم أكنُ أهلك القرى بشرك من أشرك منهم^(٥)؛ فهو سئل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]. ولو أهلكهم قبل بعثة الرسلِ فله أن يفعل ما يريد. وقد قال عيسى: ﴿إِن تَعِدِّيهِمْ فَأَتِهِمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، وقد تقدّم.

وأجاز الفراء^(٦) أن يكون «ذلك» في موضع نصب، المعنى: فعل ذلك بهم؛ لأنه لم يكن يُهلك القرى بظلم.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢.

(٢) تفسير الرازي ١٣/١٩٦، والمحور الوجيز ٢/٣٤٧.

(٣) تفسير البيهقي ٢/١٣٢، وتفسير الواحدي ٢/٣٥٢، وقوله: وبما كانوا يعملون، من (م).

(٤) في (خ) و(د) و(ز) و(م): بظلمهم، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢، والكلام منه بنحوه، وقول سيبويه ذكره أيضاً الزجاج في معاني القرآن ٢/٢٩٢، ولم نقف عليه في الكتاب.

(٥) تفسير الطبري ٩/٥٦٣، وتفسير البيهقي ٢/١٣٢.

(٦) في معاني القرآن ١/٣٥٥، وإعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢، وعنه نقل المصنف، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٢ - ٢٩٣، والبيان لابن الأنباري ١/٣٤٠.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَنْفِيكَ عَمَّا يَتَّمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: من الجن والإنس؛ كما قال في آية أخرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَائِرِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيَوْمَئِذٍ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ﴾ [الأحقاف: ١٨-١٩]. وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي منهم في النار؛ كالإنس سواء. وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه.

ومعنى «ولكل درجات»، أي: ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب. ولكل عامل بمعصية درجات في العقاب^(١). ﴿وَمَا رُبُّكَ يَنْفِيكَ﴾ أي: ليس بلاء ولا ساء. والغفلة أن يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره. ﴿عَمَّا يَتَّمَلُونَ﴾ قرأه ابن عامر بالتاء، الباقون بالياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَرُبُّكَ الْفَعِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرُبُّكَ الْفَعِيُّ﴾ أي: عن خلقه وعن أعمالهم. ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي: بأوليائه وأهل طاعته. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالإماتة والاستئصال بالعذاب. ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ أي: خلقاً آخر أمثل منكم وأطوع^(٣). ﴿كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ والكاف في موضع نصب، أي: يستخلف من بعدكم ما يشاء استخلاقاً مثل ما أنشأكم^(٤)، ونظيره ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾

(١) النكت والعيون ١٧٢/٢ ، رزاد المسير ١٢٦/٣ .

(٢) السبعة ص ٢٦٩ ، والتيسير ص ١٠٧ .

(٣) تفسير أبي الليث ٥١٤/١ - ٥١٥ ، والوسيط ٣٢٤/٢ ، وتفسير البغوي ١٣٢/٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٩٦/٢ .

[النساء: ١٣٢]. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. فالمعنى يبدل غيركم مكانكم، كما تقول: أعطيتك من دينارك ثوباً^(١).

قوله تعالى: ﴿إِن مَّا تُوعَدُونَ لَآئٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِن مَّا تُوعَدُونَ لَآئٍ﴾ يحتمل أن يكون من «أوعدت» في الشر، والمصدر الإيعاد. والمراد عذاب الآخرة^(٢). ويحتمل أن يكون من «وعدت»^(٣) على أن يكون المراد الساعة التي في مجيئها الخير والشر، فغلب الخير. روي معناه عن الحسن^(٤). ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي: فائتين؛ يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني وغلبنى^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَقُولُ أَغْلَوْنَا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَقُولُ أَغْلَوْنَا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ وقرأ أبو بكر بالجمع: «مكاناتكم»^(٦). والمكانة: الطريقة^(٧). والمعنى: اثبتوا على ما أنتم عليه، فأنا أثبت على ما أنا عليه. فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار؟ فالجواب: أن هذا تهديد؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]، ودل عليه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾^(٨). أي:

(١) تفسير الطبري ٦٥/٩.

(٢) تفسير أبي الليث ٥١٥/١.

(٣) الوسيط للواحد ٣٢٤/٢.

(٤) تفسير الرازي ٢٠٢/١٣.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٦/١.

(٦) السبعة ص ٢٦٩، والتيسير ص ١٠٧.

(٧) النكت والعيون ١٧٢/٢.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤٩٣/٢، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٣/٢ - ٢٩٤.

العاقبة المحمودة التي يُحمد صاحبها عليها، أي: من له النَّصْرُ في دار الإسلام^(١)،
ومن له وراثته الأرض، ومن له الدار الآخرة، أي: الجنة.

قال الزجاج^(٢): «مكانتكم»: تمكَّنكم في الدنيا. ابن عباس والحسن والنَّخعي:
على ناحيتكم^(٣). القُتَيْبِيُّ: على موضعكم^(٤).

﴿إِنِّي عَاكِفٌ﴾ على مكاني، فحذف؛ لدلالة الحال عليه.

«وَمَنْ» من قوله: «مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» في موضع نصب بمعنى الذي؛ لوقوع
العلم عليه. ويجوز أن تكون في موضع رفع؛ لأن الاستفهام لا يعمل في ما قبله،
فيكون الفعل معلقاً، أي: تعلمون أننا تكون له عاقبة الدار^(٥)؟ كقوله: ﴿لِنَمْلَةٍ أَيْ لِلزَّيْتُونِ
أَخَصَى﴾ [الكهف: ١٢]. وقرأ حمزة والكسائي: «من يكون» بالياء^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى
اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ فيه مسألة

واحدة:

ويقال: ذراً يذراً ذُرءاً، أي: خلق. وفي الكلام حذف واختصار، وهو: وجعلوا
لأصنامهم نصيباً؛ دلَّ عليه ما بعده^(٧). وكان هذا مما زينه الشيطان، وسوّله لهم، حتى

(١) مجمع البيان ٢٠٣/٨ .

(٢) في معاني القرآن ٢/٢٩٣ .

(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري ٥٦٧/٩ ، وقول الحسن أوردته الماوردي في النكت والعيون ١٧٣/٢ .

(٤) تفسير غريب القرآن له ص ١٦٠ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٢ ، وتفسير الطبري ٥٦٨/٩ .

(٦) السبعة ص ٢٧٠ ، والتيسير ص ١٠٧ .

(٧) معاني القرآن للنحاس ٤٩٣/٢ .

صَرَفُوا مِنْ مَالِهِمْ طَائِفَةً إِلَى اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَطَائِفَةً إِلَى أَوْثَانِهِمْ؛ قَالَ (١) ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ؛ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ: جَعَلُوا لِلَّهِ جِزَاءً وَلِشُرَكَائِهِمْ جِزَاءً، فَإِذَا ذَهَبَ مَا لِشُرَكَائِهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا وَعَلَى سَدَنَتِهَا عَوَّضُوا مِنْهُ مَا لِلَّهِ، وَإِذَا ذَهَبَ مَا لِلَّهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الضِّيْفَانِ وَالْمَسَاكِينِ لَمْ يُعَوَّضُوا مِنْهُ شَيْئاً، وَقَالُوا: اللَّهُ مُسْتَعْتَبٌ عَنْهُ، وَشُرَكَائُنَا فَقَرَاءٌ (٢). وَكَانَ هَذَا مِنْ جَهَالَتِهِمْ وَبِزَعْمِهِمْ. وَالزَّعْمُ: الْكُذْبُ. قَالَ شُرَيْحُ الْقَاضِي: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ كُنْيَةً وَكُنْيَةُ الْكُذْبِ «زَعَمُوا» (٣). وَكَانُوا يَكْذِبُونَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ بِذَلِكَ شَرْعٌ.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ؛ فَلْيَقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِئَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ خَيْرَ الزَّيْنِ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٤) [الأنعام: ١٤٠]. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (٥): وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ، فَإِنَّهَا تَصَرَّفَتْ بِعَقُولِهَا الْعَاجِزَةِ فِي تَنْوِيعِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ سَفَاهَةً بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا عَدْلِ، وَالَّذِي تَصَرَّفَتْ بِالْجَهْلِ فِيهِ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَلْهَةِ أَعْظَمُ جَهْلًا، وَأَكْبَرُ جُرْمًا؛ فَإِنَّ الْاِعْتِدَاءَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ. وَالذَّلِيلُ فِي أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ وَاحِدٌ فِي مَخْلُوقَاتِهِ أَتَبَيَّنَ وَأَوْضَحَ مِنَ الذَّلِيلِ عَلَى أَنَّ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّكُمْ عَلَى كِمَالِ عَقُولِكُمْ وَوُقُورِ أَحْلَامِكُمْ عَبْدَتُمُ الْحَجَرَ! فَقَالَ عَمْرُو: تِلْكَ عَقُولُ كَادَهَا بَارِيهَا (٦).

(١) فِي (م): قَالَ.

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٥٦٩/٩ - ٥٧١، وَتَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٢٠٤/١٣.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ١٤١/٦ رَابِعُ أَبِي شَيْبَةَ ٦٣٧ - ٦٣٨ بِنَحْوِهِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَيْضًا ٦٣٦ - ٦٣٧، وَأَحْمَدُ (١٧٠٧٥) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لَهُ: مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي «زَعَمُوا»؟ قَالَ: «بِئْسَ مَطْيَةَ الرَّجْلِ» وَفِي إِسْنَادِهِ انْقِطَاعٌ، وَانظُرِ الْفَتْحَ ٥٥١/١٠.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٢٤) بِنَحْوِهِ.

(٥) فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٧٤٣/٢.

(٦) أَوْرَدَهُ الْخَطَّابِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٤٨٦/٢ بِنَحْوِهِ، وَأَوْرَدَهُ أَيْضًا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ =

فهذا الذي أخبر الله سبحانه من سخافة العرب وجعلها أمرًا أذهب الإسلام، وأبطله الله ببعثة^(١) الرسول عليه الصلاة والسلام. فكان من الظاهر لنا أن نميته حتى لا يظهر، ونساء حتى لا يذكر؛ إلا أن ربنا تبارك وتعالى ذكره بنصه، وأورده بشرحه، كما ذكر كفر الكافرين به. وكانت الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن قضاءه قد سبق؛ وحكمه قد نفذ؛ بأن الكفر والتخليط لا ينقطعان إلى يوم القيامة^(٢).

وقرأ يحيى بن وثاب والسلمي والأعمش والكسائي: «بُرْعُمِهِمْ» بضم الزاي. والباقون بفتحها^(٣)، وهما لغتان. ﴿فَمَا كَانَ لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي: إلى المساكين^(٤). ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء الحكم حكمهم.

قال ابن زيد: كانوا إذا ذبحوا ما لله ذكروا عليه اسم الأوثان، وإذا ذبحوا ما لأوثانهم لم يذكروا عليه اسم الله^(٥)، فهذا معنى «فَمَا كَانَ لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ»، فكان تركهم لذكر الله مذموماً منهم، وكان داخلاً في ترك أكل ما لم يذكر اسم الله عليه^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَليَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾

= ٣٠٦/٢ ، وابن الأثير في النهاية (عقل، كيد) مختصراً، وقوله: كادها باربيها؛ أي: أرادها بسوءه، يقال: كدت الرجل أكيداً، والكيد: الاحتيال والاجتهاد.

(١) في (م): بيثه.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٣/٢ - ٧٤٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٢ ، والقراءة من السبعة، ينظر السبعة ص ٢٧٠ ، والتيسير ص ١٠٧ .

(٤) بعدها في (ظ): وما كان لله فهو يصل إلى المساكين، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم.

(٥) أخرجه الطبري ٥٧٢/٩ بنحوه .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٥/٢ .

المعنى: فكما زَيْنَ لهؤلاء أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً؛ كذلك زَيْنَ لكثير من المشركين قَتَلَ أولادهم شركاؤهم. قال مجاهد وغيره: زَيْنَتْ لهم قتل البنات مخافة العَيْلَة^(١).

قال الفراء والزجاج: شركاؤهم هاهنا هم الذين كانوا يَخْدُمون الأوثان^(٢). وقيل: هم الغواة من الناس^(٣). وقيل: هم الشياطين^(٤).

وأشار بهذا إلى الوأد^(٥)، وهو دفنُ البنتِ حيَّةً مخافة السَّباء والحاجة، وعدم ما حُرِّم من النصره. وسمَّى الشياطين شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله، فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم^(٦).

وقيل: كان الرجل في الجاهلية يحلفُ بالله لئن وُلد له كذا وكذا غلاماً لينحرن أحدهم؛ كما فعله عبد المطلب حين نذر ذبَحَ ولده عبد الله^(٧).

ثم قيل: في الآية أربع قراءات، أصحها قراءة الجمهور: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، وهذه قراءة أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة^(٨). «شركاؤهم» رفع بـ «زَيْنَ»؛ لأنهم زَيْنُوا ولم يَقْتُلُوا. «قَتَلَ»

(١) أخرجه الطبري ٥٧٥/٩ .

(٢) قول الفراء في معاني القرآن له ٣٥٧/١ ، وقول الزجاج ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٧٠/٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٣٠/٣ .

(٣) النكت والعيون ١٧٤/٢ .

(٤) أخرجه الطبري ٥٧٥/٩ من قول ابن زيد.

(٥) بعدها في (خ) و(ظ) و(م): الخفي، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الصواب؛ إذ إن الوأد الخفي هو العزل كما ورد في الحديث، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٥/٢ .

(٦) تفسير البغوي ١٣٣/٢ .

(٧) تفسير أبي الليث ٥١٦/١ ، والنكت والعيون ١٧٤/٢ - ١٧٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٤٥/٢ .

(٨) هي قراءة السبعة؛ غير ابن عامر. السبعة ص ٢٧٠ ، والتيسير ص ١٠٧ .

نصب بـ «زَيْنَ»، و«أولادِهِمْ» مضاف إلى المفعول^(١)، والأصل في المصدر أن يضاف إلى الفاعل؛ لأنه أحدثه، ولأنه لا يُستغنى عنه، ويُستغنى عن المفعول؛ فهو هنا مضاف إلى المفعول لفظاً مضافاً إلى الفاعل معنى؛ لأنَّ التقدير: زَيْنَ لكثير من المشركين قتلهم أولادهم شركاؤهم، ثم حذف المضاف، وهو الفاعل كما حذف من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاةِ الْخَيْرِ﴾ [نصفت: ٤٩]، أي: من دعائه الخير. فالهاء فاعلة الدعاء، أي: لا يسأم الإنسان من أن يدعو بالخير. وكذا قوله: زَيْنَ لكثير من المشركين في أن يقتلوا أولادهم شركاؤهم. قال مكّي^(٢): وهذه القراءة هي الاختيار؛ لصحة الإعراب فيها، ولأنَّ عليها الجماعة.

القراءة الثانية: «زَيْنَ» بضم الزاي. «لكثير من المشركين قتلُ» بالرفع. «أولادِهِمْ» بالخفض. «شركاؤهم» بالرفع؛ قراءة الحسن^(٣).

ابنُ عامر وأهل الشام: «زَيْنَ» بضم الزاي «لكثير من المشركين قتلُ أولادِهِمْ»؛ برفع «قتل» ونصب «أولادِهِمْ». «شركائِهِمْ» بالخفض فيما حكى أبو عبيد؛ وحكى غيره عن أهل الشام أنهم قرؤوا: «وكذلك زَيْنَ» بضم الزاي «لكثير من المشركين قتلُ» بالرفع «أولادِهِمْ» بالخفض «شركائِهِمْ» بالخفض أيضاً^(٤).

فالقراءة الثانية قراءة الحسن جائزة، يكون: «قتلُ» اسم ما لم يُسمِّ فاعله، «شركاؤِهِمْ»؛ رفع بإضمار فعل يدل عليه «زَيْنَ»، أي: زَيْنَهُ شركاؤِهِمْ. ويجوز على هذا: ضُرب زيدٌ عمرو، بمعنى: ضربه عمرو، وأنشد سيبويه^(٥):

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٢ - ٩٨ .

(٢) في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٥٣/١ - ٤٥٤ ، وما قبله منه بنحوه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٩٧/٢ - ٩٨ ، والكلام منه بنحوه، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢٢٩/١ لأبي عبد الرحمن السلمي.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٩٨/٢ ، والكلام منه بنحوه، وقراءة ابن عامر من السبعة كما سلف.

(٥) في الكتاب ٢٨٨/١ ، ٣٦٦ .

لِيُبْنِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحَصُومَةٍ^(١)

أي: يبكي ضارع.

وقرأ ابن عامر وعاصم من رواية أبي بكر: «يُسَبِّحُ له فيها بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالًا»^(٢) [النور: ٣٦-٣٧]. التقدير: يُسَبِّحُه رِجَالًا.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ، النَّارُ ذَاتُ الْوَقُودِ» [البروج: ٤، ٥] بمعنى قتلهم النار^(٣).

قال النحاس: فأما ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام؛ فلا يجوز في كلام ولا في شعر، وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه [في الشعر] بالظرف؛ لأنه لا يَفْصِلُ، فأما بالأسماء غير الظروف فلنحو^(٤).

قال مكي^(٥): وهذه القراءة فيها ضعف؛ للتفريق بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنه إنما يجوز مثل هذا التفريق في الشعر مع الظروف؛ لاتساعهم فيها، وهو في المفعول به في الشعر بعيد، فإجازته في القرآن^(٦) أبعد. وقال المهدوي: قراءة ابن عامر هذه على التفرقة بين المضاف والمضاف إليه، ومثله قول الشاعر:

فَزَجَّجْتُهَا بِمَرْجَجَةٍ زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ^(٧)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٨/٢، وسلف البيت ٤٣٢/٨.

(٢) السبعة ص ٤٥٦، والتيسير ص ١٦٢.

(٣) في النسخ: قتلهم النار، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٩٨/٢ والكلام منه، وقراءة ابن أبي عبلة ذكرها أيضاً فيه ١٩٢/٥، ونسبها لأبي عبد الرحمن التلمي، والمكبري في إملأه ما من به الرحمن بهامش الفتوحات الإلهية ٤٥٩/٤، وينظر معاني القرآن للقرآني ٢٥٣/٣.

(٤) إعراب القرآن ٩٨/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٥) في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٥٤/١.

(٦) في (خ) و(د) و(م): القراءة، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق للكشف.

(٧) البيت في الكتاب ١٧٦/١ ومعاني القرآن للقرآني ٣٥٨/١، ومجالس ثعلب ص ١٢٥، وتفسير الطبري ٥٧٦/٩، والإنصاف لابن الأنباري ٤٢٧/٢، والخزانة ٤١٥/٤ دون نسبة، ووقع في مجالس ثعلب، ومعاني القرآن، وتفسير الطبري: مُتَمَكَّنًا، بدل: بِمَرْجَجَةٍ، وقوله: فزججتها؛ يقال: زججته زججا: إذا =

يريد: زَجَّ أَيْ مَزَادَةَ الْقَلُوصِ. وَأَنْشُد:

تَمُرُّ عَلَى مَا تَسْتَمِرُّ وَقَدْ شَفَّتْ غَلَائِلَ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْهَا صُدُورَهَا^(١)

يريد: شفت عبد القيس غلائل صدورها.

وقال أبو غانم أحمد بن حمدان النحوي^(٢): قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية؛ وهي زَلَّةٌ عَالِمٌ، وَإِذَا زَلَّ الْعَالِمُ لَمْ يُجْزِ اتِّبَاعُهُ، وَرَدَّ قَوْلُهُ إِلَى الْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُرَدَّ مَنْ زَلَّ مِنْهُمْ أَوْ سَهَا إِلَى الْإِجْمَاعِ؛ فَهُوَ أَوْلَى مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى غَيْرِ الصَّوَابِ. وَإِنَّمَا أُجَازُوا فِي الضَّرُورَةِ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالظَّرْفِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْصِلُ. كَمَا قَالَ:

كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ^(٣)

وقال آخر:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُغَالِهَنَّ بِنَا أَوْ أُخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ^(٤)

= طَعْنَتْهُ بِالرُّجْحِ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرَّمْحِ، وَقَوْلُهُ: زَجَّ الْقَلُوصِ؛ أَي: زَجَّأَ مِثْلَ زَجَّ، وَالْقَلُوصُ: النَّاقَةُ الشَّابَّةُ. قَالَ ابْنُ خَلْفٍ: هَذَا الْبَيْتُ يُرْوَى لِبَعْضِ الْمَدِينِيِّينَ الْمَوْلَدِينَ، وَقِيلَ: هُوَ لِبَعْضِ الْمُؤَثِّثِينَ مِمَّنْ لَا يَحْتَجُّ بِشِعْرِهِ. خَزَانَةُ الْأَدَبِ ٤/٤١٥.

(١) الْبَيْتُ فِي الْإِنْصَافِ ٢/٤٢٨، وَالْخَزَانَةُ ٤/٤١٣ دُونَ نِسْبَةٍ؛ قَالَ الْبَغْدَادِيُّ: وَهَذَا الْبَيْتُ مَصْنُوعٌ، وَقَاتِلُهُ مَجْهُولٌ. كَذَا فِي كِتَابِ الْإِنْصَافِ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ [٤٣٥/٢]. وَقَوْلُهُ: تَمُرُّ: مِنَ الْمُرُورِ، وَتَسْتَمِرُّ: مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ: قَبِيلَةٌ. وَالغَلَائِلُ: جَمْعُ غَلِيلٍ، وَهُوَ الضَّغْنُ وَالْحَقْدُ، وَشَفَّتْ: مَجَازٌ؛ مَنْ شَفَى اللَّهُ الْمَرِيضَ: إِذَا أَذْهَبَ عَنْهُ مَا يَشْكُو. الْخَزَانَةُ ٤/٤١٤.

(٢) لَمْ نَقْفِ عَلَى مَنْ ذَكَرَهُ بِهَذَا الْأَسْمِ، وَجَاءَ فِي غَايَةِ النِّهَايَةِ ٢/٣٠١، وَمَعْرِفَةُ الْقُرَاءِ الْكِبَارِ ٢/٥٦٥: أَبُو غَانِمٍ مَظْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ الْمُقَرَّرِ الْمِصْرِيِّ النَّحْوِيِّ، أَلْفَ كِتَابًا فِي اخْتِلَافِ السَّبْعَةِ، تُوْفِيَ سَنَةَ (٣٣٣هـ).

(٣) قَاتِلُهُ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيرِيِّ، وَهُوَ فِي الْكِتَابِ ١/١٧٩، وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢/٥٧٧، وَالْإِنْصَافِ ٢/٤٣٢، وَالْخَزَانَةُ ٤/٤١٩؛ وَصَفَ رَسُومَ الدَّارِ بِالْكِتَابِ فِي دَقَّتْهَا، وَخَصَّ الْيَهُودَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَجَعَلَ كِتَابَتَهُ بَعْضُهَا مُتَقَارِبٌ وَبَعْضُهَا مُفْتَرِقٌ، لِاتِّقْضَاءِ آثَارِ الدَّارِ تِلْكَ الصِّفَةِ. وَمَعْنَى يَزِيلُ: يُفْرَقُ مَا بَيْنَهَا وَيُبَاعَدُ. تَحْصِيلُ عَيْنِ الذَّهَبِ لِلشُّتْمَرِيِّ ص ١٤٨.

(٤) قَاتِلُهُ ذُو الرِّمَّةِ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ٢/٩٩٦، وَفِيهِ: [تَقَاضَى، بَدَلُ: أَصْوَاتِ (فِي الشُّطْرِ الثَّانِي)]، وَهُوَ بِمِثْلِ رَوَايَةِ الْمُصَنِّفِ فِي الْكِتَابِ ١/١٧٩، وَقَوْلُهُ: مَنْ يُغَالِهَنَّ؟ يُقَالُ: أَوْغَلَ فِي الْأَرْضِ؛ إِذَا أَبْعَدَ فِيهَا، =

وقال آخر:

لَمَّا رَأَتْ سَاتِيذًا مَّا اسْتَعْبَرَتْ لَلْهِدْرِ الْيَوْمَ مَن لَّامَهَا^(١)

وقال القشيري: وقال قوم: هذا قبيحٌ. وهذا محالٌ، لأنه إذا ثبتت القراءة^(٢)

بالتواتر عن النبي ﷺ، فهو الفصيح لا القبيح، وقد ورد ذلك في كلام العرب. وفي

مصحف عثمان: «شركائهم»^(٣) بالياء، وهذا يدل على قراءة ابن عامر. وأضيف القتلُ

في هذه القراءة إلى الشركاء؛ لأنَّ الشركاء هم الذين زَيَّنوا ذلك، ودَعَوْا إليه؛ فالفعل

مضافٌ إلى فاعله على ما يجب في الأصل، لكنه فرَّق بين المضافِ والمضافِ إليه،

وقدَّم المفعولَ، وتركه منصوباً على حاله؛ إذ كان متأخراً في المعنى، وأخَّر

المضافَ، وتركّه مخفوضاً على حاله؛ إذ كان متقدماً بعدَ القتل. والتقدير: وكذلك

زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادهم، أي: أن قتلَ شركائهم أولادهم.

قال النحاس^(٤): فأما ما حكاه غيرُ أبي عبيد - وهي القراءةُ الرابعة - فهو جائزٌ

على أن تبدل شركاءهم من أولادهم؛ لأنهم شركاؤهم في النسب والميراث.

﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ اللام لامٌ كتي. والإرداء: الإهلاك. ﴿وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُم﴾ الذي

ارتضى لهم^(٥). أي: يأمرونهم بالباطل، ويشككونهم في دينهم. وكانوا على دين

= والضمير للإبل، وقوله: أواخر؛ جمع آخرة الرُّخْل، هو العود الذي في آخر الرجل يستند إليه
الراكب، والميس بفتح الميم: شجر يتخذ منه الرحال، وقوله: إنقاض؛ مصدر أنقضت الدجاجة: إذا
صوتت، وقوله: الفرائج؛ جمع فُرُوج، وهي صغار الدجاج. الخزانة ٤/٤١٣.

(١) قاله عمرو بن قميئة، وهو في الكتاب ١/١٧٨، والإنصاف ٢/٤٣٢، والخزانة ٤/٤٠٦؛ أراد عمرو
ابن قميئة بهذا البيت نفسه وكان قال هذا لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم، وقوله: استعبرت:
بكت من وحشة الغربة. الخزانة ٤/٤٠٧ - ٤٠٨، وقوله: ساتيذًا اسم جبل أو نهر. ينظر معجم
البلدان ٣/١٦٩، والخزانة ٤/٤٠٧ و ٤١٠.

(٢) قوله: القراءة، من (م).

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٣٥٧، والإنصاف لابن الأنباري ٢/٤٣٦ وتفسير الرازي ١٣/٢٠٦، والبحر
المحيط ٤/٢٣٠.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٩٨ - ٩٩.

(٥) قوله: الذي ارتضى لهم، من (خ) و(م).

إسماعيل، وما كان فيه قتلُ الولد؛ فيصير الحقُّ مغطًى عليه، فهذا يلبسون^(١). ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بيّن تعالى أنَّ كفرهم بمشيئة الله. وهو ردُّ على القدرية^(٢). ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ يريد قولهم: إنَّ لله شركاء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ وَإِنَّهُمْ لَشَاءَ يُرْعِيهِمْ وَإِنَّهُمْ حَرَمَتٌ مَّا ظَهَرُوا مِنْهَا وَإِنَّهُمْ لَآ يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلِيمًا سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

ذكر تعالى نوعاً آخر من جهالتهم.

وقرأ أبان بن عثمان: «حُجْر» بضم الحاء والجيم^(٣). وقرأ الحسن وقتادة: «حَجْر» بفتح الحاء وإسكان الجيم^(٤)، لغتان بمعنى. وعن الحسن أيضاً: «حُجْر» بضم الحاء^(٥).

قال أبو عبيد عن هارون قال: كان الحسن يضم الحاء في «حجر» في جميع القرآن إلا في قوله: ﴿بَرَزْنَا بِحِجْرِكَ تَحْجُرًا﴾ [الفرقان: ٥٣]. فإنه كان يكسرها هاهنا^(٦).
وزوي عن ابن عباس وابن الزبير: «وَحَرَّتْ حِرْج»؛ الراء قبل الجيم^(٧)، وكذا في مصحف أبي^(٨)، وفيه قولان: أحدهما: أنه مثل جبَدَّ وجَدَّب. والقول الآخر - وهو

(١) إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢، وتفسير أبي الليث ٥١٦/١، وتفسير البغوي ١٣٤/٢.

(٢) تفسير الرازي ٢٠٦/١٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤١ لعيسى بن عمر.

(٤) لم نقف على هذه القراءة عند غير المصنف، ونقلها عنه أبو حيان في البحر المحيط ٢٣١/٤، والذي في إعراب القرآن ٩٩/٢، والكلام منه بنحوه، وتفسير الطبري ٥٧٩/٩، والكشاف ٥٥/٢، وزاد المسير ١٣١/٣، والمحزر الوجيز ٣٥٠/٢، قراءة الحسن وقتادة بضم الحاء وإسكان الجيم، وذكرها المصنف بعدها.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤١.

(٦) البحر المحيط ٢٣١/٤.

(٧) المحتسب ٢٣١/١، وتفسير الطبري ٥٧٩/٩، والمحزر الوجيز ٣٥٠/٢.

(٨) القراءات الشاذة ص ٤١، والمحتسب ٢٣١/١.

أصح - أنه من الحِجْر؛ فَإِنَّ الحِجْرَ بكسر الحاء لَغَةً في الحَرَجِ بفتح الحاء^(١)، وهو الضَيْقُ والإثم، فيكون معناه الحرام، ومنه: فلان يتحرج، أي: يُضَيِّقُ على نفسه الدخولَ فيما يشتهه عليه من الحرام^(٢).

والحِجْر: لفظ مشترك. وهو هنا بمعنى الحرام، وأصله المنع. وَسُمِّيَ العَقْلُ حِجْرًا؛ لمنعه عن القبائح. وفلان في حِجْرِ القاضي، أي: مَنَعَهُ^(٣)؛ حجرتُ على الصبي حَجْرًا. والحِجْر: العَقْلُ؛ قال الله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ فِتْنَةٌ لِيَّي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] والحِجْر: الفرسُ الأثي. والحِجْر: القرابة. قال:

يريدون أن يُقْصُوهُ عَنِّي وإنه لَدُو حَسَبٍ دانٍ إليّ وذو حِجْرٍ^(٤)
وحِجْرُ الإنسانِ وحِجره لغتان، والفتح أكثر.

أي: حَرَمُوا أنعاماً وحَرْتاً وجعلوها لأصنامهم، وقالوا: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ﴾ وهم خدامُ الأصنام^(٥). ثم بيّن أن هذا تحكّم لم يرد به شرع، ولهذا قال: ﴿بِرْغَمِهِمْ﴾.

﴿وَأَنْعَدُ حُرْمَتَ مُلْهُورِهَا﴾ يريد ما يسيبونه لألتهم على ما تقدّم من النصيب^(٦). وقال مجاهد: المراد البَحِيرَةُ والوَصِيلَةُ والحام^(٧). ﴿وَأَمَّنَّمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ يعني ما ذبحوه لألتهم. قال أبو وائل: لا يحجّون عليها^(٨). ﴿أَفِرَّاءَ﴾، أي: للافتراء

(١) المحتسب ٢٣٢/١، والصاحح (حرج).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢ بنحوه.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٧/١٣.

(٤) مجمل اللغة للفارسي ٢٦٤/٢ - ٢٦٥، ورواية البيت في ديوان ذي الرمة ٩٤٣/٢ :

وأخفيْتُ شوقي من ريفي وإنه لَدُو نَسَبٍ دانٍ إليّ وذو حِجْرٍ

وروايته في اللسان (حرج): فأخفيْتُ ما بي من صديقي وإنه لَدُو نَسَبٍ ...

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٨٦/٢.

(٦) النكت والميون ١٧٥/٢ - ١٧٦.

(٧) أخرجه الطبري ٥٧٨/٥، وسلف الكلام على البحيرة والوصيلة والحام ٢٣٧/٨.

(٨) أخرجه الطبري ٥٨٢/٩. أبو وائل: هو شقيق بن سلمة.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾؛ لأنهم كانوا يقولون: الله أمرنا بهذا^(١). فهو نصبٌ على المفعول له. وقيل: أي: يفترون افتراءً، وانتصابه لكونه مصدرًا^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِنا وَنَحْنُ عَالَمٌ خَالِصَةٌ لِلنَّسَاءِ وَإِنْ يَكُن مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِنا﴾ هذا نوعٌ آخر من جهلهم. قال ابن عباس: هو اللب^(٣)، جعلوه حلالاً للذكور وحراماً على الإناث. وقيل: الأجنة؛ قالوا: إنها لذكورنا. ثم إن مات منها شيءٌ أكله الرجال والنساء^(٤).

والهاء في «خالصة» للمبالغة في الخلوص؛ ومثله: رجلٌ علامةٌ ونسابةٌ؛ عن الكسائي والأخفش^(٥).

و«خالصة» بالرفع خبر المبتدأ الذي هو «ما».

وقال الفراء: تأنيثها لتأنيث الأنعام. وهذا القول عند قومٍ خطأ؛ لأنَّ ما في بطونها ليس منها؛ فلا يشبه^(٦): «تَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ»^(٧) [يوسف: ١٠]؛ لأن بعض السَّيَّارَةِ سَيَّارَةٌ، وهذا لا يلزم^(٨) الفراء؛ فإنَّ ما في بطون الأنعام أنعامٌ مثلها؛ فأنث

(١) الوسيط ٣٢٨/٢.

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢٧٢/١، والمحرر الوجيز ٣٥١/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٥٨٤/٩.

(٤) أخرجه الطبري ٥٨٥/٩ من قول السدي.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢، وقول الأخفش في معاني القرآن له ٥٠٦/٢.

(٦) بعدها في (م): قوله.

(٧) هي قراءة الحسن كما في القراءات الشاذة ص ٦٢.

(٨) بعدها في (م): قال.

لتأنيثها^(١)، أي: الأنعام التي في بطون الأنعام خالصةً لذكورنا. وقيل: أي: جماعة ما في البطون^(٢). وقيل: إن «ما» ترجع إلى الألبان أو الأجنة؛ فجاء التأنيث على المعنى والتذكير على اللفظ. ولهذا قال: «وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا» على اللفظ^(٣). ولو راعى المعنى لقال: ومحترمة. ويعضد هذا قراءة الأعمش: «خالص» بغير هاء^(٤).

قال الكسائي: معنى خالص وخالصة واحد، إلا أن الهاء للمبالغة؛ كما يقال: رجل داهيةٌ وعَلَّامةٌ؛ كما تقدم^(٥).

وقرأ قتادة: «خالصة» بالنصب على الحال من الضمير في الظرف الذي هو صلة لـ «ما». وخبر المبتدأ محذوف^(٦)؛ كقولك: الذي في الدار قائماً زيداً. هذا مذهب البصريين. وانتصب عند الفراء^(٧) على القطع. وكذا القول في قراءة سعيد بن جبير: «خالصاً»^(٨). وقرأ ابن عباس: «خالصه»^(٩) على الإضافة، فيكون ابتداءً ثانياً؛ والخبر: «لذكورنا» والجملة خبر «ما». ويجوز أن يكون «خالصه» بدلاً من «ما»^(١٠). فهذه خمس قراءات.

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجِنَا﴾، أي: بناتنا؛ عن ابن زيد^(١١). وغيره: نساؤهم^(١٢).

(١) معاني القرآن للفراء ٣٥٨/١، وإعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢ - ١٠٠، والكلام منه بنحوه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٩٤/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٠/٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٧٢/١، وتفسير الرازي ٢٠٨/١٣.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤١، والمحتسب ٢٣٢/١.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٩٨/٢، وسلف قريباً.

(٦) القراءات الشاذة ص ٤١، والمحتسب ٢٣٢/١. وقال مكِّي في مشكل إعراب القرآن ٢٧٣/١: الخبر: «لذكورنا».

(٧) في معاني القرآن له ٣٥٨/١.

(٨) القراءات الشاذة ص ٤١، والمحتسب ٢٣٢/١.

(٩) القراءات الشاذة ص ٤١، والمحتسب ٢٣٢/١.

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢ - ١٠٠، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢٧٢/١ - ٢٧٣.

(١١) أخرجه الطبري ٥٨٧/٩.

(١٢) أخرجه الطبري ٥٨٧/٩ من قول مجاهد.

﴿وَأَن يَكُن مَيِّتَةً﴾ قرئ بالياء والتاء^(١)؛ أي: إن يكن ما في بطون الأنعام ميتة^(٢) ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، أي: الرجال والنساء. وقال: «فيه»؛ لأنَّ المراد بالميتة الحيوان، وهي تُقَوَّى قراءة الياء، ولم يقل: فيها.

«مَيِّتَةً» بالرفع؛ بمعنى تقع أو تحدث. «ميتة» بالنصب، أي: وإن تكن^(٣) النِّسْمَة ميتة^(٤).

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، أي: كذبهم وافتراءهم؛ أي: يعذبهم على ذلك. وانتصب «وَصَفَّهُمْ» بنزع الخافض، أي: بوصفهم^(٥).

وفي الآية دليل على أنَّ العالم ينبغي له أن يتعلَّم قول من خالفه وإن لم يأخذ به، حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يردُّ عليه؛ لأنَّ الله تعالى أعلم النبي ﷺ وأصحابه قول من خالفهم من أهل^(٦) زمانهم؛ ليعرفوا فساد قولهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾

أخبر بخسرانهم لو أدهم البنات، وتحريمهم البحيرة وغيرها بعقولهم؛ فقتلوا أولادهم سفهًا خوف الإملاق، وحجروا على أنفسهم في أموالهم، ولم يخشوا الإملاق؛ فأبان ذلك عن تناقض رأيهم^(٧).

قلت: إنه^(٨) كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق؛ كما ذكر الله عزَّ وجلَّ

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: «وإن تكن» بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. وقرأ ابن كثير وابن عامر: «ميتة» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر السبعة ص ٢٧٠ - ٢٧١، والتيسير ص ١٠٧.

(٢) في النسخ: إن يكن ما في البطون ميتة، والمثبت من (م).

(٣) في (د) و(ز) و(ظ): وإن لم تكن، والمثبت من (خ) و(م).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٠، وتفسير البغوي ٢/١٣٥.

(٥) تفسير أبي الليث ١/٥١٧.

(٦) لفظة: أهل، من (م)، والكلام من تفسير أبي الليث ١/٥١٧.

(٧) أحكام القرآن للكميا الطبري ٣/١٢٥.

(٨) لفظة: إنه، من (خ) و(م).

في غير هذا الموضع^(١). وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم؛ وهم ربعة ومُضَر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية^(٢). ومنهم من يقول: الملائكة بناتُ الله؛ فالحقوا البناتِ بالبنات. ورُويَ أنَّ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مُعْتَمِماً بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «مألك تكونُ محزوناً؟» فقال: يا رسولَ الله، إني أذنبُ ذنباً في الجاهلية، فأخافُ ألا يغفره اللهُ لي^(٣) وإنَّ أسلمتُ! فقال له: «أخبرني عن ذنبك». فقال: يا رسولَ الله، إني كنتُ من الذين يقتلون بناتهم، فولدتُ لي بنتاً، فتشفتُ إليَّ امرأتي بأن^(٤) أتركها، فتركها حتى كبرتُ وأدركتُ، وصارت من أجمل النساء، فخطبوها؛ فدخلتني الحمية، ولم يحتملْ قلبي أنْ أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إنِّي أريد أنْ أذهبَ إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي، فابعتها معي، فسرتُ بذلك، وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت عليَّ المواثيقَ بالآلا أخوتها، فذهبتُ بها إلى رأسِ بئر، فنظرتُ في البئر، ففطنتُ الجاريةُ أنني أريدُ أنْ ألقِيها في البئر؛ فالتزمتني وجعلتُ تبكي وتقول: يا أبت! أيش تريد^(٥) أنْ تفعلَ بي! فرحمتها، ثم نظرتُ في البئر، فدخلتُ عليَّ الحمية، ثم التزمتني وجعلتُ تقول: يا أبت! لا تضيّعْ أمانةَ أمي؛ فجعلتُ مرةً أنظر في البئر ومرةً أنظرُ إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسةً، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتنِي. فمكثتُ هناك حتى انقطع صوتُها، فرجعتُ. فبكى رسولُ الله ﷺ وأصحابُه وقال: «لو أمرتُ أنْ أعاقبَ أحداً بما فعل في الجاهلية؛ لعاقبتُك»^(٦).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْبَيْتِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ دُونِهَا يُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهَا وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [الآية: ١٥١] من هذه السورة، وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْبَيْتِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ دُونِهَا يُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهَا وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [الإسراء: ٣١].

(٢) تفسير أبي الليث ٥١٧/١، وينظر تفسير الطبري ٥٩١/٩، وتفسير البغوي ١٣٥/٢.

(٣) لفظة: لي: من (م)، وتفسير أبي الليث.

(٤) في (د) و(م): أن، وسقطت من (ز)، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لتفسير أبي الليث.

(٥) في تفسير أبي الليث: أي شيء تريد.

(٦) ذكره أبو الليث في تفسيره ٥١٧/١ دون إسناد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْبٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ السَّرْفِينَ ﴿١٤١﴾﴾
فيه ثلاث وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَنشَأَ﴾ أي: خلق. ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾، أي: بساتين مسموكات^(١) مرفوعات. ﴿وَعَيْبٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾: غير مرفوعات.

قال ابن عباس: «مَعْرُوشَاتٍ» ما انبسط على الأرض مما يعرش مثل الكروم والزروع والبطيخ. «وَعَيْبٍ مَّعْرُوشَاتٍ» ما قام على ساقٍ مثل النخل وسائر الأشجار^(٢).
وقيل: المعروشات: ما ارتفعت أشجارها. وأصل التعريش: الرفع^(٣).

وعن ابن عباس أيضاً: المعروشات: ما أنبتته^(٤) ورَقعه الناس، وغير المعروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار^(٥). يدلُّ عليه قراءة عليّ ؓ: «مَعْرُوسَاتٍ وَعَيْبٍ مَّعْرُوسَاتٍ» بالغين المعجمة والسين المهملة^(٦).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ أفردهما بالذكر وهما داخلان في الجنات، لما فيهما من الفضيلة؛ على ما تقدّم بيانه في «البقرة» عند قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٧) الآية [٩٨]. ﴿مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ﴾ يعني: طعمه منه الجيد والدون. وسمّاه أَكْلًا؛ لأنه يؤكل^(٨).

(١) في النسخ: مسموكات، والمثبت من تفسير الطبري ٥٩٣/٩، وتفسير البغوي ١٣٥/٢. قال في الكشاف ٥٦/٢: يقال: عرشت الكرم، إذا جعلت له دعائم وسمكاً تعطف عليه القضبان.

(٢) بنحوه في تفسير الطبري ٥٩٤/٩، وتفسير البغوي ١٣٥/٢، وزاد المسير ١٣٤/٣.

(٣) النكت والعيون ١٧٨/٢.

(٤) في (م): أنبتته.

(٥) أخرجه الطبري ٥٩٣/٩ بنحوه، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ١٣٤/٣.

(٦) لم تقف على هذه القراءة.

(٧) ٢٦٢/٢.

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٦٢، والوسيط ٣٢٩/٢.

و«أَكَلُهُ» مرفوعٌ بالابتداء. و«مُخْتَلِفًا» نعته؛ لكنه لما تقدّم عليه وولّي منصوباً نصب. كما تقول: عندي طبّاخاً غلاماً. قال:

الشَّرُّ مُنْتَشِرٌ يَلْقَاكَ عَنْ عُرْضٍ وَالصَّالِحَاتُ عَلَيْهَا مُغْلَقًا بَابٌ^(١)
وقيل: «مُخْتَلِفًا» نصب على الحال.

قال أبو إسحاق الزجاج^(٢): وهذه مسألةٌ مُشْكَلَةٌ من النحو؛ لأنه يقال: قد أنشأها ولم يختلف أكلها، وهو ثمرها، فالجواب: أنّ الله سبحانه أنشأها بقوله: ﴿خَلَقُوا كُلِّي مَقْدَرًا﴾ [الزمر: ٦٢]، فأعلم أنه أنشأها مختلفاً أكلها. والجواب الآخر: أنه^(٣) أنشأها مقدراً فيها^(٤) الاختلاف؛ وقد بيّن هذا سيبويه^(٥) بقوله: مررت برجلٍ معه صقّرٌ صائداً به غداً، على الحال؛ كما تقول: لَتَدْخُلَنَّ الدارَ آكِلِينَ شَارِبِينَ، أي: مقدّرين ذلك.

جواب ثالث: أي: لما أنشأه كان مختلفاً أكله، على معنى: أنه لو كان له أكلٌ لكان مختلفاً أكله.

ولم يقل: أكلهما؛ لأنه اكتفى بإعادة الذكر على أحدهما، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تَحِيْرَةً أَوْ لَهَوْا أَنْفُسَهُوا لِيَتَبَا﴾ [الجمعة: ١١]، أي: إليهما^(٦). وقد تقدّم هذا المعنى.
الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالزَّرْتُونَ وَالرَّمَانَ﴾ عطفٌ عليه ﴿مُتَشَكِّبًا وَصَيَّرَ مُتَشَكِّبًا﴾ نصب على الحال^(٧)، وقد تقدم القولُ فيه^(٨). وفي هذه أدلةٌ ثلاثة:

- (١) لم نقف على قائله، وشطره الثاني ذكره ابن الأنباري في أسرار العربية ص ١٤٢.
- (٢) في معاني القرآن له ٢٩٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٠١/٢. وعنه نقل المصنف.
- (٣) في النسخ: مختلفاً أكلها، أي: أنه، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ١٠١/٢، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/٢.
- (٤) في (ج) و(ظ) و(م): مقدراً فيه، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس.
- (٥) في الكتاب ٤٩/٢.
- (٦) تفسير الرازي ٢١٢/١٣.
- (٧) إعراب القرآن للنحاس ١٠١/٢.
- (٨) ٤٧٤/٨.

أحدها: ما تقدّم^(١) من قيام الدليل على أنّ المتغيّرات لا بدّ لها من مغير.

الثاني: على الجنة منه سبحانه علينا، فلو شاء إذ خلقنا [أحياء] ألاّ يخلق لنا غذاء، وإذ^(٢) خلقه ألاّ يكون جميل المنظر طيب الطعم، وإذ خلقه كذلك ألاّ يكون سهل الجني؛ فلم يكن عليه أن يفعل ذلك ابتداءً؛ لأنه لا يجب عليه شيء.

الثالث: على القدرة في أن يكون الماء الذي من شأنه الرسوب، يصعد بقدرة الله الواحد علّام الغيوب، من أسافل الشجر^(٣) إلى أعاليها [ويترقى من أصولها إلى فروعها]، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها، وثمر خارج من صفته الجرم الوافر^(٤)، واللون الزاهر، والجنى الجديد، والطعم اللذيذ؛ فأين الطبايع وأجناسها؟ وأين الفلاسفة وأناسها؟ هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان [البديع]، أو ترتب هذا الترتيب العجيب؟ كلا، لا يتم ذلك في العقول^(٥) إلاّ لحى عالم قدير مُريد. فسبحان من له في كل شيء آية، [بداية] ونهاية^(٦)!

ورجوه اتّصال هذا بما قبله: أنّ الكفار لما افتروا على الله الكذب، وأشركوا معه، وحلّلوا وحرّموا؛ دلّهم على وحدانيته بأنه خالق الأشياء، وأنه جعل هذه الأشياء أرزاقاً لهم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآمِنُوا بِحَقِّهِ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ فهذا بناءً جاء بصيغة: إفعل؛ أحدهما مباح؛ كقوله: ﴿فَأَنْشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، والثاني واجب. وليس يمتنع في الشريعة اقتران المباح والواجب، وبدأ

(١) ٤٧٥/٨.

(٢) في (خ) و(د) و(م): وإذا، والمثبت من (ز) و(لا)، وفي أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٧/٢، والكلام منه: أو إذ، ومثله في الموضع الآتي.

(٣) في (م): الشجرة.

(٤) عبارة ابن العربي: وثمار خارجة عن صفتها، فيها الجرم الوافر.

(٥) في أحكام القرآن: في المحقول.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٧/٢ - ٧٤٨ دون الدليل الأول، وما بين حاصرتين منه.

بذكر نعمة الأكل قبل الأمر بإيتاء الحق؛ لبيِّن أنَّ الابتداء بالنعمة كان من فضله قبل التكليف^(١).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٢) اختلف الناس في تفسير هذا الحق ما هو، فقال أنس بن مالك وابن عباس وطاوس والحسن وابن زيد وابن الحنفية والضَّحَّاك وسعيد بن المسيب: هي الزكاة المفروضة، العُشْرُ ونصف العُشْر^(٣). ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك في تفسير الآية^(٤)، وبه قال بعض أصحاب الشافعي.

وحكى الزجاج^(٥) أنَّ هذه الآية قيل فيها: إنها نزلت بالمدينة.

وقال علي بن الحسين وعطاء والحكم وحماد وسعيد بن جبيرة ومجاهد: هو حق في المال سوى الزكاة، أمر الله به نذبا. ورؤي عن ابن عمر ومحمد بن الحنفية أيضا^(٥)، ورواه أبو سعيد الخُدري عن النبي ﷺ^(٦).

قال مجاهد: إذا حصدت فحضرك المساكين، فاطرح لهم من السنبيل، وإذا جذذت فآلتي لهم من الشماريخ، وإذا درسته ودُمته^(٧) وذريته فاطرح لهم منه، وإذا عرفت كيله فأخرج منه زكاته^(٨).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٨/٢.

(٢) التمهيد ١٥٤/٢٠، وتفسير البغوي ١٣٥/٢، وأخرج هذا القول عنهم الطبري ٥٩٥/٩ - ٦٠٠.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٨/٢.

(٤) في معاني القرآن ٢٩٧/٢، والمحزر الوجيز ٣٥٢/٢، وعنه نقل المصنف.

(٥) التمهيد ١٥٤/٢٠، وتفسير البغوي ١٣٥/٢ - ١٣٦ والمحزر الوجيز ٣٥٣/٢، وأخرج الأقوال الطبري ٦٠٠/٩ - ٦٠٧ دون قول ابن الحنفية.

(٦) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣٣٣/٢ من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: «وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»، قال: «ما سقط من السنبيل» قال الحافظ في التقريب ص ١٤١: دراج صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

(٧) قوله: ودسته، من (م).

(٨) أخرجه الطبري ٦٠٢/٩ - ٦٠٣ بنحوه، والشماريخ جمع شمرخ، وهو الغصن الذي عليه البسر. النهاية (شمرخ).

وقول ثالث: هو منسوخ بالزكاة؛ لأن هذه السورة مكية، وآية الزكاة لم تنزل إلا بالمدينة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. روي عن ابن عباس وابن الحنفية والحسن وعطية العوفية والتخمي وسعيد ابن جبير^(١).

وقال سفيان: سألت السدي عن هذه الآية فقال: نَسَحَهَا الْعُشْرُ وَنَصَفُ الْعُشْرِ، فقلت: عمَّن؟ فقال: عن العلماء^(٢).

السادسة: وقد تعلق أبو حنيفة بهذه الآية وبعموم ما في قوله عليه الصلاة والسلام: «فِيمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ، وَفِيمَا سَقَّى بَنَاحُ أَوْ دَالِيَةِ نَصْفُ الْعُشْرِ»^(٣) في إيجاب الزكاة في كل ما تُثبت الأرض، طعاماً كان أو غيره. وقال أبو يوسف عنه: إلا الحطب والحشيش والقصب والتبن^(٤) والسعف وقصب الليرة وقصب السكر. وأباه الجمهور، معولين على أن المقصود من الحديث بيان ما يؤخذ منه العشر، وما يؤخذ منه نصف العشر^(٥).

قال أبو عمر^(٦): لا خلاف بين العلماء فيما علمت أن الزكاة واجبة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب.

وقالت طائفة: لا زكاة في غيرها؛ روي ذلك عن الحسن وابن سيرين والشعبي، وقال به من الكوفيين: ابن أبي ليلى والثوري والحسن بن صالح وابن المبارك ويحيى

(١) التمهيد ٢٠/١٥٤ - ١٥٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٤٨ ، والمحور الوجيز ٢/٣٥٣ . وأخرج الأقرال الطبري ٩/٦٠٨ - ٦١١ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/١٨٦ بنحوه ، وينظر تفسير الطبري ٩/٦١٠ .

(٣) سلف ٢/٢٤ .

(٤) في النسخ: التين، وهو خطأ، وينظر تحفة الفقهاء للسمرقندي ١/٣٢١ ، والبنية في شرح الهداية ٣/١٥٦ .

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/٣٢٩ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/٩ ، ١١ ، والتمهيد ٢٤/١٦٦ ، والقيس ٢/٤٥٨ .

(٦) في الاستذكار ٩/٢٥٥ - ٢٥٦ .

ابن آدم، وإليه ذهب أبو عبيد^(١). ورُوي ذلك عن أبي موسى عن النبي ﷺ^(٢)، وهو مذهب أبي موسى، فإنه كان لا يأخذ الزكاة إلا من الحنطة والشعير والتمر والزبيب؛ ذكره وكيع عن طلحة بن يحيى، عن أبي بريدة، عن أبيه^(٣).

وقال مالك وأصحابه: الزكاة واجبة في كل مُقتاتٍ مُدَّخِرٍ، وبه قال الشافعي^(٤).

وقال الشافعي: إنما تجب الزكاة فيما يبيس ويُدَّخِر ويُقتات مأكولاً. ولا شيء في الزيتون؛ لأنه إدام. وقال أبو ثور مثله^(٥).

وقال أحمد أقوالاً: أظهرها أن الزكاة إنما تجب في كل ما قاله أبو حنيفة إذا كان يُوسق؛ فأوجبها في اللوز لأنه مكيل؛ دون الجوز؛ لأنه معدود. واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس فيما دون خمسة أوسق من تمرٍ أو حبِّ صدقة»^(٦). قال: فبين النبي ﷺ أن محلَّ الواجب هو المُوسق^(٧)، ويُن المقدار الذي يجب إخراج الحق منه.

وذهب الثَّخمي إلى أن الزكاة واجبة في كل ما أخرجته الأرض، حتى في عشر دساتيج من بقل؛ دَسْتَجَةٌ بقل^(٨). وقد اختلف عنه في ذلك، وهو قول عمر بن عبد العزيز، فإنه كتب أن يؤخذ مما تُنبت الأرض من قليل أو كثير العُشُر؛ ذكره عبد

(١) في الأموال ص ٥٧٥ .

(٢) أخرجه الدارقطني (١٩٢١)، والحاكم ٤٠١/١، والبيهقي ١٢٥/٤ عن أبي موسى ومعاذ بن جبل، حين بعثهما رسول الله ﷺ إلى اليمن، يعلمان الناس أمر دينهم: «لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة: الشعير والحنطة والزبيب والتمر». وقال الحافظ في التلخيص ١٦٦/٢: قال البيهقي: رواه ثقات وهو متصل.

(٣) الاستذكار ٢٥٦/٩ بنحوه، وأثر أبي موسى أخرجه ابن أبي شيبة ١٣٨/٣ - ١٣٩ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٩/٢ .

(٥) الاستذكار ٢٤٠/٩ - ٢٤١ .

(٦) سلف ٢٤/٢ .

(٧) في (د) و(م): الوسق، وفي (ظ): المتوسق، والمثبت من (خ) و(ز)، وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي ٧٤٩/٢، والكلام منه.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣٩/٣، وقوله: دَسْتَجَةٌ: هو معرَّب: دَسْتَه، وهي حزمة ونحوها، تجمع اثني عشر فرداً من كل نوع. معجم متن اللغة، والمعجم الوسيط (دَسْتَجَةٌ).

الرازق^(١) عن مَعْمَرٍ، عن سِمَاكِ بْنِ الْفَضْلِ قَالَ: كَتَبَ عَمْرٌ... فَذَكَرَهُ. وَهُوَ قَوْلُ حَمَّادِ ابْنِ أَبِي سَلِيمَانَ وَتَلْمِيذِهِ أَبِي حَنِيفَةَ^(٢).

وإلى هذا مال ابن العربي في أحكامه^(٣)، فقال: وأما أبو حنيفة فجعل الآية ميراثه، فأبصر الحق. وأخذ يعضد مذهب الحنفي ويقويه. وقال في كتاب «القبس» بما عليه الإمام مالك بن أنس^(٤)، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَالزُّمَانُ وَالرَّمَانُ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ واختلف الناس في وجوب الزكاة في جميع ما تضمنته^(٥) أو بعضها، وقد بيننا ذلك في «الأحكام»^(٦) لُبَّائِهِ: أَنَّ الزَّكَاةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُقْتَنَاتِ^(٧) - كما قدَّمنا^(٨) - دون الخضراوات؛ وقد كان بالطائف الرَّمَانُ وَالْفَرَسِيكُ وَالْأَنْرَجُ^(٩)، فما اعترضه رسول الله ﷺ ولا ذكره ولا أحد من خلفائه.

قلت: هذا وإن لم يذكره في «الأحكام» هو الصحيح في المسألة، وأنَّ الخُضْرَاوَاتِ ليس فيها شيء.

وأما الآية فقد اختلف فيها، هل هي مُحْكَمَةٌ أو مَنْسُوخَةٌ أو مَحْمُولَةٌ عَلَى النَّذْبِ، ولا قاطع يبين أحدًا محامِلها، بل القاطع المعلوم ما ذكره ابن بكير في أحكامه: أَنَّ الكُوفَةَ افْتُتِحَتْ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ بِالْمَدِينَةِ^(١٠)، أفيجوز أن

(١) في مصنفه (٧١٩٦).

(٢) الاستذكار ٩/٢٣٩.

(٣) ٧٤٩/٢.

(٤) ٤٧٢/٢ - ٤٧٣.

(٥) في القبس: في جميع ما تضمنت.

(٦) ٧٥٠/٢ - ٧٥١.

(٧) في القبس: إنما تتعلق بالمتينات.

(٨) في (د) و(م): كما يشأ، والمثبت من (ح) وهامش (د) و(ز) و(ظ).

(٩) قوله: الفرسيك: الخوخ، أو ضرب منه أجرد أحمر، أو ما يتفلق عن نواه. القاموس (فرسك). وقوله: الأنرج: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والشمر، وثمره كالليمون الكبار، ذكي الرائحة. معجم الوسيط (الأنرج).

(١٠) في (م): في المدينة.

يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ أَوْ مَنْ لَهُ أَدْنَى بَصِيرَةٍ أَنْ تَكُونَ شَرِيعَةً مِثْلُ هَذِهِ غَطَّلَتْ، فَلَمْ يُعْمَلْ بِهَا فِي دَارِ الْهَجْرَةِ وَمُسْتَقَرِّ الرُّوحِيِّ وَلَا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى عَمِلَ بِذَلِكَ الْكُوفِيُّونَ؟ إِنَّ هَذِهِ لِمَصِيبَةٍ فِيمَنْ ظَنَّ هَذَا وَقَالَ بِهِ!.

قلت: ومما يدلُّ على هذا من معنى التنزيلِ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفِغُ مِمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّ لَكَ لَأَنْ تَفْعَلَ مَا بَلَغْتَ رِمَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٧]. أترأه يَكْتُمُ شَيْئًا أَمْرًا بِتَبْلِيغِهِ أَوْ بَبَيَانِهِ؟^(١) حاشاه عن ذلك، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. ومن كمال الدِّينِ كونه لم يأخذ من الخضراواتِ شَيْئًا. وقال جابر ابنُ عبد الله فيما رواه الدَّارِقُطْنِيُّ: إِنَّ الْمَقَاتِيَّ كَانَتْ تَكُونُ عِنْدَنَا تُخْرِجُ عَشْرَةَ آلَافٍ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ^(٢). وقال الزُّهْرِيُّ والحسن: تُزَكَّى أَيْمَانُ الْمُخْضَرِ إِذَا بِيَعَتْ وَبَلَغَ الشَّمْنُ مِثْقَالَ دَرَاهِمٍ^(٣)؛ وقاله الأوزاعيُّ في ثمن الفواكه^(٤). ولا حِجَّةٌ فِي قَوْلِهِمَا لِمَا ذَكَرْنَا.

وقد روى الترمذيُّ عن معاذ: أنه كتب إلى النبيِّ ﷺ يسأله عن الخضراوات - وهي البقول - فقال: «ليس فيها شيءٌ»^(٥). وقد روي هذا المعنى عن جابر وأنس وعليٍّ ومحمد بن عبد الله بن جحش وأبي موسى وعائشة. ذكر أحاديثهم الدَّارِقُطْنِيُّ رحمه الله^(٦). قال الترمذيُّ^(٧): ليس يصحُّ في هذا البابِ عن النبيِّ ﷺ شيءٌ.

واحتجَّ بعضُ أصحابِ أبي حنيفة بحديث صالح بن موسى عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «فيما أُنبتت الأرضُ من

(١) في (د) و(ز) و(ظ): بيانه، والمثبت من (خ) و(م).

(٢) سنن الدارقطني (١٩٣١) بنحوه وقوله: المقاتي: يريد جمع قفّاة، وهي الأرض التي يزرع فيها القثاء.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧١٩٢) عن الزهري.

(٤) الاستذكار ٢٧٢/٩ - ٢٧٣.

(٥) سنن الترمذي (٦٣٨)، وقال: إسناده هذا الحديث ليس بصحيح.

(٦) في سنته بالأرقام: (١٩٢٢) (١٩١٢) (١٩٠٧) (١٩٠٩) (١٩٢١) (١٩٠٨)، ومحمد بن عبد الله بن

جحش، صحابي صغير، وأبوه من كبار الصحابة، وعمته زينب أم المؤمنين. التريب ص ٤٢٢.

(٧) يائز الحديث (٦٣٨).

الْخُضْرُ زَكَاةٌ^(١). قال أبو عمر: وهذا حديثٌ لم يروه من ثقات أصحاب منصورٍ أحدٌ هكذا، وإنما هو من قول إبراهيم^(٢).

قلت: وإذا سقط الاستدلال من جهة السُّنَّة؛ لضعف أسانيدِها؛ فلم يبقَ إلا ما ذكرناه من تخصيصِ عمومِ الآية، وعمومِ قوله عليه الصلاة والسلام: «فيما سقت السماء العُشْر»^(٣) بما ذكرنا.

وقال أبو يوسف ومحمد: ليس في شيءٍ من الخضِر زكاةٌ إلا ما كانت له ثمرةٌ باقية، سوى الزعفرانِ ونحوه ممَّا يوزن، ففيه الزكاة. وكان محمدٌ يعتبر في العُضْفِر والكَتَّانِ الْبِزْرَ^(٤)، فإذا بلغ بَزْرُهُما من الْقُرْطُمِ^(٥) والكَتَّانِ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ، كان العُضْفِرُ والكَتَّانِ تَبَعاً لِلْبِزْرِ، وأخذ منه العُشْرُ أو نصفُ العُشْرِ. وأما القَطْنُ فليس فيه^(٦) عنده في دونِ خَمْسَةِ أَحْمَالٍ شَيْءٌ؛ والجَمَلُ ثلاث مئة مَن^(٧) بالعراقي. والوَزْسُ والزعفران ليس فيما دونَ خَمْسَةِ أَمْنَانٍ منها شَيْءٌ. فإذا بلغ أحدهما خَمْسَةَ أَمْنَانٍ كانت فيه الصدقة؛ عُشْرًا أو نصفَ العُشْرِ^(٨).

وقال أبو يوسف: وكذلك قصبُ السُّكَّرِ الذي يكون منه السكر، ويكون في أرض العُشْرِ دون أرضِ الحَرَّاجِ، فيه ما في الزعفران.

(١) كذا نقل المصنف عن ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧١/٩، ولم نقف عليه، إنما أخرج الدارقطني (١٩٠٨)، وابن الجوزي في التحقيق في أحاديث الخلاف (٩٧٠) الحديث بلفظ: «ليس فيما أنبتت...».

قال الحافظ في التلخيص الحبير ١٦٩/٢: في إسناده صالح بن موسى، وهو ضعيف.

(٢) الاستذكار ٢٧١/٩، وقول إبراهيم أخرجه عبد الرزاق (٧١٩٥)، وأبو يوسف في الآثار ٩٠/١.

(٣) قطعة من حديث سلف ٢٤/٢.

(٤) هو كلُّ حب ينلر للنبات والجمع بزور وأبازير، القاموس (بزور).

(٥) الْقُرْطُم: كزبرج وعصْفُر: حب العُضْفِر. القاموس (قرطم). ووقع في الاستذكار: قدرهما، بدل: بزرها.

(٦) قوله: فيه، من (م).

(٧) المَرُّ: رطلان، والجمع: أمنان. مختار الصحاح.

(٨) الاستذكار ٢٧٤/٩ بنحوه.

وأوجب عبد الملك بن الماجشون الزكاة في أصول الثمار دون البقول^(١). وهذا خلافاً ما عليه مالك وأصحابه، لا زكاة عندهم لا في اللوز ولا في الجوز ولا في الجَلْزُز^(٢) وما كان مثلها، وإن كان ذلك يُدَّخَر. كما أنه لا زكاة عندهم في الإجاص^(٣) ولا في التفاح ولا في الكُمَّثْرَى، ولا ما كان مثل ذلك كله ممَّا لا يَبْس ولا يُدَّخَر. واختلفوا في التين؛ والأشهرُ عند أهل المغربِ ممَّن يذهب مذهب مالك: أنه لا زكاة عندهم في التين إلا عبد الملك بن حبيب؛ فإنه كان يرى فيه الزكاة على مذهب مالك، قياساً على التمر والزبيب. وإلى هذا ذهب جماعةٌ من أهل العلم البغداديين المالكيين، إسماعيل بن إسحاق ومَن أتبعه^(٤).

قال مالك في الموطأ^(٥): السُّنَّة التي لا اختلاف فيها عندنا، والذي سمعت من أهل العلم، أنه ليس في شيءٍ من الفواكه كلها صدقة: الرمان والفَرَسِيك والتين، وما أشبه ذلك، وما لم يُشبهه إذا كان من الفواكه.

قال أبو عمر^(٦): فأدخل التين في هذا الباب، وأظنه - والله أعلم - لم يعلم^(٧) بأنه يَبْسٌ وَيُدَّخَر وَيُقَات، ولو علم ذلك ما أدخله في هذا الباب؛ لأنه أشبه بالتمر والزبيب منه بالرمان. وقد بلغني عن الأبهريّ وجماعةٍ من أصحابه أنهم كانوا يُفْتُونَ بالزكاة فيه، ويرونه مذهب مالك على أصوله عندهم. والتينُ مكيلٌ يراعى فيه الخمسة الأوسق وما كان مثلها ووزناً، ويُحَكَم في التين عندهم بحكم التمر والزبيب المجتمع عليهما.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٩/٢.

(٢) في (ظ): لا زكاة عندهم في الجوز ولا في اللوز وما كان مثلها، وقوله: الجَلْزُز؛ كسُور: البندق. القاموس (جلز).

(٣) قوله: الإجاص؛ ثمر؛ ولا يقال: إنجاص، وهو المشمش والكُمَّثْرَى بلغة الشاميين. القاموس (أجص).

(٤) الاستذكار ٢٧٢/٩.

(٥) ٢٧٦/١.

(٦) في الاستذكار ٢٧١/٩ - ٢٧٢.

(٧) قوله: لم يعلم، ليس في الاستذكار.

وقال الشافعي: لا زكاة في شيء من الثمار غير التمر والعنب؛ لأن رسول الله ﷺ أخذ الصدقة منهما وكانا قوتاً بالحجاز يدخر.

قال: وقد يُدخِرُ الجوز واللوز ولا زكاة فيهما؛ لأنهما لم يكونا بالحجاز قوتاً فيما علمت، وإنما كانا فاكهة^(١).

ولا زكاة في الزيتون؛ لقوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ﴾. فقرنه مع الرمان، ولا زكاة فيه. وأيضاً فإن التين أنفع منه في القوت ولا زكاة فيه^(٢).

وللشافعي قولٌ بزكاة الزيتون قاله بالعراق، والأولُ قاله بمصر؛ فاضطرب قولُ الشافعي في الزيتون، ولم يختلف فيه قولُ مالك. فدلَّ على أنَّ الآيةَ محكمةٌ عندهما غيرُ منسوخة. واتفقا جميعاً على أنَّ لا زكاة في الرمان، وكان يلزمهما إيجابُ الزكاة فيه.

قال أبو عمر^(٣): فإن كان الرمانُ خرج باتفاق، فقد بانَ بذلك المراد بأنَّ الآيةَ ليست على عمومها، وكان الضميرُ عائداً على بعض المذكورِ دون بعض. والله أعلم.

قلت: بهذا استدللَّ مَنْ أوجب العُشْرَ في الخضراوات؛ فإنه تعالى قال: ﴿وَمَا أَثَرًا حَقُّهُ يَوْمَ حَصَاوِيٍّ﴾، والمذكور قبله الزيتون والرمان، والمذكور عقيب جملةٍ ينصرف إلى الأخير بلا خلاف؛ قاله الكيا الطبري^(٤).

رُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: ما لُقِّحت رمانةٌ قطُّ إلا بقطرة من ماء الجنة^(٥).

ورُوي عن عليٍّ كرم الله وجهه أنه قال: إذا أكلتم الرمانةَ فكلوها بشحمها؛ فإنه دِبَاغُ المَعِدَةِ^(٦).

(١) الأم ٢/٢٩، والاستذكار ٩/٢٧٣، وعنه نقل المصنف.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٥٢ - ٧٥٣.

(٣) في التمهيد ٢٠/١٥٣ - ١٥٤، وما قبله منه بنحوه.

(٤) في أحكام القرآن له ٣/١٢٦.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٩٦٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٢٣٧)، والبيهقي في الشعب (٥٩٥٨).

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن عباس قال: لا تكسروا الرمانة من رأسها؛ فإن فيها دودة يعترى منها الجذام^(١).

وسياتي منافع زيت الزيتون في سورة المؤمنين إن شاء الله تعالى^(٢).

وممن قال بوجوب زكاة الزيتون: الزُّهْرِيُّ [ومالك] والأوزاعي والليث والثوري وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور. قال الزهري والأوزاعي والليث: يُخْرَصُ^(٣) زيتوناً، ويؤخذ زيتاً صافياً. وقال مالك: لا يُخْرَصُ، ولكن يؤخذ العُشْرُ بعد أن يُعَصَرَ ويبلغ كيله خمسة أوسق. وقال أبو حنيفة والثوري: يؤخذ من حبة^(٤).

السابعة: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم: «حَصَادِهِ» بفتح الحاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان مشهورتان^(٥)؛ ومثله: الصَّرام والصَّرام، والجِداد والجِداد، والقَطاف والقَطاف^(٦).

واختلف العلماء في وقت الوجوب على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه وقت الجِداد^(٧)؛ قاله محمد بن مسلمة؛ لقوله تعالى: «يَوْمَ حَصَادِهِ».

الثاني: يوم الطيب؛ لأن ما قبل الطيب يكون علفاً، لا قوتاً ولا طعاماً؛ فإذا طاب وحن الأكل الذي أنعم الله به؛ وجب الحق الذي أمر الله به، إذ بتمام النعمة يجب شكر النعمة، ويكون الإيتاء يوم^(٨) الحصاد لما قد وجب يوم الطيب.

(١) لم نقف عليه.

(٢) عند تفسير الآية (٢٠) منها.

(٣) أي: يحزر ما على الشجرة. النهاية (خرص).

(٤) التمهيد ١٥٢/٢٠ - ١٥٣، وما بين حاصرتين منه.

(٥) السبعة ص ٢٧١، والتيسير ص ١٠٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٠١/٢، والحجة للقراء السبعة ٤١٦/٣.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٧٥٣/٢. والجِداد بالفتح والكسر: صرام النخل، وهو قطع ثمرتها. النهاية (جدد).

(٨) في (م): وقت.

الثالث: أنه يكون بعد تمام الخَرْص؛ لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة؛ فيكون شرطاً لوجوبها. أصله مجيء الساعي في الغنم، وبه قال المغيرة^(١). والصحيح الأول لنص التنزيل. والمشهور من المذهب الثاني، وبه قال الشافعي. وفائدة الخلاف؛ إذا مات بعد الطيب زُكيت على ملكه، أو قبل الخَرْص على ورثته.

وقال محمد بن مسلمة: إنما قدم الخرصُ توسعةً على أرباب الثمار، ولو قدم رجلُ زكاته بعد الخَرْصِ وقبل الجَدَادِ لم يَجْزِهِ؛ لأنه أخرجها قبل وجوبها^(٢). وقد اختلف العلماء في القول بالخرص، وهي:

الثامنة: فكرهه الثوري، ولم يُجْزِهِ بحالٍ، وقال: الخرصُ غيرُ مستعمل. قال: وإنما على ربِّ الحائط أن يؤدِّيَ عُشْرَ ما يصير في يده للمساكين إذا بلغ خمسة أوسُق. وروى الشيباني عن الشعبي أنه قال: الخَرْصُ اليومَ بدعة^(٣). والجمهور على خلاف هذا، ثم اختلفوا؛ فالمُعْظَمُ على جوازه في النخل والعنب؛ لحديث عتَّاب بن أسيد: أن رسولَ الله ﷺ بعثه، وأمره أن يُخْرَصَ العنبُ كما يُخْرَصُ النخلُ، وتؤخذُ زكاته زبيياً كما تؤخذُ زكاةُ النخلِ تماًراً. رواه أبو داود^(٤).

وقال داود بن علي: الخَرْصُ للزكاة جائزٌ في النخل، وغيرُ جائزٍ في العنب، ودَفَع حديثَ عتَّاب بن أسيد^(٥)؛ لأنه منقطعٌ ولا يتصلُ من طريقٍ صحيح، قاله أبو

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٥٣/٢، وينظر عقد الجواهر الثمينة ٣٠٩/١. والمغيرة: هو ابن عبد الرحمن بن الحارث.

(٢) عقد الجواهر الثمينة ٣٠٩/١.

(٣) التمهيد ٤٧٠/٦ بنحوه.

(٤) برقم (١٦٠٣)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٦٤٤) والنسائي ١٠٩/٥ من طريق سعيد بن المسيب، عن عتاب بن أسيد بنحوه. قال أبو داود: وسعيد لم يسمع من عتاب شيئاً. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٥) التمهيد ٤٧٠/٦.

محمد عبد الحق^(١).

التاسعة: وصفة الخرص: أن يُقَدَّر ما على نخله رُطْباً، ويقَدَّر ما ينقص لو تَمَّر^(٢)، ثم يعتد بما يبقى^(٣) بعد النقص، ويُضيف بعض ذلك إلى بعض حتى يكْمَلَ الحائط، وكذلك في العنب^(٤).

العاشرة: ويكفي في الخرص الواحد، كالحاكم^(٥). فإذا كان في التمر زيادة على ما خَرَص؛ لم يلزم ربَّ الحائط الإخراج عنه؛ لأنه حكمٌ قد نَفَذَ؛ قاله عبد الوهَّاب^(٦). وكذلك إذا نقص لم تنقص الزكاة. قال الحسن: كان المسلمون يُخَرِّصُون عليهم، ثم يؤخذ منهم على ذلك الخرص^(٧).

الحادية عشرة: فإن استكثر ربَّ الحائط الخرص، خيَّره الخارص في أن يُعْطِيَهُ ما خَرَصَ وأخذ خرصه؛ ذكره عبد الرزاق^(٨): أخبرنا ابن جريج، عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: خَرَصَ ابْنُ رَوَاحَةَ أربعين ألفَ وَسُق، وزعم أن اليهود لما خيَّروهم [ابن رَوَاحَةَ] أخذوا التمرَ وأعطوه عشرين ألفَ وَسُق. قال ابن جريج: قلت لعطاء^(٩): فحقَّ على الخارص إذا استكثر سيِّدُ المالِ الخَرَصَ أن يخيَّره كما خيَّر ابنُ

(١) في الأحكام الوسطى ١٧٨/٢.

(٢) في (خ) و(م): يُتَمَّر، والمثبت من (د) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لعقد الجواهر الثمينة ٣١٠/١، وقوله: تَمَّر؛ أي: صار في حد التمر، وأتمرت النخلة: صار ما عليها تماًراً. القاموس (تمر).

(٣) في (م): بما بقي.

(٤) بعدها في (م): في كل دالية.

(٥) عقد الجواهر الثمينة ٣١٠/١.

(٦) في الممونة ٤٢٥/١.

(٧) التمهيد ٤٧٢/٦.

(٨) في المصنف (٧٢٠٥) و(٧٢٠٦).

(٩) كذا في النسخ، ومثله في التمهيد ٤٦٩/٦، وعنه نقل المصنف، وفي مصنف عبد الوزاق (٧٢٠٥) (٧٢٠٦): أخذوا التمر، وعليهم عشرون ألف وسق. قال ابن جريج: قال لي عطاء...

رواحه اليهود؟ قال: إي لَعْمَرِي! وأيُّ سُنَّةٍ خَيْرٌ من سُنَّةِ رسول الله ﷺ!؟

الثانية عشرة: ولا يكون الخرصُ إلَّا بعد الطَّيب؛ لحديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يبعثُ ابنَ رواحة إلى اليهود، فيخرصُ عليهم النخلَ حين يطيبُ^(١) أوَّلَ الثَّمَرِ^(٢) قبل أن يؤكلَ منها، ثم يخيرُ يهودَ؛ أيأخذونها^(٣) بذلك الخرصِ، أو يدفعونها إليه؟ وإنما كان أمرَ رسول الله ﷺ بالخرصِ لكي تُحصى الزكاةُ قبل أن تؤكلَ الثمارُ وتُفَرَّقَ. أخرجه الدارقطنيُّ من حديث ابنِ جُرَيْجٍ عن الزُّهريِّ، عن عروة، عن عائشة^(٤).

قال: ورواه صالح بنُ أبي الأخضر عن الزهريِّ، عن ابن المسيَّب، عن أبي هريرة، وأرسله مالكٌ ومَعْمَرٌ وعُقَيْلٌ عن الزهريِّ، عن سعيد، عن النبي ﷺ.

الثالثة عشرة: فإذا خرصَ الخارصُ، فحكمه أن يسقطَ من خرصه مقداراً ما؛ لِمَا رواه أبو داود والترمذيُّ والبُستيُّ في صحيحه عن سهل بن أبي حنمة: أن النبي ﷺ كان يقول: «إذا خرصتم فخذوا ودَعُوا الثُّلثَ، فإن لم تَدَعُوا الثُّلثَ؛ فدَعُوا الرُّبْعَ»^(٥). لفظ الترمذي.

قال أبو داود^(٦): الخارصُ يدعُ الثُّلثَ للخرِّفة، وكذا قال يحيى القَطَّان.

(١) في (م): تطيب.

(٢) في (خ) و(د) و(ظ): التمر، وفي (م): التمرة، وفي سنن الدارقطني: الثمرة، والمثبت من (ز)، وهو الموافق لرواية أحمد (٢٥٣٠٦).

(٣) في (م): يأخذونها.

(٤) سنن الدارقطني (٢٠٥٢) وما بعده منه. وأخرجه أيضاً أحمد (٢٥٣٠٥) و(٢٥٣٠٦)، وأبو داود (٣٤١٣) عن ابن جريج قال: أخبرت عن ابن شهاب. وهذا إسناد منقطع، كما في صريح كلام ابن جريج.

(٥) سنن أبي داود (١٦٠٥)، وسنن الترمذي (٦٤٣)، وصحيح ابن حبان (٣٢٨٠). وأخرجه أيضاً أحمد (١٥٧١٣)، والنسائي ٤٢/٥. وفي المسند وبعض نسخ أبي داود (كما في حواشيه): فجذوا.

(٦) بإثر الحديث (١٦٠٥).

وقال أبو حاتم البُستي^(١): لهذا الخبرِ معنيان^(٢): أحدهما: أن يتركَ الثلثَ أو الربعَ من العُشر، والثاني: أن يتركَ ذلكَ من نفسِ التمرِ قبلَ أن يُعشَّرَ، إذا كان ذلكَ حائطاً كبيراً يحتملُه.

الحُرْفَةُ، بضمّ الحاء: ما يُخْتَرَفُ من النَّخْلِ حينَ يُدْرِكُ ثمرُه، أي: يُجْتَنَى. يقال: التمرُ حُرْفَةٌ الصائم؛ عن الجوهري^(٣) والهَرَوِيُّ. والمشهورُ من مذهب مالك: أنه لا يتركُ الخارصُ شيئاً في حينِ حَرَصِه من تمرِ النَّخْلِ والعنبِ إلّا حَرَصَه. وقد رَوَى بعضُ المدنيّين: أنه يخفّفُ في الحَرَصِ ويتركُ للعرايا والصَّلَةَ ونحوها^(٤).

الرابعة عشرة: فإن لَحِقَت الثمرةُ جائحةً بعد الخرصِ وقبلَ الجذاذِ، سقطت الزكاةُ عنه بإجماعٍ من أهل العلم، إلّا أن يكونَ فيما بقي منه خمسةُ أوسُقٍ فصاعداً^(٥).

الخامسة عشرة: ولا زكاةُ في أقلِّ من خمسة أوسُقٍ، كذا جاء مبيناً عن النبي ﷺ. وهو في الكتاب مُجْمَلٌ، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طِبْعَتِي مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْجَبْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْأَمَةٌ حَقٌّ﴾، ثم وقع البيانُ بالعُشرِ ونصفِ العُشرِ، ثم لما كان المقدارُ الذي إذا بلغه المَالُ أخذ منه الحقُّ مُجْمَلًا؛ بيّنه أيضاً، فقال: «ليس فيما دون خمسة أوسُقٍ من تمرٍ أو حَبِّ صدقة»، وهو ينفي الصدقةَ في الخضراوات؛ إذ ليست مما يُوسق؛ فمن حصل له خمسة أوسُقٍ في نصيبه من تمرٍ أو حَبِّ؛ وجبت عليه الزكاةُ، وكذلك من زبيب، وهو المسمّى بالتَّصَاب عند العلماء^(٦).

(١) في صحيحه إثر الحديث (٣٢٨٠).

(٢) في (خ) و(ظ): صيغتان، وفي (ز) و(م): صفتان، والمثبت من صحيح ابن حبان.

(٣) في الصحاح (خرف) بنحوه. وينظر النهاية (خرف).

(٤) الكافي ٣٠٦/١. وقوله: العرايا جمع عَرِيَّة: وهي النخلة يعربها صاحبها رجلاً محتاجاً، فيجعل له ثمرها عاماً فيعروها، أي: يأتيها. الصحاح (عرا).

(٥) الكافي ٣٠٦/١ بنحوه، وينظر الإجماع لابن المنذر ص ٣٣.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٧٤٨/٢ - ٧٤٩.

يقال: وُسُقٌ ووَسُقٌ - بكسر الواو وفتحها - وهو سِتُونٌ صاعاً، والصاع: أربعة أمداد، والمُدُّ: رطلٌ وثلثٌ بالبغدادي، ومبْلُغُ الخمسةِ أوسُقٌ^(١) من الأمداد ألفُ مُدٍّ ومثا مُدٍّ، وهي بالوزن ألفُ رطلٍ وست مئة رطلٍ [بالبغدادي].

السادسة عشرة: وَمَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ تَمْرٍ وَزَيْبٍ مَعَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ؛ لَمْ تَلْزِمَهُ الزَّكَاةَ إِجْمَاعاً؛ لِأَنَّهَا صِنْفَانِ مُخْتَلِفَانِ^(٢). وكذلك أجمعوا على أنه لا يُضَافُ التَّمْرُ إِلَى البُرِّ، وَلَا البُرُّ إِلَى الزَّيْبِ؛ وَلَا الإِبِلُ إِلَى البَقْرِ، وَلَا البَقْرُ إِلَى الغَنَمِ. وَيُضَافُ الضَّأْنُ إِلَى المَعْزِ بِإِجْمَاعٍ^(٣).

واختلفوا في ضَمِّ البُرِّ إِلَى الشَّعِيرِ وَالسُّلْتِ^(٤) وَهِيَ:

السابعة عشرة: فَأَجَازَهُ مَالِكٌ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ خَاصَّةً فَقَطْ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الصَّنْفِ الوَاحِدِ؛ لِتَقَارِبِهَا فِي المَنْفَعَةِ، وَاجْتِمَاعِهَا فِي المَنْبِتِ وَالمَحْصَدِ. وَافْتَرَقَهَا فِي الأَسْمِ لَا يَوْجِبُ افْتِرَاقَهَا فِي الحُكْمِ؛ كالجواميس والبقر، والمعز والغنم.

وقال الشافعي وغيره: لَا يُجْمَعُ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّهَا أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَصِفَاتُهَا مُتَبَايِنَةٌ، وَأَسْمَاؤُهَا مُتَفَاوِئَةٌ، وَطَعْمُهَا مُخْتَلَفٌ؛ وَذَلِكَ يَوْجِبُ افْتِرَاقَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال مالك: وَالقَطَّانِيُّ^(٥) كُلُّهَا صِنْفٌ وَاحِدٌ، يُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ^(٦).

وقال الشافعي: لَا تُضَمُّ حَبَّةٌ عُرِفَتْ بِأَسْمٍ مُنْفَرَدٍ دُونَ صَاحِبَتِهَا وَهِيَ خِلَافُهَا مُبَايِنَةٌ^(٧) فِي الخِلْقَةِ وَالمَطْعَمِ إِلَى غَيْرِهَا. وَيُضَمُّ كُلُّ صِنْفٍ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، رَدِيثُهُ إِلَى

(١) في (خ) و(ظ) و(م): الخمسة الأوسق، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق للكافي ٣٠٨/١، وما سيأتي بين حاصرتين منه، والكلام منه بنحوه، وينظر عقد الجواهر الثمينة ٣٠٦/١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٧٥٤/٢.

(٣) التمهيد ١٥٠/٢٠، والإجماع لابن المنذر ص ٣٢.

(٤) هو ضربٌ من الشعير أبيض لا قشر له. النهاية (سـلـت).

(٥) جمع قطنيّة، وهي كالعقدس والحمص واللوبياء ونحوها. النهاية (قطن).

(٦) التمهيد ١٤٩/٢٠ - ١٥٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٥٤/٢.

(٧) في (خ) و(ز) والاستذكار ٢٥٨/٩، والكلام منه بنحوه: ثابتة.

جَيِّدُهُ؛ كالتمر وأنواعه، والزبيبِ أسودِه وأحمره، والحنطةِ وأنواعِها من السَّمراء وغيرها. وهو قولُ الثَّورِيِّ وأبي حنيفةٍ وصاحبيه أبي يوسفَ ومحمدٍ وأبي ثور.

وقال الليث: تُضَمُّ الحبوبُ كُلُّها: القِطْنِيَّةُ وغيرها بعضُها إلى بعضٍ في الزكاة.

وكان أحمد بنُ حنبلٍ يَجْبِنُ^(١) عن ضمِّ الذهبِ إلى الوَرِقِ، وضمِّ الحبوبِ بعضِها إلى بعض، ثم كان في آخر أمره يقولُ فيها بقول الشافعي^(٢).

الثامنة عشرة: قال مالك: وما استهلكه منه ربُّه بعد بُدُوِّ صلاحِه أو بعد ما أفرك^(٣) [الزرع]؛ حُصِبَ عليه، وما أعطاه ربُّه منه في حصاده وجِذاه، ومن الزيتون في التقاطه، تَحَرَّى ذلك، وحُسِبَ عليه. وأكثر الفقهاءِ يخالفونه في ذلك، ولا يوجبون الزكاةَ إلَّا فيما حصل في يده بعد الدَّرْسِ^(٤).

قال الليثُ في زكاةِ الحبوبِ: يُبدأ بها قبلَ النفقة، وما أكل من فَرِيكٍ هو وأهلُه فلا يُحسبُ عليه، بمنزلة الرُّطْبِ الذي يُترك لأهل الحائِطِ يأكلونه، فلا يُخْرَصُ عليهم. وقال الشافعي: يتركُ الخارِصُ لربِّ الحائِطِ ما يأكله هو وأهلُه رُطْباً، لا يَخْرُصُه عليهم، وما أكله وهو رُطْبٌ لم يُحسبْ عليه.

قال أبو عمر^(٥): احتجَّ الشافعيُّ ومَن وافقه بقول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَمَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، واستدلُّوا على أنه لا يُحتسبُ بالماكول^(٦) قبل الحصادِ بهذه الآية. واحتجُّوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا خرصتم فدعوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع»^(٧).

(١) في الاستذكار: ينهى.

(٢) الاستذكار ٢٥٨/٩ - ٢٥٩ بنحوه، وينظر التمهيد ١٤٩/٢٠ - ١٥٠.

(٣) أي: بلغ أن يفرك باليد، وفركته فهو مفروك وفريك. النهاية (فرك).

(٤) الكافي ٣٠٥/١، وما بين حاصرتين منه.

(٥) في الاستذكار ٢٤٨/٩، وما قبله منه، وينظر التمهيد ٤٧١/٦.

(٦) في الاستذكار: لا يحسبُ الماكول.

(٧) سلف في المسألة الثالثة عشرة.

وما أكلت الذّوابُ والبقرُ منه عندَ الدّرَمِ [وغيره] لم يُحسب شيءٌ من ذلك على صاحبه^(١) عند مالكٍ وغيره^(٢).

التاسعة عشرة: وما بيع من الفول والحِمص والجلبان أخضر^(٣)؛ تحرّى مقدار ذلك يابساً، وأخرجت زكاته حبّاً. وكذا^(٤) ما بيع من الشمر أخضر؛ اعتبر وتوخي وخرص يابساً، وأخرجت زكاته على ذلك الخرص زيباً وتمراً. وقيل: يُخرج من ثمنه^(٥).

الموفية عشرين: وأما ما لا يتّمّر^(٦) من ثمر النخل ولا يتزبّب من العنب؛ كعنب مصر ونخيلها^(٧)، وكذلك زيتونها الذي لا يُعصر؛ فقال مالك: تُخرج زكاته من ثمنه، لا يكلف غير ذلك صاحبه، ولا يُراعى فيه بلوغُ ثمنه عشرين مثقالاً أو مثتي درهم، وإنما يُنظر إلى ما يرى أنه يبلغه خمسة أوسق فأكثر^(٨).

وقال الشافعي: يُخرج^(٩) عُشره أو نصف عُشره من وسطه تمراً إذا أكله أهله رطباً أو أطموه^(١٠).

الحادية والعشرون: روى أبو داود عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «فيما

(١) في (د) و(ز) و(م): لم يحسب منه شيء على صاحبه، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق للكافي ٣٠٩/١، والكلام وما بين حاصرتين منه.

(٢) في النسخ الخطية: ولا غيره، والمثبت من (م).

(٣) في المصباح المنير: الجلبان: حبٌّ من القَطامي (وسلف ذكره) ساكن اللام، وبعضهم سمع فيه فتح اللام مشددة.

(٤) في (خ) و(ظ): وكذلك، ولم ترد في (د) و(ز)، والمثبت من (م).

(٥) الكافي ٣٠٩/١ و٣٠٦ بنحوه.

(٦) في (خ) و(ظ): يتمر، ومثله في عقد الجواهر الثمينة ٣١١/١، والمثبت من (د) و(ز) و(م)، وهو الموافق للكافي.

(٧) في (م) ويلحها.

(٨) الكافي ٣٠٧/١، والاستذكار ٢٧٥/٩.

(٩) قوله: يخرج، من (م).

(١٠) الاستذكار ٢٧٥/٩ - ٢٧٦.

سقت السماء والأنهار والعيون، أو كان بَعْلًا: العُشْرُ، وفيما سُقي بالسَّوَانِي (١) أو النَّضْحِ: نصفُ العِشْرِ (٢) وكذلك إن كان يشربُ سَيْحًا فيه العِشْرُ (٣). وهو الماء الجاري على وجه الأرض؛ قاله ابنُ السُّكَيْتِ (٤).

ولفظ السَّيْحِ مذكورٌ في الحديث، خرَّجه النَّسَائِي (٥).

فإن كان يشربُ بالسَّيْحِ؛ لكن ربَّ الأرضِ لا يملك ماءً وإنما يكثره له، فهو كالسَّمَاءِ؛ على المشهور من المذهب. ورأى أبو الحسن اللَّخْمِيُّ أنه كالنَّضْحِ (٦)، فلو سُقي مرَّةً بماء السماء ومرَّةً بدالية؛ فقال مالك: يُنظر إلى ما تمَّ به الزرعُ وحيي، وكان أكثر؛ فيتعلَّق الحكمُ عليه. هذه روايةُ ابنِ القاسمِ عنه. وروى عنه ابنُ وهب: إذا سُقي نصفُ سنوٍ بالعيون، ثم انقطع، فسُقي بقيَّةَ السنَّةِ بالنَّاضِحِ؛ فإنَّ عليه نصفَ زكاته عُشْرًا، والنصف الآخرُ نصفُ العِشْرِ. وقال مرَّةً: زكاته بالذي تمَّت به حياته.

وقال الشافعي: يُزَكَّى كلُّ واحدٍ منهما بحسابه (٧). مثاله: أن يشربَ شهرين بالنَّضْحِ وأربعةً بالسماء؛ فيكونُ فيه ثلثا العُشْرِ لماء السماءِ وسُدُسُ العِشْرِ للنَّضْحِ. وهكذا ما زاد ونَقَص بحسابه. وبهذا كان يفتي بكَارِ بنِ قَتِيبة (٨).

(١) في (د) و(ز) و(ظ): بالسَّوَانِي، والمثبت من (خ) و(م)، وهو الموافق لسنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود (١٥٩٦)، وهو عند البخاري (١٤٨٣)، وسلف ٢٤/٢.

(٣) أخرج ابن حبان (٦٥٥٩) حديث عمرو بن حزم مطولاً؛ وفيه: «وما سقت السماء أو كان سيحاً أو بعلاً ففيه العِشْر...». وأخرجه الدارقطني (١٩٠٢) من حديث عمرو بن شعيب بنحوه.

(٤) وسماء العَيْل كما في التمهيد ١٦٦/٢٤، والمفهم ١٣/٣. وينظر تهذيب اللغة ١٩٥/٨.

(٥) لم نجده عند النسائي، وهو عند ابن أبي شيبة ١٤٤/٣، والدارقطني (١٩٠٢) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما. وعند ابن أبي شيبة أيضاً ١٤٥/٣ من حديث علي بن حبان (٦٥٥٩)، وابن عبد البر في التمهيد ١٦٣/٢٤ من حديث عمرو بن حزم، وسلفت الإشارة إلى ذلك قريباً.

(٦) عقد الجواهر الثمينة ٣٠٨/١.

(٧) التمهيد ١٦٩/٢٤ بنحوه، وينظر عقد الجواهر الثمينة ٣٠٨/١.

(٨) هو أبو بكر الفقيه الحنفي، قاضي القضاة بمصر، عُني بالحديث، وبرع في الفروع. وله مصنفات، من العلماء العاملين كان السلطان ينزل إليه، توفي سنة (٢٧٠هـ). السير ٥٩٩/١٢.

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف [ومحمد]: يُنظر إلى الأغلب فيزكِّي [به]، ولا يُلتفتُ إلى ما سوى ذلك. ورُوي عن الشافعي.

قال الطَّحاوي: قد اتفق الجميعُ على أنه لو سقاه بماء المطرِ يوماً أو يومين؛ أنه لا اعتبارَ به، ولا يجعل لذلك حِصَّةً؛ فدلَّ على أنَّ الاعتبار بالأغلب، والله أعلم^(١).

قلت: فهذه جملةٌ من أحكام هذه الآية، ولعلَّ غيرنا يأتي بأكثرَ منها على ما يفتحُ الله له. وقد مضى في «البقرة» جملةٌ من معنى هذه الآية^(٢)، والحمد لله.

الثانية والعشرون: وأما قوله ﷺ: «ليس في حَبِّ ولا تمرٍ صدقةٌ...» فخرَّجه النسائي^(٣). قال حمزة الكِنَاني^(٤): لم يذكر [أحد] في هذا الحديث: «في حَبِّ»^(٥) غيرُ إسماعيل بن أمية، وهو ثقة قُرشيٌّ من ولد سعيد بن العاص. قال: وهذه السُّنة لم يروها أحدٌ عن النبي ﷺ من أصحابه غيرُ أبي سعيد الخُدري.

قال أبو عمر^(٦): هو كما قال حمزة، وهذه سُنَّةٌ جليلةٌ تلقَّاهما الجميعُ بالقبول، ولم يروها أحدٌ عن النبي ﷺ من وجهٍ ثابت محفوظ غيرُ أبي سعيد. وقد روى جابر^(٧) عن النبي ﷺ مثلَ ذلك، ولكنه غريب^(٨)، وقد وجدناه من حديث أبي هريرة بإسنادٍ حسن^(٩).

(١) التمهيد ١٦٩/٢٤ - ١٧٠، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) ٢٣/٢ - ٢٤، و ٣٤٢/٤ وما بعدها.

(٣) في المجتبى ٤٠/٥، من حديث أبي سعيد الخدري، وبعده: «حتى تبلغ خمسة أوسق...» وهو عند أحمد (١١٥٧١) و(١١٦٩٧)، والبخاري (١٤٠٥)، ومسلم (٩٧٩): (٥). وقد سلف ٢٤/٢.

(٤) هو حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم الكِنَاني المصري، محدِّث الديار المصرية، جمع وصف، وكان متناً موجوداً توفي سنة (٣٥٧هـ). السير ١٧٩/١٦.

(٥) في النسخ الخطية: من حب، والمثبت من (م).

(٦) في التمهيد ١٣٥/٢٠ - ١٣٦، وما قبله وبين حاصرتين منه.

(٧) في (د) و(ز) و(ظ): وقد روي عن جابر، والمثبت من (خ) و(م).

(٨) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠٧٨)، والطبراني في الأوسط (٩٠٥٧)، وابن عبد البر في التمهيد ١٣٦/٢٠.

(٩) أخرجه الطحاوي (٣٠٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد ١٣٥/٢٠.

الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الإسرافُ في اللغة: الخطأ. وقال
 أعرابيُّ أراد قوماً: طلبتكم فسرفتكم، أي: أخطأت موضعكم^(١). وقال الشاعر:
 وقال قائلهم والخيلُ تخيِّطهم أسرفتُم فأجبنا إننا سرف^(٢)
 والإسرافُ في النفقة: التبذير.
 ومُسرف: لقبُ مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّي^(٣) صاحبِ وقعةِ الحَرَّةِ؛ لأنه قد أسرف
 فيها. قال عليُّ بنُ عبد الله بنِ العباس: هُمُ منَعوا ذِمَارِي يَوْمَ جَاءتْ
 كِتَابُ مُسْرِفٍ وَبَنِي اللَّكِيْعَةِ^(٤)
 والمعنى المقصودُ من الآية: لا تأخذوا الشيءَ بغيرِ حقِّه، ثم تضعوه^(٥) في غير
 حقِّه. قاله أَضْبَغُ بنُ الفرج. ونحوه قولُ إِيَّاسِ بنِ معاوية: ما جاوزتْ به أمرَ الله فهو
 سَرْفٌ وإسرافٌ. وقال ابنُ زيد: هو خطابٌ للوَلَاةِ، يقول: لا تأخذوا فوقَ حقِّكم وما
 لا يجبُ على الناسِ^(٦). والمعنيان يحتملُهما قولُه عليه الصلاة والسلام: «المُعْتَدِي فِي
 الصَّدَقَةِ كَمَا نِعْمَهَا»^(٧).

(١) الصحاح (سرف).

(٢) لم تقف عليه، وسلف ٧١/٦.

(٣) هو أبو عقبة، الأمير من قبل يزيد بن معاوية. ذكره ابن عساكر وقال: أدرك النبي ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان على الرجالة. قال ابن حجر: ولولا ذكر ابن عساكر له لما ذكرته. الإصابة ٢٨/١٠.

(٤) الصحاح (سرف)، وورد البيت في الروض المعطار في خير الأقطار لمحمد الحميري ص ١٩٣ واللسان (سرف)، وفيهما: بنو، بدل: وبني. والدُّمَارُ، بالكسر: ما يلزمك حفظه وحمايته. القاموس (ذمر). وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب السيد أبو الخلف، أبو محمد الهاشمي السجادي. ولد عام قتل علي ﷺ، فسمي باسمه. توفي سنة ١١٨. السير ٥/٢٥٢.

(٥) في النسخ: وتضعونه، والمثبت من (م).

(٦) أخرج أثر ابن معاوية وابن زيد الطبري ٦١٥/٩ - ٦١٦ و ٦١٧.

(٧) أخرجه أبو داود (١٥٨٥)، والترمذي (٦٤٦)، وابن ماجه (١٨٠٨)، من حديث أنس ﷺ. قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه. وفي تحفة الأشراف ١/٢٢٢، وميزان الاعتدال ٢/١٢١، والتلخيص الحبير ٢/١٤٩: حديث حسن غريب. وفي الباب عن جابر ﷺ أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/٣٩٢، وعن جرير ﷺ أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢٧٥)، قال الهيثمي في المجمع ٣/٨٣: رجاله ثقات.

وقال مجاهد: لو كان أبو قُبَيْسٍ ذهباً لرجل، فأنفقه في طاعة الله لم يكن مُسْرِفاً، ولو أنفق درهماً أو مُدًّا في معصية الله كان مسرفاً. وفي هذا المعنى قيل لحاتم: لا خير في السَّرَفِ؛ فقال: لا سَرَفٌ في الخير^(١).

قلت: وهذا ضعيف؛ يرثه ما رَوَى ابنُ عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس عمَد إلى خمس مئة نخلة فجذَّها، ثم قَسَمها في يومٍ واحد، ولم يترك لأهله شيئاً؛ فنزلت: «وَلَا تُسْرِفُوا»^(٢)، أي: لا تعطوا كلَّه.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: جَدَّ معاذ بن جبلٍ نخله، فلم يزل يتصدَّق [من ثمره] حتى لم يبقَ منه شيء؛ فنزل: «ولا تسرفوا»^(٣).

قال السُّدِّي: «ولا تسرفوا» أي: لا تعطوا أموالكم فتفقدوا فقراء^(٤).

وروي عن معاوية بن أبي سفيان: أنه سئل عن قوله تعالى: «وَلَا تُسْرِفُوا»، قال: الإسرافُ ما قَصَّرتَ عن حقِّ الله تعالى^(٥).

قلت: فعلى هذا تكون الصدقة بجميع المال، ومنع إخراج حقِّ المساكين داخلين في حكم السَّرَفِ، والعدلُ خلافُ هذا؛ فيتصدَّقُ ويُبقي كما قال عليه الصلاة والسلام: «خيرُ الصدقة ما كان عن ظَهْرٍ غِنَى»^(٦)، إلا أن يكونَ قويِّ النفسِ غنياً بالله متوكِّلاً عليه منفرداً لا عيالَ له، فله أن يتصدَّقَ بجميع ماله، وكذلك يُخرج الحقَّ الواجبَ عليه من زكاة وما يَعْنُ^(٧) في بعض الأحوال من الحقوق المتعيَّنة في المال.

(١) تفسير الرازي ٢١٤/١٣، وقول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٦٢).

(٢) ذكره الرازي في الرسيط ٣٣٠/٢، والبغوي ١٣٦/٢، وأخرجه الطبري ٦١٥/٩ عن ابن جريج بنحوه.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٧٢٦٧)، وما بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه الطبري ٦١٦/٩.

(٥) أورده أبو الليث في تفسيره ٥١٩/١، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٢٤/٣ عن إياس بن معاوية، وذكره في الدر المثور ٥٠/٣ عن سفيان بن حسين.

(٦) سلف ٤٤٧/٣.

(٧) قوله: يَعْنُ بضم العين وكسرها، أي: يعرض. مختار الصحاح (عن).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الإسراف ما لم يقدر على رده إلى الصلاح. والسرف ما يقدر على رده إلى الصلاح.

وقال النضر بن شميل: الإسراف: التبذير والإفراط، والسرف: الغفلة والجهل. قال جرير^(١):

أغظوا مُنيدةً يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف
أي: إغفال، ويقال: خطأ. ورجل سرف الفؤاد، أي: مخطئ الفؤاد غافله. قال
طرقة:

إنَّ امرأ سرفِ الفؤادِ يرى عسلاً بماءِ سحابةٍ شثمي^(٢)

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُّوا مِنَّا رِزْقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ عطف^(٣)، أي: وأنشأ حمولة وفرشاً من الأنعام. وللعلماء في الأنعام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الأنعام الإبل خاصة؛ وسيأتي في «النحل» بيانه^(٤).

الثاني: الأنعام^(٥): الإبل وحدها، وإذا كان معها بقر وغنم فهي أنعام أيضاً.

الثالث: وهو أصحها؛ قال^(٦) أحمد بن يحيى: الأنعام كل ما أحله الله عز وجل من الحيوان. وبدل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى

(١) في ديوانه ص ٣٠٧، وسلف ٧١/٦.

(٢) الصحاح (سرف)، والبيت في ديوان طرفه ص ٨٧.

(٣) بعدها في (م): على ما تقدم.

(٤) عند تفسير الآية (٥) منها.

(٥) في (د) و(ز) و(م): أن الأنعام، والمثبت من (خ) و(ظ).

(٦) في (د) و(ز) و(م): قاله، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ١٠١/٢، والكلام منه.

عَلَيْكُمْ ﴿المائدة: ١﴾. وقد تقدّم (١).

والْحَمُولَةُ ما أطاق الحَمْلَ والعمل؛ عن ابن مسعود وغيره (٢). ثم قيل: يختص اللفظ بالإبل. وقيل: كل ما احتَمَلَ عليه الحَيُّ من حمارٍ أو بغلٍ أو بعير، عن أبي زيد، سواء كانت عليه الأحمالُ أو لم تكن (٣).

قال عنترة:

ما رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الخِمْمِ (٤)
وَقَعُولَةٌ - بفتح الفاء - إذا كانت بمعنى الفاعل؛ استوى فيها المؤنث والمذكر؛ نحو قولك: رجلٌ فَرَوَقَةٌ وامرأةٌ فَرَوَقَةٌ: للجان والخائف. ورجلٌ صَرُورَةٌ وامرأةٌ صَرُورَةٌ: إذا لم يَحْجَا، ولا جمع له. فإذا كانت بمعنى المفعول فُرق بين المذكر والمؤنث بالهاء، كالحلوبة والرَّكُوبَةُ (٥). والحُمُولَةُ بضم الحاء: الأحمال. وأما الحُمُولُ بالضم بلا هاء؛ فهي الإبل التي عليها الهوادج، كان فيها نساءٌ أو لم يكن؛ عن أبي زيد (٦).

«وَفَرُشَاءُ»؛ قال الضحاك: الحُمُولَةُ: من الإبل والبقر، والفَرُشُ: الغنم. النحاس (٧): «استشهد لصاحب هذا القول بقوله: «ثَمَانِيَةٌ أُرُوجِ»، قال: فـ «ثَمَانِيَةٌ» بدلٌ من قوله: «حَمُولَةٌ وَفَرُشَاءُ». وقال الحسن: الحُمُولَةُ الإبل. والفَرُشُ: الغنم (٨).

(١) ٢٤٩/٧ ، وأحمد بن يحيى هو ثعلب .

(٢) أخرجه الطبري ٦٢٠/٩ ، والطبراني في الكبير (٩٠١٨) ، والحاكم ٣١٧/٢ بنحوه .

(٣) تهذيب اللغة ٩١/٥ ، والصاح (حمل) .

(٤) في (د) و(ظ) و(م): الحمجم، وهي لغة في الخمخم كما في مجمل اللغة ٢١٨/١ ، والمثبت من (ز) و(خ)، وهو الموافق للديوان ص ١٧ ، وقوله: الخمخم واحدها: خِمْمِيمة، وهو آخر ما يبس من النبت. شرح القوائد السبع لابن الأثيري ص ٣٠٤ .

(٥) الصاح (حمل) و(فرق) و(صرر)، وتهذيب اللغة ١٠٩/١٢ .

(٦) الصاح (حمل) .

(٧) في معاني القرآن له ٥٠٤/٢ ، وقول الضحاك منه، وأخرجه الطبري عنه ٦٢٢/٩ دون قوله: والبقر .

(٨) معاني القرآن ٥٠٤/٢ ، وأخرج قوله الطبري ٦٢٠/٩ ، ٦٢٢ بنحوه .

وقال ابنُ عباس: الحَمُولَةُ كُلُّ ما حَمَلَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ. وَالْفَرَشُ: الْغَنَمِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَمُولَةُ مَا يُرْكَبُ، وَالْفَرَشُ مَا يُؤْكَلُ لِحْمِهِ وَيَحْلَبُ^(١)؛ مِثْلُ الْغَنَمِ وَالْفِصْلَانِ^(٢) وَالْعِجَاجِيلِ؛ سُمِّيَتْ فَرَشًا لِلطَّفَافَةِ أَجْسَامِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ الْفَرَشِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمَسْتَوِيَّةُ الَّتِي يَتَوَطَّوُهَا النَّاسُ^(٣). قَالَ الرَّاجِزُ:

أورثني حَمُولَةً وَفَرَشًا أُمُّهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَشًا^(٤)
وقال آخر:

وَحوَيْنَا الْفَرَشَ مِنْ أَنْعَامِكُمْ وَالْحَمُولَاتِ وَرَبَّاتِ الْحَجَلِ^(٥)
قال الأصمعي^(٦): لَمْ أَسْمَعْ لَهُ بِجَمْعٍ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا سُمِّيَ بِهِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَشَهَا اللَّهُ فَرَشًا، أَي: بَثَّهَا بَثًّا. وَالْفَرَشُ: الْمَفْرُوشُ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ. وَالْفَرَشُ: الزَّرْعُ إِذَا فُرِشَ. وَالْفَرَشُ: الْفِضَاءُ الْوَاسِعُ. وَالْفَرَشُ فِي رِجْلِ الْبَعِيرِ: اتِّسَاعٌ قَلِيلٌ، وَهُوَ مَحْمُودٌ. وَافْتَرَشَ الشَّيْءُ: انبَسَطَ؛ فَهُوَ لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ. وَقَدْ يَرْجِعُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَفَرَشًا» إِلَى هَذَا.

قال النحاس^(٧): وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِمَا: أَنَّ الْحَمُولَةَ الْمَسْحُورَةَ الْمُدْلَلَةَ لِلْحَمَلِ. وَالْفَرَشُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجُلُودِ وَالصُّوفِ مِمَّا يُجْلَسُ عَلَيْهِ وَيَتَمَهَّدُ. وَبَاقِي الْآيَةِ قَدْ تَقَدَّمَ.

(١) أخرج قول ابن عباس وابن زيد الطبري ٦٢١/٩ ، ٦٢٢ .

(٢) جمع الفصيل: هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه. مختار الصحاح (فصل).

(٣) تفسير الطبري ٦٢٢/٩ - ٦٢٣ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٧٩/٢ وقال: أي: أمسحها، وفي الصحاح (مشش): مششت الناقة: حلبتها، وتركت في الضرع بعض اللبن.

(٥) قائله ابن مسلمة، كما في النكت والعيون ١٧٩/٢ ، وقوله: الحجل: هو صغار الإبل. ينظر القاموس (حجل).

(٦) كذا في النسخ، والذي في الصحاح (فرش)، والكلام منه: قال الفراء.

(٧) في إعراب القرآن ١٠١/٢ - ١٠٢ .

قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الظَّكَايِ أُنثَىٰ وَمِنَ الْمَعْرِ أُنثَىٰ قُلْ ۗ
 ۗالَّذِينَ حَرَّمَ آرَ الْأَنْثَىٰنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَىٰنِ نَبْعُونِ بِعَلْمِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٢﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أُنثَىٰنِ وَمِنَ الْبَعَرِ أُنثَىٰنِ قُلْ ۗالَّذِينَ حَرَّمَ آرَ
 الْأُنثَىٰنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَىٰنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُمْ اللَّهُ
 بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُنْزِلَ الْتَأْمِسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ «ثمانية» منصوبٌ بفعلٍ مضمر، أي: وأنشأ
 ثمانية أزواج؛ عن الكسائي^(١). وقال الأخفش سعيد^(٢): هو منصوبٌ على البدل من
 حَمُولَةٌ وَقَرَشٌ.

وقال الأخفش علي بن سليمان: يكون منصوباً بـ «كُلُّوا»، أي: كلوا لحم ثمانية
 أزواج. ويجوز أن يكون منصوباً على البدل من «ما» على الموضع. ويجوز أن يكون
 منصوباً بمعنى: كلوا المباح «ثمانية أزواج من الضأن اثنتين»^(٣).

ونزلت الآية في مالك بن عوفٍ وأصحابه حيث قالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ
 الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّلْكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجَنَا﴾^(٤)، فنبه الله عزَّ وجلَّ نبيَّه والمؤمنين
 بهذه الآية على ما أحلَّ لهم؛ لئلا يكونوا بمنزلة مَنْ حَرَّمَ ما أحلَّه الله تعالى.

والزَّوْجُ خلافُ الفَرْدِ؛ يقال: زَوْجٌ أَوْ فَرْدٌ، كما يقال: خَسَاءٌ أَوْ زَكَاءٌ، شَفْعٌ أَوْ
 وَثْرٌ^(٥). فقوله: «ثمانية أزواج» يعني ثمانية أفراد.

(١) نقله عنه النحاس في إعراب القرآن ١٠٢/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٥٤/٢.

(٢) في معاني القرآن له ٥٠٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٢، وعنه نقل المصنف.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٢، وينظر المحرر الوجيز ٣٥٤/٢.

(٤) تفسير أبي الليث ٥١٩/١.

(٥) لم تجود الكلمة في النسخ، والمثبت من (م)، والصحاح (زوج)، وقوله: خَسَاءٌ: الفرد، وقوله: ذَكَاءٌ:
 الشفع من العدد. القاموس (خسي، زكي).

وكل فَرْدٌ عند العربِ يحتاج إلى آخَرَ يُسَمَّى زوجاً، فيقال للذكر: زوج، وللأنثى: زوجٌ. ويقع لفظ الزوجِ للواحد وللأثنين^(١)؛ يقال: هما زوجان، وهما زوجٌ؛ كما يقال: هما سَيَّان، وهما سَوَاءٌ. وتقول: اشتريت زَوْجِي حمام، وأنت تعني ذكراً وأنثى^(٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: الذكر والأنثى. والضَّان: ذواتُ الصُّوفِ من الغنم، وهي جمعُ ضائِن، والأنثى ضائِنةٌ، والجمع ضوائِنُ^(٣). وقيل: هو جمعٌ لا واحدَ له. وقيل: في جمعه: ضَّيْن؛ كعَبِيدٍ وَعَبِيدٍ. ويقال فيه: ضَيِّين. كما يقال في شَعير: شَعِير^(٤)، كسرت الضاد اتباعاً.

وقرأ طلحةُ بن مُصَرِّف: «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» بفتح الهمزة^(٥)، وهي لغةٌ مَسْمُوعَةٌ عندَ البصريين، وهو مَطَّرَدٌ عندَ الكوفيين في كل ما ثانيه حرفٌ حلق. وكذلك الفتحُ والإسكان في المعز^(٦).

وقرأ أبان بن عثمان: «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَانِ وَمِنَ المعزِ اثْنَانِ» رفعاً بالابتداء^(٧). وفي حرف أبي: «وَمِنَ المعزِ اثْنَيْنِ»^(٨)، وهي قراءةُ الأكثر^(٩).
وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بالفتح^(١٠).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٩٩، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٣ وتهذيب اللغة ١٥٢/١١ - ١٥٣.

(٢) الصحاح (زوج).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٩، وتهذيب اللغة ١٢/٦٨، والصحاح (ضان).

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/٥٠٧، وتفسير الطبري ٩/٦٢٩.

(٥) المحتسب ١/٢٣٤، والقراءات الشاذة ص ٤١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٢ - ١٠٣، والمحتسب ١/٢٣٤.

(٧) القراءات الشاذة ص ٤١، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٢، وعنه نقل المصنف.

(٨) في النسخ: «ومن المعز اثنان»، غير (ظ) فليس فيها لفظ اثنان والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٢، وهي في القراءات الشاذة ص ٤١، والكشاف ٢/٥٧.

(٩) يعني قراءة من قرأ: «المعز»، بإسكان العين، وهم: نافع وعاصم وحزمة والكسائي.

(١٠) وكذلك قرأ ابن كثير المكي. السبعة ص ٢٧١، والتيسير ص ١٠٨.

قال النحاس^(١): الأكثر في كلام العرب المَعَزُ والضَّانُ؛ بالإسكان. ويدل على هذا قولهم في الجمع: مَعِيزٌ؛ فهذا جمعُ مَعَزٍ. كما يقال: عبد وعبيد. قال امرؤ القيس:

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى^(٢) بِن جَرْمٍ مَعِيزُهُمْ حَنَاكَ ذَا الحَنَا
ومثله: ضَانٌ وَضَيْنٌ.

والمَعَزُ من الغنم خلافُ الضَّانِ، وهي ذواتُ الأشعارِ والأذنانِ القِصَارِ، وهو اسمُ جنسٍ، وكذلك المَعَزُ والمَعِيزُ والأَمْعُوزُ والمِغْزَى. وواحدُ المَعَزِ ماعزٌ؛ مثل: صاحبٍ وَصَحْبٍ، وتاجرٍ وَتَجْرٍ. والأنثى ماعزةٌ، وهي العَنَزُ، والجمع مواعزٌ^(٣). وَأَمْعَزَ القَوْمُ: كَثُرَتْ مِغْزَاهُمْ. والمَعَازُ: صاحبُ المِغْزَى. قال أبو محمد الفَقْعَسِيُّ يصفُ إبلاً بكثرة اللبَنِ، ويفضِّلها على الغنم في شدة الزمان:

يَكِلْنَ كَيْلًا لَيْسَ بِالمَمْحُوقِ إِذْ رَضِيَ المَعَازِ بِالسَّلْعُوقِ
والمَعَزُ: الصَّلَابَةُ من الأرض. والأَمْعَزُ: المكان الصَّلْبُ الكثيرُ الحصى^(٤)؛ والمَعَزَاءُ أيضاً. واستمعز الرجلُ في أمره: جَدَّ^(٥).

﴿قُلْ أَطَّعْتُمْ﴾ منصوب بـ «حرّم». ﴿أَيُّ الأَنْثِيَيْنِ﴾ عطفت عليه. وكذا: ﴿أَمَّا

(١) في إعراب القرآن ١٠٢/٢ - ١٠٣.

(٢) في (خ) و(د) و(ز): سمحى، وفي (ظ): سمي، وفي إعراب القرآن للنحاس، شمعج، والمثبت من (م)، وهو الموافق للديوان ص ١٤٣، وقوله: يَمْنَحُها: يُعْطِيها يَنْحَةً؛ وهي الشاة يعطيها الرجل جازة ينتفع بلبنتها، ووصفها، ثم يردها إذا استغنى عنها. وبنو شمجي: حي من جرم، وقوله: حنانك ذا الحنان؛ أي: رحمتك يا ذا الرحمة. شرح الديوان.

(٣) كذا في اللسان والقاموس (معز) والذي في مطبوع الصحاح (معز)، والكلام منه بنحوه: مواعيز.

(٤) الصحاح (معز)، والبيت في مجالس ثعلب ص ١٩٣. قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٧٠: الممحوق: الذاهب. وباللوق، أي: باللعة من اللبن والشيء اليسير. يقول: ألبانها ليست بممحوقة في شدة الزمان؛ إذ رضي صاحب المعز باللوق، فهذه الإبل يحتلب منها الكثير إذا كانت الشاة تحتلب قليلاً.

(٥) تهذيب اللغة ١٦٠/٢، والقاموس (معز).

أَشْتَمَكْتَ ﴿١﴾. وَزِدْتَ ﴿١﴾ مع ألف الوصل مَدَّةٌ لُتْفَرَّقُ ﴿٢﴾ بين الاستفهام والخبر. ويجوزُ حذفُ الهمزة؛ لأنَّ «أم» تدلُّ على الاستفهام. كما قال:

تَرَوْحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ ﴿٣﴾

الثالثة: قال العلماء: الآية احتجاج على المشركين في أمر البحيرة وما ذكر معها، وقولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْهَارِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَيَّ أَرْوَاجِنَا﴾ ﴿٤﴾، فدلَّت على إثبات المناظرة في العلم؛ لأنَّ الله تعالى أمر نبيِّه عليه الصلاة والسلام بأنَّ يناظرهم، ويبين لهم ﴿٥﴾ فساد قولهم. وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليلٌ بأنَّ القياس إذا ورد عليه النصُّ بطل القولُ به، ويروى: إذا ورد عليه النَّقْضُ ﴿٦﴾؛ لأنَّ الله تعالى أمرهم بالمقايسة الصَّحيحة، وأمرهم بطرد علَّتِهِمْ ﴿٧﴾.

والمعنى: قل لهم: إن كان حَرَمَ الذكور؛ فكلُّ ذكْرٍ حرامٍّ، وإن كان حَرَمَ الإناث؛ فكلُّ أنثى حرامٍّ، وإن كان حَرَمَ ما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين - يعني من الضأن والمغز - فكلُّ مولودٍ حرامٍّ، ذكراً كان أو أنثى. وكلُّها مولودٌ؛ فكلُّها إذاً حرامٌّ؛ لوجود العلة فيها. فبيِّن انتقاصَ علَّتِهِمْ وفسادَ قولهم ﴿٨﴾، فأعلم الله سبحانه أنَّ ما فعلوه من ذلك افتراءٌ عليه.

﴿تَيَقُّونَ بِمَلِيٍّ﴾، أي: بعلم إن كان عندكم، من أين هذا التحريمُ الذي افتمتموه؟ ولا علمَ عندهم؛ لأنهم لا يقرؤون الكتب ﴿٩﴾.

(١) في (د) و(م): وزيدت، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس.

(٢) في (خ) و(م): للفرق، وفي (ظ): ليفرق.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٣/٢، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٥٤، وسلف ٢٨٣/١.

(٤) ينظر زاد المسير ١٣٩/٣.

(٥) قوله: لهم، من (د) و(م)، والكلام من تفسير أبي الليث ٥١٩/١.

(٦) في (خ): النص، وفي (د) و(ظ): النقص، والمثبت من (ز) و(م)، وهو الموافق لتفسير أبي الليث.

(٧) الطرد: وجود الحكم لوجود العلة. الحدود في الأصول للباقي ص ٧٤.

(٨) تفسير السمرقندي ٥١٩/٢ بنحوه.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٢٩٩/٢.

والقول في: ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ آتَيْنِ﴾ وما بعده كما سبق.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾، أي: هل شاهدتم الله قد حرّم هذا؟^(١). ولما لزمتهم الحجة أخذوا في الافتراء، فقالوا: كذا أمر الله. فقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُعْبَدُ ۗ النَّاسُ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بين أنهم كذبوا؛ إذ قالوا ما لم يقم عليه دليل^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أجدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزُرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ نِسَاءً أَهْلًا يَغْتَبِرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٥﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أجدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أعلم الله عز وجل في هذه الآية بما حرّم. والمعنى: قل يا محمد: لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً إلا هذه الأشياء، لا ما تحرّمونه بشهوتكم.

والآية مكية. ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت [شيء] محرّم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة. وزيد في المحرمات؛ كالمنخقة والموقوذة والمتردبة والنطيحة^(٣) والخمر، وغير ذلك. وحرّم رسول الله ﷺ بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير^(٤).

وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال:

الأول: ما أشرنا إليه من أن هذه الآية مكية^(٥)، وكل محرّم حرّمه رسول الله ﷺ

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٩/٦٣٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٥٥ - ٣٥٦، وما بين حاصرتين منه.

(٤) الاستذكار ١٥/٣١٧ - ٣١٨، وقوله: وحرّم رسول الله ﷺ... يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٢١٩٢)، ومسلم (١٩٣٤)، دون قوله: بالمدينة، وسلف ٤/٤٤٦ مختصراً، و٧/٢٥١ بنحوه.

(٥) لعله يريد أنها محكمة غير منسوخة، ينظر التمهيد ١/١٤٥.

- أو جاء في الكتاب - مضمومٌ إليها، وهو^(١) زيادةٌ حكمٍ من الله عزَّ وجلَّ على لسان نبيِّه عليه الصلاة والسلام. على هذا أكثرُ أهلِ العلم من أهلِ النظرِ والفقهِ والأثرِ. ونظيره نكاحُ المرأة على عمتها وعلى خالتها مع قوله: ﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وكحكيمه باليمين مع الشاهد مع قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقد تقدم^(٢).

وقيل^(٤): إنها منسوخةٌ بقوله عليه الصلاة والسلام: «أَكُلْ كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ حَرَامٌ» أخرجه مالك^(٥)، وهو حديثٌ صحيح.

وقيل: الآيةٌ مُحْكَمَةٌ، ولا يَحْرُمُ إلا ما فيها. وهو قولٌ يُزَوَّى عن ابن عباس وابن عمر وعائشة، وزُوي عنهم خلافة^(٦).

قال مالك: لا حرامٌ بيِّنٌ إلا ما ذُكر في هذه الآية.

وقال ابن خويزمنداد: تضمنت هذه الآيةٌ تحليلَ كلِّ شيءٍ من الحيوان وغيره إلا ما استثني في الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير. ولهذا قلنا: إنَّ لحوم^(٧) السَّبَاعِ وسائرِ الحيوان ما سوى الإنسان والخنزير سباحٌ.

وقال الكيِّا الطبري^(٨): وعليها بنى الشافعيُّ تحليلَ كلِّ مسكوتٍ عنه؛ أخذاً من هذه الآية، إلا ما دلَّ عليه الدليلُ.

وقيل: إنَّ الآيةَ جوابٌ لمن سأل عن شيءٍ بعينه، فوقع الجوابُ مخصوصاً. وهذا

(١) في (د) و(ز) و(م): فهو، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق للتمهيد ١/ ١٤٥.

(٢) التمهيد ١/ ١٤٥ - ١٤٦، والاستذكار ٣١٩/١٥.

(٣) ٤٤٥/٤ - ٤٤٦.

(٤) في (خ) و(م): وقد قيل، والمثبت من (د) و(ز) و(ظ).

(٥) ٤٩٦/٢، وسلف ٢٥١/٧.

(٦) التمهيد ١/ ١٤٤ - ١٤٥.

(٧) في (خ) و(ز) و(ظ): إنَّ تحريم السباع، والمثبت من (د)، وهامش (ز) و(م).

(٨) في أحكام القرآن ٣/ ١٢٧.

مذهبُ الشافعي^(١). وقد روى الشافعيُّ عن سعيد بن جبير أنه قال: في هذه الآية أشياء سألوها عنها رسولُ الله ﷺ فأجابهم عن المحرّمات من تلك الأشياء^(٢).

وقيل: أي: لا أجدُ فيما أوحى إليّ، أي: في هذه الحال حالَ الوحي ووقت نزوله^(٣)، ثم لا يمتنع حدوثُ وحي بعدَ ذلك بتحريم أشياء أُخر.

وزعم ابنُ العربي أن هذه الآيةَ مدنيةٌ مكية^(٤) في قول الأكثرين، نزلت على النبي ﷺ يوم نزلَ عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ولم ينزل بعدها ناسخٌ، فهي مُحْكَمَةٌ^(٥)، فلا مُحَرَّمٌ إلا ما فيها. وإليه أميل.

قلت: وهذا ما رأيته قاله غيره.

وقد ذكر أبو عمر بنُ عبد البر^(٦) الإجماعَ في أن سورةَ الأنعام مكيةٌ إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مِمَّا حَرَّمَ رَبِّيَ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الثلاث الآيات، وقد نزل بعدها قرآنٌ كثيرٌ وسُنَنٌ جمّة. فنزل تحريمُ الخمر بالمدينة في «المائدة». وأجمعوا على أن نهيّه عليه الصلاة والسلام عن أكل كلِّ ذي نابٍ من السباع إنما كان منه بالمدينة. قال إسماعيل بنُ إسحاق: وهذا كلُّه يدلُّ على أنه أمرٌ كان بالمدينة بعدَ نزولِ قوله: ﴿قُلْ لَّا أُجِدُّ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾؛ لأنَّ ذلك مكيٌّ.

قلت: وهذا هو مَنَارُ الخلافِ بين العلماء. فعَدَل جماعةٌ عن ظاهر الأحاديث الواردة بالنهي عن أكل كلِّ ذي نابٍ من السباع؛ لأنها متأخرةٌ عنها، والحَضْرُ فيها ظاهرٌ، فالأخذُ بها أولى؛ لأنها إما ناسخةٌ لما تقدّمها، أو راجحةٌ على تلك الأحاديث.

(١) الرسالة للشافعي ص ٢٠٧، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/٣٣٨، ٣٥٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٢٠٣.

(٣) الاستذكار ١٥/٣١٨.

(٤) في (م): مدنيةٌ فهي مكية.

(٥) أحكام القرآن ٢/٧٥٥.

(٦) في التمهيد ١/١٤٦.

وأما القائلون بالتحريم فظَهَرَ لهم، وثَبَّتْ عندهم أَنَّ سورةَ الأنعام مكيةٌ؛ نزلت قبلَ الهجرة، وأنَّ هذه الآيةُ قُصِدَ بها الرُّدُّ على الجاهلية في تحريمِ البَحيرةِ والسَّائبةِ والوَصيلةِ والحامي [ولم يكن في ذلك الوقت محرَّم في الشريعة إلا ما ذكره في الآية]، ثم بعد ذلك حَرَّمَ أموراً كثيرة كالحُمُرِ الإنسية [والبغال وغيرها، كما رواه الترمذي عن جابر قال: حرم رسول الله ﷺ لحومَ الحمرِ الأهلية] ولحومِ البغال وغيرها، وكلَّ ذي نابٍ من السباع، وكلَّ ذي مِخْلَبٍ من الطير^(١).

قال أبو عمر: وَيَلزَمُ على قول مَنْ قال: لا محرَّم إلا ما فيها: ألا يُحرَّم ما لم يُذكر اسمُ الله عليه عمداً، وتُستحلُّ الحُمُرُ المحرمة عند جماعة المسلمين. وفي إجماع المسلمين على تحريمِ خميرِ العنبِ دليلٌ واضح على أَنَّ رسولَ الله ﷺ قد وَجَدَ فيما أُوحِيَ إليه محرِّماً غيرَ ما في سورة الأنعام مما قد نزل بعدها من القرآن^(٢).

وقد اختلفت الروايةُ عن مالكٍ في لحومِ السباعِ والحَميرِ والبغال، فقال مرةً: هي محرَّمةٌ؛ لِمَا ورد من نهيهِ عليه الصلاة والسلام عن ذلك^(٣)، وهو الصحيحُ من قوله على ما في الموطأ^(٤). وقال مرةً: هي مكروهةٌ، وهو ظاهرُ المدونة^(٥)؛ لظاهر الآية؛ ولما رُوِيَ عن ابن عباس وابن عمر وعائشة من إباحةِ أكلِها^(٦)، وهو قولُ الأوزاعي. روى البخاريُّ من رواية عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن زيد: إنهم يزعمون أَنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن لحومِ الحُمُرِ الأهلية؟ فقال: قد كان يقول ذلك الحَكَمُ بنُ عمرو الغفاريُّ عندنا بالبصرة؛ ولكنَّ أبا ذلك البحرُ ابنُ عباسٍ، وقرأ: ﴿قُلْ لَا أُجِدُّ

(١) المفهم ٢١٥/٥ - ٢١٦، وما بين حاصرتين منه، والحديث في سنن الترمذي (١٤٧٨)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد (١٧١٩٣) من حديث المقدم بن معدى كرب بنحوه مختصراً.

(٢) التمهيد ١٤٢/١ - ١٤٣ بنحوه.

(٣) ينظر ما سلف ٤٤٦/٤.

(٤) ٤٩٦/٢ - ٤٩٧.

(٥) ٦٣/٢، وينظر المفهم ٢١٥/٥.

(٦) التمهيد ١٤٥/١، والاستذكار ٣٢٩/١٥.

فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴿١﴾.

ورُوي عن ابن عمر أنه سئل عن لحوم السباع، فقال: لا بأسَ بها. فقيل له: حديثُ أبي ثعلبة الحُشَنِيّ^(٢)؟ فقال: لا نَدَعُ كتابَ رَبِّنا^(٣) لحديث^(٤) أعرابيٍّ يَبُولُ على ساقه^(٥).

وسئل الشَّعْبِيُّ عن لحم الفيل والأسد، فَنَلَا هذه الآية^(٦).

وقال القاسم: كانت عائشة تقول لَمَّا سَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ: حَرَّمَ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ: ذلك حلالٌ، وتتلو هذه الآية: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾. ثم قالت: إن كانت البُرْمَةُ لَيَكُونُ ماؤها أَصْفَرَ مِنَ الدَّمِ، ثم يراها رسولُ الله ﷺ فلا يَحْرِمُها^(٧).

والصحيحُ في هذا الباب ما بدأنا بذكره، وأنَّ ما ورد من المحرمات بعدَ الآية مضمومٌ إليها معطوفٌ عليها.

وقد أشار القاضي أبو بكر بن العربي إلى هذا في قَبَسِه^(٨) خلاف ما ذَكَرَ في أحكامه^(٩)؛ قال: رُوي عن ابن عباس أنَّ هذه الآية من آخر ما نزل، فقال البغداديون من أصحابنا: إنَّ كُلَّ ما عداها حلالٌ، لكنه يُكْرَهُ أكلُ السَّبَاعِ. وعندَ فقهاء الأمصارِ

(١) صحيح البخاري (٥٥٢٩). والحكم بن عمرو هو الصحابي الأمير، نزل البصرة، ولي خراسان، ومات بها سنة (٥١هـ). السير ٤٧٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٣٩)، والبخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عن أكل كل ذي نابٍ من السباع.

(٣) في (د): كتاب الله، وفي (م): كتاب الله ربنا، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ).

(٤) في (خ) و(ظ): لقول.

(٥) ضَعَفَ ابن عبد البر في التمهيد ١/٢٤٥ هذه الرواية عن ابن عمر، ولم تقف على قوله: لا ندع... .

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٨٧٦٩)، وليس فيه: والأسد.

(٧) أخرجه الطبري ٩/٦٣٥ بنحوه والبُرْمَةُ: القنْزُ من الحجر، والجمع بُرْمٌ، مثل: غرفة وغرف. المصباح المنير. وسلف بنحوه ٣/٣٠.

(٨) ٦٢٢ - ٦٢١/٢.

(٩) ٧٥٧ و ٧٥٥/٢.

منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة وعبدُ الملك: أن أكلَ كلِّ ذي نابٍ من السباع حرامٌ، وليس يمتنع أن تقع الزيادةُ بعدَ قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ بما يَرِدُ من الدليل فيها؛ كما قال النبي ﷺ: «لا يحلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث»^(١) فذكر الكفرَ والزنى والقتلَ.

ثم قال علماؤنا: إن أسبابَ القتلِ عشرةٌ بما ورد من الأدلة، إذ النبي ﷺ إنما يخبر عما وَصَلَ^(٢) إليه من العلم عن البارئِ تعالى؛ وهو يَمْحُو ما يشاء وَيُثَبِّتُ وَيَنْسَخُ ويقَدِّرُ. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أكلُ كلِّ ذي نابٍ من السباع حرامٌ»^(٣)، ورُوي^(٤) أنه نهى عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباع، و[كلِّ] ذي مخلبٍ من الطير^(٥). وروى مسلمٌ عن معن، عن مالك^(٦): نهى عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباع^(٧).

والأول أصحُّ، وتحريمُ كلِّ ذي نابٍ من السباع هو صريحُ المذهب، وبه ترجم مالكٌ في الموطأ^(٨) حين قال: تحريمُ أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباع. ثم ذكر الحديث، وعقبه بعد ذلك بأن قال: وهو الأمرُ عندنا. فأخبر أن العملَ اطرَدَ مع الاثر^(٩).

قال القشيريُّ: فقولُ مالك: هذه الآية من أواخر ما نزل، لا يمنعنا من أن نقول:

(١) سلف ٤٣٠/٣.

(٢) في (خ) و(ز) و(م): بما وصل، والمثبت من (د) و(ظ)، وهو الموافق للقبس ٦٢٢/٢، والكلام منه.

(٣) هو بهذا اللفظ عند مالك في الموطأ ٤٩٦/٢ من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٢٢٤) ومسلم (١٩٣٣).

(٤) في (خ) و(م): وقد روي.

(٥) أخرجه بتمامه أحمد (٢١٩٢)، ومسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس ؓ، وما بين حاصرتين من المصادر والقبس والكلام منه، وينظر ما سلف ٤٤٦/٤ و ٢٥١/٧.

(٦) كذا في النسخ، ومثله في القبس ٦٢٢/٢ والكلام منه، وفي صحيح مسلم (١٩٣٢): (١٤)، حديث أبي ثعلبة الخشني من طريق ابن وهب عن مالك. باللفظ الذي سيرد.

(٧) في النسخ: من الطير، ومثله في القبس، وفي (م): كل ذي مخلب من الطير. وما أثبتناه يوافق حديث أبي ثعلبة عند مسلم من طريق مالك.

(٨) ٤٩٦/٢.

(٩) القبس ٦٢١/٢ - ٦٢٣.

ثبت تحريمُ بعضِ هذه الأشياءِ بعدَ هذه الآيةِ، وقد أحلَّ اللهُ الطيباتِ، وحرَّمَ الخبائثَ، ونهى رسولُ الله ﷺ عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباعِ، وعن أكلِ كلِّ ذي مخلبٍ من الطيرِ، ونهى عن لحومِ الحُمُرِ الأهليَّةِ عامَّ خيِّرٍ.

والذي يدُلُّ على صحة هذا التأويلِ الإجماعُ على تحريمِ العذرةِ والبؤلِّ والحشراتِ المستفزةِ والحُمُرِ؛ مما ليس مذكوراً في هذه الآية^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿مَحْرَمًا﴾ قال ابن عطية: لفظُ التحريمِ إذا وردت على لسان رسولِ الله ﷺ فإنها صالحةٌ أن تنتهيَ بالشيءِ المذكورِ [إلى] غايةِ الحَظَرِ والمنعِ، وصالحةٌ^(٢) بحسبِ اللغةِ أن تَقِفَ دونَ الغايةِ في حَيْزِ الكراهةِ ونحوها؛ فما اقترنت به قرينةُ التسليمِ من الصحابةِ المتأوِّلينَ، وأجمَعَ [عليه] الكلُّ منهم، ولم تضطرب فيه ألفاظُ الأحاديثِ؛ وَجَبَ بالشرعِ أن يكونَ تحريمُهُ قد وصلَ الغايةَ من الحَظَرِ والمنعِ، ولحقَّ بالختنيزِ والميتةِ والذَّمِّ، وهذه صفةُ تحريمِ الخمرِ.

وما اقترنت به قرينةُ اضطرابِ ألفاظِ الأحاديثِ، واختلفت الأئمةُ فيه مع علمهم بالأحاديثِ كقوله عليه الصلاة والسلام: «أكلُ كلِّ ذي نابٍ من السَّبَاعِ حرامٌ»^(٣). وقد رُوِيَ نهى^(٤) رسولُ الله ﷺ عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباعِ، ثم اختلفت الصحابةُ ومَن بعدهم في تحريمِ ذلك؛ فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر أن يَحْمِلَ لفظَ التحريمِ على المنعِ الذي هو الكراهةُ ونحوها.

وما اقترنت به قرينةُ التأويلِ كتحرимهِ عليه الصلاة والسلام لحومِ الحُمُرِ الإنسيةِ؛ فتأوَّلَ بعضُ الصحابةِ الحاضرينِ ذلك لأنها نجسٌ^(٥)، وتأوَّلَ بعضهم [أن] ذلك لثلا

(١) التمهيد ١/١٤٣، وتفسير الرازي ١٣/٢٢٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٥٧.

(٢) بعدها في (م): أيضاً.

(٣) سلف بنحوه ٤/٤٤٦، ٧/٢٥١.

(٤) في (خ): وقد نهى، وفي (د) و(م): وقد ورد نهى.

(٥) في (د) و(ظ) و(م): لأنه نجس، وفي المحرر الوجيز ٢/٣٥٦: لأنها لم تخمس.

تفنى حَمُولَةُ الناس، وتَأَوَّل بعضهم التحريمَ المحض. وثبت في الأمة^(١) الاختلاف في تحريم لحمها؛ فجائز لمن ينظر من العلماء أن يحملَ لفظَ التحريم بحسب^(٢) اجتهاده وقياسه على كراهية أو نحوها^(٣).

قلت: وهذا عقدٌ حَسَنٌ في هذا الباب وفي سبب الخلافِ على ما تقدم^(٤).

وقد قيل: إنَّ الحمارَ لا يُؤكل؛ لأنه أبدى جوهره الخبيثَ حيثُ نَزَا على ذكرٍ وتلوَّط؛ فسمِّي رِجْسًا. قال محمد بنُ سيرين: ليس شيءٌ من الدَّوابِّ يَعْمَلُ عملَ قومِ لوطٍ إلا الخنزير والحمار؛ ذكره الترمذيُّ في نوادر الأصول^(٥).

الثالثة: روى عمرو بنُ دينار، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس قال: كان أهلُ الجاهليَّة يأكلونَ أشياء، ويتركونَ أشياء [تَقْدُرُ]، فبعثَ اللهُ نبيَّه عليه الصلاة والسلام، وأنزلَ كتابه، وأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه؛ فما أحلَّ فهو حلالٌ، وما حرَّم فهو حرامٌ، وما سكتَ عنه فهو عَفْوٌ، وتلا هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية. يعني ما لم يبيِّن تحريمه فهو مباحٌ بظاهر هذه الآية^(٦).

وروى الزُّهريُّ عن عُبيد الله بن عبد الله، عن عبد الله بن عباس أنه قرأ: ﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، قال: إنما حرَّم من الميتة أكلها؛ ما يؤكل منها، وهو اللحم؛ فأما الجلدُ والعظم والصفوف والشعرُ فحلالٌ^(٧). وروى أبو داود^(٨) عن مَلَقَم ابنِ تَلْب، عن أبيه قال: صحبتُ النبيَّ ﷺ، فلم أسمعَ لِحَشْرَةِ الأرضِ تحريمًا.

(١) في (خ) و(ظ): في الآية.

(٢) في (م): أن يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو الكراهة ونحوها بحسب...

(٣) المحرر الوجيز ٣٥٦/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): مع ما تقدم.

(٥) ص ١٣٢، وقول ابن سيرين أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤٠١).

(٦) تفسير أبي الليث ٥٢١/١، والحديث أخرجه أبو داود (٣٨٠٠)، وما بين حاصرتين منه.

(٧) تفسير أبي الليث ٥٢١/١، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٠٤) بنحوه.

(٨) برقم (٣٧٩٨).

الحشرة: صغارُ دوابِّ الأرض، كاليرابيع والضُّباب والقنفاذ، ونحوها^(١)؛ قال الشاعر:

أَكَلْنَا الرُّبَى يَا أُمَّ عَمْرٍو وَمَنْ يَكُنْ غَرِيباً لَدَيْكُمْ يَأْكُلِ الحِشْرَاتِ^(٢)
أي: ما دَبَّ وَدَرَجَ. والرُّبَى جمعُ رُبِيَّة، وهي: الفأر^(٣).

قال الخطابي: وليس في قوله: لم أسمع لها تحريماً؛ دليلٌ على أنها مباحة؛ لجواز أن يكونَ غيره قد سمعه.

وقد اختلف الناسُ في اليرْبُوع والوَبْر^(٤) - والجمع: وِبَارٌ - ونحوهما من الحشرات؛ فرخَّصَ في اليرْبُوع عروةٌ وعطاءٌ والشافعيُّ وأبو ثور. قال الشافعيُّ: لا بأسَ بالوَبْر^(٥). وكرهه ابنُ سيرين والحَكَم وحَمَّاد وأصحاب الرأي.

وكره أصحابُ الرأي القُنْفَذَ. وسئل عنه مالكُ بن أنس فقال: لا أدري^(٦). وحكى أبو عمر^(٧): وقال مالك: لا بأسَ بأكل القنْفَذ. وكان أبو ثور لا يرى به بأساً؛ وحكاه عن الشافعيِّ. وسئل عنه ابنُ عمر فتلا: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية؛ فقال شيخٌ عنده: سمعتُ أبا هريرة يقول: ذُكر عند النَّبِيِّ ﷺ فقال: «خبِيثَةٌ من الخبائث». فقال ابن عمر: إن كان قالَ رسولُ الله ﷺ هذا، فهو كما قال. ذكره أبو داود^(٨). وقال مالك: لا بأسَ بأكل الضُّبِّ واليرْبُوعِ والوَرَلِ^(٩). وجائزٌ عنده أكلُ الحياتِ إذا دُكِّيتْ؛

(١) معالم السنن ٢٤٧/٤.

(٢) تهذيب اللغة ٢٧٥/١٥، واللسان (ربا) وفيهما: بأرض، بدل: لديكم.

(٣) في (خ) و(د) و(ز) و(م): الفأرة، والمثبت من (ظ)، وينظر تهذيب اللغة ٢٧٥/١٥.

(٤) دوية كالتثور. والجمع: وُبُور ووبار ووبارة. القاموس (وبر).

(٥) في معالم السنن: وقال مالك: لا بأسَ بأكل الوير وكذلك قال الشافعي.

(٦) معالم السنن ٢٤٧/٤ - ٢٤٨، وما بين حاصرتين منه.

(٧) في (د) و(ظ) و(م): أبو عمرو، والمثبت من (خ) و(ز)، وينظر المدونة ٦٢/٢، والكافي ٤٣٦/١.

(٨) برقم (٣٧٩٩).

(٩) هي دابة كالضَّبِّ. القاموس (ورل).

وهو قولُ ابنِ أبي ليلَى والأوزاعيِّ. وكذلك الأفاعي والعقارب والفأر والعظاية^(١) والقنْفُذ والضَّفْدَع. وقال ابنُ القاسم: ولا بأسَ بأكلِ خَشَاشِ الأرضِ وعقاربِها ودودِها في قولِ مالك؛ لأنه قال: موثُه في الماء لا يُفْسِدُه. وقال مالك^(٢): لا بأسَ بأكلِ فراخِ النحلِ ودودِ الجبنِ والتمرِ ونحوِه^(٣). والحجَّةُ له حديثُ مِلْقَامِ بنِ تَلْبِ^(٤)، وقولُ ابنِ عباسٍ وأبي الدَّرْدَاءِ: ما أحلَّ اللهُ فهو حلالٌ، وما حَرَّمَ اللهُ فهو حرامٌ^(٥)، وما سَكَتَ عنه فهو عَفْوٌ.

وقالت عائشةُ في الفأرة: ما هي بحرام، وقرأت: ﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾^(٦).

ومن علماء أهلِ المدينة جماعةٌ لا يجيزون أكلَ كلِّ شيءٍ من خَشَاشِ الأرضِ وهَوَامِّها؛ مثل الحياتِ والأوزاغِ والفأرِ وما أشبهه. وكلُّ ما يجوزُ قتلهُ فلا يجوزُ عند هؤلاء أكلُه، ولا تعملُ الزكاةُ عندهم فيه. وهو قولُ ابنِ شهابٍ وعُروَةَ^(٧) والشافعيِّ وأبي حنيفةٍ وأصحابِه وغيرهم.

ولا يؤكلُ عند مالكٍ وأصحابه شيءٌ من سباعِ الوحشِ كُلِّها، ولا الهِرَّ الأهلي ولا الوحشي؛ لأنه سَبْعٌ. قال: ولا يؤكلُ الضَّبُعُ ولا الثعلبُ، ولا بأسَ بأكلِ سباعِ الطيرِ

(١) هي دويبة كسام أبرص. وفي لغة: العظامة. ينظر القاموس وشرحه (عظي). وجاء في المعجم الوسيط أنها تعرف في مصر بالسحلية.

(٢) كذا في النسخ. وفي التمهيد ١٧٨/١٥، ومختصر اختلاف العلماء ٢١٣/٣: وقال الليث.

(٣) المدونة ٦٢/٢، والكافي ٤٣٧/١، والتمهيد ١٧٧/١٥ - ١٧٨، ومختصر اختلاف العلماء ٢١٣/٢، والإشراف ٣٤١/٢.

(٤) هو الحديث السالف أول هذه المسألة، ويُلقام، ويقال: ولُقَامِ التميميِّ البصريِّ قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: مستور.

(٥) في (د) و(م): وما حرم فهو حرام، والكلام من التمهيد ١٧٩/١٥ بنحوه.

(٦) أورده ابن المنذر في الإشراف ٣١٦/٢.

(٧) في الكافي ٤٣٧/١، والكلام منه بنحوه: وهو قول أشهب وعروة، وينظر التمهيد ١٧٨/١٥.

كلُّها: الرَّحْمُ^(١) والنُّسُور والعُقْبَان وغيرها، ما أكل الجِيفَ منها وما لم يأكل. وقال الأوزاعي: الطيرُ كلُّه حلالٌ، إلا أنهم يكرهون الرَّحْمَ.

وحجةُ مالك أنه لم يجد أحداً من أهل العلم يكره أكلَ سباعِ الطيرِ، وأنكر الحديثَ عن النبي ﷺ: أنه نهى عن أكلِ كلِّ ذي المِخْلَبِ^(٢) من الطيرِ.

وروي عن أشهب أنه قال: لا بأسَ بأكلِ الفيلِ إذا دُكِّي؛ وهو قولُ الشَّعْبِيِّ، ومنع منه الشافعي^(٣).

وكره النعمانُ وأصحابُه أكلَ الضَّبُعِ والشعلبِ. ورخصَ في ذلك الشافعي^(٤)، وروي عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يأكل الضَّبَاعَ^(٥).

وحجةُ مالكٍ عمومُ النهي عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباعِ، ولم يخصَّ سبُعاً من سَبُعٍ، وليس حديثُ الضَّبُعِ الذي خرَّجه النَّسَائِيُّ^(٦) في إباحةِ أكلِها مما يُعارضُ به حديثَ النهي؛ لأنه حديثٌ انفردَ به عبدُ الرحمن بنُ أبي عمَّارٍ، وليس مشهوراً بنقل العلم، ولا ممن يُحتجُّ به إذا خالفه من هو أثبتُّ منه.

قال أبو عمر^(٧): وقد رويَ النهيُ عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباعِ من طريق متواترة. وروى ذلك جماعةٌ من الأئمة الثقات الأثبات، ومُحالٌ أن يعارضوا بمثل

(١) جمع رَحْمَةٍ - مثل قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ - هو طائر يأكل العذرة. (المصباح المنير).

(٢) في (م): كل ذي مخلب، وفي (ظ): كل ذي ناب ومخلب، والمثبت من (خ) و(ز)، وهو الموافق للتمهيد ١٥/١٧٦ - ١٧٧، والكلام منه بنحوه، وينظر الكافي ١/٤٣٧، والحديث سلف مراراً.

(٣) التمهيد ١/١٥٤، ١٥٦، والإشراف ٢/٣٢٨.

(٤) الإشراف ٢/٣٢٠.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٨٦٨٣).

(٦) في المجتبى ٥/١٩١ و ٧/٢٠٠، وأخرجه أيضاً الترمذي (٨٥١)، وابن ماجه (٣٢٣٦)، وهو عند أحمد (١٤٤٢٥) عن عبد الرحمن بن أبي عمار قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع، فأمرني بأكلها، قلت: أصيدُ هي؟ قال: نعم، قلت: أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. وعبد الرحمن بن أبي عمار، الملقب بالقس، ثقة عابد. الضريب ص ٣٤٤.

(٧) في التمهيد ١/١٥٥، وما قبله منه بنحوه.

حديث ابن أبي عمار.

قال أبو عمر: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز أكلُ القردِ لنهي رسولِ الله ﷺ عن أكله، ولا يجوز بيعه؛ لأنه لا منفعة فيه. قال: وما علمتُ أحداً أرخصَ^(١) في أكله^(٢) إلا ما ذكره عبدُ الرزاق^(٣) عن معمر، عن أيوب: سُئل مجاهد عن أكل القرد، فقال: ليس من بهيمة الأنعام.

قلت: ذكر ابنُ المنذر أنه قال^(٤): رويانا عن عطاء أنه سئل عن القرد: يُقتل في الحرِّم؟ فقال: يَحْكُمُ به ذوا عدلٍ منكم^(٥). قال: فعلى مذهب عطاء يجوزُ أكلُ لحمه؛ لأنَّ الجزاء لا يجبُ على من قتل غيرَ الصَّيْد.

وفي «بحر المذهب» للرويان^(٦) على مذهب الإمام الشافعي: وقال الشافعي: يجوز بيعُ القرد؛ لأنه يُعلم، ويُنتفعُ به لحفظ المتاع^(٧). وحكى الكَشْفُلي^(٨) عن ابن شريح: يجوز بيعه؛ لأنه يُنتفعُ به، فقليل له: وما وجه الانتفاع به؟ قال: تفرح به الصبيان.

قال أبو عمر^(٩): والكلب والفيل وذو الناب كلُّه عندي مثلُ القرد. والحجَّةُ في

(١) في (خ) و(م): رخص.

(٢) التمهيد ١٥٧/١ بنحوه، وحديث النهي عن أكل القرد أورده ابن عبد البر في التمهيد وابن قدامة في المغني ٣٢٠/١٣ عن الشعبي مرسلًا.

(٣) في المصنف (٨٧٥٤).

(٤) في الإشراف ٣٢٨/٢.

(٥) قوله: منكم، من (ظ)، ومصنف عبد الرزاق (٨٧٤٦).

(٦) هو أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الطبري الشافعي، برع في الفقه، وكان يقول: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفطي، قتله الملاحدة سنة (٥٠١هـ)، ورويان: بلدة من أعمال طبرستان. السير ٢٦٠/١٩.

(٧) ينظر المجموع ٢٥٩/٩، والمغني ٣٦١/٦.

(٨) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري كان فقيهاً موصوفاً بجودة النظر، مات سنة (٤١٤هـ). وكَشْفُلي (يفتح الفاء وضُمُّها) من قُرَى أمل طبرستان. الطبقات الكبرى للسبكي ٣٧٢/٤، واللباب في تهذيب الأنساب ٩٩/٣.

(٩) في التمهيد ١٥٧/١.

قول رسول الله ﷺ لا في قول غيره. وقد زعم ناس أنه لم يكن في العرب من يأكل لحم الكلب إلا قوم من فقعس.

وروى أبو داود^(١) عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها. في رواية^(٢): عن الجلالة في الإبل أن يُركبَ عليها أو يُشرب من ألبانها.

قال الحليمي أبو عبد الله: فأما الجلالة^(٣) فهي التي تأكل العذرة من الدواب والدجاج المُخلاة، ونهى النبي ﷺ عن لحومها. وقال العلماء: كل ما ظهر منها ريح العذرة في لحمه أو طعمه فهو حرام، وما لم يظهر فهو حلال.

وقال الخطابي^(٤): هذا نهي تنزه وتنظيف، وذلك أنها إذا اغتذت الجِلَّة - وهي العذرة - ووجدت رائحتها في لحومها، وهذا إذا كان غالب علفها منها؛ فأما إذا رعت الكلا، واعتلفت الحَبَّ، وكانت تنال مع ذلك شيئاً من الجِلَّة؛ فليست بجلالة؛ وإنما هي كالدجاج المُخلاة ونحوها من الحيوان الذي ربما نال الشيء منها، وغالب غذائه وعلفه من غيره؛ فلا يكره أكلها^(٥).

وقال أصحاب الرأي والشافعي وأحمد: لا تؤكل حتى تحبس أياماً، وتعلف علفاً غيرها؛ فإذا طاب لحمها أكلت. وقد روي في حديث «أن البقر تُعلف أربعين يوماً، ثم يؤكل لحمها»^(٦). وكان ابن عمر يحبس الدجاج ثلاثاً، ثم يذبح^(٧).

وقال إسحاق: لا بأس بأكلها بعد أن يُغسل لحمها غسلًا جيداً. وكان الحسن لا

(١) في سنة (٣٧٨٥). وأخرجه أيضاً الترمذي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٣١٨٩).

(٢) لأبي داود أيضاً برقم (٣٧٨٧).

(٣) كذا في النسخ، والذي في المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٥٦/٣: وأما الحدأة.

(٤) في معالم السنن ٢٤٤/٤ - ٢٤٥.

(٥) في معالم السنن: من غيرها فلا يكره أكله.

(٦) أخرجه البيهقي ٣٣٣/٩ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: ليس هذا بالقوي.

(٧) الإشراف ٣٢٧/٢، وأخرج عبد الرزاق (٨٧١٧) عن ابن عمر أنه كان يحبس الدجاجة ثلاثة إذا أراد أن

يأكل بيضها.

يرى بأساً بأكل لحوم^(١) الجلالة؛ وكذلك مالك بن أنس.

ومن هذا الباب نُهي^(٢) أن تُلقى في الأرض العذرة. رُوي عن بعضهم قال: كنا نُكْري أرضَ رسولِ الله ﷺ، ونشترطُ على من يكرِيها^(٣) ألا يلقى فيها العذرة. وعن ابن عمر^(٤) أنه كان يُكْري أرضه، ويشترطُ ألا تُذْمَنَ^(٥) بالعذرة.

ورُوي أنَّ رجلاً كان يزرع أرضه بالعذرة، فقال: له عمر: أنت الذي تُطعمُ الناسَ ما يخرُجُ منهم^(٦).

واختلفوا في أكل الخيل؛ فأباحها الشافعي، وهو الصحيح، وكرهها مالك^(٧). وأما البغلُ فهو متولّدٌ من بين الحمارة والفرس، وأحدهما مأكولٌ أو مكروه، وهو الفرس، والآخر مُحَرَّمٌ وهو الحمارة^(٨)؛ فغُلِبَ حكمُ التحريم؛ لأنَّ التحليلَ والتحريمَ إذا اجتمعا في عين واحدة غُلِبَ حكمُ التحريم. وسيأتي بيانُ هذه المسألة في «النحل» إن شاء الله بأوعبَ من هذا^(٩). وسيأتي حكمُ الجرادِ في «الأعراف»^(١٠).

والجمهور من الخَلْفِ والسَّلَفِ على جواز أكلِ الأرنب. وقد حُكي عن عبد الله ابن عمرو بن العاصِ تحريمه، وعن ابن أبي ليلى كراهته^(١١). قال عبدُ الله بن عمرو:

(١) في (د) و(ز) و(م): لحم.

(٢) قوله: نُهي، ليس في (خ) و(ظ).

(٣) كذا في النسخ، ولعله: يكرِيها، وأخرجه البيهقي ١٣٩/٦ بنحوه. عن ابن عباس.

(٤) في المنهاج للحلي ٥٦/٣ والكلام منه: عن أبي بكر، وأخرجه ابن أبي شيبة ٦٩/٧، والبيهقي ١٣٩/٦ عن ابن عمر.

(٥) في المنهاج: تُزِيل، وهما بمعنى.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٦٩/٧.

(٧) معالم السنن ٢٤٥/٤، والإشراف ٢/٣٣٦ - ٣٣٧، والاستذكار ١٥/٣٣١.

(٨) المتقى للباي ٣/١٣٣.

(٩) عند تفسير الآية (٨) منها.

(١٠) عند تفسير الآية (١٣٣) منها.

(١١) المفهم ٥/٢٣٩ والإشراف ٢/٣٤٠، وأخرج أثر عبد الله بن عمرو عبد الرزاق (٨٦٩٦).

جاء بها إلى رسول الله ﷺ وأنا جالس، فلم يأكلها، ولم يثمه عن أكلها. وزعم أنها تحيض. ذكره أبو داود^(١).

وروى النسائي مُرسلاً عن موسى بن طلحة قال: أتى النبي ﷺ بأرنبٍ قد شَواها رجلٌ وقال: يا رسول الله، إني رأيت بها دماً؛ فتركها رسول الله ﷺ، فلم^(٢) يأكلها، وقال لمن عنده: «كُلُوا؛ فإني لو اشتهيْتُها أكلتها»^(٣).

قلت: وليس في هذا ما يدلُّ على تحريمه، وإنما هو نحو من قوله عليه الصلاة والسلام: «إنه لم يكن بأرضٍ قومي، فأجذني أعافه»^(٤).

وقد روى مسلمٌ في صحيحه عن أنس بن مالك قال: مررنا بمَرِّ الظهران فاستنقنا أرنباً، فسَعَرُوا عليه، فَلَقَبُوا^(٥). قال: فسَعَيْتُ حتى أدركتها، فأتيتُ بها أبا طلحة، فذبحها، فبعث بِوَرِكِها وفخذِها^(٦) إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُ بها رسول الله ﷺ، فقبِلَه^(٧).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿عَلَى طَائِعٍ يَطْعَمُهُ﴾، أي: آكلٍ يأكله. ورُوي عن ابن عامر أنه قرأ: «أوحى» بفتح الهمزة^(٨).

(١) برقم (٣٧٩٢).

(٢) في (م): ولم.

(٣) المجتبى ٢٢٤/٤، والكبرى (٢٧٤٩)، ووصله أحمد (٨٤٣٤) عن أبي هريرة.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (٣٠٦٧)، ومسلم (١٩٤٥) (٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ بضبين مشويين وعنده خالد بن الوليد، فأهوى النبي ﷺ يده ليأكل، فقيل له: إنه ضب. فأمسك يده، فقال له خالد: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لا يكون بأرض....

(٥) في (ظ): فتبعوا.

(٦) في (خ) و(د) و(ظ): فخذها، والمثبت من (ز)، وهو الموافق لرواية مسلم.

(٧) صحيح مسلم (١٩٥٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٧٤٧)، والبخاري (٢٥٧٢). وقوله: فاستنقنا أرنباً، أي: أثرناها. وقوله: فَلَقَبُوا أي: تعبوا. النهاية (نفع، لغب). ومَرِّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة. معجم البلدان ١٠٤/٥.

(٨) المحرر الوجيز ٣٥٦/٢، والقراءة المشهورة عنه قراءة الجماعة.

وقرأ علي بن أبي طالب: «يَطْعَمُهُ» مثقل الطاء^(١)، أراد: يتطعمه، فأدغم.

وقرأت عائشة ومحمد ابنُ الحنفية: «على طاعم طَعِمَهُ» بفعل ماضٍ^(٢).

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قرئ بالياء والتاء، أي: إلا أن تكون العين أو الجثة أو

النفس ميتة. وقرئ: «تكون» بالتاء، «ميتة» بالرفع؛ بمعنى: تقع وتحدث ميتة^(٣).

والمسفوح: الجاري الذي يسيل، وهو المحرّم، وغيره مَعْفُوٌّ عنه^(٤).

وحكى الماوردي^(٥): «أنّ الدّم غير المسفوح أنه إن كان ذا عروقٍ يجمد عليها

كالكبد والطحال فهو حلال؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَجَلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ»

الحديث^(٦). وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها، وإنما هو مع اللحم؛ ففي تحريمه

قولان:

أحدهما أنه حرام؛ لأنه من جملة المسفوح وبعضه^(٧)، وإنما ذكر المسفوح

لاستثناء الكبد والطحال منه.

والثاني: أنه لا يحرم؛ لتخصيص التحريم بالمسفوح.

قلت: وهو الصحيح. قال عمران بنُ حدير: سألت أبا منجّلز عمّا يتلطّخ من

اللحم بالدم، وعن القدر تعلوها الحُمرة من الدّم، فقال: لا بأسَ به، إنما حَرَّمَ اللهُ

(١) كذا ذكر المصنف، والذي في إعراب القرآن للنحاس ١٠٣/٢، والمحرر الوجيز ٣٥٦/٢، والكلام منه بنحوه، والبحر المحيط ٢٤١/٤ أنها قراءة أبي جعفر محمد بن علي، ولم تقف على من نسبها لعلي ابن أبي طالب.

(٢) المحرر الوجيز ٣٥٦/٢.

(٣) قرأ ابن كثير وحزمة وابن عامر بالتاء، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم والكسائي بالياء، وكلهم نصب «ميتة» إلا ابن عامر، فإنه قرأها بالرفع. ينظر السبعة ص ٢٧٢، والتيسير ص ١٠٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣٥٦/٢.

(٥) في النكت والعيون ١٨١/٢ - ١٨٢.

(٦) سلف ٢٤/٣.

(٧) في (د) و(م): أو بعضه.

المسفوح. وقالت نحوّه عائشة وغيرُها، وعليه إجماعُ العلماء^(١). وقال عكرمة: لولا هذه الآيةُ لاتبَعَ المسلمون من العروق ما تتبَع اليهود^(٢). وقال إبراهيم النَّخعي: لا بأسَ بالدمِّ في عرقٍ أو مَخ. وقد تقدّم هذا وحكمُ المضطرِّ في «البقرة»^(٣)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَنِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِمَنِّهِ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِقِيَّتِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ما حَرَّمَ على أمةِ محمد ﷺ؛ عَقَّبَ ذلك بِذِكْرِ ما حَرَّمَ على اليهود؛ لِمَا في ذلك مِن تَكْذِيبِهِمْ في قولهم: إِنَّ اللهَ لم يُحَرِّمِ عَلَيْنَا شَيْئاً، وَإِنَّمَا نَحْنُ حَرَّمْنَا على أَنفُسِنَا ما حَرَّمَهُ إِسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ^(٤). وقد تقدّم في «البقرة» معنى «هادوا»^(٥).

وهذا التحريمُ على الذين هادوا إِنَّمَا هو تَكْلِيفٌ بَلَوَى وَعَقُوبَةٌ، فَأَوَّلُ ما ذَكَرَ مِنَ المَحْرَمَاتِ عَلَيْهِمُ كُلِّ ذِي ظُفْرٍ^(٦).

وقرأ الحسنُ: «ظُفْر» بِإِسْكَانِ الفاءِ، وقرأ أبو السَّمالِ: «ظُفْر» بِكسْرِ الظاءِ وإِسْكَانِ الفاءِ. وأنكر أبو حاتم كسَرَ الظاءِ وإِسْكَانِ الفاءِ، ولم يذكُرْ هذه القراءة^(٧)،

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٥٦، وأخرج الأثر الطبري ٩/٦٣٤، وأثر عائشة سلف في المسألة الأولى من الآية قبلها.

(٢) أخرجه الطبري ٩/٦٣٣.

(٣) ٣/٣٠ و ٣٤.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٥٧.

(٥) ٢/١٥٨.

(٦) التكت والعيون ٢/١٨٣.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٤، وقرءة الحسن وأبي السَّمالِ في القراءات الشاذة ص ٤١.

وهي لغة. و«ظْفِر» بكسرهما^(١).

والجمع: أظفار، وأظفُور، وأظافيرُ، قاله الجوهري^(٢).

وزاد النحاسُ عن الفراء: أظافر، وأظافرة^(٣). قال ابن السكيت: يقال: رجلٌ أظْفُرُ بَيْنَ الظَّفَرِ: إذا كان طويلَ الأظفار، كما يقال: رجلٌ أشعرٌ للطويلِ الشَّعر^(٤).

قال مجاهد وقتادة: «ذي ظُفْرٍ» ما ليس بِمُنْفَرَجِ الأصابعِ من البهائمِ والطيور؛ مثل: الإبلِ والنَّعامِ والإوزِّ والبَطِّ. وقال ابنُ زيد: الإبلُ فقط. وقال ابن عباس: «ذي ظُفْرٍ» البعيرُ والنَّعامُ؛ لأنَّ النعامَ ذاتُ ظُفْرٍ، كالإبلِ^(٥). وقيل: يعني كلَّ ذي مِخْلَبٍ من الطير، وذي حافرٍ من الدوابِّ. ويُسمَّى الحافرُ ظُفْرًا استعارة^(٦).

وقال الترمذيُّ الحكيمُ: الحافرُ ظُفْرٌ، والمِخْلَبُ ظُفْرٌ، إلا أن هذا على قَدْرِهِ، وذاك على قَدْرِهِ، وليس هاهنا استعارة، ألا ترى أن كليهما يُقَصُّ ويؤخَذُ منهما، وكلاهما جنسٌ واحد: عَظْمٌ لِيْنٍ رِخْوٌ؛ أصله من غِذاءٍ يَنْبُتُ، فَيُقَصُّ مثلُ ظُفْرِ الإنسانِ، وإنما سُمِّيَ حافرًا؛ لأنه يَحْفِرُ الأرضَ بِوَقْعِهِ عليها. وَسُمِّيَ مِخْلَبًا لأنه يَخْلُبُ الطيرُ برؤوسِ تلكِ الإبرِ منها. وَسُمِّيَ ظُفْرًا؛ لأنه يأخذُ الأشياءَ بِظُفْرِهِ، أي: يَظْفِرُ به الأدميُّ والطيور.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْأَنْعَامِ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ قال قتادة: يعني الثُّرُوبَ وشحم الكُلَيْتَيْنِ، وقاله السديُّ. والثُّرُوبُ جمع الثُّرْبِ، وهو الشحمُ الرقيقُ الذي يكون على الكَرَشِ. قال ابن جريج: حَرَّمَ عليهم كلَّ شحمٍ غيرِ مُخْتَلِطٍ

(١) قرأ بها أبو السَّمَّالِ، كما في تفسير الرازي ٢٢٣/١٣ والدر المصون ٢٠١/٥.

(٢) الصحاح (ظفر).

(٣) بعدها في النسخ الخطية: مثل: ضاربة وضوارب. ولا معنى لها هنا، وسترده عند الكلام على «الحوايا» في المسألة الرابعة.

(٤) الصحاح (ظفر).

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٦٣٨/٩ - ٦٤١.

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١١٦، وزاد المسير ١٤١/٢.

بعظم، أو على عَظْم^(١)، وأحلَّ لهم شحمَ الجَنبِ والألْيَةِ؛ لأنه على العُضْصِ^(٢).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ «ما» في موضع نصب نُصِبَ على الاستثناء. «ظُهُورُهُمَا» رُفِعَ بِ «حَمَلَتْ». ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ في موضع رَفَع عطفَ على الظهور^(٣)، أي: أو حملت حواياهما. والألف واللام بدلٌ من الإضافة. وعلى هذا تكون الحوايا من جُملة ما أحلَّ.

﴿أَوْ مَا أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ «ما» في موضع نصب عطفَ على «ما حَمَلَتْ» أيضاً. هذا أصحُّ ما قيل فيه، وهو قول الكسائيِّ والفراء^(٤) وأحمد بن يحيى. والنظر يُوجب^(٥) أن يُعطف الشيء على ما يليه، إلا أن لا يصحَّ معناه، أو يدلُّ دليلٌ على غير ذلك.

وقيل: إنَّ الاستثناء في التحليل إنما هو ما حملت الظهورُ خاصَّةً، وقوله: ﴿أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ معطوفٌ على المحرَّم. والمعنى: حُرِّمَتْ عليهم شحومُهما أو الحوايا أو ما اختلطَ بعظم، إلا ما حملت الظهورُ؛ فإنه غير محرَّم^(٦).

وقد احتجَّ الشافعيُّ بهذه الآية في أنَّ من حَلَفَ: لا يأكلُ الشحمَ^(٧)، حَيْثُ يأكلُ شحمَ الظُّهورِ؛ لاستثناء اللِّه عَزَّ وَجَلَّ ما على ظهورها^(٨) من جُملة الشحم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾: الحوايا: هي المَبَاعِرُ، عن ابن عباس وغيره^(٩). وهو جمع مَبْعَرٍ، سُمِّيَ بذلك لاجتماع البَعْرِ فيه، وهو الزُّبيل. وواحدٌ

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٩/٦٤١ - ٦٤٢.

(٢) النكت والعيون ٢/١٨٣ - ١٨٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٤.

(٤) معاني القرآن ١/٣٦٣.

(٥) في (ز) و(ظ) وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٤ (والكلام منه): بوجه، وسقطت هذه العبارة من (خ).

(٦) الكلام بنحوه في البيان لأبي البركات ابن الأنباري ص ٣٤٨.

(٧) في (م): من حلف ألا يأكل الشحم.

(٨) في (م): ظهورهما. والكلام في أحكام القرآن للكيا ٣/١٢٨.

(٩) أخرجه الطبري ٩/٦٤٤ - ٦٤٥.

الحوايا: حاوياء، مثل: قاصِصَاءَ وَقَوَاصِيعَ. وقيل: حاويةٌ، مثل: ضاربةٌ وضوارب. وقيل: حَوِيَّةٌ، مثلُ: سفينة وسفائن^(١).

قال أبو عُبيدة: الحوايا ما تحوى من البطن، أي: استدار^(٢). وهي مُنْحَوِيَةٌ، أي: مُستديرة.

وقيل: الحوايا: خزائنُ اللَّبَنِ، وهو يتصل بالمباعر، وهي المصارين. وقيل: الحَوَايا: الأُمعاء التي عليها الشُّحوم^(٣).

والحوايا في غير هذا الموضع: كِساء يُحَوَّى حول سَنَام البعير^(٤). قال امرؤ القيس:

جَعَلْنَ حَوَايَا وَأَفْتَعَدْنَ قَعَائِدًا وَحَقَّقْنَ^(٥) مِنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ الْمُنَمَّقِ^(٦)
فأخبر الله سبحانه أنه كَتَبَ عليهم تحريمَ هذا في التوراة ردًّا لِكَذِبِهِمْ. ونصُّه فيها: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وكل دابة ليست مشقوقة الحافر، وكلُّ حوت ليس فيه سفاسق، أي: بياض.

ثم نَسَخَ اللهُ ذلك كُلَّهُ بشريعة محمد ﷺ. وأبَاحَ لهم ما كان محرماً عليهم من الحيوان، وأزال الحرَجَ بمحمد عليه الصلاة والسلام، وألَزَمَ الخَلِيقَةَ دينَ الإسلام بِجِلْهَ وَحِرْمِهِ، وأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ^(٧).

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٨.

(٢) لم نَفَقَ عليه في مجاز القرآن، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٤٣.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٦٠.

(٤) مجمل اللفظة ١/ ٢٥٥.

(٥) في (م): وخَقَّقْنَ.

(٦) ديوان امرئ القيس ص ١٦٨. قوله: الحوايا: جمع حَوِيَّةٌ، وهو مركب من مراكب النساء. وقوله: من حَوْكٍ، يعني مما يُحَاك، والمنمَّق: المزِين. شرح الديوان. والقعائد جمع القعيدة، وهو شيء يُنْسَج يشبه العنبة، يُجَلَسُ عليه. القاموس (فعد).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٦٠.

الخامسة: لو ذَبَحُوا أُنْعَامَهُمْ فَأَكَلُوا^(١) ما أحلَّ اللهُ لهم في التوراة، وتَرَكَوا ما حَرَّمَ عليهم، فهل يحلُّ لنا؟ قال مالك في كتاب محمد: هي محرَّمة. وقال في سماع «المبسوط»: هي مُحَلَّلَةٌ. وبه قال ابن نافع. وقال ابن القاسم: أكرهه.

وجه الأول أنهم يَدِينُونَ بتحريمها ولا يقصِدونها عند الذكاة، فكانت محرَّمة كالدم. ووجه الثاني - وهو الصحيح - أنَّ الله عزَّ وجلَّ رَفَعَ ذلك التحريمَ بالإسلام، واعتقادهم فيه لا يُؤثِّر، لأنه اعتقادٌ فاسد. قاله ابنُ العربي^(٢).

قلت: وَيَدُلُّ على صِحَّته ما رواه الصحيحان عن عبد الله بن مُعَقَّل قال: كُنَّا مُحَاصِرِينَ قَصْرَ خَيْبَرَ، فَرَمَى إِنْسَانٌ بِجِرَابٍ فِيهِ شَحْمٌ، فَتَزَوُّتُ لِأَخْذِهِ، فَالتَفْتُ؛ إِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ. لفظ البخاريُّ.

ولفظ مسلم: قال عبد الله بن مُعَقَّل: أَصَبْتُ جِرَاباً مِنْ شَحْمِ يَوْمِ خَيْبَرَ، قَالَ فَالتَزَمْتَهُ وَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَداً مِنْ هَذَا شَيْئاً. قال: فَالتَفْتُ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَسِّماً^(٣).

قال علماؤنا: تَبَسَّمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا كَانَ لَمَّا رَأَى مِنْ شِدَّةِ جِرْصِ ابْنِ مُعَقَّلٍ عَلَى أَخْذِ الْجِرَابِ، وَمِنْ ضَيْقِهِ بِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِطَرَحِهِ وَلَا نَهَاهُ.

وعلى جواز الأكل مذهبُ أبي حنيفة والشافعيِّ وعامةِ العلماء، غَيْرَ أَنَّ مالكا كرهه للخلاف فيه. وحكى ابنُ المنذر عن مالك تحريمها؛ وإليه ذهب كبراءُ أصحابِ مالك. ومُتَمَسِّكُهُمْ ما تقدم^(٤)، والحديثُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ.

فلو ذَبَحُوا كُلَّ ذِي ظَفَرٍ؛ قَالَ أَصْبَعُ: مَا كَانَ مُحَرَّماً فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ

(١) في (خ) و(ظ): فلو ذبحوا أُنْعَامَهُمْ وهي الخامسة فأكلوا...

(٢) في أحكام القرآن ٢/ ٧٦٠.

(٣) صحيح البخاري (٣١٥٣)، وصحيح مسلم (١٧٧٢)، وهو في مسند أحمد (٢٠٥٥٥).

(٤) في المفهم ٣/ ٦٠٠ (والكلام منه): ومُتَمَسِّكٌ هُوَ: أَنْ ذَكَاتِهِمْ لَمْ تَعْمَلْ فِي الشَّحْمِ كَمَا عَمِلَتْ فِي اللَّحْمِ؛ لِأَنَّ الذَّكَاءَ تَبَعُضٌ عِنْدَهُمْ.

فلا يحلُّ أكله؛ لأنهم يدينون بتحريمها. وقاله أشهب وابنُ القاسم، وأجازه ابن وهب^(١).

وقال ابن حبيب: ما كان محرماً عليهم، وعلمنا ذلك من كتابنا؛ فلا يحلُّ لنا من ذبائحهم، وما لم نعلم تحريمه إلا من أقوالهم واجتهادهم؛ فهو غير مُحَرَّم علينا من ذبائحهم^(٢).

السادسة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك التحريم. فذلك في موضع رَفْع، أي: الأمرُ ذلك. ﴿جَزَيْتَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾ أي: يظلمهم، عقوبة لهم لِقَتْلِهِمُ الأنبياء، وصدُّهم عن سبيلِ الله، وأخذهم^(٣) الرِّبا، واستحلالهم أموالِ الناسِ بالباطل. وفي هذا دليلٌ على أن التحريم إنما يكون بذنب؛ لأنه ضيق، فلا يُعَدَّلُ عن السَّعة إليه إلا عند المؤاخذه^(٤).

﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ في إخبارنا عن هؤلاء اليهود عما حرَّمنا عليهم من اللحوم والشُّحوم.

قوله تعالى: ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن كَذَّبُوكَ﴾ شرط، والجواب: ﴿فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: من سعة رحمته حلّم عنكم، فلم يُعاقِبْكم في الدنيا^(٥). ثم أخبر بما أعدّه لهم في الآخرة من العذاب، فقال: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِمِينَ﴾. وقيل: المعنى: ولا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حُلُولَه في الدنيا.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٠/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣٥٨/٢.

(٣) في (ظ): وأكلهم.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٠/٢، وفيه: الموجدة، بدل: المؤاخذه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٠٥/٢.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، قال مجاهد: يعني كفار قريش؛ قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ يريد البهيرة والسائبة والوصيلة^(١). أخبر الله عز وجل بالغيب عما سيقولونه، وظنوا أن هذا متمسك لهم لما لزمهم الحجة، وتيقنوا باطل ما كانوا عليه.

والمعنى: لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولا فنهاهم عن الشرك، وعن تحريم ما أحل لهم فينتهوا، فاتبعناهم على ذلك. فرد الله عليهم ذلك فقال: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: أعندكم دليل على أن هذا كذا؟ ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في هذا القول ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فَخْرُصُونَ﴾ لئولهما ضعفتكم أن لكم حجة.

وقوله: «ولا آباؤنا» عطف على التون في «أشركنا»، ولم يقل: نحن ولا آباؤنا؛ لأن قوله: «ولا» قام مقام توكيد المضمرة؛ ولهذا حسن أن يقال: ما قمتم ولا زيد^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي: التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها^(٣). فحجته البالغة على هذا تبيته أنه الواحد، وإرساله الرسل والأنبياء، فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات، وأيد الرسل بالمعجزات، ولزم أمره كل مكلف. فاما علمه وإرادته وكلامه فعيب لا يطلع عليه العبد، إلا من ارتضى من رسول. ويكفي في التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به لأمكنه.

(١) أخرجه الطبري ٦٥١/٩ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٠٥/٢ .

(٣) المصدر السابق.

وقد لبست المعتزلة بقوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ فقالوا: قد ذم الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته. وتعللهم^(١) بذلك باطل؛ لأن الله تعالى إنما ذمهم على ترك اجتهادهم في طلب الحق وإنما قالوا ذلك على جهة الهُزء واللَّعب^(٢). نظيره: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]. ولو قالوه على جهة التعظيم والإجلال والمعرفة به لَمَا عَابَهُمْ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]. و﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]. ومثله كثير، فالمؤمنون يقولونه لِعَلِمَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾ أي: قُلْ لهؤلاء المشركين: أخضروا شهداءكم على أن الله حَرَّمَ ما حَرَّمْتُمْ.

و«هَلْمْ» كلمة دعوة إلى شيء، ويستوي فيه الواحد والجماعة والذكر والأنثى عند أهل الحجاز، إلا في لغة نجد، فإنهم يقولون: هَلْمَا، هَلْمُوا، هَلْمِي، يأتون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال^(٣). وعلى لغة أهل الحجاز جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِيْنَانًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، يقول: هَلْمٌ، أي: أخضُرْ أو أَدْنُ. وَهَلْمٌ الطَعَامُ، أي: هاتِ الطَعَامَ.

والمعنى هاهنا: هاتوا شهداءكم، وفتحت الميم لالتقاء الساكنين، كما تقول: رُدُّ يا هذا، ولا يجوز ضمُّها ولا كسرُها^(٤).

(١) في (د): وتعللهم.

(٢) المحرر الوجيز ٣٥٩/٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥١٥/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٠٥/٢.

والأصل عند الخليل «ها»؛ ضُمَّت إليها «لَمْ» ثم حُذفت الألف لكثرة الاستعمال. وقال غيره: الأصل «هل»؛ زيدت عليها «لَمْ». وقيل: هي على لفظها تدلُّ على معنى هات^(١).

وفي كتاب «العَيْن» للخليل^(٢): أضلُّها: هل أُرْم، أي: هل أقصِدُك، ثم كَثُر استعمالُهم إيَّاهَا حتى صار المقصودُ يقولها^(٣)، كما أن «تعال» أصلُها أن يقولها المُتعالِي للمتسافل، فَكَثُر استعمالُهم إيَّاهَا حتى صار المُتسافل يقول للمتعالِي: تعال. قوله تعالى: ﴿إِن شَهِدُوا﴾ أي: شَهِدَ بعضهم لبعض ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ أي: فلا تُصَدِّقُ أداءَ الشهادةِ إلا مِن كتاب، أو على لسان نبي، وليس معهم شيءٌ من ذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَكَاَلَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ إِلَّا تُنْزِلُوهَا فِي سِتْرٍ مِّنَ اللَّيْلِ لِيَنْظُرَ إِلَيْكُمْ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ﴾ وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَسْمَعُوا وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ سِرَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يَجِدُوا بِهِ مَبْدُوءًا وَلَا يُخَبِّرُونَ الْمَلَائِكَةَ بِالَّذِي هُمْ يُوعَاظُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَأُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْثِ وَالْوَيْثِ وَالْجَمَلِ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ الَّذِي تَتَّبِعُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ الَّذِي فَتَرَ لَكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَكَاَلَوْا أَتْلُ﴾ أي: تقدِّموا أقرأ^(٤) حقًا يقينًا كما أوحى

(١) معاني القرآن للنحاس ٥١٤/٢ - ٥١٥.

(٢) لم تقف عليه في العين. ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٠٥/٢ - ١٠٦.

(٣) في (د): بقولها، وفي (م): بقولها: احضر، وسقطت العبارة من (ظ)، والمثبت من (خ) و(ز)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس.

(٤) في النسخ: واقرؤوا، والمثبت يناسب لفظ الآية وما ذكره الطبري في تفسيره ٦٥٦/٩.

إِلَىٰ رَبِّي، لَا ظَنًّا وَلَا كَذِبًا كَمَا زَعَمْتُمْ. ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿أَلَا تَشْكُرُونَ بِهِ شَيْئًا﴾. يقال للرجل: تعال، أي: تقدّم، وللمرأة: تعالني، وللأثنين والاثنتين: تعاليا، ولجماعة الرجال: تعالوا، ولجماعة النساء: تعالين؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَبَسَ بِكُم مِّنَ الشَّجَرِ﴾ [الأحزاب: ٢٨]. وجعلوا التقدّم ضرباً من التعالي والارتفاع؛ لأنّ المأمور بالتقدّم في أصل وضع هذا الفعل كأنه كان قاعداً، فقيل له: تعال، أي: ارفع شخصك بالقيام وتقدّم؛ واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماشي؛ قاله ابن السّجري^(١).

الثانية: قوله تعالى^(٢): ﴿مَا حَرَّمَ﴾ الوجه في «ما» أن تكون خبرية في موضع نصب بـ «أتل»، والمعنى: تعالوا أتل الذي حرّمه ربكم عليكم؛ فإنّ علقت «عليكم» بـ «حرّم» فهو الوجه؛ لأنه الأقرب، وهو اختيار البصريين. وإنّ علقت بـ «أتل» فجيّد؛ لأنه الأسبق، وهو اختيار الكوفيين، فالتقدير في هذا القول: أتل عليكم الذي حرّم ربكم^(٣). ﴿أَلَا تَشْكُرُونَ﴾ في موضع نصب بتقدير فعل من لفظ الأول، أي: أتل عليكم ألا تشركوا؛ أي: أتل عليكم تحريم الإشراك، ويحتمل أن يكون منصوباً بما في «عليكم» من الإغراء، وتكون «عليكم» منقطعة مما قبلها؛ أي: عليكم ترك الإشراك، وعليكم إحساناً بالوالدين، وألا تقتلوا أولادكم، وألا تقرّبوا الفواحش. كما تقول: عليك شأنك؛ أي: الزم شأنك. وكما قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قال جميعه ابن السّجري^(٤).

وقال النحاس^(٥): يجوز أن تكون «أن» في موضع نصب بدلاً من «ما»، أي: أتل عليكم تحريم الإشراك. واختار الفراء^(٦) أن تكون «لا» للنهاية؛ لأنّ بعده:

(١) في الأمالي ٧١/١. وسلف نحوه عن غيره قريباً؛ عند كلامه على لفظة «علم».

(٢) قوله: قوله تعالى، من (م).

(٣) الأمالي لابن السّجري ٧٢/١.

(٤) في الأمالي ٧٣/١ - ٧٤ بنحوه.

(٥) في إعراب القرآن ١٠٦/٢.

(٦) في معاني القرآن ٣٦٤/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٦/٢، وعنه نقل المصنف، وما بين حاصرتين منه.

ولا [تقتلوا].

الثالثة: هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بأن يدعوا جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله^(١)، وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس، ويبيتوا لهم ما حرم الله عليهم مما حل. قال الله تعالى: ﴿لَيبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾^(٢) [آل عمران: ١٨٧].

وذكر ابن المبارك: أخبرنا عيسى بن عمر، عن عمرو بن مرة أنه حدثهم قال: قال ربيع بن خثيم لجليس له: أيسرك أن تؤتى^(٣) بصحيفة من النبي ﷺ لم يفك خاتمها؟ قال: نعم. قال: فاقرا: ﴿قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾. فقرأ إلى آخر الثلاث الآيات^(٤).

وقال كعب الأحبار: هذه الآية مفتتح التوراة: بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أنتم ما حرم ربكم عليكم. الآية^(٥).

وقال ابن عباس: هذه الآيات المحكمات التي ذكرها الله في سورة آل عمران^(٦) أجمعت عليها شرائع الخلق، ولم تنسخ قط في ملة. وقد قيل: إنها العشر كلمات المنزلة على موسى^(٧).

(١) النكت والعيون ١٨٥/٢ .

(٢) هي قرارة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم في رواية شعبة، كما سلف في موضعه، وهم المصنف فيها ثمة. السبعة ص ٢٢١، والتميز ص ٩٣ .

(٣) في (د) و(ز) و(ظ): ثاني.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١) - بزوائد نعيم بن حماد - وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات ١٨٦/٦ - ١٨٧ من طريق آخر عن الربيع بنحوه.

(٥) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٩٨)، والطبراني في الأوائل (٤٤)، وسلف ٣٨٢/٦ عن كعب أيضاً أن الأنعام فاتحة التوراة...

(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمِكَ...﴾. [آل عمران: ٧].

(٧) المحرر الوجيز ٣٦١/٢، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٩٣/٥، وابن أبي حاتم (٨٠٥٧) مختصراً، وأورده الطبرسي في مجمع البيان ٢٣٥/٩ بنحوه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ الإحسانُ إلى الوالدين برُّهما، وحِفْظُهما، وصيانتُهما، وامْتثالُ أمرِهما، وإزالة الرِّقِّ عنهما، وتركُ السَّلْطَنَةِ عليهما^(١).

و«إحساناً» نصب على المصدر، وناصبه فعلٌ مضمَرٌ من لفظه؛ تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً^(٢).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ﴾ الإملاق: الفقر، أي: لا تَبْدُوا - من المؤودة - بناتِكُمْ خشيةَ العيلة، فإني رازقُكم وإياهم^(٣). وقد كان منهم من يفعلُ ذلك بالإناث والذكور خشيةَ الفقر، كما هو ظاهرُ الآية^(٤).

أملق، أي: افتقر. وأملقه، أي: أفقره؛ فهو لازمٌ ومتمعد^(٥).

وحكى النقَّاش عن مُؤرَّج^(٦) أنه قال: الإملاقُ: الجوعُ بلغة لَحْم. وذكر منذر بن سعيد^(٧) أنَّ الإملاقَ: الإنفاقُ؛ يقال: أملقَ ماله بمعنى أنفقَه. وذكر أنَّ علياً عليه السلام قال لامرأته: أملقي من مالك ما شئت^(٨). ورجلٌ مَلِقٌ: يُعْطِي بلسانه ما ليس في قلبه^(٩). فالملقُ لفظٌ مشتركٌ يأتي بيانه في موضعه^(١٠).

(١) النكت والعيون ٢/ ١٨٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٣٦١.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ١٤١.

(٤) المفهم ٤/ ١٦٧.

(٥) تهذيب اللغة ٩/ ١٨٢.

(٦) هو ابن عمرو أبو فيد السدوسي. السير ٩/ ٣٠٩.

(٧) هو القاضي البلوطي الأندلسي. السير ١٦/ ١٧٣.

(٨) المحرر الوجيز ٢/ ٣٦٢، وأثر علي أوردته الأزهري في تهذيب اللغة ٩/ ١٨٢، والزمخشري في الفائق

٣/ ٣٨٦، وابن الأثير في النهاية وابن منظور في اللسان (ملق) عن ابن عباس أنَّ امرأة سألته: أنفق من

مالي ما شئت؟ قال: نعم، أملقي....

(٩) الصحاح (ملق).

(١٠) عند تفسير الآية (٣١) من الإمراء.

السادسة: وقد يستدلُّ بهذا من يمنع العزْل؛ لأنَّ الوأد رفعٌ^(١) الموجود والنَّسل، والعزْل منع أصل النَّسل، فتشابها، إلا أنَّ قتل النفس أعظمُ وِزراً وأقبحُ فعلاً؛ ولذلك قال بعض علمائنا: إنه يُفهم من قوله عليه الصلاة والسَّلام في العزل: «ذلك الوأد الخفي»^(٢) الكراهةُ لا التحريمُ. وقال به جماعةٌ من الصحابة وغيرهم. وقال بإباحته أيضاً جماعةٌ من الصحابة والتابعين والفقهاء؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا عليكم ألا تفعلوا، وإنما هو القَدْرُ»^(٣)، أي: ليس عليكم جناحٌ في ألا تفعلوا. وقد فهم منه الحسن ومحمد بنُ المُثَنَّى والنَّهْي والزَّجْر عن العزل.

والتأويلُ الأوَّل أَوْلَى؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «وإذا أراد الله خلقَ شيءٍ لم يمنعه شيءٌ»^(٤).

قال مالك والشافعي: لا يجوز العزل عن الحرّة إلا بإذنها. وكأنهم رأوا الإنزال من تمام لذّتها، ومن حقّها في الولد، ولم يروا ذلك في الموطوءة بملك اليمين؛ إذ له أن يعزل عنها بغير إذنها، إذ لا حقَّ لها في شيءٍ مما ذُكر^(٥).

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ نظيره: ﴿وَذَرُوا ظِلَافَ الْأَيْمَنِ وَالْبَاطِنَةَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]^(٦). فقوله: «مَا ظَهَرَ»: نهْيٌ عن جميع أنواعِ الفواحشِ، وهي المعاصي. «وَمَا بَطَّنَ»: ما عقد عليه القلب من المخالفة. و«ظَهَرَ»: و«بَطَّنَ»: حالتان تستوفيان^(٧) أقساماً ما جعلت له من الأشياء.

(١) في (خ) و(م): يرفع، والكلام في المفهم ١٦٧/٤.

(٢) قطعة من حديث جُدّامة بنت وهب؛ أخرجه أحمد (٢٧٤٤٧)، ومسلم (١٤٤٢): (١٤١).

(٣) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري؛ أخرجه أحمد (١١٦٤٥) ومسلم (١٤٣٨): (١٢٨)، وأخرجه أيضاً البخاري (٢٢٢٩) بنحوه.

(٤) هي رواية أخرى لحديث أبي سعيد الخدري السالف؛ أخرجه مسلم (١٤٣٨): (١٣٣).

(٥) المفهم ١٦٦/٤ - ١٦٧.

(٦) الكشف ٦١/٢.

(٧) في النسخ الخطية: يستوفيان، والمثبت من (م)، وهو الموافق للمحرر الوجيز ٣٦٢/٢، والكلام منه.

و«ما ظهر» نصبٌ على البدل من «الفواحش». «وما بطن» عطفٌ عليه^(١).

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الألف واللام في «النفس» لتعريف الجنس، كقولهم: أهلك الناس حُبَّ الدرهم والدينار. ومثله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾؟ وكذلك قوله: ﴿وَالْمَصْرِي، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ لأنه قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وهذه الآية نهيٌ عن قتل النفس المحرمة - مؤمنة كانت أو معاهدة - إلا بالحق الذي يوجب قتلها. قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابهم على الله»^(٢).

وهذا الحق أمورٌ: منها منع الزكاة، وترك الصلاة. وقد قاتل الصديق ما يعي الزكاة^(٣). وفي التنزيل: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وهذا بين.

وقال ﷺ: «لا يحلُّ دمٌ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث؛ الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا بُويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخرَ منهما». أخرجه مسلم^(٥).

وروى أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعملُ

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٠٦/٢.

(٢) سلف ٢٠٤/١.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٨٤٠)، والبخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه أحمد (٣٦٢١)، والبخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود ؓ، وسلف مختصراً ٢٧٩/٢.

(٥) برقم (١٨٥٣)، وسلف ٤٠٧/١.

عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به^(١). وسيأتي بيان هذا في «الأعراف»^(٢).
وفي التنزيل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ الآية [المائدة: ٣٣]. وقال: ﴿وَلَنْ طَافِقَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا﴾ الآية [الحجرات: ٩]. وكذلك من شق عصا المسلمين، وخالف إمام جماعتهم، وفرق كلمتهم، وسعى في الأرض فساداً؛ بانتهاب الأهل والمال، والبغي على السلطان، والامتناع من حكمه؛ يُقْتَلُ. فهذا معنى قوله: «إِلَّا بِالْحَقِّ». وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، لا يُقْتَلُ مسلمٌ بكافر، ولا دُوَّ عهدٍ في عهده، ولا يتوارث أهل ملتين»^(٣).

وروى أبو داود والنسائي عن أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٤). وفي رواية أخرى لأبي داود قال: «مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذُّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»^(٥). في البخاري في هذا الحديث: «وَأَنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». خرجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص^(٦).

التاسعة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى هذه المحرمات. والكاف والميم

(١) سنن أبي داود (٤٤٦٢)، وأخرجه أيضاً الترمذي (١٤٥٦)، والنسائي في الكبرى (٧٣٠٠)، وابن ماجه (٢٥٦١). وهو عند أحمد (٢٧٣٢).

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَأَمَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّجْصَةَ...﴾ [الآية: ٨٠].

(٣) سلف تخريجه ٦٨/٣ دون قوله: «لا يتوارث أهل ملتين»، فقد أخرجه أحمد (٦٦٦٤)، وأبو داود (٢٩١١)، والنسائي في الكبرى (٦٣٤٨)، وابن ماجه (٢٧٣١) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه الترمذي (٢١٠٨) من حديث جابر.

(٤) سنن أبي داود (٢٧٦٠)، والمجتبى ٢٤/٨ - ٢٥، وهو عند أحمد (٢٠٣٧٧)، وقوله: كنهه؛ كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته وقدره، وقيل: غايته. يعني: من قتله في غير وقته أو غايته أمره الذي يجوز فيه قتله. النهاية (كنه).

(٥) لم نقف عليه في سنن أبي داود، وأخرجه أحمد (١٨٠٧٢)، والنسائي في المجتبى ٢٥/٨، والكبرى (٦٩٢٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٦) صحيح البخاري (٦٩١٤)، وهو عند أحمد (١٧٤٥).

للخطاب، ولا حظَّ لهما من الإعراب. ﴿وَصَنَّكُمْ يَوْمَ﴾ الوصية: الأمر المؤكَّد المقذور^(١). والكاف والميم محله النصب؛ لأنه ضميرٌ موضوع للمخاطبة. وفي «وَصَّى» ضميرٌ فاعل يعودُ على الله.

وروى مطر الوراق عن نافع، عن ابن عمر، أن عثمان بن عفان ؓ أشرف على أصحابه فقال: عَلَام تَقْتُلُونِي؟! فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ»^(٢) إلا بإحدى ثلاث؛ رجلٌ زنى بعدَ إحصانه^(٣)؛ فعلية الرجم، أو قتل عمداً؛ فعلية القود، أو ارتد بعد إسلامه؛ فعلية القتل، فوالله ما زينتُ في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلْتُ أحداً فأقيدَ نفسي به، ولا ارتددتُ منذ أسلمتُ، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ذلكم الذي ذكرتُ لكم وصاكم به لعلكم تعقلون^(٤).

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: بما فيه صلاحه وتشميره^(٥)، وذلك بحفظ أصوله وتشمير فروعه^(٦). وهذا أحسنُ الأقوال في هذا، فإنه جامعٌ. قال مجاهد: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: التجارة فيه^(٧)، ولا تشتري منه ولا تستقرض.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني قوته، وقد تكونُ في البدن،

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٦٢.

(٢) في (خ): دم رجل مسلم، وفي (ز) و(ظ): دم امرئ رجل مسلم.

(٣) في (م): حصانة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٥٢)، وفي فضائل الصحابة (٧٥٢)، والفضيلة في المختارة (٣٦٨) من طريق مطر الوراق به دون قوله: ذلكم الذي ذكرت لكم... وأخرجه النسائي ١٠٣/٧ دون قصة عثمان. وأخرجه أيضاً أحمد (٤٣٧)، وأبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي ٩١/٧ - ٩٢، وابن ماجه (٢٥٣٣) بنحوه من طريق آخر عن عثمان، ودون قوله: ذلكم الذي ذكرت لكم... وسلف المعروف منه في المسألة الثامنة من حديث ابن مسعود ؓ.

(٥) في (ظ): تميمته.

(٦) تفسير البغوي ٢/١٤١، والنكت والعيون ٢/١٨٧.

(٧) في (م): بالتجارة فيه، وأخرجه الطبري ٩/٦٦٢.

وقد تكونُ في المعرفة بالتجربة، ولا بُدَّ من حصول الوجهين، فإنَّ الأشدَّ وقعت هنا مطلقاً. وقد جاء بيانُ حالِ اليتيمِ في سورة النساءِ [الآية: ٦] مقيدةً، فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، فجمع بين قوَّة البدن، وهو بلوغُ النكاح، وبين قوَّة المعرفة، وهو إيناسُ الرشد^(١). فلو مُكِّن اليتيمُ من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوَّة؛ لأذهب في شهواته، وبقي ضلوكاً لا مال له.

وخصَّ اليتيم بهذا الشرط؛ لغفلة الناس عنه، وافتقاد الآباء لأبنائهم، فكان الاهتبال^(٢) بفقيد الأبِ أولى. وليس بلوغُ الأشدَّ مما يُبيحُ قُرْب ماله بغير الأحسن^(٣)؛ لأنَّ الحرمة في حقِّ البالغ ثابتة. وخصَّ اليتيم بالذكر؛ لأنَّ خصمه الله. والمعنى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسنُ على الأبد حتى يبلغ أشده^(٤). وفي الكلام حذف؛ فإذا بلغ أشده، وأونس منه الرشد؛ فادفعوا إليه ماله^(٥).

واختلف العلماء في أشدَّ اليتيم؛ فقال ابن زيد: بلوغه. وقال أهل المدينة: بلوغه وإيناسُ رُشدِه. وعند أبي حنيفة: خمس وعشرون سنة^(٦). قال ابن العربي^(٧): وعجباً من أبي حنيفة، فإنه يرى أنَّ المقدَّرات لا تثبت قياساً ولا نظراً، وإنما تثبت نقلاً، وهو يُثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضَّرْب، فكسر عنده المُدَلِّس، ولو سكن المعدن^(٨) كما قبض الله لمالك؛ لما صدر عنه إلا إبريزُ الدِّين.

وقد قيل: إنَّ انتهاء الكهولة فيها مُجْتَمَع الأشدَّ؛ كما قال سُحيم بنُ وثيل:

(١) في النسخ: وبين قوَّة المعرفة بإيناس الرشد، والمثبت من (م).

(٢) أي: الاغتنام. ينظر اللسان (هيل).

(٣) مجمع البيان ٢٣٤/٩.

(٤) تفسير البغوي ١٤١/٢.

(٥) تفسير الطبري ٦٦٥/٩.

(٦) أحكام القرآن للكيا ١٢٨/٣، وزاد المسير ١٥٠/٣، والمحور الوجيز ٣٦٣/٢.

(٧) في أحكام القرآن له ٧٦١/٢.

(٨) يريد بقوله: دار الضرب: دار الخلافة بغداد، إذ فيها تضرب النقود، ويريد بالمعدن المدينة المنورة.

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٍ أَشَدِّي وَنَجَّدَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ^(١)

يروى «نَجَّدَنِي» بالبدال والذال. والأشُدُّ واحدٌ لا جمع له؛ بمنزلة الآتِك؛ وهو الرِّصَاص^(٢). وقيل: واحده: شَدٌّ؛ كفَلَسَ وأفلَسَ. وأصله من: شَدَّ النهار، أي: ارتفع؛ يقال: أتيته شَدَّ النهارِ ومدَّ النهارِ^(٣). وكان محمد بنُ محمد الضَّبِّي ينشد^(٤) بيتَ عترة:

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِيمِ^(٥)
وقال آخر:

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَلَعِينَةً طَوِيلَةً أَنْقَاءِ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ^(٦)
وكان سيويه يقول: واحده شِدَّة. قال الجوهري^(٧): وهو حَسَنٌ في المعنى؛ لأنه يقال: بلغ الغلامُ شِدَّتَه، ولكن لا تُجمعُ فِعْلَةً على أفْعَل، وأما أنعم؛ فإنما هو جمعُ نَعْم؛ من قولهم: يوم بُؤْس ويوم نَعْم. وأما قولٌ من قال: واحده شَدٌّ؛ مثل: كَلْبٌ وأكَلَبٌ، وشِدٌّ؛ مثل: ذَنْبٌ وأذُوبٌ؛ فإنما هو قياسٌ. كما يقولون في واحد الأبابيل: إِبْوَلٌ، قياساً على عَجْوَلٌ، وليس هو شيئاً سُمِعَ من العرب. قال أبو زيد: أصابتنِي

(١) الأصمعيات ص ١٩، والحامسة البصرية ١٠٢/١، والكمال ٦٣٤/٢، والمخزاة ١٦٢/١، ووقع في الحماسة: معاودة، بدل: مداورة، وقوله: نَجَّدَنِي: حَكَّنِي وعَرَّفَنِي الأشياء، وقوله: مداورة: معالجة، الشؤون: الأمور. شرح الأصمعيات.

(٢) تفسير الطبري ٦٦٤/٩، والصحاح (شدد)، والأضداد للأنباري ص ٢٢٣.

(٣) تفسير الطبري ٦٦٣/٩، والأضداد للأنباري ص ٢٢٣.

(٤) كما في تفسير الطبري ٦٦٣/٩.

(٥) ديوان عنترة ص ٢٧، وفيه: مَدٌّ، بدل: شَدٌّ، والبنان، بدل: اللبان. وقوله: اللَّبَانُ: الصدر، أو وسطه، أو ما بين الثديين، وقوله: العِظْلِيمُ؛ كزُبْرُج: عُصَارَةٌ شجر، أو نبت يصبغ به. القاموس (عظلم، لبن).

(٦) تفسير الطبري ٦٦٣/٩، والأضداد لابن الأنباري ص ٢٢٣، واللسان (سحق)، وقوله: سحق؛ يريد المرأة الطويلة. اللسان (سحق).

(٧) في الصحاح (شدد)، وكلام سيويه منه.

شُدِّي، على فُغلى، أي: شِدَّةً، وأشدَّ الرجل: إذا كانت معه دابَّةً شديدةً.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، أي: بالاعتدال

في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء. والقِسْط: العدل.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والوزن^(١). وهذا

يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرُّز. وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيِّلين، ولا يدخل تحت قدرة البشر؛ فمعمفوا عنه^(٢).

وقيل: الكيلُ بمعنى المكيال؛ يقال: هذا كذا وكذا كيلاً، ولهذا عطف عليه

بالميزان.

وقال بعض العلماء: لما علم الله سبحانه من عباده أن كثيراً منهم تضيق نفسه عن

أن تطيب للغير بما لا يجب عليها له؛ أمر المعطي بإيفاء ربِّ الحقِّ حقَّه الذي هو له،

ولم يكلفه الزيادة؛ لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر صاحب الحقِّ بأخذ

حقَّه، ولم يكلفه الرضا بأقلِّ منه؛ لما في النقصان من ضيق نفسه^(٣).

وفي موطأ مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال: ما

ظهر الغلُول في قوم قطُّ إلا ألقى^(٤) في قلوبهم الرعبُ، ولا فشا الزنى في قوم إلا كثر

فيهم الموتُ، ولا نَعَص قومُ المكيال والميزان إلا قُطع عنهم الرزقُ، ولا حَكَم قومٌ

بغير الحقِّ إلا فشا فيهم الدَّم، ولا ختر قومٌ بالعهد إلا سلَّط الله عليهم العدوَّ^(٥).

وقال ابن عباس أيضاً: إنكم - معشر الأعاجم - قد وُلِيتم أمرين؛ بهما هلك من

(١) تفسير أبي الليث ٥٢٤/١.

(٢) تفسير الرازي ٢٣٥/١٣، والنكت والميون ١٨٨/٢، والمحرم الوجيز ٣٦٣/٢.

(٣) الوسيط ٣٣٨/٢، وتفسير البغوي ١٤٢/٢.

(٤) في (د) و(ز) و(م): ألقى الله، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق للموطأ.

(٥) الموطأ ٤٦٠/٢، وقوله: ختر، أي: غدر وخذع، والختر أقبح الغدر. ينظر القاموس (ختر).

كان قبلكم: الكيل والميزان^(١).

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ يتضمن الأحكام والشهادات^(٢).
 ﴿وَلَوْ كَانَ نَا قُرْبَى﴾، أي: ولو كان الحق على مثل قراباتيكم؛ كما تقدم في «النساء»^(٣).
 ﴿رَبِّمَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا﴾ عام في جميع ما عهد الله إلى عباده. ويحتمل أن يراد به جميع [ذلك مع جميع] ما انعقد بين إنسانين. وأضيف ذلك العهد إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به^(٤). ﴿لَمَلَكُمْ تَذَكُّرَاتٍ﴾: تتعظون.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر، حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف.

«وأن» في موضع نصب، أي: وأتل أن هذا صراطي. عن الفراء والكسائي.
 قال الفراء: ويجوز أن يكون خفضاً، أي: وصاكم^(٥) به وبأن هذا صراطي^(٦).
 وتقديرها عند الخليل وسيبويه: ولأن هذا صراطي؛ كما قال: ﴿وَأَنَّ السَّبِيلَ لِلَّهِ﴾^(٧) [الجن: ١٨].

وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: «وإن هذا»؛ بكسر الهمزة على الاستئناف^(٨)؛

(١) قوله: الكيل والميزان، من (م)، وأخرجه هناد في الزهد (٦٨١).

(٢) المحرر الوجيز ٣٦٣/٢.

(٣) ١٧٢/٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣٦٣/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ: أوصيكم، والمثبت من (م).

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٦٤/١، وإعراب القرآن ١٠٧/٢، ومعاني القرآن كلاهما للنحاس ٥١٨/٢.

(٧) الكتاب ١٢٦/٣ - ١٢٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٧/٢، وعنه نقل المصنف.

(٨) السبعة ص ٢٧٣، والتيسير ص ١٠٨، وقراءة الأعمش ذكرها النحاس في إعراب القرآن ١٠٧/٢،

والكلام منه.

أي: الذي ذكر في هذه الآيات صراطى مستقيماً.

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: «وَأَنْ هَذَا» بالتخفيف^(١). والمخففة مثل المشددة، إلا أن فيه ضمير القصة والشأن، أي: وأنه هذا، فهي في موضع رفع. ويجوز النصب. ويجوز أن تكون زائدة للتوكيد؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾^(٢) [يوسف: ٩٦].

والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نصب على الحال، ومعناه: مستويًا قويماً لا اعوجاج فيه. فأمر باتباع طريقه الذي طرّقه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق؛ فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَلْسُبَلَ فَنفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، أي: تميل.

روى الدارمي أبو محمد في مسنده بإسناد صحيح: أخبرنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: «هذا سبيلُ الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله^(٣)، ثم قال: «هذه سُبُلٌ، على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليها»، ثم قرأ هذه الآية^(٤).

وأخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ، فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيلُ الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

(١) يعقوب من العشرة، وقرأ بها أيضاً ابن عامر. السبعة ص ٢٧٣، والتيسير ص ١٠٨، والنشر ٢/٢٦٦. وقرأه ابن أبي إسحاق ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٢/١٠٧، والطبري في تفسيره ٩/٦٧٣.

(٢) إعراب القرآن ٢/١٠٧. ومعاني القرآن؛ كلاهما للنحاس ٢/٥١٨.

(٣) في (د) و(ز) و(م): وخطوطاً عن يساره، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لسنن الدارمي.

(٤) سنن الدارمي ١/٧٨. وأخرجه أيضاً أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٩).

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥١﴾.

وهذه السُّبُلُ تَعُمُّ اليهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ والمجوسيةَ، وسائرَ أهلِ المللِ وأهلِ البدعِ والضَّلالاتِ من أهلِ الأهواءِ والشذوذِ في الفروعِ، وغير ذلك من أهلِ التعمُّقِ في الجدَلِ والخوضِ في الكلامِ. هذه كُلُّها عُرْضَةٌ لِلزَّلَلِ، ومِظَنَّةٌ لسوءِ المعتقدِ. قاله ابنُ عطيَّة^(٢).

قلت: وهو الصحيح؛ ذكر الطبري في كتاب آدابِ النفوس: حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى الصَّنْعَانِي قال: حدَّثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن أَبَانَ، أَنَّ رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراطُ المستقيم؟ قال: تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ في أدنائه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جَوَادُّ، وعن يساره جَوَادُّ، وَثَمَّ رجالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ؛ فَمَنْ أَخَذَ في تلكِ الجَوَادِّ؛ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط؛ انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا﴾ الآية^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: تعلَّموا العلمَ قبلَ أن يُقبضَ، وقبضه أن يذهبَ أهله، ألا وإياكم والتَّطَعُّعَ والتعمُّقَ والبدعَ، وعليكم بالعتيق. أخرجه الدَّارِمِيُّ^(٤).

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: البدع^(٥).

قال ابن شهاب: وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ الآية. [الأنعام: ١٥٩]. فَالْهَرَبُ الهَرَبُ، وَالتَّجَاةُ النجاةُ! وَالتَّمَسُّكُ بالطريقِ المستقيمِ والسَّنَنِ القويمِ، الَّذِي سلكه السَّلَفُ الصَّالِحُ، وفيه المَشَجَرُ الرَّابِعُ.

روى الأئمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمرتكم به فخذوه، وما

(١) سنن ابن ماجه (١١)، وهو عند أحمد (١٥٢٧٧).

(٢) في المحرر الوجيز ٢/ ٣٦٤.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٦٧١.

(٤) في سننه ١/ ٦٦، وقوله: العتيق، أي: القديم الأول. النهاية (عتق).

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٦٧٠.

نهيتكم عنه فانتهوا»^(١).

وروى ابن ماجه وغيره عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ذرقت منها العيون؛ ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ فقال: «قد تركتم على البيضاء؛ ليلها كنهارها؛ لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». من يعيش منكم فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأموار المُخَدَّنَات؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمال الأنيب، حيشما قيد انقاد» أخرجه الترمذي بمعناه وصححه^(٢).

وروى أبو داود قال: حدثننا ابن كثير قال: أخبرنا سفيان قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب إليه^(٣): أما بعد، أوصيك^(٤) بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ﷺ، وتترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤونته، فعليك بلزوم الجماعة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السنة إنما سنّها مَنْ قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق؛ فافرض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم على^(٥) علم وقفا، وببصر نافذ كفوا، ولهم^(٦) على كشف الأمور كانوا أقوى، ويفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١) من حديث أبي هريرة، وسلف بنحوه ٤٣٤/٦.

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢) (٤٣)، وسنن الترمذي (٢٦٧٦). وهو عند أحمد (١٧١٤٢)، وأبي داود (٧٦٠٧). وقوله: يضاء: صفة الملة، وقوله: كالجمال الأنيب، أي: الجمال المجروح الأنف، فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، وقيل: الأنيب: الدلول. ينظر حاشية السندي على المسند والنهاية (أنف).

(٣) قوله: إليه، من (م).

(٤) في (د) و(ز) و(م): فإني أوصيك.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): عن.

(٦) في (د) و(ز) و(م): وإنهم، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لسنن أبي داود.

الهُدَى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، ما^(١) أحدثه إلا من أتبع غير سبيلهم، ورَغِبَ بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، قد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا ما يشفي؛ فما دونهم من مَقْصَرٍ، وما فوقهم من مَحْصَرٍ^(٢)، وقد قَصُرَ قومٌ دونهم فجَفَوا، وطَمَحَ عنهم أقوامٌ فَعَلَّوا، وإنهم بينَ ذلك^(٣) لَعَلَى هُدَى مستقيم. وذكر الحديث^(٤).

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي: عليكم بالافتداء بالآثر والسُنَّةِ، فإنني أخاف أنه سيأتي^(٥) عن قليل زمانٌ إذا ذُكِرَ إنسانٌ النبي ﷺ والافتداء به في جميع أحواله؛ دَمَّوه ونَفَرُوا عنه، وتبرؤوا منه، وأذَلُّوه وأهانوه.

قال سهل: إنما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة؛ لأنهم ظاهروهم وقاولوهم؛ فظهرت أقاويلهم، وفَسَّت في العامة، فَسِمَعَه من لم يكن يسمعه، فلو تركوهم ولم يكلموهم لمات كلُّ واحدٍ منهم^(٦) على ما في صدره، ولم يظهر منه شيءٌ، وحَمَلَه معه إلى قبره.

وقال سهل: لا يُحَدِّثُ أحدكم بدعةً حتى يُحَدِّثَ له إبليسُ عبادةً، فيتعبد بها، ثم يُحَدِّثُ له بدعةً، فإذا نطق بالبدعة، ودعا الناس إليها، نزع منه تلك الخَدمة^(٧).

قال سهل: لا أعلم حديثاً جاء في المبتدعة أشدَّ من هذا الحديث: «حجب الله

(١) في (م): فما.

(٢) في (خ) و(ز) و(ظ) و(م): مجسر، والمثبت من (د)، وهو الموافق للمصادر.

(٣) في النسخ: مع ذلك، والمثبت من سنن أبي داود.

(٤) سنن أبي داود (٤٦١٢)، وأخرجه أيضاً أحمد في الزهد ص ٣٦٠ بنحوه، وابن وضاح في البدع ص ٣٠-٣١. وقوله: الاقتصاد، أي: الاعتدال الذي لا ميل فيه إلى أحد طرفي التفريط والإفراط، وقوله: مَحْصَرٌ؛ يقال: حَصَرْتُ العمامة عن رأسي؛ أي: كشفتها. ينظر النهاية (حصر، قصد).

(٥) في (د): أن يأتي.

(٦) لفظه: منهم، من (خ) و(م).

(٧) كذا في (خ) و(م)، ولم تبيينها، وفي (د) و(ظ): الخدمة، وفي (ز): الخدمة.

الجنة عن صاحب [كل] بدعة^(١). قال: فاليهودي والنصراني أزجى منهم.

قال سهل: من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان، ولا يخلون بالنسوان، ولا يخاصم أهل الأهواء. وقال أيضاً: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم.

وفي مسند الدارمي^(٢): أن أبا موسى الأشعري جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد أنفاً شيئاً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً! قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً جلقاً جلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة؛ في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى^(٣)، فيقول لهم كبروا مئة؛ فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة؛ فيهللون مئة. ويقول: سبحوا مئة؛ فيسبحون مئة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً؛ انتظار رأيك وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقات؛ فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم^(٤) تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح^(٥). قال: فعدوا سيئاتكم وأنا ضامن^(٦) ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! [هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرن، وهذه ثيابه لم تُبل، وآيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده! إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة

(١) في (م): البدعة، وما بين حاصرتين من المصادر، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢١٤)، والبيهقي في الشعب (٩٤٥٧) عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: إن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة... قال المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٠٧: إسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع ١٨٩/١٠: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن هارون، وهو ثقة. اهـ. غير أن ابن الجوزي قال في العلل المتناهية (٢١٦): هذا حديث لا يصح.

(٢) (٢٠٤)، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) في النسخ: حصاة، والمثبت من (م).

(٤) قوله: أراكم، من (م)، وسنن الدارمي.

(٥) قوله: والتسبيح من (خ) و(م)، وسنن الدارمي.

(٦) بعدها في (د) و(ز) و(م): لكم، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لسنن الدارمي.

محمد]. أو مفتتحوا^(١) باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه!

وعن عمر بن عبد العزيز وسأله رجل عن شيء من أهل الأهواء والبدع؛ فقال: عليك بدين الأعراب، والغلام في الكتاب، والله عما سوى ذلك.

وقال الأوزاعي: قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كل شيء. قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ قالوا: هيهات! ذلك شيء قُرِنَ بالتوحيد. قال: لأبئن فيهم شيئاً لا يستغفرون الله منه. قال: فَبَتَّ فيهم الأهواء.

وقال مجاهد: ولا أدري أيُّ النعمتين عليَّ أعظم؛ أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء.

وقال الشعبي: إنما سُئِمُوا أصحابَ الأهواء؛ لأنهم يهْوُونَ في النار. كُله عن الدارمي^(٢).

وسئل سهل بن عبد الله عن الصلاة خلف المعتزلة والنكاح منهم وتزويجهم، فقال: لا، ولا كرامة! هم كفار، كيف يؤمن من يقول: القرآن مخلوق، ولا جنة مخلوقة ولا نار مخلوقة، ولا لله صراط ولا شفاعة، ولا أحد من المؤمنين يدخل النار، ولا يخرج من النار من مذنب أمة محمد ﷺ، ولا عذاب القبر ولا منكر ولا نكير، ولا رؤية لربنا في الآخرة ولا زيادة، وأنَّ علم الله مخلوق، ولا يرون السلطان ولا جمعة؛ ويكفرون من يؤمن بهذا.

وقال الفضيل بن عياض: من أحبَّ صاحبَ بدعة؛ أحبط الله عمله، وأخرج نورَ الإسلام من قلبه^(٣). وقد تقدّم هذا من كلامه وزيادة.

وقال سفيان الثوري: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ المعصية يتاب منها،

(١) في النسخ: أو مفتحي، والمثبت من سنن الدارمي.

(٢) ١٠٣/١، ١٢١.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٦٣)، وسلف ٤١٩/٨.

والبدعة لا يتاب منها^(١).

وقال ابن عباس: النظرُ إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة^(٢).

وقال أبو العالية: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا. قال عاصمُ الأخولُ: فحدّثت به الحسنَ، فقال: قد نصحك - واللّه - وصدّقتك^(٣). وقد مضى في «آل عمران» معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «تفرقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة، وإنّ هذه الأمة ستفرقُ على ثلاث وسبعين». الحديث^(٤).

وقد قال بعضُ العلماء العارفين: هذه الفرقة التي زادت في فرق أمة محمد ﷺ هم قوم يُبغضون العلماء ويُعادون الفقهاء^(٥)، ولم يكن ذلك قَطُّ في الأمم السالفة^(٦). وقد روى رافع بنُ خديج أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «يكونُ في أمّتي قومٌ يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون؛ كما كفرت اليهودُ والنصارى». قال: فقلتُ: جعلتُ فداك يا رسولَ الله! كيف ذلك؟ قال: «يُقرّون ببعض ويكفرون ببعض». قال: قلتُ: جعلتُ فداك يا رسولَ الله! وكيف يقولون؟ قال: «يجعلون إبليسَ عدلاً لله في خلقه وقوّته ورزقه، ويقولون: الخيرُ من الله والشرُّ من إبليس». قال: فيكفرون بالله، ثم يقرؤون على ذلك كتابَ الله، فيكفرون بالقرآن بعدَ الإيمانِ والمعرفة؟ قال: «فما تلقى أمّتي

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٩١٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٣٨).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١)، وابن الجوزي في تلبس إبليس ص ١١.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في تلبس إبليس ص ١١ بهذا اللفظ. وأخرجه أيضاً محمد بن نصر في السنة ٢٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بتعومه مطولاً.

(٤) سلف ٥/٢٤١ - ٢٤٢.

(٥) في (م): هو قوم يعادون العلماء ويبغضون الفقهاء.

(٦) في (ظ): ولم يكن لهم قط مثل في الأمم السالفة.

منهم من العداوة والبغضاء والجدال أولئك زنادقة هذه الأمة». وذكر الحديث^(١). ومضى في «النساء» وهذه السورة التَّهْيُي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، وأن من جالسهم حكمه حكمهم فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ الآية [الأنعام: ٦٨]. ثم بيّن في سورة النساء - وهي مدنية - عقوبة من فعل ذلك، وخالف ما أمره^(٢) الله به، فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآية [النساء: ١٤٠]. فألحق من جالسهم بهم.

وقد ذهب إلى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة، وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة؛ منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك؛ فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا: يُنهي عن مجالستهم، فإن انتهى؛ وإلا ألحق بهم، يعنون في الحكم.

وقد حمل عمر بن عبد العزيز الحدّ على مجالس شربة الخمر، وتلا: «إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ». قيل له^(٣): فإنه يقول: إني أجالسهم لأباينهم وأردّ عليهم. قال^(٤): يُنهي عن مجالستهم، فإن لم يتنه ألحق بهم^(٥).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاهُ رِيبَهُمْ قُرَيْشُونَ ﴿١٥١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتِبُوهُ وَاتَّقُوا لَعْنَتَكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ مفعولان ﴿تَمَامًا﴾ مفعول من أجله أو

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٥٧، وفي إسناده عطية بن أبي عطية، قال العقيلي: مجهول بالنقل، وفي حديثه اضطراب، ولا يتابع عليه، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٨٠: أتى بخبر موضوع طويل. وينظر لسان الميزان ٤/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) في (د) و(ز) و(م): ما أمر.

(٣) في النسخ الخطية: قيل لهم، والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: قالوا، والمثبت من (م).

(٥) سلف بنحوه مختصراً ٧/ ١٨٥.

مصدر^(١). ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ قرئ بالنصب والرفع؛ فمن رفع - وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق^(٢) - فعلى تقدير: تماماً على الذي هو أحسن. قال المهدوي: وفيه بعد من أجل حذف المبتدأ العائد على «الذي»^(٣). وحكى سيبويه^(٤) عن الخليل أنه سمع: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً^(٥). ومن نصب فعلى أنه فعل ماضٍ داخل في الصلة^(٦). هذا قول البصريين.

وأجاز الكسائي والفراء أن يكون اسماً نعتاً للذي. وأجازا: مررت بالذي أخيك؛ ينعتان «الذي» بالمعرفة وما قاربها. قال النحاس^(٧): وهذا محالٌ عند البصريين؛ لأنه نعتٌ للاسم قبل أن يتم، والمعنى عندهم: على المحسن.

قال مجاهد: تماماً على المحسن المؤمن^(٨). وقال الحسن في معنى قوله: «تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ»: كان فيهم محسنٌ وغيرُ محسنٍ؛ فأنزل الله الكتابَ تماماً على المحسنين. والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ: «تماماً على الذين»^(٩) أحسنوا.

وقيل: المعنى: أعطينا موسى التوراةَ زيادةً على ما كان يُحسِنُه موسى مما كان

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٢ .

(٢) المحتسب ٢٣٤/١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥١٩/٢ ، وتفسير الطبري ٦٧٧/٩ ، والمحرد الوجيز ٣٦٤/٢ .

(٣) وضعف هذا القول أيضاً ابن جني في المحتسب ٢٣٤/١ .

(٤) في الكتاب ١٠٨/٢ .

(٥) أي: بالذي هو قائل. المحتسب ٢٣٥/١ .

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢٧٨/١ ، والبيان لابن الأنباري ٣٥٠/١ .

(٧) في إعراب القرآن ١٠٨/٢ ، وكلام الكسائي والقراء منه، وينظر معاني القرآن للقراء ٣٦٥/١ .

(٨) أخرجه الطبري ٦٧٤/٩ .

(٩) في (د) و(ز) و(ظ): الذي، والمثبت من (خ) و(م)، وهو الموافق لمعاني القرآن للنحاس ٥١٩/٢ ،

والكلام وقول الحسن منه، وينظر تفسير البغوي ١٤٣/٢ ، والمحرد الوجيز ٣٦٤/٢ ، وقراءة ابن

مسعود وردت في معاني القرآن للقراء ٣٦٥/١ ، وتفسير الطبري ٦٧٤/٩ . والنكت والعيون ١٨٩/٢ .

علمه الله قبل نزول التوراة عليه^(١). قال محمد بن يزيد: فالمعنى: تماماً على الذي أحسن، أي: تماماً على الذي أحسنه الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه الصلاة والسلام من الرسالة وغيرها^(٢).

وقال عبد الله بن زيد: معناه: على إحسانِ الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام من الرسالة وغيرها^(٣).

وقال الربيع بن أنس: تماماً على إحسانِ موسى من طاعته لله عزَّ وجلَّ. وقاله القراء^(٤).

ثم قيل: «ثم» تدلُّ^(٥) على أنَّ الثاني بعد الأول، وقصة موسى ﷺ وإتيانه الكتاب قبل هذا؛ فقيل: «ثم» بمعنى الواو، أي: وآتينا موسى الكتاب؛ لأنهما حرفا عطف.

وقيل: تقديرُ الكلام: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ^(٦). وقيل: المعنى: قل تعالوا أتُّلُ ما حرم ربكم عليكم، ثم أتُّلُ ما آتينا موسى تماماً^(٧).

﴿وَتَفْصِيلاً﴾ عطف عليه. وكذا «وَهَدَى وَرَحْمَةً».

﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ إبتداء وخبر. «أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا﴾ نعت، أي: كثيرُ الخيرات. ويجوز في غير القرآن: «مباركاً» على الحال^(٨). «فَاتَّبِعُونَهُ﴾ أي: اعملوا بما فيه. «رَأْتُمُوهُ﴾،

(١) تفسير أبي الليث ١/٥٢٥، وتفسير البغوي ٢/١٤٣.

(٢) إعراب القرآن ٢/١٠٨ للنحاس. ومحمد بن يزيد: هو المبرّد.

(٣) قوله: من الرسالة وغيرها، من (م)، وأخرجه الطبري ٩/٦٧٧.

(٤) في معاني القرآن له ١/٣٦٥، وقول الربيع أخرجه الطبري ٩/٦٧٦.

(٥) في (د) و(ز) و(م): يدل. والكلام من معاني القرآن للنحاس ٢/٥٢٠.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٥٢ عن ابن الأنباري.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٠٦.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٨.

أي: اتقوا تحريفه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، أي: لتكونوا راجين للرحمة، فلا تُعذبون^(١).

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِكُمْ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصِدُّونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع نصب. قال الكوفيون: لثلاثا تقولوا. وقال البصريون: أنزلناه كراهية أن تقولوا^(٢). وقال الفراء والكسائي: المعنى: فاتقوا أن تقولوا يا أهل مكة^(٣). ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ﴾، أي: التوراة والإنجيل. ﴿عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، أي: على اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب. ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِكُمْ﴾، أي: عن تلاوة كتبهم وعن لغاتهم. ولم يقل: عن دراستهما؛ لأن كل طائفة جماعة. ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عطف على: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: قد زال العذرُ بمجيء محمد ﷺ. والبيئنة والبيان واحد؛ والمراد محمد ﷺ^(٤)، سماه سبحانه بيئنة. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، أي: لمن اتبعه. ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أي: فإن كذبتكم فلا أحد أظلم منكم^(٥). ﴿وَصَدَفَ﴾: أعرض، و﴿يَصِدُّونَ﴾: يُعرضون. وقد تقدم^(٦).

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٠٦/٢، وتفسير البغوي ١٤٣/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٠٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٢، وتفسير الطبري ٦/١٠.

(٣) قول الفراء في معاني القرآن له ٣٦٦/١، وقول الكسائي ذكره البغوي في تفسيره ١٤٣/٢، والطبرسي في مجمع البيان ٢٣٩/٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٢، وتفسير أبي الليث ٥٢٥/١، والوسيط ٣٤٠/٢.

(٥) تفسیر أبي الليث ٥٢٥/١.

(٦) ٣٨٣/٨ - ٣٨٤.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ مَا يَكُنَّ لِيَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَكُنَّ لَكُمْ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانًا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ لَنْظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه: أقمتم عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: عند الموت لقبض أرواحهم^(١). ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾؛ قال ابن عباس والضحاك: أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره^(٢)، وقد يذكر المضاف إليه، والمراد به المضاف؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَشَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ يعني أهل القرية، وقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، أي: حب العجل. كذلك هنا: يأتي أمر ربك، أي: عقوبة ربك وعذاب ربك.

ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله^(٣). وقد تقدم القول في مثله في «البقرة»^(٤) وغيرها. ﴿أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ مَا يَكُنَّ لَكُمْ﴾؛ قيل: هو طلوع الشمس من مغربها. بين بهذا أنهم يُمهلون في الدنيا، فإذا ظهرت الساعة فلا إمهال.

وقيل: إتيان الله تعالى: مجيئه لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]^(٥). وليس مجيئه تعالى حركة ولا انتقالاً ولا زوالاً؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجاني جسماً أو جوهرًا^(٦). والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: يجيء وينزل ويأتي. ولا يُكَيَّفون؛ لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(١) تفسير أبي الليث ٥٢٥/١.

(٢) أورد قول ابن عباس الواحدي في الوسيط ٣٤٠/٢.

(٣) تفسير أبي الليث ٥٢٦/١ بنحوه، وينظر تفسير الرازي ٦/١٤.

(٤) ٣٩٨ - ٣٩٧/٣.

(٥) تفسير البخوي ١٤٤/٢.

(٦) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجاجال، ودابة الأرض»^(١).

وعن صفوان بن عسال المرادي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين سنة؛ لا يُغلق حتى تطلع الشمس من نحوه»^(٢). أخرجه الدارقطني والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٣). وقال سفيان^(٤): قيل الشام، خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً - يعني للتوبة - لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه. قال: حديث حسن صحيح^(٥).

قلت: وكذب بهذا كله الخوارج والمعتزلة كما تقدم^(٦).

وروى ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب [يخطب] فقال: أيها الناس، إن الرّجم حق، فلا تُخدعن عنه، وإن آية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم، وأن أبا بكر قد رجم، وأنا قد رجمنا بعدهما، وسيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرّجم، ويكذبون بالدجاجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا. ذكره أبو عمر^(٧).

وذكر الشعلبي في حديث فيه طول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ما معناه: أن

(١) صحيح مسلم (١٥٨)، وهو عند أحمد (٩٧٥٢).

(٢) في (ظ): مغربها.

(٣) سنن الدارقطني (٧٦١)، وسنن الترمذي (٣٥٣٥) مطولاً. وأخرجه أيضاً أحمد (١٨٠٩٥)، والنسائي في الكبرى (١١١١٤)، وابن ماجه (٤٠٧٠).

(٤) هو ابن عيينة؛ وقد روى الترمذي الحديث من طريقه، وأورد كلامه بإثر الحديث.

(٥) كذا وقع في النسخ، وهو تكرار لكلام الترمذي على الحديث.

(٦) ٦٦/١، وينظر التمهيد ٨٤/٩.

(٧) في التمهيد ٨٣/٩، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضاً الطيالسي (٢٥) وعبد الرزاق (١٣٣٦٤)، وأحمد (١٥٦) بنحوه، وهو عند أحمد (٢٧٦)، والبخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١) بنحوه مختصراً بقصة الرجم.

الشمس تُحبس عن الناس - حينَ تكثُر المعاصي في الأرض، ويذهب المعروفُ، فلا يأمرُ به أحدٌ، ويفشو المنكر فلا يُنتهى عنه - مقدارَ ليلةٍ تحتَ العرش، كلما سجدتُ، واستأذنت ربَّها تعالى من أين تطلع؛ لم يجيء لها^(١) جوابٌ حتى يوافيها القمر، فيسجد معها، ويستأذن من أين يطلعُ، فلا يُجاءُ إليهما جوابٌ^(٢) حتى يُحبسا مقدارَ ثلاثِ ليالٍ للشمس وليلتين للقمر؛ فلا يَعْرِفُ طولَ تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض، وهم يومئذٍ عصابةٌ قليلةٌ في كل بلدةٍ من بلاد المسلمين. فإذا تمَّ لهما مقدارُ ثلاثِ ليالٍ أرسل الله تعالى إليهما جبريلَ عليه السلام، فيقول: إنَّ الربَّ سبحانه وتعالى يأمرُكما أن ترجعا إلى مغاريكما، فتطلعا منه، وأنه لا ضوءَ لكما عندنا ولا نور. فيطلعان من مغاريهما أسودين^(٣)، لا ضوءَ للشمس ولا نورَ للقمر، مثلُهما في كسوفهما قبلَ ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ النَّهْمُ وَالْقَمَرَ﴾ [القيامة: ٩]. وقوله: ﴿إِذَا أَشْتَمَ كَوَّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، فيرتفعان كذلك مثل البعيرين المقرونين^(٤)؛ فإذا ما بلغ الشمس والقمر سُرَّةَ السماء - وهي مَنْصِفُها - جاءهما جبريل عليه السلام، فأخذ بقرونيهما، وردَّهما إلى المغرب، فلا يغربُهما من مغاريهما، ولكن يغربُهما من باب التوبة، ثم يردُّ المصراعين، ثم يلتئم ما بينهما، فيصير كأنه لم يكن بينهما صدعٌ. فإذا أغلق بابَ التوبة لم تقبلْ لعبدٍ بعدَ ذلك توبةٌ، ولم تنفعه بعدَ ذلك حسنةٌ يعملها؛ إلا من كان قبلَ ذلك محسناً، فإنه يجري عليه ما كان عليه قبلَ ذلك اليوم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَكْتُمُ رَيْكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. ثم إنَّ الشمسَ والقمرَ يُكسيان بعد ذلك الضوء والنور، ثم يطلعان على الناس ويغريان كما كانا قبلَ ذلك يطلعان ويغريان^(٥).

(١) في (ظ): لم يخرج لها.

(٢) في (ظ): فلا يجاب إليهما بجواب.

(٣) في النسخ: أسودان، والمثبت من (م).

(٤) في النسخ: والقريين، والمثبت من (م).

(٥) أخرجه بنحوه مختصراً الطبري ٢١/١٠ - ٢٢ من حديث ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور =

قال العلماء: وإنما لا يَنْفَعُ نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها؛ لأنه خَلَصَ إلى قلوبهم من الفزع ما تُخَمِّدُ معه كلُّ شهوةٍ من شهوات النفس، وتَفْتَرُ كلُّ قوَّةٍ من قوى البدن؛ فيصير الناس كلُّهم لإيقانهم بَدْئُو القِيَامَةِ في حال من حضره الموتُ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم؛ فمن تاب في مثل هذه الحال لم تُقبَلْ توبته كما لا تُقبَلُ توبةٌ من حضره الموت. قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ توبَةَ العبدِ ما لم يُعْرَغرْ»^(١)، أي: تبلغ روحه رأسَ حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة أو مقعده من النار؛ فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله. وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك - أو كان كالمشاهد له - مردودة ما عاش؛ لأن علمه بالله تعالى وبنبيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة. فإن امتدت أيام^(٢) الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدثوا عنه إلا قليلاً، فيصير الخبر عنه خاصاً، وينقطع التواتر عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قبل منه. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال: حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجَ طُلُوعِ الشَّمْسِ من مغربها، وخُرُوجَ الدَّابَّةِ على الناسِ ضُحَى، وأَيُّهُمَا ما كانت قبلَ صاحبِها؛ فالأخرى على إثرها قريباً»^(٣).

وفيه عن حذيفة [بن أسيد] قال: كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطَّلَعَ إلينا فقال: «ما تذكرون؟ قلنا: الساعة. قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لا تكون حتى تكونَ عشرُ آياتٍ: خَسَفٌ بالْمَشْرِقِ، وخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وخَسَفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ،

= ٦٠/٣ - ٦١ وقال: أخرجه ابن مردويه بسند واه. وأخرجه أحمد (٦٨٨١) عن عبد الله بن عمرو بنحوه مختصراً.

(١) سلف ١٩٧/٥.

(٢) في (ظ): مدة.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٤١)، وهو عند أحمد (٦٥٣١). وعبد الله: هو ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

والدُّخَانُ، والدَّجَالُ، ودَابَّةُ الْأَرْضِ، ويَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ، وطلوعُ الشَّمْسِ من مغربِها، ونازُ تخرُجُ من قعرِ عَدَنٍ^(١) تَرْحَلُ النَّاسَ». قال شعبةٌ: وحدثني عبد العزيز بن رُقَيْعٍ عن أبي الطفيل، عن أبي سَرِيحَةَ^(٢) مثلَ ذلك، لا يذكر النبي ﷺ. وقال أحدهما في العاشرة: «نزولُ عيسى ابنِ مريم ﷺ». وقال الآخر: «ورِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»^(٣).

قلت: وهذا حديث متقن^(٤) في ترتيب العلامات. وقد وقع بعضُها - وهي الخسوفات - على ما ذكر أبو الفرج الجَوْزِيُّ من وقوعها بعراق المعجم والمغرب، وهلك بسببها خلقٌ كثير؛ ذكره في كتاب «فهوم الآثار» وغيره^(٥). ويأتي ذكر الدَّابَّةِ فِي «النمل». ويأجوجُ ومأجوجُ فِي «الكهف»^(٦). ويقال: إِنَّ الْآيَاتِ تَتَّبَعُ كالتَّظْمِ فِي الخِيَطِ عَاماً فَعَاماً.

وقيل: إِنَّ الْحِكْمَةَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِنَمْرُودَ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَوَاتِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قَبِهُتَ الَّذِي كَفَرْتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وَأَنَّ الْمُلْحَدَةَ وَالْمُنْجِمَةَ عَنْ آخِرِهِمْ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: هُوَ غَيْرُ كَائِنٍ؛ فَيُطْلِعُهَا اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَاً مِنْ الْمَغْرِبِ لِيُرِيَ الْمُنْكَرِينَ قُدْرَتَهُ؛ أَنَّ الشَّمْسَ فِي مُلْكِهِ، إِنَّ شَاءَ أَطْلَعَهَا مِنَ الْمَشْرِقِ، وَإِنْ شَاءَ أَطْلَعَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ^(٧). وعلى هذا

(١) كذا في النسخ، ومثله في المفهم ٢٣٩/٧، وفي صحيح مسلم: قُفْرَةُ عَدَنَ.

(٢) هي كنية حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَاوِي الْحَدِيثِ كَمَا سَيَأْتِي فِي تَرْجُمَتِهِ.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٠١) (٤٠). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦١٤٣)، وعنده: قال شعبة: وحدثني بهذا الحديث رجل عن أبي الطفيل به. وقوله: تَرْحَلُ النَّاسَ؛ قال القاضي عياض في إكمال المعلم ٤٤٢/٨: أي: تأخذهم بالرحيل وترعجمهم، أو تجعلهم يرحلون أمامها، وقوله: قعر عَدَنَ: أقصى أرضها. وقوله: قال أحدهما... وقال الآخر، يعني عبد العزيز بن رُقَيْعٍ المذكور أعلاه، وقُرأت القُرْآنَ، ولم يذكره المصنف، وقد رَوَى شُعْبَةُ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ: وَحُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَبُو سَرِيحَةَ، مشهور بكنيته، شهد الحديبية، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة، توفي سنة (٤٢٢هـ). ينظر الإصابة ٢/٢٢٢.

(٤) في (ظ): متقن.

(٥) المفهم ٢٣٩/٧ دون ذكر اسم الكتاب.

(٦) عند تفسير الآية (٨٢) من النمل، والآية (٩٤) من الكهف.

(٧) زاد المسير ٣/١٥٧.

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ رَدُّ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ عَلَى مَنْ آمَنَ وَتَابَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ لِذَلِكَ؛ الْمَكْذِبِينَ لَخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ بِطُلُوعِهَا، فَأَمَّا الْمَصْدُقُونَ^(١) لِذَلِكَ فَلِإِنَّهُ تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ عَمَلٌ وَلَا تَوْبَةٌ إِذَا أَسْلَمَ حِينَ يَرَاهَا، إِلَّا مَنْ كَانَ صَغِيرًا يَوْمَئِذٍ؛ فَإِنَّهُ لَوْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ قَبْلَ مِنْهُ^(٢). وَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مَذْنِبًا فَتَابَ مِنَ الذَّنْبِ؛ قَبْلَ مِنْهُ. وَرُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا لَمْ يُقْبَلْ وَقْتُ الطُّلُوعِ حَتَّى تَكُونَ^(٣) صَبِيحَةً، فَيَهْلِكُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنْ أَسْلَمَ أَوْ تَابَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهَلَكَ لَمْ تَقْبَلْ تَوْبَتَهُ، وَمَنْ تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ قَبِلَتْ مِنْهُ. ذَكَرَهُ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرَقَنْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(٤).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثَّةً وَعِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى يَغْرَسُوا النَّخْلَ. وَاللَّهُ بِغَيْبِهِ أَعْلَمُ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ الزُّبَيْرِ: «يَوْمَ تَأْتِي» بِالتَّاءِ^(٥)، مِثْلُ: «تَلْتَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ»^(٦) [يُوسُفُ: ١٠]. وَذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ. وَقَالَ جَرِيرٌ^(٧):

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ
قَالَ الْمُبَرِّدُ: التَّائِيْتُ عَلَى الْمَجَاوِرَةِ لِمُؤْتَيْ، لَا عَلَى الْأَصْلِ^(٨).

وَقَرَأَ ابْنُ سِيرِينَ: «لَا تَنْفَعُ» بِالتَّاءِ^(٩). قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يَذْكُرُونَ أَنَّ هَذَا غَلَطٌ مِنْ ابْنِ

(١) فِي النِّسْخِ: الْمَصْدُقِينَ، وَالْمُثَبِّتِ مِنْ (م).

(٢) تَفْسِيرُ أَبِي اللَّيْثِ ٥٢٦/١ .

(٣) فِي (م): إِنَّمَا لَمْ تَقْبَلْ تَوْبَتَهُ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ حِينَ تَكُونُ.

(٤) ٥٢٦/١ .

(٥) فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ٢٥٩/٤ : قَرَأَ بِهَا ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ سِيرِينَ وَأَبُو الْعَالِيَةِ.

(٦) نَسَبَتْ لِلْحَسَنِ فِي الْقُرْءَاتِ الشَّاذَّةِ ص ٦٢ ، وَيَنْظُرُ إِعْرَابَ الْقُرْءَانَ لِلنَّحَّاسِ ١٠٩/٢ ، وَاسْتَرَدَّ فِي مَوْضِعِهَا.

(٧) فِي دِيْوَانِهِ ٩١٣/٢ ، وَسَلَفٌ ٢٠٩/٢ .

(٨) الْكَامِلُ ٦٦٩/٢ ، وَالْمَقْتَضِبُ ١٩٧/٤ .

(٩) الْقُرْءَاتُ الشَّاذَّةُ ص ٤٢ ، وَالْمَحْتَسِبُ ٢٣٦/١ .

مسيرين. قال النحاس^(١): في هذا شيءٌ دقيقٌ من النحو ذكره سيبويه^(٢)، وذلك أن الإيمانَ والنفْسَ؛ كلُّ واحدٍ منهما مشتملٌ على الآخر، فأنت الإيمان؛ إذ هو من النفس وبها، وأنشد سيبويه:

مَسِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيحِ الشَّوَابِمِ^(٣)

قال المَهْدَوِيُّ: وكثيراً ما يؤثنون فعل المضاف المذكر إذا كانت إضافته إلى مؤنث، وكان المضاف بعض المضاف إليه أو منه أوبه؛ وعليه قول ذي الرمة: مشين...البيت. فأنت المَرَّ لإضافته إلى الرياح وهي مؤنثة، إذ كان المَرُّ من الرياح.

قال النحاس^(٤): وفيه قول آخر، وهو أن يؤنث الإيمان لأنه مصدر كما يذكر المصدر المؤنث؛ مثل ﴿قَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] [لأن موعظة بمعنى الوعظ] وكما قال:

فقد عَدَرْتُنَا فِي صَحَابَتِهِ الْعُدْرُ^(٥)

ففي أحد الأقوال أنت العذر لأنه بمعنى المعذرة.

﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ بكم العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَسْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «فارقوا» بالألف^(٦)،

(١) في إعراب القرآن ١٠٩/٢ .

(٢) في الكتاب ٥١/١ - ٥٢ .

(٣) سلف ٣١١/١ .

(٤) في إعراب القرآن ١٠٩/٢ ، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) عجز بيت للأبيرد بن المعنر اليربوعي يرثي أخاه بُريداً في قصيدة طويلة، وصلده: فإن تكن الأيام فرقتن بيننا، وهو في الحماسة البصرية ٢٦٨/١ ، والأغاني ١٣/١٣٦ ، وفيه: صحابتنا بدل: صحابته، والمؤتلف والمختلف للأمدي ص ٢٦ .

(٦) السبعة ص ٢٧٤ ، والتيسير ص ١٠٨ .

وهي قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(١)؛ من المُفَارَقَة والفِرَاق. على معنى أنهم تركوا دينهم وخرجوا عنه. وكان علي يقول: والله ما فرَّقوه، ولكن فارَّقوه^(٢).
وقرأ الباقر بالتشديد؛ إلا النَّحْيَ، فإنه قرأ: «فَرَّقُوا» مُحَقَّفًا^(٣)؛ أي: آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

والمراد: اليهود والنصارى؛ في قول مجاهد وقتادة والسُّدِّي والضَّحَّاك^(٤). وقد وُصِفُوا بالتفرُّق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. وقال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠].

وقيل: عنى المشركين، عبد بعضهم الصنم، وبعضهم الملائكة^(٥).
وقيل: الآية عامَّة في جميع الكفار، وكلُّ مَنْ ابْتَدَعَ وجاء بما لم يأمر الله عزَّ وجلَّ به فقد فرَّق دينه^(٦).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم أهلُ البِدَع والشُّبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة^(٧).

وروى بَقِيَّةُ بن الوليد، حدَّثنا شعبة بن الحجاج، حدَّثنا مُجالِد، عن الشَّعْبِيِّ، عن شريح، عن عمر بن الخطاب ؓ أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا^(٨) دِينَهُمْ وكانوا شِيَعًا إنما هم أصحابُ البِدَع وأصحابُ الأهواء وأصحابُ الضلالة من

(١) أخرجه الطبري ٣٠/١٠، وأوردها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٦٧/٢.

(٢) أورده الفرله في معاني القرآن ٣٦٦/١.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحتسب ٢٣٨/١.

(٤) أخرجه الطبري ٣١/١٠.

(٥) أورده الرازي في تفسيره ٧/١٤ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢.

(٧) أخرجه الطبري ٣٣/١٠. وأورده ابن كثير في تفسيره ٣٧٧/٣، وقال: هذا الإسناد لا يصح، فإن عبَّاد

ابن كثير متروك الحديث، ولم يخلق هذا الحديث، ولكنه وهم في رفعه.

(٨) في (م): فرَّقوا.

هذه الأمة، يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البِدَعِ وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة، وأنا بريء منهم، وهم منا بُرَاءٌ^(١).

وروى ليث بن أبي سليم، عن طاوس، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ: «إِنَّ الَّذِي فَارَقُوا دِينَهُمْ»^(٢).

ومعنى ﴿شَيْعًا﴾: فِرَقًا وأحزابًا. وكلُّ قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع^(٣).

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي مَعْمَرٍ﴾ فأوجب براءته منهم، وهو كقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٤) أي: نحن بُرَاءٌ منه. وقال الشاعر:

إذا حاولت في أسدٍ فُجوراً فلإني لستُ منك ولستَ مِنِّي^(٥)

أي: أنا أبرأ منك. وموضع «في شيء» نُصِبَ على الحال من المُضمر الذي في الخبر، قاله أبو علي.

وقال الفراء: هو على حَذْفِ مضاف^(٦)، المعنى: لست من عقابهم في شيء، وإنما عليك الإنذار.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ تعزية للنبي ﷺ^(٧).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/١٣٨، وأورده ابن كثير مختصراً في تفسيره ٣/٣٠٧٧، وقال: غريب، لا يصح رفعه.

(٢) أخرجه حفص الدوري (وهو راوي الكسائي) في «جزء في قراءات النبي ﷺ» ص ٩٦، وقرأ بها حمزة والكسائي كما سلف.

(٣) النكت والعيون ٢/١٩٢.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٩٣٩٦)، ومسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة ؓ، وسلف ٤/٢٤٠.

(٥) قاله النابغة الذبياني، وسلف ٤/٢٤٠.

(٦) يعني على أن «منهم» حال مقدّمة، والمعنى: لست في شيء كائن من تفريقهم، فلما قدّمت الصفة نصبت حالاً. كما في الدر المنصور ٥/٢٣٦، وينظر معاني القرآن للقرآء ١/٣٦٦.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٠.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا
مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ ابتداءً، وهو شرط، والجواب: ﴿فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا﴾ أي: فله عشر حسنات أمثالها؛ فحذفت الحسنات، وأقيمت الأمثال التي
هي صفتها مقامها، جمع مثل. وحكى سيويه: عندي عشرة نَسَابَات، أي: عندي
عشرة رجالٍ نَسَابَات^(١).

وقال أبو علي: حَسُنَ التَّائِبُ فِي «عَشْرُ أَمْثَالِهَا» لَمَّا كَانَ الْأَمْثَالُ مِضَافًا إِلَى
مَوْثُتٍ، وَالْإِضَافَةُ إِلَى الْمَوْثُتِ إِذَا كَانَ إِيَّاهُ فِي الْمَعْنَى يَحْسُنُ فِيهِ ذَلِكَ، نَحْوُ «تَلْتَقِطُهُ
بَعْضُ السَّيَّارَةِ»^(٢)، [يوسف: ١٠]، وَذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ^(٣).

وقرأ الحسنُ وسعيد بن جبير والأعمشُ: «فله عشرُ أمثالها»^(٤). والتقدير: فله
عشرُ حسناتٍ أمثالها^(٥)، أي: له من الجزاء عشرةُ أضعافٍ مما^(٦) يجبُ له. ويجوز أن
يكون له مثل، ويُضَاعَفُ الْمِثْلُ فَيَصِيرُ عَشْرَةَ.

والحسنة هنا: الإيمان، أي: مَنْ جَاءَ بِشَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَلَهُ بِكُلِّ عَمَلٍ
عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَيْرِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يعني الشرك ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو الخلودُ في النار؛ لِأَنَّ
الشركَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَالنَّارُ أَعْظَمُ الْعُقُوبَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَزَاءُ وَفَاءًا﴾
[النبا: ٢٦] يعني جزاءً وَافَقَ الْعَمَلُ^(٧).

(١) الكتاب ٥٦٦/٣ ، إعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢ ، وتفسير الرازي ٨/١٤ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٢ ، وستأتي في موضعها .

(٣) البيان لأبي البركات ابن الأنباري ٣٥١/١ .

(٤) القراءات الشاذة ص ٤١ ، وقرأ بها يعقوب من العشرة . ينظر النشر ٢/٢٦٦ .

(٥) في إعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢ ، والكلام منه: فله حسنات عشر أمثالها .

(٦) في (ظ): ما .

(٧) تفسير أبي الليث ٥٢٧/١ .

وأما الحسنَةُ فَبخلاف ذلك؛ لنصِّ الله تعالى على ذلك. وفي الخبر: «الحسنَةُ بِعَشْرِ أمثالها وأزِيدُ، والسيئَةُ واحدةٌ وأغْفِرُ، فالويلُ لمن غلبتْ آحادُهُ أعشارَهُ»^(١).
وروى الأعمش عن أبي صالح قال: الحسنَةُ: لا إله إلا الله، والسيئَةُ: الشُّركُ^(٢).

﴿وَهُمْ لَا يُظَلُّونَ﴾ أي: لا ينقصُ ثوابُ أعمالهم. وقد مضى في «البقرة» بيانُ هذه الآية^(٣)، وأنها مُخالفةٌ للإتفاق في سبيل الله؛ ولهذا قال بعضُ العلماء: العشرُ لسائر الحسنات؛ والسبعُ مئةٌ للنفقة في سبيل الله، والخاصُّ والعامُّ فيه سواء.
وقال بعضهم: يكونُ للعوامِّ عشرةٌ، وللخواصِّ سبعُ مئةٍ وأكثرُ إلى ما لا يُحصى^(٤). وهذا يحتاج إلى توقيف، والأوَّلُ أصحُّ؛ لحديثِ حُرَيمِ بنِ فاتِك، عن النبي ﷺ، وفيه: «وأما حسنَةُ بعشر؛ فَمَنْ عَمِلَ حسنَةً فله عشرُ أمثالها، وأما حسنَةُ بسبع مئة، فالنفقةُ في سبيل الله»^(٥).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَّبِّيَ إِذْ صِرْتُ مُسْتَقِيمًا دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَإِنِّي لَأَكْفُرُ بِالشُّرِكِينَ ﴿١٦٣﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَّبِّيَ إِذْ صِرْتُ مُسْتَقِيمًا﴾ لَمَّا بَيَّنَّ تعالى أنَّ

(١) لم نقف عليه بهذا السياق، وأخرج أحمد (٢١٣٦٠)، ومسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزِيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغْفِرُ...» لفظ مسلم. وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٦٤٩١)، وعن أبي هريرة ؓ عند مسلم (١٣٠).

(٢) أخرجه الطبري ٤٠/١٠، وهو مقطوع.

(٣) ٣٢١ - ٣١٧/٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٥٢٧/١.

(٥) أخرجه أحمد (١٨٩٠٠) بنحوه.

الكفَارَ تَفَرَّقُوا، بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ هَدَاهُ إِلَى الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ.

﴿وَيُنَا﴾ نصب على الحال، عن قُطْرُب. وقيل: نصب بـ «هَدَانِي»؛ عن الأَخْفَش.

قال غيرُه: انتصب حملاً على المعنى؛ لأن معنى «هَدَانِي»: عَرَّفَنِي دِيناً. ويجوز أن يكون بدلاً من الصراط، أي: هَدَانِي صِرَاطاً مُسْتَقِيماً دِيناً، وقيل: منصوبٌ بإضمار فعل، فكانه قال: اتَّبِعُوا دِيناً، وَاَعْرِفُوا دِيناً^(١).

﴿قِيَمًا﴾ قرأه الكوفيون وابنُ عامرٍ بكسر القاف والتخفيف وفتح الياء، مصدرٌ

كَالشَّيْخِ، فَوُصِفَ بِهِ. وَالباقون بفتح القاف وكسر الياء وشُدَّهَا^(٢)، وهما لغتان. وأصل الياء الواو «قِيَوْمٌ»، ثم أُدْغِمَت الواو فِي الياء كَمِيَّتْ، ومعناه: دِيناً مُسْتَقِيماً لَا عِوَجَ فِيهِ^(٣).

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل. ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزجاج^(٤): «هُوَ حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ عَلِيُّ

ابن سليمان: هُوَ نَصَبٌ بِإِضْمَارٍ أَعْنِي.

الثانية: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قد تقدّم اشتقاقُ لفظ الصلاة^(٥).

وقيل: المرادُ بِهَا هُنَا صَلَاةُ اللَّيْلِ. وقيل: صَلَاةُ الْعِيدِ. وَالنُّسُكُ جَمْعُ نَسِيكَةٍ، وَهِيَ الدُّبَيْحَةُ، وَكَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ^(٦). وَالمعنى: ذَبَحِي فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: نُسُكِي: دِينِي. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: عِبَادَتِي، وَمَنَهُ: النَّاسِكُ الَّذِي يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ^(٧). وَقَالَ قَوْمٌ: النَّسُكُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعٌ

(١) معاني القرآن للزجاج ٣١١/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢، والمحرر الوجيز ٣٦٩/٢.

(٢) السبعة ص ٢٧٤، والتيسير ص ١٠٨.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٥٩/١.

(٤) في معاني القرآن ٣١١/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢ - ١١١.

(٥) ٢٥٨/١ وما بعدها.

(٦) أخرجه الطبري ٤٦/١٠ - ٤٨.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣١٠/٢، وتفسير الماوردي ١٩٥/٢.

أعمال الطاعات؛ من قولك: نَسَكَ فلان فهو ناسك: إذا تعَبَّد^(١).

﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي: ما أعمله في حياتي. ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: ما أوصي به بعد وفاتي.
﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أفرده بالتقرب بها إليه. وقيل: «وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ» أي:
حياتي وموتي له^(٢).

وقرأ الحسن: «نُسْكَي» بإسكان السين^(٣). وأهل المدينة: «وَمَحْيَايَ» بسكون الياء
في الإدراج^(٤). والعامّة بفتحها؛ لأنه يجتمع ساكنان.

قال النحاس^(٥): «لم يُجِزْهُ أَحَدٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ إِلَّا يُونُسَ، وَإِنَّمَا أَجَازَهُ لِأَنَّ قَبْلَهُ
الْفَاءَ، وَالْأَلْفَ الْمَدَّةَ الَّتِي فِيهَا تَقُومُ مَقَامَ الْحَرَكَةِ. وَأَجَازَ يُونُسَ: اضْرِبَانُ زَيْدًا، وَإِنَّمَا
مَنَعَ النُّحَوِيُّونَ هَذَا لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، وَلَيْسَ فِي الثَّانِي إِدْغَامٌ، وَمَنْ قَرَأَ بِقِرَاءَةِ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ اللَّحْنِ وَقَفَّ عَلَى «مَحْيَايَ»، فَيَكُونُ غَيْرَ لَاجِنٍ عِنْدَ
جَمِيعِ النُّحَوِيِّينَ.»

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وعاصم الجحدري: «وَمَحْيَايَ» بتشديد الياء
الثانية من غير ألف^(٦)، وهي لغةٌ عليا مُضَرٌّ؛ يقولون: قَفَّيَّ وَعَصَّيَّ. وأنشد أهل اللغة:
سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَغْنَقُوا لِهَوَاهُمُ
وقد تقدّم^(٧).

(١) المحرر الوجيز ٣٦٩/٢.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ١٩٥/٢.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٤) قرأ بها قالون وورش بخلف عنه وأبو جعفر وصلًا ووقفًا مع المدّ المشيع الساكن. السبعة ص ٢٧٤،
والتيسير ص ١٠٨، والنشر ٢٦٧/٢.

(٥) في إعراب القرآن ١١١/٢، وما قبله منه.

(٦) القراءات الشاذة ص ٤٢.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١١١/٢، والبيت لأبي ذؤيب الهذلي، وقد سلف بتمامه ٤٨٨/١، وعجزه:
فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ.

الثالثة: قال الكيا الطبري^(١): قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَّبِّيَ إِلَا مِزْجًا مِّنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ إِذْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ استدل به الشافعي على افتتاح الصلاة بهذا الذكر، فإن الله أمر نبيه ﷺ [به]، وأنزله في كتابه، ثم ذكر حديث عليّ ؑ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» إلى قوله: «وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

قلت: روى مسلم في «صحيحه» عن عليّ بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ^(٣) الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». الحديث^(٤).

وأخرجه الدارقطني^(٥)، وقال في آخره: بَلَّغْنَا عَنِ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ - وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللُّغَةِ وَغَيْرِهَا - قَالَ: مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»: الشَّرُّ لَيْسَ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ.

قال مالك: ليس التوجية في الصلاة بواجب على الناس، والواجب عليهم التكبير

(١) في أحكام القرآن ٣/١٢٩، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) سلفت الإشارة إليه ١/١٨٠، وهو الحديث الآتي بعده.

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): من، وهما روايتان عند مسلم.

(٤) صحيح مسلم (٧٧١)، وأخرجه أحمد (٧٢٩).

(٥) في سننه (١١٣٧).

ثم القراءة^(١). قال ابن القاسم: لم يرَ مالكَ هذا الذي يقوله الناسُ قبلَ القراءة: سبحانك اللهمَّ وبحمدك. وفي مختصر ما ليس في المختصر: أنَّ مالكاً كان يقوله في خاصَّة نفسه؛ لصحة الحديث به، وكان لا يراه للناس مَخافةً أن يعتقدوا وجوبه^(٢).

قال أبو الفرج الجوزي: وكنت أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدِينوريِّ الفقيه^(٣) في زمان الصُّبا، فرأني مرَّةً أفعل هذا، فقال: يا بني، إنَّ الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يختلفوا أنَّ الافتتاح سُنَّةٌ، فاشتغلُّ بالواجب، ودع السنن^(٤).

والحُجَّةُ لمالك قوله ﷺ للأعرابيِّ الذي علَّمه الصلاة: «إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ»^(٥) ولم يقل له: سَبِّح، كما يقول أبو حنيفة، ولا قل: وجهتُ وجهي، كما يقول الشافعيُّ. وقال لأبي: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: قلتُ: الله أكبر، الحمدُ لله ربِّ العالمين^(٦). فلم يذكر توجيهاً ولا تسييحاً.

فإن قيل: فإن علياً قد أخبر أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقوله.

قلنا: يحتمل أن يكون قاله قبل التكبير، ثم كَبَّر، وذلك حَسَنٌ عندنا.

فإن قيل: فقد روى النَّسائيُّ والدَّارقطنيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا افتتَح الصلاة كَبَّر، ثم يقول: «إنَّ صلاتي ونُسُكي» الحديث^(٧).

قلنا: هذا نَحْمِلُهُ على النافلة في صلاة الليل، كما جاء في كتاب النَّسائيِّ عن أبي

(١) النوادر والزيادات ١/ ١٧٠.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٦٠.

(٣) هو أحمد بن محمد بن أحمد، توفي سنة (٥٣٢هـ). المتظم ١٧/ ٣٢٨.

(٤) تلييس إيليس ص ١٣٥.

(٥) سلف ١/ ٢٦٢.

(٦) سلف ١/ ١٤٦، وليس في الحديث قوله: الله أكبر.

(٧) المجتبى ٢/ ١٣٠، وسنن الدارقطني (١١٣٧)، وهو من حديث علي ﷺ، المشار إليه قبل.

سعيد قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا افتتح الصلاة بالليل قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرُك»^(١). أو في النافلة مطلقاً، فإن النافلة أخفُّ من الفرض؛ لأنه يجوز أن يُصلِّيها قائماً وقاعداً وراكباً، وإلى القبلة وغيرها في السفر، فأمرها أيسرُ.

وقد روى النَّسَائِيُّ، عن محمد بن مَسْلَمَةَ، أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قام يصلي تطوعاً قال: «اللهُ أكبرُ، وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ». ثم يقرأ^(٢).

وهذا نصرٌ في التطوع لا في الواجب. وإن صحَّ أن ذلك كان في الفريضة بعد التكبير، فيُحمل على الجواز والاستحباب، وأما المَسْنُونُ فالقراءةُ بعد التكبير، والله بحقائق الأمور عليم. ثم إذا قاله فلا يقل: «وأنا أوَّلُ المسلمين». وهي:

الرابعة: إذ ليس أحدُهم بأوَّلهم إلا محمداً ﷺ. فإن قيل: أو ليس إبراهيمُ والنبِيُّون قبله؟ قلنا: عنه ثلاثة أجوبة:

الأوَّل: أنه أوَّلُ الخلق أجمع معنَى، كما في حديث أبي هريرة من قوله عليه الصلاة والسلام: «نحن الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، ونحن أوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنةَ»^(٣) وفي حديث حذيفة: «نحنُ الآخِرُونَ من أهل الدنيا، والأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، الْمُقْضِي لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»^(٤).

الثاني: أنه أوَّلهم لكونه مقدِّماً في الخلق عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]. قال قتادة: إن النبيَّ ﷺ قال: «كنتُ أوَّلُ

(١) المجتبى ١٣٢/٢، وسلف ١٣٦/١.

(٢) المجتبى ١٣١/٢.

(٣) أخرجه أحمد (٧٧٠٦)، والبخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٨٥٦).

الأنبياء في المخلوق، وآخرهم في البعث^(١). فلذلك وقع ذكره هنا مقدماً قبل نوح وغيره.

الثالث: أوّل المسلمين من أهل ملّته. قاله ابنُ العربي^(٢)، وهو قول قتادة^(٣) وغيره.

وقد اختلفت الروايات في «أول» ففي بعضها ثبوتها وفي بعضها لا^(٤)، على ما ذكرنا.

وروى عمرانُ بنُ حصين قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يا فاطمة، قومي فاشهدي أضحيتك، فإنه يُغفرُ لك في أوّلِ قطرةٍ من دمها كلُّ ذنبٍ عملته، ثم قولني: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُبْرِتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾». قال عمرانُ: يا رسولَ الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة، أم للمسلمين عامّة؟ قال: «بل للمسلمين عامّة»^(٥).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفَرَ اللَّهُ لِي وَأَغْفَرَ لِي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِدُ وَازِرَةً وَنَزِدُ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكِ لِرَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفَرَ اللَّهُ لِي وَأَغْفَرَ لِي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مالكه. روي أنّ الكفار

(١) أخرجه الطبري ٢٣/١٩ وفي إسناده انقطاع. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٦٦٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً. وسعيد بن بشير قال فيه البخاري: يتكلمون في حفظه، وقال ابن معين: ليس بشيء. والحسن - وهو البصري - لم يسمع من أبي هريرة، كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ٣٨. وينظر المقاصد الحسنة (٨٣٧).

(٢) في أحكام القرآن ٧٦٢/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٤٨/١٠.

(٤) يعني في الحديث، ففي بعض الروايات: «وأنا أول المسلمين» وفي بعضها: «وأنا من المسلمين». كما سلف في المسألة الثالثة.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٥٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٨/٥ - ٢٣٩. وفي إسناده أبو حمزة الثمالي، هو ضعيف جداً، كما في التلخيص الحبير ١٤٣/٤.

قالوا للنبي ﷺ: إرْجِعْ يا محمدُ إلى ديننا، وابدُكْهتْنا، واتركْ ما أنت عليه، ونحن نتكفلُ لك بكلِّ تباعَةٍ تتوقَّعها في دنياك وآخرتك. فنزلت الآية. وهي استفهامٌ يقتضي التقريرَ والتوبيخَ^(١). «وغيرَ» نصب بـ «أبغى»، و«ربًّا» تمييز.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا ينفعني في ابتغاء ربِّ غيرِ الله كونكم على ذلك، إذ لا تكسبُ كلُّ نفسٍ إلا عليها، أي: لا يؤخذ بما أتت من المعصية وركبت من الخطيئة سواها.

الثانية: وقد استدللَّ بعضُ العلماء من المخالفين بهذه الآية على أنَّ بيعَ الفضولي لا يصحُّ. وهو قول الشافعي.

وقال علماؤنا: المراد من الآية تحمُّلُ الثوابِ والعقابِ دون أحكام الدنيا^(٢)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُزْرَى وَزِرَةٌ وَزِدَّ أَخْرَجًا﴾ على ما يأتي.

وبيعُ الفضولي عندنا موقوفٌ على إجازة المالك، فإن أجازته جاز. هذا عُروة البارقي قد باع للنبي ﷺ، واشترى وتصرف بغير أمره، فأجازته النبي ﷺ، وبه قال أبو حنيفة^(٣).

وروى البخاريُّ والدارقطنيُّ عن عُروة بنِ أبي الجعد قال: عرض للنبي ﷺ جَلَبٌ، فأعطاني ديناراً وقال: «أيُّ عُروة، اتت الجَلَبُ، فاشتر لنا شاةً بهذا الدينار». فأتيتُ الجَلَبُ فساومتُ، فاشتريتُ شاتين بدينار، فجئتُ أسوقهُما - أو قال: أقودهُما - فلقيني رجلٌ في الطريق فساومني، فبعتُهُ إحدى الشاتين بدينار، وجئتُ بالشاة الأخرى وبدينار، فقلت: يا رسول الله، هذه الشاةُ وهذا دينارُكم. قال: «كيف صنعتُ؟»

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٧٠.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٦٣.

(٣) أعلام الحديث للخطابي ٣/١٦٢٢ وعروة البارقي: هو ابنُ أبي الجعد.

فحدّثته الحديث. قال: «اللهمّ بارك له في صَفْقَةِ يَمِينِهِ». قال: فلقد رأيتني أقفّ في كُنَاسَةِ الكوفة، فأربُحُ أربعين ألفاً قبل أن أصِلَ إلى أهلي. لفظُ الدارقطني^(١).

قال أبو عمر^(٢): وهو حديثٌ جيّد، وفيه ثبوتُ صحةِ ملكِ النبي ﷺ^(٣) للشّاتين، ولولا ذلك، ما أخذَ منه الدينارَ ولا أمضى له البيعَ.

وفيه دليلٌ على جواز الوكّالة، ولا خلافتَ فيها بين العلماء، فإذا قال المُوكَّلُ لوكيله: اشترِ كذا. فاشترى زيادةً على ما وُكِّلَ به، فهل يلزمُ ذلك الأمرُ أم لا؟ كرجلٍ قال لرجلٍ: اشترِ بهذا الدرهمِ رطلَ لحمٍ صفتهُ كذا، فاشترى له أربعةَ أرطالٍ من تلك الصفةِ بذلك الدرهم. فالذي عليه مالكٌ وأصحابُه، أنّ الجميعَ يلزمه إذا وافق الصفةَ و[زاد] من جنسها؛ لأنه مُحَيَّنٌ. وهو قولُ أبي يوسفٍ ومحمد بنِ الحسن. وقال أبو حنيفة: الزيادةُ للمشتري. وهذا الحديثُ حُجَّةٌ عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحملُ حاملةٌ ثقلَ أُخرى، أي: لا تؤخذُ نفسٌ بذنبٍ غيرها، بل كلُّ نفسٍ مأخوذةٌ بِجُرمِها ومعاقبةٌ بِإثمِها.

وأصلُ الوِزْرِ الثَّقْلُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢].

وهو هنا الذَّنْبُ، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾^(٤) [الأنعام: ٣١]. وقد تقدّم.

قال الأخفش^(٥): يقال: وَزَرَ يُوَزِّرُ، وَوَزَرَ يُوَزِّرُ، وَوَزَرَ يُوَزِّرُ وَوَزَرًا. ويجوز: إِزْرًا، كما يقال: إِسَادَةٌ.

والآيةُ نزلت في الوليد بنِ المغيرة، كان يقول: إِتَّبِعُوا سَبِيلِي أَحْمِلْ أَوْزَارَكُمْ؛

(١) صحيح البخاري (٣٦٤٢)، وسنن الدارقطني (٢٨٢٥)، وهو عند أحمد (١٩٣٦٧).

(٢) التمهيد ١٠٨/٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في النسخ: وفيه صحة ثبوت النبي ﷺ، والمثبت من التمهيد.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٣/٢.

(٥) معاني القرآن له ٤٨٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١١١/٢.

ذكره ابن عباس^(١). وقيل: إنها نزلت ردًا على العرب في الجاهلية من مؤاخذه الرجل بآبيه وبابنه وبجيرة حليفه^(٢).

قلت: ويحتمل أن يكون المراد بهذه الآية في الآخرة، وكذلك التي قبلها، فأمّا^(٣) في الدنيا فقد يؤاخذ فيها بعضهم بجُرم بعض، لا سيّما إذا لم يتنه الطائعون العاصين، كما تقدّم في حديث أبي بكر في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾^(٤) [المائدة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْقَرُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقالت زينب بنت جحش: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كَثُرَ الْحَبِيثُ»^(٥). قال العلماء: معناه: أولاد الزنى. وَالْحَبِيثُ - بفتح الباء - اسمٌ للزنى^(٦). وأوجب الله تعالى على لسان رسوله ﷺ دية الخطأ على العاقلة^(٧) حتى لا يُظَلَّ دُمُ الْحَرِّ^(٨) المسلم تعظيمًا للدماء.

وأجمع أهل العلم على ذلك من غير خلاف بينهم في ذلك^(٩)، فدلّ على ما قلناه. وقد يحتمل أن يكون هذا في الدنيا، في ألا يؤاخذ زيد بفعل عمرو، وأن كلّ مُباشِرٍ لجريمة فعليه مَعَبَّتُهَا^(١٠). وروى أبو داود عن أبي رُمثة قال: انطلقت مع أبي

(١) أورده الواحدي في الوسيط ٢/٣٤٥، والبغوي في تفسيره ٢/١٤٧.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٦٤.

(٣) بعدها في (م): التي.

(٤) سلف ٨/٢٤٩.

(٥) أخرجه أحمد (٢٧٤١٣)، والبخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٦) إكمال المعلم ٨/٤١٢، والمفهم ٧/٢٠٨.

(٧) ينظر مستد أحمد (٧٧٠٣)، وصحيح البخاري (٦٩١٠)، وصحيح مسلم (١٦٨١).

(٨) في (ظ): المرء.

(٩) الإشراف ٢/١٩٥، وسلف الكلام ٧/١٩ وما بعدها. وقوله: حتى لا يُظَلَّ، أي: لا يُهدر. المنير (طلل): طلّ السلطان الدّم: أهدره.

(١٠) أحكام القرآن للكيا ٣/١٣٠.

نحو النبي ﷺ، ثم إن النبي ﷺ قال لأبي: «ابنك هذا؟» قال: إني ورب الكعبة. قال: «حقاً». قال: أشهدُ به. قال: فتبسم النبي ﷺ ضاحكاً من نبت شبهي في أبي، وبن حليف أبي علي، ثم قال: «أما إنه لا ينجني عليك ولا تنجني عليه». وقرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تُزْرُ وَرِزْرَةً وَرَدَّ أُخْرَى﴾^(١).

ولا يُعَارِضُ ما قلناه أولاً بقوله: ﴿وَلِيَحْمِلَكَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [المنكوبت: ١٣]؛ فإنَّ هذا مُبَيَّنُّ في الآية الأخرى قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

فمن كان إماماً في الضلالة، ودعاً إليها، وأثعب عليها، فإنه يحمل وزراً من أضلّه من غير أن يَنْقُصَ من وزر المُضِلِّ شيء، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾ «خلائف» جمع خليفة، ككرائم جمع كريمة. وكلُّ مَنْ جاء بعد مَنْ مَضَى فهو خليفة^(٣). أي: جعلكم خلفاً للأمم الماضية والقرون السالفة. قال الشَّامِخ^(٤):

تُصِيبُهُمْ وَتُخْطِئُنِي الْمَنَايَا وَأَخْلَفْتُ فِي رُبُوعٍ عَنِ رُبُوعٍ

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الخلق والرِّزْق، والقوَّة والبسطة، والفضل والعلم. ﴿دَرَجَاتٍ﴾ نصب بإسقاط الخافض، أي: إلى درجات^(٥). ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ نصب بلام كي. والابتلاء: الاختبار، أي: ليُظْهِرَ منكم ما يكون غايته الثواب والعقاب^(٦). ولم يزل

(١) سنن أبي داود (٤٤٩٥)، وسلف ١٩/٧.

(٢) تفسير البغوي ١٤٧/٢.

(٣) ديوانه ص ٢٢٤.

(٤) البيان لأبي البركات الأنباري ٣٥٢/١.

(٥) الوسيط للواحد ٣٤٦/٢.

بعلمه غنيًا؛ فابتلى المُوسِرَ بالغنى وطلبَ منه الشكر، وابتلى المُعِيرَ بالفقر وطلبَ منه الصَّبْر. ويقال: «ليلوكم» أي: بعضكم ببعض؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ لِيَعْرَ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠] على ما يأتي بيانه.

ثم خوفهم فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه. ﴿وَلَأَنْتُمْ لَعَفُودٌ رَجِيمٌ﴾ لمن أطاعه.

وقال: «سَرِيعُ الْعِقَابِ» مع وصفه سبحانه بالإمهال، ومع أن عقاب النار في الآخرة؛ لأن كلَّ آتٍ قريب؛ فهو سريعٌ على هذا. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]. وقال: ﴿بُرُودُهُ يَوْمَئِذٍ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]. ويكون أيضاً سريع العقاب لمن استحقَّه في دار الدنيا؛ فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة^(١). والله أعلم.

نَمَّتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

(١) تفسير أبي الليث ١/٥٢٩، ومجمع البيان ٨/٢٥٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الأعراف

وهي مكية، إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَإِذْ نُنْفِثُ الْجِبَلَ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: ١٧١] (١).

وروى النسائي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فَرَقَّهَا فِي رَكْعَتَيْنِ (٢). صحَّحه أبو محمد عبد الحق (٣).

قوله تعالى: ﴿الْمَصَّ ① كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئَسْذَرَ بِهِ، وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَصَّ﴾ تقدّم في أوّل «البقرة» (٤)، وموضعه رفعٌ بالابتداء. و﴿كِتَابٌ﴾ خبره. كأنه قال: «المص» حروف ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾. وقال الكسائي:

(١) المحرر الوجيز ٣٧٢/٢ ، وزاد المسير ١٦٤/٣ وفيهما أن الآيات المدنية من قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية: ١٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنْفِثُ الْجِبَلَ قَوْمَهُمْ﴾ [الآية: ١٧٢]. ونسبنا هذا القول لمقاتل، وأورد ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقادة أنها مكية إلا خمس آيات أولها قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾، وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سورة الأعراف نزلت بمكة.

(٢) سنن النسائي ١٧٠/٢ ، وأخرج البخاري (٧٦٤)، وأبو داود (٨١٢)، والنسائي ١٧٠/٢ ، عن مروان ابن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: مالك تقرأ في المغرب بقصار، وقد سمعتُ النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليين. زاد أبو داود: قال: قلت: ما طولى الطوليين، قال: الأعراف، والأخرى: الأنعام. ونحو هذه الزيادة عند النسائي. وينظر فتح الباري ٢٤٧/٢ .

(٣) في الأحكام الصغرى ١/٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٤) ١/٢٣٧ .

أي: هذا كتابٌ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ فيه مسالتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿حَرَجٌ﴾ أي: ضيقٌ؛ أي: لا يضيِّقُ صدركُ بالإبلاغ؛ لأنه رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إني أخافُ أن يثَلِّغُوا رأسي فَيَدْعُوهُ حُبْرَةٌ». الحديث. خرَّجه مسلم^(٢).

قال الكيا^(٣): فظاهره النهي، ومعناه نفى^(٤) الحرج عنه؛ أي: لا يضيِّقُ صدركُ إلا يؤمنوا به، وإنما عليك البلاغُ، وليس عليك سوى الإنذار به من شيء من إيمانهم أو كفرهم، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبَحْضَ نَفْسَكَ﴾ الآية [الكهف: ٦]. وقال: ﴿لَمَّا كَبَحْضَ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

ومذهبُ مجاهد وقتادة أنَّ الحرجَ هنا الشكُّ^(٥)، وليس هذا شكُّ الكفر، إنما هو شكُّ الضيق. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]. وقيل: الخطابُ للنبي ﷺ والمرادُ أمته. وفيه بُعْدٌ.

والهاء في «مِنْتَهُ» للقرآن. وقيل: للإنذار، أي: أنزل إليك الكتابَ لِتُنذِرَ به فلا يكن في صدرك حرجٌ منه. فالكلامُ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ. وقيل: للتكذيب الذي يُعطيهِ قوة الكلام. أي: فلا يكن في صدرك ضيقٌ من تكذيبِ المُكذِّبين له^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١١٣/٢، والمحرر الوجيز ٣٧٢/٢. والقول الأول للقرطبي، وقد رده الزجاج.

(٢) (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المُجاشعي ؓ، ولفظه: «...وإن الله أمرني أن أحرِّقَ قريشاً، فقلت: ربِّ، إذا يثَلِّغُوا رأسي...» وهو عند أحمد (١٧٤٨٤). قوله: «يثلِّغوا»، قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٩٨/١٧: أي: يشدخوه ويثدخوه كما يُشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٣) في أحكام القرآن ١٣١/٣.

(٤) في (د) و(ظ): رفع، والمثبت من (ز) و(م).

(٥) أخرجه الطبري ٥٤/١٠ - ٥٥.

(٦) تفسير الطبري ٥٥/١٠ - ٥٦، وتفسير أبي الليث ٥٣٠/١، والمحرر الوجيز ٣٧٢/٢، وزاد المسير ١٦٥/٣ - ١٦٦.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَذَكَّرْنَا﴾ يجوزُ أن يكونَ في موضعِ رَفَعٍ ونَصْبٍ وخَفْضٍ. فالرفع من وجهين؛ قال البصريون: هي رَفَعٌ على إضمارِ مبتدأ. وقال الكسائي: عطفتُ على «كتاب». والنصبُ من وجهين؛ على المصدر، أي: وذكَّر به ذكْرِي؛ قاله البصريون. وقال الكسائي: عطفتُ على الهاءِ في «أنزلناه»^(١). والخَفْضُ حَمَلًا على موضعِ «لِنُنذِرَ به». والإنذارُ للكافرين، والذِّكْرُ للمؤمنين؛ لأنهم المستفوعون به.

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني الكتابَ والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ رَسُولٍ فَاحْذَرُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وقالت فرقة: هذا أمرٌ يعمُ النبي ﷺ وأُمَّته. والظاهرُ أنه أمرٌ لجميعِ الناسِ دونَه^(٢). أي: اتَّبِعُوا مِلَّةَ الإسلامِ والقرآن، وأَحِلُّوا حلالَه وحَرَّمُوا حرامَه، وامْتثلُوا أمرَه، واجتنبوا نَهْيَه^(٣).

وَدَلَّتِ الآيَةُ على تركِ اتِّباعِ الآراءِ مع وجودِ النصِّ فيه^(٤).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ «مِنْ دُونِهِ»: من غيره. والهاءُ تعودُ على الربِّ سبحانه، والمعنى: لا تعبدوا معه غيره، ولا تَتَّخِذُوا مَنْ عَدَلَ عن دينِ الله وِليًّا، وكلُّ مَنْ رَضِيَ مذهباً فاهلُ ذلك المذهبِ أولياؤه.

وَرُوِيَ عن مالكِ بنِ دينارٍ أنه قرأ: «وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أي: ولا

(١) يعني - والله أعلم - على تقدير قوله تعالى: «كتاب أنزل» - وهو لفظ الآية - بـ «أنزلناه» - وينظر إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، وينظر الدر المصون ٢٤٤/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣٧٣/٢ دون لفظة: دونَه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٦/٢.

(٤) لفظ: فيه، من (د) و(ز).

تطلبوا^(١).

ولم ينصرف «أولياء» لأنَّ فيه ألف التانيث.

وقيل: تعود^(٢) على «ما» من قوله: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿قِيلَا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ «ما» زائدة. وقيل: تكونُ مع الفعل مصدرًا^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَايِنَّا أَوْ هُمْ قَابِلُونَ ﴿١﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَايِنَّا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: «كم» للتكثير، كما أنَّ «رُبَّ» للتقليل. وهي في موضع رَفْعٍ بالابتداء، و«أهلكتنا» الخبر. أي: وكثيرٌ مِنَ الْقَرْيِ - وهي مواضع اجتماع الناس - أهلكتناها. ويجوزُ النصب بإضمارِ فعلٍ بعدها، ولا يُقدَّرُ قبلها؛ لأنَّ الاستفهامَ لا يعملُ فيه ما قبله^(٤). ويُقَوِّي الأَوَّلُ قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]. ولولا اشتغالُ «أهلكتنا» بالضمير لا تنصب به موضعُ «كم».

ويجوز أن يكونَ «أهلكتنا» صفةً للقرية، و«كم» في المعنى هي القرية، فإذا وصفتِ القريةَ فكأنَّك قد وصفتِ «كم». يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُحِيطُ بِشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النجم: ٢٦]، فعاد الضميرُ على «كم» على المعنى، إذ كانت الملائكةُ في المعنى. فلا يصحُّ على هذا التقدير أن تكونَ «كم» في موضع نصبٍ بإضمارِ فعلٍ بعدها.

﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنَايِنَّا﴾ فيه إشكالٌ للعطف بالفاء. فقال الفراء: الفاءُ بمعنى الواو، فلا

(١) معاني القرآن للنحاس ٩/٣، وقراءة مالك بن دينار أوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٢ وزاد نسبتها للجدري، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٢٧٣ لمجاهد.

(٢) أي: الهاء، من قوله تعالى: «من دونه». ينظر المحرر الوجيز ٢/٢٧٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/٢٨١ - ٢٨٢.

يَلْزَمُ التَّرْتِيبَ^(١). وقيل: أي: وكم من قرية أردنا إهلاكها، فجاءها بأسنا، كقوله: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]^(٢). وقيل: إِنَّ الْهَلَاكَ واقعٌ ببعض القوم، فيكون التقدير: وكم من قرية أهلكنا بعضها فجاءها بأسنا، فأهلكنا الجميع. وقيل: المعنى: وكم من قرية أهلكناها في حُكْمِنا فجاءها بأسنا. وقيل: أهلكناها بإرسالنا ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا، وهو الاستئصال^(٣). والبأسُ: العذابُ الآتي على النفس. وقيل: المعنى: أهلكناها، فكان إهلاكنا إيَّاهم في وقت كذا، فمجيءُ البأسِ على هذا هو الإهلاك. وقيل: البأسُ غيرُ الإهلاك؛ كما ذكرنا.

وحكى الفراء أيضاً أنه إذا كان معنى الفعلين واحداً، أو كالواحد؛ قَدِمَتْ أَيُّهُمَا شئت؛ فيكون المعنى: وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها؛ مثل: دَنَا قَرُوبٌ، وَقَرُبَ قَدْنَا، وَشْتَمَنِي فَأَسَاءَ، وَأَسَاءَ فَشْتَمَنِي؛ لَأَنَّ الْإِسَاءَةَ وَالشَّتْمَ شَيْءٌ وَاحِدٌ^(٤). وكذلك قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. المعنى - والله أعلم - انشَقَّ الْقَمَرُ فاتحرت^(٥) الساعة. والمعنى واحد.

﴿بَيْنَاتٍ﴾ أي: ليلاً، ومنه البيت، لأنه يُبَيِّنُ فِيهِ. يقال: بَاتَ يَبِيِّنُ بَيْنَاتٍ وَبَيْنَاتًا. ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي: أو وهم قائلون، فاستقلوا، فحذَفُوا الْوَاوَ؛ قاله الفراء^(٦).

(١) معاني القرآن للفراء ١/٣٧١ - ٣٧٢، وضعَّف هذا القول السمين في الدرر المصون ٥/٢٤٨.

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي ١/٢٨٢.

(٣) النكت والعيون ٢/٢٠٠، ومجمع البيان للطبرسي ٨/١٠.

(٤) معاني القرآن للقره ١/٣٧١ ولفظه فيه: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنيت، فلم يكن الإحسان بعد المظلم ولا قبله، وإنما وقعا معاً، وينظر تفسير الطبري ١٠/٥٩، والمحرر الوجيز ٢/٣٧٤، والدرر المصون ٥/٢٤٩.

(٥) في (ظ): واقتربت.

(٦) في معاني القرآن ١/٣٧٢.

وقال الزجاج^(١): هذا خطأ، إذا عادَ الذكرُ استُغنيَ عن الواو، تقول: جاءني زيدٌ راكباً أو هو ماشٍ، ولا يحتاج إلى الواو.

قال المهدوي: ولم يُقَلْ: بيانا أو وهم قائلون؛ لأن في الجملة ضميراً يرجع إلى الأول، فاستغنى عن الواو. وهو معنى قولِ الزجاجِ سواء.

وليس «أو» للشك، بل للتفصيل؛ كقولك: لأُكْرِمَنَّكَ منصفاً لي أو ظالماً. وهذه الواو تُسمَى عند النحويين واو الوقت^(٢).

و«قَائِلُونَ» من القائلة، وهي القَيْلولة؛ وهي نومٌ نصف النهار. وقيل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتدَّ الحرُّ وإن لم يكن معها نومٌ. والمعنى: جاءهم عذابنا وهم غافلون إمّا ليلاً وإمّا نهاراً^(٣).

والدعوى: الدُعاء، ومنه قوله: ﴿وَأَجْرٌ دَعْوَاهُمْ﴾ [يونس: ١٠]. وحكى النحويون: اللهم أشرِكنا في دعوى صالح من دعاك. وقد تكون الدعوى بمعنى الادُّعاء. والمعنى: أنهم لم يحصلوا^(٤) عند الإهلاك إلا على الإقرارِ بأنهم كانوا ظالمين.

و﴿دَعْوَاهُمْ﴾ في موضع نصبٍ خبرٌ كان، واسمها ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، نظيره ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [النمل: ٥٦] ويجوزُ أن تكونَ الدَّعوى رفعاً، وأن قالوا نصباً؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا﴾ [البقرة: ١٧٧] برفع «البرِّ»^(٥)،

(١) في معاني القرآن له ٣١٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢.

(٢) قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط (باب الألف اللينة): وتقرب من واو الحال.

(٣) تهذيب اللغة ٣٠٩/٩، وتفسير البغوي ١٤٨/٢.

(٤) في النسخ: لم يخلصوا، والمثبت من معاني القرآن للنحاس ١٠/٣، والكلام منه.

(٥) هي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية شعبة والكسائي. وسلف ذكرها ٥٣/٣ - ٥٤.

وينظر تفسير الرازي ٢١/١٤.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأَوْا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا﴾ [الروم: ١٠] برفع «عاقبة»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ دليل على أن الكفار يُحاسَبون^(٢). وفي التنزيل: ﴿ثُمَّ لِنَذِّبَنَّ الَّذِينَ أَتَيْنَا بِحِسَابِهِمْ﴾ [الغاشية: ٢٦]. وفي سورة القصص: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٧٨]، يعني إذا استقرُّوا في العذاب^(٣).

والآخرة مواطنٌ: مواطنٌ يُسألون فيه للحساب، ومواطنٌ لا يُسألون فيه، وسؤالهم سؤال تقرير وتوبيخ وإفصاح، وسؤال الرُّسل سؤال استشهادٍ بهم وإفصاح، أي: عن جواب القوم لهم^(٤). وهو معنى قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ الضَّالِّدِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]^(٥) على ما يأتي.

وقيل: المعنى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأنبياء، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الملائكة الذين أرسلوا إليهم^(٦).

واللام في «فلنسالن» لام القسم، وحقيقتها التوكيد. وكذا ﴿فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾^(٧). قال ابن عباس: ينطق عليهم^(٨). ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ أي: كنا شاهدين لأعمالهم. ودلت الآية على أن الله تعالى عالم بعلم^(٩).

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. السبعة ص ٥٠٦، والتيسير ص ١٧٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١١٥/٢.

(٣) في تفسير هذه الآية أقوال ذكرها المصنف في موضعها.

(٤) تفسير الطبري ٦٦/١٠، وتفسير الرازي ٢٣/١٣، ومجمع البيان ١٤/٨ - ١٥.

(٥) تفسير أبي الليث ٥٣١/١.

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٧/٣ - ٦٨ لعبد بن حميد.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١١٥/٢.

(٨) أخرجه الطبري بنحوه ٦٤/١٠ - ٦٥ و ٦٧.

(٩) في (د) و(ظ): يعلم، وينظر تفسير الرازي ٢٣/١٣ والبحر المحيط ٢٧٠/٤.

قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ ابتداءً وخبر. ويجوز أن يكون «الحق» نعته، والخبر: «يومئذ». ويجوز نصب «الحق» على المصدر^(١).

والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان. قال ابن عمر: تُوزَنُ صحائف أعمال العباد^(٢). وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر على ما يأتي.

وقيل: الميزان: الكتاب الذي فيه أعمال الخلق. وقال مجاهد: الميزان: الحسنات والسيئات بأعيانها. وعنه أيضاً والضحاك والأعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء^(٣)، وذكر الوزن ضرباً مثل؛ كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه، أي: يُعادله ويُساويه وإن لم يكن هناك وزن.

قال الزجاج^(٤): هذا سائغٌ من جهة اللسان، والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصّحاح من ذكر الميزان. قال القشيري: وقد أحسن فيما قال، إذ لو حُمِلَ الميزان على هذا فليحمل الصراط على الذين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذا أجمعوا على منع التأويل؛ وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً.

قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل

(١) إعراب القرآن للنجاشي ١١٥/٢.

(٢) التكت والعيون ٢٠١/٢.

(٣) تفسیر الرازي ٢٥/١٣.

(٤) في معاني القرآن له ٣١٩/٢.

وَزُنُّهَا، إِذْ لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا^(١). وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا فَيَزِنُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ عِنْدَنَا، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَوَازِينَ تَتَّقَلُ بِالْكَتَبِ الَّتِي فِيهَا الْأَعْمَالُ مَكْتُوبَةٌ، وَبِهَا تَخْفُفُ. وَقَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ مَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّهُ رُوِيَ «أَنَّ مِيزَانَ بَعْضِ بَنِي آدَمَ كَادَ يَخْفُفُ بِالْحَسَنَاتِ، فَيُوضَعُ فِيهِ رَقٌّ مَكْتُوبٌ فِيهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَثْقُلُ»^(٢). فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى وَزْنِ مَا كُتِبَ فِيهِ الْأَعْمَالُ، لَا نَفْسِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يُخَفِّفُ الْمِيزَانَ إِذَا أَرَادَ، وَيَثْقُلُهُ إِذَا أَرَادَ؛ بِمَا يُوضَعُ فِي كَفَّتَيْهِ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا الْأَعْمَالُ.

وَفِي «صَحِيحٍ» مُسْلِمٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَمْرٍو: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُذَنِّى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرَّرُ بِهِ ذُنُوبُهُ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ؛ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ»^(٣). فَقَوْلُهُ: «فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ تُكْتَبُ فِي الصُّحُفِ وَتُوزَنُ.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُصَاحُّ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنَشَّرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمْتَنكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَيْكَ عُذْرٌ، أَلَيْكَ

(١) زاد المير ١٧٠/٣ .

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وسيذكر المصنف نحوه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقوله: رَقٌّ: وهو ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق. مختار الصحاح (رقق).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٦٨)، وأخرجه أحمد (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٤٤١). وقوله: «كنفه»، قال النووي في شرح صحيح مسلم ٨٧/١٧: هو ستره وعفوه.

حسنة؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لا، فيقول: بلى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً^(١)، وإنه لا ظَنَمَ عليك اليوم، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فيقول: يا رَبِّ^(٢)، ما هذه البِطَاقَةُ مع هذه السَّجِّلاتِ؟ فيقول: إِنَّكَ لا تُظَلِّمُ. فتوضع السَّجِّلاتُ في كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِّلاتُ وَتَقَلَّتِ البِطَاقَةُ^(٣). زاد الترمذي: «فلا يَثْقُلُ مع اسمِ الله شيء» وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ^(٤). وسيأتي لهذا الباب مزيدُ بيانٍ في «الكهف» و«الأنبياء» إن شاء الله تعالى^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَتَّيِنُنَا يَطْلُبُونَ﴾.

«مَوَازِينُهُ» جمعُ ميزان، وأصله: مِوزان، قَلِبْتَ الواو ياءً لكسرة ما قَبْلَها^(٦).

وقيل: يجوزُ أن يكونَ هناك موازينٌ للعامل الواحد؛ يُوزَنُ بكلِّ ميزانٍ منها صِنْفٌ من أعماله. ويمكنُ أن يكونَ ذلكَ ميزاناً واحداً عُبِّرَ عنه بلفظ الجمع؛ كما تقول: خرج فلانٌ إلى مكةَ على البغال، وخرج إلى البصرة في السفن، وفي التنزيل: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْأُمْرِيِّينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ﴿كَذَبَتْ عَادَ الْأَمْرِيِّينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وإنما هو رسولٌ واحدٌ في أحد التاويلين.

وقيل: المَوازِينُ جمعُ مَوزون، لا جمعَ ميزان. أراد بالموازن الأعمالَ المَوزونة^(٧). «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ» مثله.

وقال ابن عباس: تُوزَنُ الحَسَناتُ وَالسَّيِّئاتُ في ميزانٍ له لسانٌ وَكِفَّتَان؛ فأما

(١) في (م) وهامش (خ): حسنات.

(٢) قوله: يا رب، من (م) ومصادر الحديث.

(٣) سنن ابن ماجه (٤٣٠٠)، وأخرجه أحمد (٦٩٩٤).

(٤) سنن الترمذي (٢٦٣٩).

(٥) عند تفسير الآية (١٠٥) من الكهف، والآية (٤٧) من الأنبياء.

(٦) الصحاح (وزن).

(٧) تفسير الرازي ٢٦/١٣.

المؤمنُ فَيُؤْتَى بعمله في أحسن صورة، فَيُوضَع في كِفَّة الميزان، فتثقلُ حسناته على سيئاته؛ فذلك قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وَيُؤْتَى بعمل الكافر في أفتح صورة، فَيُوضَع في كِفَّة الميزان، فَيَخِفُّ وَزْنُهُ حتى يَقَعَ في النار^(١).

وما أشار إليه ابنُ عباسٍ قريبٌ مما قيل: يخلُق الله تعالى كلَّ جُزءٍ من أعمال العباد جوهراً، فيقع الوزنُ على تلك الجواهر. وردّه ابنُ فُورَك وغيره.

وفي الخبر: إذا حَقَّقَتْ حسناتُ المؤمن؛ أخرج رسولُ الله ﷺ بِطاقةٍ كالأنملة، فَيَلْقِيها في كِفَّة الميزان اليمنى التي فيها حسناته، فترجعُ الحسناتُ، فيقول ذلك العبدُ المؤمن للنبيِّ ﷺ: يا بَبي أنتَ وأُمِّي، ما أحسنَ وجهك، وما أحسنَ خَلْقَكَ، فمن أنتَ؟! فيقول: «أنا محمدٌ نبيُّك، وهذه صلواتك التي كنتَ تُصَلِّي عليّ؛ قد وَفَّيْتُكَ أَحوجَ ما تكونُ إليها». ذكره القشيريُّ في «تفسيره»^(٢)؛ وذكر أن البطاقة - بكسر الباء - رُقعةٌ فيها رَقْمُ المَتَاعِ بلغة أهل مصر. وقال ابن ماجه: قال محمدُ بن يحيى^(٣): البطاقة الرُقعة، وأهلُ مصر يقولون لِلرُقعة: بطاقة.

وقال حذيفة: صاحبُ الموازين يومَ القيامة جبريلُ عليه السلام، يقول الله تعالى: «يا جبريلُ، زِنْ بينهم، فَرُدَّ من بعضٍ على بعضٍ». قال: وليس ثمَّ ذهبٌ ولا فضةٌ؛ فإنَّ كان للظالم حسناتٌ أُحِذَّ من حسناته فَرُدَّ على المظلوم، وإن لم تكن له حسناتٌ أُحِذَّ من سيئات المظلوم؛ فَتَحْمَلُ على الظالم؛ فيرجع الرجلُ وعليه مثلُ الجبال^(٤).

(١) أورده الواحدي في الوسيط ٢/ ٣٥٠، وأخرجه بنحوه البيهقي في الشعب (٢٨٢)، وفي إسناده الكلبي، وهو مُتَّهم بالكذب كما في تقريب التهذيب ص ٤١٥.

(٢) وأورده الرازي في تفسيره ١٣/ ٢٧، وعزاه للواحدي في البسيط.

(٣) الذهلي، أبو عبد الله النيسابوري الحافظ، وهو شيخ ابن ماجه الذي روى عنه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (٤٣٠٠) السالف قريباً. وقوله هذا ذكره ابن ماجه عقب الحديث.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/ ٦٩، وفي إسناده عبد العزيز بن أبان الأموي، تركه أحمد، وقال فيه ابن معين: كذاب خبيث يضع الحديث، كما في تهذيب التهذيب ٢/ ٥٨١ =

وروي عن النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، أُبْرِزْ إِلَى جَانِبِ الْكُرْسِيِّ عِنْدَ الْمِيزَانِ، وَانظُرْ مَا يُرْفَعُ إِلَيْكَ مِنْ أَعْمَالِ بَيْنِكَ، فَمَنْ رَجَعَ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ وَثِقَالَ حَبَّةٌ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ رَجَعَ شَرُّهُ عَلَى خَيْرِهِ وَثِقَالَ حَبَّةٌ فَلَهُ النَّارُ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنِّي لَا أَعْذِبُ إِلَّا ظَالِمًا»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

أي: جعلناها لكم قراراً ومهاداً، وهياًنا لكم فيها أسباب المعيشة. والمعاش جمع معيشة، أي: ما يُتَعَيَّشُ به من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ وما تكون به الحياة. يقال: عاش يَعِيشُ عَيْشاً وَمَعاشاً وَمَعِيشاً وَمَعِيشَةً وَعَيْشَةً.

وقال الزجاج^(٢): المَعِيشَةُ ما يُتَوَصَّلُ به إلى العَيْشِ. ومَعِيشَةٌ في قول الأخفش وكثير من النحويين: مَفْعِلَةٌ^(٣).

وقرأ الأعرج: «مَعَائِشَ» بالهمز. وكذا روى خارجة بن مُصعب عن نافع^(٤).

قال النحاس^(٥): والهمزُ لِحُنِّ لا يجوز؛ لأنَّ الواحدة معيشة، أصلها مَعِيشَةٌ،

= والصحيح في باب رد المظالم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مَظْلَمَةٌ لأحد من عِزْهِه أو شيء فليَتَحَلَّه منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عملٌ صالح أخذ منه بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإن لم تكن له حسناتٌ أخذ من سيئاتِ صاحبه فُحْمَلْ عليه». أخرجه أحمد (٩٦١٥) والبخاري (٢٤٤٩)، وسلف ٧٦/٢. وحديثُ المُفلس المشهور أخرجه أحمد (٨٠٢٩)، ومسلم (٢٥٨١) وسلف ٢٧٣/٤.

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٨٥٦) بنحوه مطولاً من حديث أبي هريرة ؓ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٧/١٠، وقال: فيه الفضل بن عيسى الرُقاشي، وهو كذاب. وقال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب ص ٣٨٢: منكر الحديث، رُمي بالقدر. وينظر التذكرة للمصنف ص ٣٠٩ وما بعدها.

(٢) في معاني القرآن ٢/٣٢٠ - ٣٢١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٥١١ - ٥١٢، ومشكل إعراب القرآن ١/٢٨٣.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٢. وهذه القراءة عن نافع ليست المشهورة عنه، وقراءته لهذه اللفظة كقراءة الجماعة.

(٥) في إعراب القرآن ٢/١١٥.

فَزِيدَتْ أَلْفَ الْجَمْعِ^(١)، وهي ساكنة والياء ساكنة، فلا بدّ من تحريك؛ إذ لا سبيلَ إلى الحذف، والألف لا تُحَرِّك، فَحُرِّكَتِ الْيَاءُ بِمَا كَانَ يَجِبُ لَهَا فِي الْوَاحِدِ. ونظيره من الواو: مَنَارَةٌ وَسَنَائِرٌ، وَمَقَامٌ وَمَقَاوِمٌ؛ كما قال الشاعر:

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ مَقَاوِمٌ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقُومُهَا^(٢)
وكذا: مُصِيبَةٌ وَمَصَاوِبٌ. هذا الجيد، ولغة شاذة: مصائب. قال الأخفش^(٣): إنما جاز مصائب؛ لأنّ الواحدة مُعْتَلَّةٌ. قال الزّجاج^(٤): هذا خطأ يلزمه عليه أن يقول: مقائم. ولكن القول أنه يثقل: وسادة وإسادة.

وقيل: لم يَجُزِ الْهَمْزُ فِي مَعَايِشَ لِأَنَّ الْمَعِيشَةَ مَفْعِلَةٌ؛ فالياء أصلية، وإنما يهْمَزُ إذا كانت الياء زائدة؛ مثل مدينة ومدائن^(٥)، وصحيفة وصحائف، وكريمة وكرائم، ووصيفة ووصائف^(٦)، وشبهه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لما ذكّر نَعَمَهُ؛ ذكّر ابتداء خلقه. وقد تقدّم معنى الخلق في غير موضع^(٧). «ثم صوّرناكم» أي: خلقناكم نطفاً، ثم صوّرناكم، ثم إنّنا نخبركم أنا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم. وعن ابن عباس والضحاك

(١) في النسخ: ألف الوصل، والمثبت من إعراب القرآن.

(٢) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ١٢٣.

(٣) معاني القرآن ٥١٢/٢.

(٤) في معاني القرآن ٣٢٠/٢.

(٥) هذا على رأي من جعل مدائن من مدّن، وأما من جعلها من دانّ يدين فم يهمز لأن الياء حينئذ أصلية.

ينظر معاني القرآن للأخفش ٥١٢/٢ والحجة للقراء السبعة ٨/٤ - ٩.

(٦) في (م): ووظيفة ووظائف.

(٧) ينظر ٣٤١/١ و٣٧٦.

وغيرهما: المعنى: خلقنا آدم، ثم صورناكم في ظهره^(١).

وقال الأخفش: «ثم» بمعنى الواو^(٢).

وقيل: المعنى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ» يعني آدم عليه السلام، ثم قلنا للملائكة:

اسجدوا لآدم، ثم صورناكم؛ على التقديم والتأخير.

وقيل: «ولقد خَلَقْنَاكُمْ» يعني آدم؛ دُكِرَ بلفظ الجمع؛ لأنه أبو البشر، «ثُمَّ

صَوَّرْنَاكُمْ» راجع إليه أيضاً. كما يقال: نحن قتلناكم؛ أي: قتلنا سيديكم. «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم». وعلى هذا لا تقديم ولا تأخير. عن ابن عباس أيضاً^(٣).

وقيل: المعنى: ولقد خلقناكم، يريد آدم وحواء؛ فأدم من التراب؛ وحواء من

ضِلَعٍ من أضلاعه، ثم وقع التصوير بعد ذلك. فالمعنى: ولقد خَلَقْنَا أَبْوَابَكُمْ، ثم صورناهما^(٤). قاله الحسن.

وقيل: المعنى: خَلَقْنَاكُمْ في ظهر آدم، ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق.

هذا قول مجاهد. رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح^(٥). قال النحاس: وهذا أحسن

الأقوال. يذهب مجاهد إلى أنه خَلَقَهُمْ في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم

الميثاق، ثم كان السجود بعد. ويقوي هذا: «وَلَاذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ» [الأعراف: ١٧٢]، والحديث «أنه أخرجهم أمثال الذر، فأخذ عليهم

الميثاق»^(٦).

(١) أخرجه الطبري ٧٥/١٠ - ٧٧.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٥١٢/٢، وخطأه الزجاج في معاني القرآن له ٣٢١/٢، والنحاس في معاني القرآن له ١٢/٣.

(٣) تفسير البغوي ١٥٠/٢.

(٤) ذكر الزجاج نحوه في معاني القرآن ٣٢١/٢ - ٣٢٢.

(٥) أخرجه الطبري ٧٨/١٠ بلفظ: قال مجاهد: «ولقد خلقناكم» قال: آدم، «ثم صورناكم» قال: في ظهر آدم.

(٦) أخرجه أحمد (٢٤٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٧) من حديث ابن عباس.

وقيل: «ثم» للإخبار، أي: ولقد خلقناكم، يعني في ظهر آدم ﷺ، ثم صورناكم أي: في الأرحام. قال النحاس: هذا صحيح عن ابن عباس^(١).

قلت: كل هذه الأقوال مُحتمِل، والصحيح منها ما يَعُضُده التنزيل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] يعني آدم. وقال: ﴿وَنَلَقَّ وَنَهَّا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، ثم قال: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جَعَلْنَا نَسْلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٣]. فأدمُ خُلِقَ من طين، ثم صُوِّرَ وأُكْرِمَ بالسجود، وَذُرِّيَّتُهُ صُوِّرُوا في أرحام الأمهات بعد أن خُلِقُوا فيها وفي أصلاب الآباء.

وقد تقدّم في أوّل سورة الأنعام^(٢) أن كلَّ إنسان مخلوقٌ من نُطفةٍ وَثُرْبَةٍ؛ فتأمّله.

وقال هنا: ﴿خَلَقْتُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، وقال في آخر «الحشر»: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الآية: ٢٤]. فذكر التصويرَ بعد البرء. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

وقيل: معنى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتُمْ﴾ أي: خَلَقْنَا الأرواحَ أوْلاً، ثم صَوَّرْنَا الأشباحَ آخراً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ استثناءٌ من غير الجنس. وقيل: من الجنس^(٣). وقد اختلف العلماء: هل كان من الملائكة أم لا؟ كما سبق بيانه في «البقرة»^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

فيه أربع مسائل:

(١) معاني القرآن للنحاس ١٢/٣ - ١٣، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٧٥/١٠.

(٢) ٣١٨/٨ - ٣١٩.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢٨٤/١.

(٤) ٤٣٨/١.

الأولى: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ «ما» في موضع رَفْعٍ بالابتداء؛ أي: أي شيء مَنَعَكَ؟ وهذا سؤالٌ توبيخ. ﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾ في موضع نَصْبٍ، أي: مِنْ أَنْ تَسْجُدَ. و«لا» زائدة^(١). وفي «ص»: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [الآية: ٧٥]، وقال الشاعر:

أَبَى جُودَهُ لَا الْبُخْلَ فَاسْتَعْجَلْتُ بِهِ نَعَمٌ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ نَائِلَهُ^(٢)

أراد: أَبَى جُودَهُ الْبُخْلَ، فزاد «لا».

وقيل: ليست بزائدة؛ فَإِنَّ الْمَنَعَ فِيهِ طَرَفٌ مِنَ الْقَوْلِ وَالِدَعَاءِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ لَكَ أَلَا تَسْجُدُ؟ أَوْ مَنْ دَعَاكَ إِلَى أَلَا تَسْجُدُ؟ كَمَا تَقُولُ: قَدْ قَلْتُ لَكَ أَلَا تَفْعَلُ كَذَا.

وقيل: في الكلام حذفٌ، والتقدير: ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى الأ تسجد^(٣).

قال العلماء: الذي أحوجّه إلى تَرْكِ السُّجُودِ هُوَ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ؛ وَكَانَ أَضْمَرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ إِذَا أَمَرَ بِذَلِكَ. وَكَانَ أَمْرُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]. فَكَأَنَّهُ دَخَلَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾. فَإِنَّ فِي الْوُقُوعِ تَوْضِيحَ الْوَاقِعِ وَتَشْرِيفًا لِمَنْ وُقِعَ لَهُ؛ فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَلَا يَسْجُدُ إِذَا أَمْرُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ؛ وَقَعَتِ الْمَلَائِكَةُ سُجُودًا، وَبَقِيَ هُوَ قَائِمًا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ فَأَظْهَرَ بَقِيَامَهُ وَتَرَكَ السُّجُودَ مَا فِي ضَمِيرِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أَي: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْإِنْقِيَادِ

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٨٣/ ١٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٣/ ٢، وأمالى ابن السجري ٥٣٧/ ٢، والمحزر الوجيز ٣٧٨/ ٢، واللسان (نعم)، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٦٣٤/ ٢، وعندهم: قاتله، بدل: نائله. وعند الطبري والزجاج وابن منظور: الجوع، بدل: الجود.

قال السيوطي: قوله: لا يمنع الجود قاتله: أراد: الجود وإن قتله لا يمنعه، فقاتله منصوب على الحال، أي: لا يمنع الجود في حال قتله إياه، لأن الجود يُفقره، ويجوز أن ينتصب قاتله على أنه مفعول، أي أنه لا يمنع من يريد أن يقتله الجود بذلك عليه.

(٣) تفسير الطبري ٨٢/ ١٠ - ٨٤، وزاد المسير ١٧٤/ ٣.

لأمري؟ فأخرج سِرَّ ضميره فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَمَرْنَاكَ﴾ يدلُّ على ما يقوله الفقهاء من أنَّ الأمرَ يقتضي الوجوبَ بمطلقه من غير قَرِينَةٍ؛ لأنَّ الدَّمَ عَلِقَ على تَرْكِ الأمرِ الْمُطْلَقِ الذي هو قوله عزَّ وجلَّ للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وهذا بَيْنٌ^(١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي: معني من السجود فَضْلِي عليه. فهذا من إبليسَ جوابٌ على المعنى. كما تقول: لمن هذه الدار؟ فيقول المخاطب: مالِكُها زيدٌ. فليس هذا عينَ الجواب، بل هو كلامٌ يرجعُ إلى معنى الجواب^(٢).

﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَصَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ﴾ فرأى أن النارَ أشرفُ من الطينِ؛ لِعُلُوِّها وَضَعُودِها وَخِفَّتِها، ولأنها جوهرٌ مُضِيءٌ.

قال ابن عباس والحسن وابن سيرين: أوَّلُ مَنْ قَاسَ إبليسَ، فأخطأ القياسَ. فمن قَاسَ الدينَ برأيه قَرَنَهُ اللهُ مع إبليس. قال ابن سيرين: وما عُجِدَتِ الشمسُ والقمرُ إلا بالمقاييس.

وقالت الحكماء: أخطأ عدوُّ الله من حيث فَضْلُ النارِ على الطينِ، وإنَّ كانا في درجة واحدةٍ من حيث هي جمادٌ مخلوق^(٣). فإنَّ الطينَ أَفْضَلُ من النارِ من وجوه أربعة:

أحدها: أن من جوهر الطينِ الرَّزَانَةُ والسُّكُونُ، والوَقَارُ والأَنَاةُ، والجِلْمُ والحَيَاءُ، والصَبْرُ. وذلك هو الدَّاعي لآدَمَ عليه السلام بعد السعادة التي سبقَتْ له إلى التوبة والتواضع والتضرُّع، فأورثه المغفرةَ والاجتباءَ والهداية. ومن جوهر النارِ الخِفَّةُ والطَّنِيشُ، والحِدَّةُ والارتفاع، والاضطراب. وذلك هو الدَّاعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقَتْ له إلى الاستكبارِ والإضرار؛ فأورثه الهلاكَ والعذابَ واللعنةَ

(١) أحكام القرآن للكبلي الهراسي ١٣٢/٣.

(٢) الكلام بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١٥/٣، وزاد المسير ١٧٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣٧٦/٢، وتفسير البغوي ١٥٠/٢ وأخرج الأقوال السالفة الطبري ٨٧/١٠.

وَالشَّقَاءُ^(١)؛ قاله القائل.

الثاني: أَنَّ الخَيْرَ ناطقٌ بأن تراب الجنة منك أدفر^(٢)، ولم ينطق الخبير بأن في الجنة ناراً وأن في النار تراباً.

الثالث: أن النار سبب العذاب، وهي عذاب الله لأعدائه؛ وليس التراب سبباً للعذاب.

الرابع: أن الطين مستغن عن النار، والنار محتاجة إلى المكان، ومكانها التراب^(٣).

قلت: ويحتمل قولاً خامساً: وهو أن التراب مسجّد وظهور؛ كما جاء في صحيح الحديث^(٤). والنار تخويّف وعذاب؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُمْ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال ابن عباس: كانت الطاعة أولى إبليس من القياس، فعصى ربه، وهو أوّل من قاس برأيه. والقياس في مخالفة النص مردود^(٥).

الرابعة: واختلف الناس في القياس إلى قائل به، وراؤ له؛ فأما القائلون به فهم الصحابة والتابعون، وجمهور من بعدهم، وأن التعبد به جائز عقلاً واقع شرعاً، وهو

(١) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٨٦/١٠، وتفسير البغوي ١٥٠/٢ - ١٥١.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣) عن أنس بن مالك ؓ - ضمن حديث الإسراء - قال: قال رسول الله ﷺ: «...ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنايد اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». وأخرجه أحمد (١٢٥٤٢)، والبخاري (٦٥٨١) عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدُرّ المُجَوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه يسك أدفر». والمسك الأذفر: هو الطيب الريح. النهاية (ذفر).

(٣) ذكر نحو هذه المعاني وغيرها في فضل الطين على النار ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٤/٣.

(٤) كما في قوله ﷺ: «...جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً...» أخرجه أحمد (١٤٢٦٤) والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر ؓ.

(٥) تفسير أبي الليث ٥٣٢/١ - ٥٣٣، وقول ابن عباس رضي الله عنهما سلف قريباً.

الصحيح. وذهب الفقهاء من الشافعية وأبو الحسين البصري^(١) إلى وجوب التعبد به عقلاً^(٢). وذهب النظم إلى أنه يستحيل التعبد به عقلاً وشرعاً، وردّه بعض أهل الظاهر^(٣). والأوّل الصحيح. قال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: المعنى: لا عِصْمَةٌ لأحدٍ إلا في كتاب الله، أو سنة نبيه، أو في إجماع العلماء؛ إذا وُجِدَ فيها الحكم، فإن لم يُوجَدْ فالقياس^(٤). وقد ترجم على هذا: باب مَنْ شَبَّهَ أصلاً معلوماً بأصلٍ مبيّنٍ قد بيّن الله حكمهما^(٥) ليفهم السائل. وترجم بعد هذا: باب الأحكام التي تُعرف بالدلائل، وكيف معنى الدلالة وتفسيرها^(٦).

وقال الطبري: الاجتهاد والاستنباط من كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وإجماع الأمة هو الحق الواجب، والفرض اللازم لأهل العلم، وبذلك جاءت الأخبار عن النبي ﷺ، وعن جماعة الصحابة والتابعين.

وقال أبو تمام المالكي^(٧): أجمعت الأمة على القياس؛ فمن ذلك أنهم أجمعوا على قياس الذهب والورق في الزكاة. وقال أبو بكر: أقبِلُونِي بِيَعْتِي. فقال عليّ: والله، لا نُقبِلُكَ ولا نَسْتقبِلُكَ^(٨)، رَضِيكَ رسولُ الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاك

(١) محمد بن علي بن الطيّب، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، له كتاب المعتمد في أصول الفقه. توفي سنة (٤٣٦هـ). السير ٥٨٧/١٧.

(٢) المحصول في علم أصول الفقه للرازي ٢٢/٥.

(٣) وكذا نسب ابن قدامة المقدسي في روضة الناظر ٨٠٦/٣ ردّ القياس العقلي والشرعي للنظام وأهل الظاهر، لكن الجويني نسب ذلك في البرهان ٤٩٠/٢ - ٤٩١ لأهل الظاهر فقط، وذكر أن مذهب النظم هو القول بالقياس العقلي ويجحد القياس الشرعي.

(٤) أشار البخاري رحمه الله إلى كتابه الاعتصام بإثر الحديث (٧٢٧١) حيث قال: ينظر في أصل كتاب الاعتصام. وقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٤٦/١٣ نحو كلام البخاري أعلاه، ونسبه لابن بطال.

(٥) في (د) و(ز) و(م): حكمها، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في صحيح البخاري في ترجمة الحديث (٧٣٥٦).

(٦) ترجمة الحديث (٧٣٥٦).

(٧) لعله علي بن محمد بن أحمد المصري، صاحب الأبهري، له مختصر في الخلاف يُسَمَّى نكت الأدلة وكتاب في أصول الفقه. الديباج المذهب ١٠٠/١.

(٨) قوله: ولا نستقبلك، من (م).

لدينا^(١)؟! ففاسَ الإمامةَ على الصلاة. وقاسَ الصديقُ الزكاةَ على الصلاة، وقال: والله لا أفرِّق بين ما جمع الله^(٢). وصرَّح عليٌّ بالقياس في شارب الخمر بمحضِّر من الصحابة، وقال: إنه إذا سَكَّرَ هَذَى، وإذا هَذَى أَفْتَرَى فحَدَّهُ حَدَّ القاذِف^(٣). وكتبَ عمرُ إلى أبي موسى الأشعري كتاباً فيه: الفَهْمُ الفَهْمُ فيما يَخْتَلِجُ في صدرك مما لم يَبْلُغْكَ في الكتاب والسنة، إعرِفَ الأمثالَ والأشباه، ثم قسِ الأمورَ عند ذلك، فاعمِدْ إلى أحبِّها إلى الله تعالى وأشبهها بالحقِّ فيما تَرى. الحديثُ بطوله. ذكره الدارقطني^(٤). وقد قال أبو عُبيدة لعمر رضي الله عنهما في حديث الوَبَاءِ، حين رَجَعَ عمرُ من سَرَخ^(٥): نَفَرٌ^(٦) من قَدَّرَ الله؟ فقال عمرُ: نعم، نَفَرٌ من قَدَّرَ الله إلى قَدَّرِ الله. ثم قال له عمر: رأيتَ^(٧). فقايَسَه وناظرَه بما يُشبهه من مسألته بمحضِّر المهاجرين والأنصار، وحسبُك.

وأما الآثارُ وآيُ القرآن في هذا المعنى فكثير، وهو يدلُّ على أن القياس أصلٌ من أصول الدين، وعِضْمَةٌ من عِصَمِ المسلمين، يرجعُ إليه المجتهدون، ويُفَرِّعُ إليه العلماءُ العاملون، فيستنبطون به الأحكام، وهذا قولُ الجماعة الذين هم الحُجَّة، ولا يُلتَفَتُ إلى من شدَّ عنها. وأما الرأي المذمومُ والقياسُ المُتكلِّفُ المَنهِيٌّ عنه فهو ما لم

(١) سلف ١/٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢) أخرجه أحمد (٦٧)، والبخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة ؓ، بلفظ: قال أبو بكر ؓ: والله، لأقاتِلُنَّ من فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٨٤٢ عن ثور بن زيد الديلمي، أن عمر ؓ استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال له علي ؓ: نرى أن تجلده ثمانين... وذكره. قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/٧٥: هو منقطع؛ لأن ثوراً لم يلحق عمر بلا خلاف، لكن وصله النسائي في الكبرى [٥٢٦٩] من وجه آخر عن ثور، عن عكرمة، عن ابن عباس. وينظر فتح الباري ١٢/٦٩.

(٤) برقم (٤٤٧١).

(٥) مدينة افتتحها أبو عُبيدة، وهي اليرموك والجابية مُتصلات. فتح الباري ١٠/١٨٤.

(٦) في (ظ): أفرار، وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم (والحديث فيهما كما سيأتي): أفراراً.

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩) مطولاً، وهو في مستد أحمد (١٦٨٣) مختصراً.

يكن على هذه الأصول المذكورة؛ لأن ذلك ظنٌّ ونزْعٌ^(١) من الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكلُّ ما يُوردهُ المُخالفُ من الأحاديثِ الضعيفة والأخبارِ الواهية في ذمِّ القياس؛ فهي محمولةٌ على هذا النوع من القياس المذموم؛ الذي ليس له في الشرع أصلٌ معلوم. وتسميُّ هذا البابِ في كتب الأصول^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَقِمْ وَنَهَاً فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَقِمْ وَنَهَاً﴾ أي: من السماء. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لأنَّ أهلها الملائكة المتواضعون. ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّافِرِينَ﴾ أي: من الأذلين. ودلٌّ هذا أنَّ مَنْ عصى مولاة فهو ذليلٌ. وقال أبو روق والبيجلي: «فاهيظ منها» أي: من صورتك التي أنت فيها^(٣)؛ لأنه افتخر بأنه من النار، فسُوِّهت صورته بالإظلام وزوال إشراقه. وقيل: «فاهيظ منها» أي: انتقل من الأرض إلى جزائر البحار، كما يقال: هَبَطْنَا أرضَ كذا، أي: انتقلنا إليها من مكانٍ آخر، فكأنه أخرج من الأرض إلى جزائر البحار، فسلطانه فيها، فلا يدخلُ الأرضَ إلا كهيئة السارق؛ يخافُ فيها حتى يخرج منها^(٤). والقولُ الأوَّلُ أظهرٌ، وقد تقدَّم في «البقرة»^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

سأل النَّظْرَةَ والإمهالَ إلى يومِ البعث والحساب؛ طلبَ آلا يموت؛ لأن يومَ

(١) في (د) و(ز): وبعد.

(٢) البرهان للجويني ٤٨٧/٢ وما بعدها، والمحصل للرازي ٥/٥ وما بعدها.

(٣) أورد نحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٥١٥، وذكر أن الثعلبي حكاه عن الحسن وأبي العالقة. أبو روق: هو عطية بن الحارث الهمداني. والبيجلي: هو الحسين بن الفضل، أبو علي الكوفي المفسر.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ١/٥٣٣، وتفسير البغوي ٢/١٥١.

(٥) ٤٨٦/١.

الْبُعْثِ لَا مَوْتَ بَعْدَهُ، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾. قال ابن عباس والسُّدِّي وغيرهما: أنظره إلى النَّفْخَةِ الْأُولَى حيث يموت الخلق كلهم. وكان طلبُ الإنظار إلى النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ حيث يقومُ الناسُ لربِّ العالمين، فأبى الله ذلك عليه^(١).
وقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، ولم يتقدَّم ذِكْرُ مَنْ يُبْعَثُ؛ لأنَّ القصة في آدمَ وذُرِّيَّتِهِ، فدُلَّت القرينةُ على أنَّهم هم المبعوثون.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآبِئِنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبِأَنْفُسِهِمْ وَعَنِّي وَعَنِّي وَعَنِّي وَعَنِّي وَعَنِّي وَعَنِّي وَلَا يَحْجِدُونَ أَكْفَرَهُمْ شُكْرِيكَ ﴿١٧﴾﴾
فيه ثلاثُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فِيمَا آغْوَيْتَنِي﴾ الإغواءُ: إيقاعُ الغيِّ في القلب، أي: فيما أوقعت في قلبي من الغيِّ والعناد والاستكبار. وهذا لأنَّ كفرَ إبليسَ ليس كفرَ جهلٍ، بل هو كفرٌ عنادٍ واستكبار. وقد تقدَّم في «البقرة»^(٢).

قيل: معنى الكلامِ الْقَسَمُ، أي: فبإغوائِكَ إِيَّايَ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ على صراطك، أو في صراطك، فحذف. دليلُ هذا القول قولُه في «ص»: ﴿فِيمَرْزَاكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: ٨٢]، فكانَ إبليسَ أعظمَ قَدْرٍ إغواءِ الله إِيَّاه لِمَا فيه من التسليطِ على العباد، فأقسمَ به إعظاماً لِقَدْرِهِ عنده.

وقيل: الباءُ بمعنى اللام، كأنه قال: فبإغوائِكَ إِيَّاي. وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى: فمع إغوائِكَ إِيَّاي. وقيل: هو استفهامٌ، كأنه سألَ بأيِّ شيءِ أغواه؟ وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبِمَ آغويتني؟ وقيل: المعنى: فبما أهلكتني بلَغْنِكَ إِيَّاي.

والإغواءُ: الإهلاكُ، قال الله تعالى: ﴿نَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] أي: هلاكاً. وقيل: فبما أضللتني - والإغواءُ: الإضلالُ والإبعادُ - قاله ابن عباس^(٣). وقيل:

(١) أورده بنحوه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ٤٤٤/١.

(٣) أخرجه الطبري ٩١/١٠.

حَيِّتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ^(١)، ومنه قول الشاعر:

وَمَنْ يَغْوِ لَا يَغْدَمُ عَلَى الْعَمَى لَأَمَّا^(٢)

أي: مَنْ يَخْبُ.

وقال ابن الأعرابي: يقال: غَوَى الرجلُ يَغْوِي غَيًّا: إذا فَسَدَ عليه أمرُهُ، أو فَسَدَ هو في نفسه، وهو أحدُ معاني قوله تعالى: ﴿وَعَصَا آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، أي: فَسَدَ عَيْشُهُ فِي الْجَنَّةِ. ويقال: غَوِيَ الْفَصِيلُ: إذا لم يَدْرُ لَبِنُ أُمِّهِ^(٣).

الثانية: مذهب أهل السنة أن الله تعالى أضلَّهُ وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى، وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادرٌ عن إرادته تعالى.

وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاعوه في هذه المسألة، ويقولون: أخطأ إبليس، وهو أهل للخطأ، حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك.

فيقال لهم: وإبليس؛ وإن كان أهلاً للخطأ، فما تصنعون في نبيٍّ مُكْرَمٍ معصوم، وهو نوحٌ عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤) [هود: ٣٤]. وقد روي أن طاموساً جاءه رجلٌ في المسجد الحرام، وكان متهماً بالقتل، وكان من الفقهاء الكبار، فجلس إليه، فقال له طاموس: تقوم أو تُقام؟ فقيل لطاموس: تقول هذا لرجل فقيه؟! فقال: إبليس

(١) تنظر هذه المعاني في المحرر الوجيز ٣٨٠/٢، والنكت والعيون ٢٠٦/٢، وتفسير البيهقي ١٥١/٢، وزاد المسير ١٧٦/٣، وتفسير الرازي ٣٨/١٣.

(٢) قائله الشُّرْقَشُ الأصغر، وصدرة: فمن يلقَ خيراً يحمدي الناسُ أمره. وهو في المفضليات ص ٢٤٧، والشعر والشعراء ٢١٥/١.

(٣) تهذيب اللغة ٢١٨/٨ بنحوه.

(٤) حَزَّ الْغَلَّاصِمِ لَشَيْثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ص ٢٨.

أفقهُ منه، يقول إبليسُ: رَبِّ بما أَعْوَيْتَنِي، ويقول هذا: أنا أَعْوِي نفسي^(١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بالصّدِّ عنه، وتزيين الباطل حتى يَهْلِكُوا كما هَلَكَ، أو يَضَلُّوا كما ضَلَّ، أو يُخَيَّبُوا كما خُيِّبَ؛ حَسَبَ ما تقدّم من المعاني الثلاثة في «أَعْوَيْتَنِي»^(٢).

والصراط المستقيم: هو الطريقُ الموصِلُ إلى الجنة. و«صِرَاطَكَ» منصوبٌ على حذفٍ على أو في من قوله: «صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ»؛ كما حكى سيبويه^(٣) «ضُرِبَ زَيْدٌ الظَهْرَ وَالْبَطْنَ». وأنشد:

لَدُنْ بِهَرِّ الكَفِّ يَعْمَلُ مَثْنُهُ فيه كما عَمَلَ الطَّرِيقُ الشَّعْلُبُ^(٤)

ومن أحسن ما قيل في تأويل: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: لأصُدَّنَّهُمْ عن الحقِّ، وأرْعَبُهُمْ في الدنيا، وأشكَّكُهُمْ في الآخرة^(٥). وهذا غاية في الضلالة، كما قال: ﴿وَلَا ضَلَّلَنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] حسب ما تقدّم^(٦).

وروى سفيان، عن منصور، عن الحكم بن عتيبة قال: «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ»: من دنياهم، «وَمِنْ خَلْفِهِمْ»: من آخرتهم، «وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ» يعني حسناتهم، «وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» يعني سيئاتهم^(٧).

(١) ذكرها الزمخشري في كشافه ٧٠/٢، وجعلها من تكاذيب المجتبره وردّ عليه ابن المنير في الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال.

وللتوسّع في مسألة خلق الأفعال ينظر الإنصاف للباقلاني ص ١٤٤ والإرشاد للجويني ص ١٧٣.

(٢) في المسألة الأولى.

(٣) الكتاب ٣٦/١ و ١٥٨ و ٢١٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢، والبيت لساعدة بن جُوَيْة الهذلي، يصف فيه رُمحه، وهو في شرح ديوان الهذليين ١١٢٠/٣. وفيه: لَدُّ، بدل: لَدُنْ. قال شارحه: قوله: لَدُّ، أي: تَلَدُّ الكَفِّ بهزّه. وقوله: يعمل مثنّه فيه، أي: في كَفِّه، يعمل، أي: يضطرب. كما عمل الطريقُ الشَّعْلُبُ، أي: في الطريق، وهو اضطرابه.

(٥) أخرجه الطبري ٩٩/١٠ بنحوه من قول الحكم والسدي.

(٦) ١٣٥/٧.

(٧) أخرجه الطبري ٩٨/١٠.

قال النحاس^(١): وهذا قولٌ حسنٌ، وشرُّه: أن معنى «ثم لآتينهم من بين أيديهم»: من دنياهم؛ حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة، «ومن خلفهم»: من آخرتهم؛ حتى يكذبوا بها، «وعن أيمانهم»: من حسناتهم وأموال دينهم. ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٢٨]، «وعن شمائلهم» يعني سيئاتهم، أي: يتبعون الشهوات، لأنه يُزيئها لهم.

﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أي: مؤخدين طائعين؛ مُظهرين الشكر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من الجنة. ﴿مَذْمُومًا مَذْمُورًا﴾. «مَذْمُومًا» أي: مذموماً، والذَّمُّ: العيب^(٢)، بتخفيف الميم. قال ابن زيد: مذموماً ومذموماً سواء^(٣)؛ يقال: ذأمته، وذممته، وذمته؛ بمعنى واحد.

وقرأ الأعمش: «مَذْمُومًا»^(٤)، والمعنى واحد؛ إلا أنه خَفَّفَ الهمزة. وقال مجاهد: المَذْمُومُ: المنفي. والمعنيان مُتقاربان. والمدحور: المُبْعَدُ المطرود^(٥)؛ عن مجاهد وغيره. وأصله الذَّفْع.

﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام لام القسم، والجواب: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ». وقيل: «لَمَنْ تَبِعَكَ» لام توكيد. «لَأَمْلَأَنَّ» لام قسم، والدليل على هذا أنه يجوز في غير القرآن^(٦) حذف اللام الأولى، ولا يجوز حذف الثانية. وفي الكلام

(١) في معاني القرآن ١٦/٣ - ١٧، وما قبله منه.

(٢) الصحاح (ذام)، قال الجوهري: يُهْمَز ولا يُهْمَز.

(٣) أخرجه الطبري ١٠٤/١٠.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحاسب ٢٤٣/١.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٢١/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٠٣/١٠.

(٦) في (د) و(ز) و(م): القراءة، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢ - ١١٨، والكلام منه.

معنى الشرط والمجازاة، أي: مَنْ تَبِعَكَ عَذَّبْتَهُ. ولو قلت: مَنْ تَبِعَكَ أَعَذَّبْتَهُ، لم يَجُزْ، إلا أَنْ تَرِيدَ: لِأَعَذَّبْتَهُ.

وقرأ عاصمٌ من رواية أبي بكر بن عَيَّاش^(١): «لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» بكسر اللام. وأنكره بعضُ النحويين. قال النحاس^(٢): وتقديره - والله أعلم -: مِنْ أَجْلِ مَنْ تَبِعَكَ، كما يقال: أَكْرَمْتُ فلاناً لك. وقد يكون المعنى: اللّٰخِرُ لِمَنْ تَبِعَكَ.

ومعنى ﴿يَنْكُمُ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منكم ومن بني آدم؛ لأنَّ ذِكْرَهُمْ قد جرى، إذ قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] مخاطباً ولد آدم.

قوله تعالى: ﴿وَهَكَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾

قال لآدم بعد إخراج إبليس من موضعه من السماء: اسْكُنْ أَنْتَ وَحَوَّاءُ الْجَنَّةَ. وقد تقدّم في البقرة^(٣) معنى الإسكان، فأغنى عن إعادته. وتقدّم معنى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ هناك^(٤). والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ أي: إليهما. قيل: داخل الجنة بإدخال الحية إيَّاه. وقيل: من خارج، بالسلطنة التي جعلت له. وقد مضى هذا في «البقرة»^(٥).

(١) القراءات الشاذة ص ٤٢، والكشاف ٧١/٢، والبحر المحيط ٧٧/٤، والقراءة المشهورة عن أبي بكر ابن عيَّاش - وهو شعبة - عن عاصم كقراءة الجماعة.

(٢) في إعراب القرآن ١١٧/٢، وما قبله منه.

(٣) ٤٤٥/١.

(٤) ٤٥٢/١ وما بعدها.

(٥) ٤٦٤/١ وما بعدها، وسلف الكلام أن ذكر الحية من الإسرائيليات.

وَالْوَسْوَسةُ: الصوتُ الخَفِيّ، وَالْوَسْوَسةُ: حديثُ النفس؛ يقال: وَسْوَستَ إليه نفسُهُ وَسْوَسةً وَوَسْوَاساً، بكسر الواو. وَالْوَسْوَاسُ؛ بالفتح: الاسم، مثل الزَّلزال وَالزَّلزال^(١). ويقال لهمس الصائت والكلاب وأصوات الحَلْي: وَسْوَاس. قال الأَعشى:

تَسْمَعُ لِلحَلْيِ وَسْوَاساً إِذَا انصرفتْ كما استمعانَ بِرِيحِ عَشْرِقِ رَجُلٍ
وَالْوَسْوَاسُ: اسمُ الشيطان^(٢)، قال الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾
[الناس: ٤].

﴿يَبْدَى مَثَا﴾ أي: ليُظهِرَ لهما. وَاللَّامُ العاقبة، كما قال: ﴿لِيَكُونَ لَهُمُ
عَذَابًا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وقيل: لَامُ كي.
و﴿ثُورِي﴾ أي: سُتِرَ وَعُطِّيَ عنهما^(٣). ويجوز في غير القرآن: أُورِي، مثل:
أُقْتِت^(٤).

و﴿مِن سَوَاءَ تَهُمَا﴾ من عوراتهما. وَسُمِّيَ الفرجُ عورةً لأن إظهارَه يسوءُ صاحبه. ودلَّ
هذا على قُبْحِ كَشْفِهَا، فقيل: إنما بدتُ سوءاتُهما لهما لا لِغيرهما؛ كان عليهما نُورٌ؛
لا تُرى عوراتهما، فزال النُّور^(٥). وقيل: ثوبٌ؛ فتهافت، والله أعلم.
﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ «أن» في موضع نصب، بمعنى: إِلَّا كراهيةً أَنْ؛ فحذف

(١) لفظ: والزَّلزال، ليس في (د) و(م).

(٢) الصحاح (وسوس)، والبيت في ديوان الأَعشى ص ١٠٥، وهو من معلقته. قال النحاس في شرح
القصائد المشهورات ١٣١/٢: قوله: إِذَا انصرفت: يريد إِذَا انقلبت إلى فراشها، قال الأصمعي:
العشْرِق: شجيرة مقدار ذراع؛ لها أكام فيها حبٌ صغار، إِذَا جَعَتُ فَمَرَّت به الريح تحرك الحب، فشبه
صوت الحَلْيِ بخصخشته على الحصى. اهـ. وفي اللسان (زجل): نبت رَجُلٌ: صَوَّت فيه الريح.

(٣) تفسير البغوي ١٥٢/٢، والمحمر الوجيز ٣٨٤/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١١٨/٢.

(٥) أخرجه الطبري ١١٤/١٠ بنحوه من قول وهب بن منبه، وصحَّح إسناده ابن كثير في تفسيره ٣٩٨/٣.
والتُّور: الزُّفر، أو الأبيض منه. القاموس المحيط (نور).

المضاف. هذا قول البصريين. والكوفيون يقولون: لئلا تكونا. وقيل: أي: إلا أن لا تكونا مَلَكَينِ تَعْلَمَانِ الخَيْرَ والشرَّ^(١).

وقيل: طَمِعَ آدَمُ فِي الخُلُودِ؛ لَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الملائكةَ لا يموتون إلى يوم القيامة^(٢).

قال النحاس: ويَبِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَضْلَ الملائكةِ على جميع الخَلْقِ في غير موضع

من القرآن؛ فمنها هذا، وهو: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ﴾، ومنه: ﴿وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكَ﴾ [معد: ٣١]، ومنه: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمَقْرُونُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال الحسن: فَضَّلَ اللهُ الملائكةَ بالصُّورِ والأجنحةِ والكرامة. وقال غيره:

فَضَّلَهُمْ جَلًّا وَعِزًّا بِالطَّاعَةِ وَتَرْكِ المَعْصِيَةِ، فهذا^(٣) يقع التفضيل في كل شيء^(٤).

وقال ابن فورك^(٥): لا حُجَّةَ في هذه الآية؛ لَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ مَلَكَينِ فِي أَنْ لَا

يكونَ لهما شهوةٌ في طعام.

واختيارُ ابن عباس والزجاج^(٦) وكثيرٍ من العلماء تفضيلُ المؤمنين على الملائكة،

وقد مضى في «البقرة»^(٧).

وقال الكلبي: فَضَّلُوا على الخلائق كُلِّهم، غير طائفة من الملائكة: جبريل،

وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت؛ لأنهم من جُملة رُسُلِ الله. وتمسك كل فريق

بظواهر من الشريعة، والفضلُ بيد الله.

وقرأ ابن عباس: «مَلَكَينِ» بكسر اللام، وهي قراءة يحيى بن أبي كثير

(١) إعراب القرآن للنحاس ١١٨/٢، والمحرم الوجيز ٣٨٥/٢.

(٢) ذكر نحوه الرازي في تفسيره ٤٧/١٤.

(٣) في (م): فلهذا.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١١٨/٢ - ١١٩، وقول الحسن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٢٩١).

(٥) نقله عنه ابن عطية في المحرم الوجيز ٣٨٥/٢.

(٦) في معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٢: والملائكة - والله أعلم - أكرم من النبيين، ألا ترى أن نوحاً عليه

السلام قال: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ آفَاقٍ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكَ﴾ [معد: ٣١].

(٧) ٤٣٠/١ - ٤٣١ و ٤٣٦.

الضحَّاك^(١). وأنكر أبو عمرو بن العلاء كسر اللّام، وقال: لم يكن قبلَ آدمَ ﷺ ملكٌ فيصيراً مَلِكَيْنِ. قال النحاس^(٢): ويجوز على هذه القراءة إسكان اللّام، ولا يجوز على القراءة الأولى لِحَقَّةِ الفتحه.

قال ابن عباس: أتاهما الملعونُ من جهة المُلْك؛ ولهذا قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

وزعم أبو عبيد أن احتجاج يحيى بن أبي كثير بقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ، ولكن الناس على تركها، فلهذا تركناها.

قال النحاس^(٣): «إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَلِكَيْنِ» قراءةٌ شاذةٌ. وقد أنكر على أبي عبيد هذا الكلام، وجعل من الخطأ الفاحش. وهل يجوز أن يتوهم آدمُ عليه السلام أنه يصلُ إلى أكثر من ملك الجنة، وهي غاية الطالبين. وإنما معنى «وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى»: المُقَامُ فِي مُلْكِ الْجَنَّةِ، وَالْخُلُودُ فِيهِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُنَّا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: حلف لهما؛ يقال: أقسم إقساماً، أي: حلف. قال الشاعر:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم^(٤) ألدُّ من السُّلوى إذا ما نشورُها^(٥)

وجاء «فاعلت» من واحد، وهو يردُّ على مَنْ قال: إِنَّ الْمُفَاعَلَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ، وقد تقدّم في «المائدة»^(٦).

(١) القراءات الشاذة ص ٤٢، والمحرر الوجيز ٢/٣٨٥، وأخرجها الطبري ١٠/١٠٨.

(٢) معاني القرآن ٣/٢٠ - ٢١.

(٣) في إعراب القرآن ٢/١١٨ وما قبله منه.

(٤) في النسخ الخطية: وقاسمها بالله جهداً لأنتم. والمثبت من (م) والمصادر.

(٥) البيت لخالد بن زهير الهذلي، وقوله: السُّلوى: العسل. ونشورها، أي: نجتها، وسلف ٢/١١٩.

(٦) ١٢٦/٨، وينظر ١/٢٧ - ٢٨.

﴿إِنِّي لَكَمَا لَيَنَّ النَّاصِحِينَ﴾ ليس «لكما» داخلاً في الصلّة، والتقدير: إنني ناصح لكما لمن الناصحين، قاله هشام النحوي^(١). وقد تقدّم مثله في «البقرة»^(٢). ومعنى الكلام: أتبعاني أرشدكما، ذكره قتادة^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا يُرِيدُ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّجَرَةَ لَكُمَا عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ فَلَا رَيْبَ لَنَا بِمَا آفَسْتَا وَإِنْ كُنَّا نَقْفِرُ لَكَ وَأَنْتَ نَقْفِرُ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنْتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَذَابٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا يُرِيدُ﴾: أوقعهما في الهلاك. قال ابن عباس: غرهما باليمين. وكان يظنّ آدم أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذباً^(٤)، فغرهما بوسوسته وقسوته لهما. وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله. كان بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا^(٥). وفي الحديث عنه ﷺ: «المؤمن غرّ كريم، والفاجر خبّ لئيم»^(٦). وأنشد نبطويه:

إِنَّ الْكْرِيسِمَ إِذَا تَشَاءَ خَدَعَتْهُ وَتَرَى اللَّئِيمَ مُجْرِباً لَا يُخَدَعُ^(٧)

(١) إعراب القرآن للنحاس ١١٩/٢. وهشام النحوي: هو ابن معاوية.

(٢) ٤٠٦/٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٠٩/١٠.

(٤) زاد المسير ١٨٠/٢، وأخرجه الطبري ١١١/١٠ - ١١٢ بنحوه مطولاً.

(٥) أخرجه الطبري ١٠٩/١٠ - ١١٠.

(٦) أخرجه أحمد (٩١١٨)، وأبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤) من حديث أبي هريرة ؓ. وقوله: «غرّ كريم»: قال ابن الأثير في النهاية (غرر): أي: ليس بذئ نكر فهو يخدع لانتقاده وليته، وهو ضدّ الخبّ. يريد أن المؤمن المحمود بين طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشّر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً، ولكنه كرمٌ وحسن خلق. وقوله: «خبّ» قال ابن الأثير في النهاية (خبب): الخبّ - بالفتح -: الخداع، وقد تكسر خاؤه، فأما المصدر فبالكسر لا غير.

(٧) لم نقف عليه.

﴿فَدَلَّلْنَاهَا﴾ يقال: أدلّى دَلْوَهُ: أرسلها. ودَلَّاهَا: أخرجها. وقيل: «دَلَّاهُمَا» أي: دللتهما، من الدلالة، وهي الجُرْأَة. أي جرّأهما على المعصية، فخرجا من الجنة^(١).
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَكُمَا سَوْءَاتُكُمَا وَطُفِقَا بِنُحُوتَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ دَرَقٍ لَلْبَنَةِ﴾
فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلا منها. وقد مضى في «البقرة»^(٢) الخلاف في هذه الشجرة، وكيف أكل آدم منها. ﴿بَدَتْ لَكُمَا سَوْءَاتُكُمَا﴾ أكلت حواء أولاً فلم يُصَيَّبْ شيء، فلما أكل آدم حلّت العقوبة؛ لأنّ النَّهْيَ ورد عليهما كما تقدّم في «البقرة»^(٣). قال ابن عباس: تقلص الثور الذي كان لباسهما، فصار أظفاراً في الأيدي والأرجل^(٤).

الثانية: ﴿وَطُفِقَا﴾ ويجوز إسكان الفاء^(٥). وحكى الأخفش^(٦): طَفِقَ يَطْفِقُ، مثل ضَرَبَ يَضْرِبُ؛ يقال: طَفِقَ، أي: أخذ في الفعل.

﴿بِنُحُوتَيْنِ﴾ قرأ الحسن بكسر الخاء وشدّ الصاد^(٧)، والأصل: «بِنُحُوتَيْنِ»

(١) ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٣) ١/ ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٤) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٣٠٠) عنه ﷺ قال: لما أسكن الله آدم الجنة كساه سربالاً من الظفر، فلما أصاب الخطيئة سلبه السربال، فبقي في أطراف أصابعه. و(٨٣٤٥) بلفظ: كان لباس آدم عليه السلام الظفر بمنزلة الريش على الطير، فلما عصى سقط عنه لباسه، وتركت الأظفار زينة ومنافع. في إسناده الأول الحسن بن أبي جعفر الجفري، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وضعّفه أحمد والنسائي، كما في تهذيب الكمال ٦/ ٧٣ . وفي إسناده الثاني النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز، ضعّفه أحمد وقال: ليس بشيء، وقال ابن معين: لا يحل لأحد أن يروي عنه، وقال البخاري: منكر الحديث، كما في تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٥ .

(٥) يعني في غير القرآن، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١١٩ ، ولعله يريد بجواز إسكان الفه طلب الخفّة، فقد ذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ١/ ٤٩٩ في قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ طَلِمَ» [النس: ١٤٨] فقال: يجوز إسكان اللام. وسلف نحوه قريباً في الآية (٢٠) في قوله: «مَلَكَيْنِ» .

(٦) في معاني القرآن له ٢/ ٥١٥ .

(٧) المحتسب ١/ ٢٤٥ .

فأدغم، وكُسرت الخاء لالتقاء الساكنين. وقرأ ابنُ بُريدة ويعقوبُ بفتح الخاء، ألقيا حركة التاء عليها. ويجوز: «يُخَصِّفَانِ» بضم الياء، من خَصَّفَ يُخَصِّفُ^(١). وقرأ الزُّهريُّ: «يُخَصِّفَانِ» من أَخَصَّفَ^(٢)، وكلاهما منقولٌ بالهمز أو التضعيف.

والمعنى: يقطعان الورقَ ويلزقانه ليستترا به، ومنه خَصَّفَ النَّعْلَ. والحَصَّافُ الذي يُرَقِّعُها، والمِخَصِّفُ: المِثْقَبُ^(٣).

قال ابن عباس: وهو ورقُ التين^(٤). ويُروى أنَّ آدمَ عليه السلام لما بدت سوائته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسأل^(٥) منها ورقةً يُغطي بها عورته؛ فزجرته أشجارُ الجنة حتى رَجِمته شجرةُ التين فأعطته ورقةً. ف «طَفِقًا» يعني: آدم وحواء «يُخَصِّفَانِ» عليهما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ»، فكافأ الله التينَ بأنَّ سَوَى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة، وأعطاه ثمرتين في عام واحد، مرتين^(٦).

الثالثة: وفي الآية دليلٌ على قُبْحِ كُشْفِ العورة، وأنَّ الله أوجب عليهما الستر؛ ولذلك ابتدرا إلى سترها^(٧)، ولا يمتنع أن يُؤمرا بذلك في الجنة، كما قيل لهما: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. وقد حكى صاحب «البيان»^(٨) عن الشافعي^(٩) أن مَنْ لم يجد

(١) إعراب القرآن للنحاس ١١٩/٢. وقرلة: «يُخَصِّفَانِ» بفتح الخاء ذكرها ابن خالويه في القرلوات الشاذة ص ٤٢، ونسبها للزهري، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢٤٥/١ دون نسبة. وقراءة يعقوب - وهو من العشرة - المشهورة عنه كقرلة الجماعة.

وقراءة: «يُخَصِّفَانِ» بضم الياء، نسبها ابن جني لابن بُريدة والحسن والزهري والأعرج.

(٢) المحتسب ٢٤٥/١، والمحور الوجيز ٣٨٦/٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٤٧/٧.

(٤) أخرجه الطبري ١١٣/١٠. وصححه إليه ابن كثير في تفسيره ٣٩٨/٣.

(٥) في (د) وعرائس المجالس ص ٣٣ (والخبر فيه): يسأل.

(٦) لفظ: مرتين، ليس في عرائس المجالس، وسلف نحو هذا الخبر ٤٦٥/١، وهو من الإسرائيليات.

(٧) تفسير أبي الليث ٥٣٤/١، وتفسير الرازي ٤٩/١٤.

(٨) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليماني، توفي سنة (٥٥٨هـ). طبقات الشافعية ٣٣٦/٧.

(٩) الأم ٧٩/١.

ما يستُرُّ به عورته إلا ورقَّ الشجر؛ لزمه أن يستتر بذلك؛ لأنه سُترَةٌ ظاهرة يُمكنه التسترُ بها، كما فعل آدمُ في الجنة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبُهُمَا رَبِّمَا أَلْرَأْتُهُمَا عَنِ الْشَجَرَةِ وَأَقْبَلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَقْوَىٰ لَنَا وَوَعَدْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاشِعِينَ﴾ أي: قال لهما: ألم أنهكما؟ قالا: «رَبَّنَا» نداء مضاف. والأصل: يا رَبَّنَا. وقيل: إنَّ في حذف «يا» معنى التعظيم^(١). فاعترفا بالخطيئة وتابا، وقد مضى في «البقرة»^(٢). ومعنى قوله: ﴿قَالَ أَهَيْطُوا﴾ تقدَّم أيضاً إلى آخر الآية^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٥﴾

الضمائر كلها للأرض، ولم يذكر الوار في «قال»، ولو ذكرها لجاز أيضاً، وهو كقولك: قال زيدٌ لعمرٍو كذا، قال له كذا.

قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَىٰ سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدْنَا وَيَلِاسُ النَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَىٰ سَوَاءَ تَكُمُ﴾ قال كثيرٌ من العلماء: هذه الآية دليلٌ على وجوب ستر العورة؛ لأنه قال: ﴿يؤْرَىٰ سَوَاءَ تَكُمُ﴾. وقال قوم: إنه ليس فيها دليلٌ على ما ذكره، بل فيها دلالةٌ على الإنعام فقط^(٤).

قلت: القول الأوّل أصحُّ، ومن جملة الإنعام ستر العورة، فبيّن أنه سبحانه

(١) إعراب القرآن للنحاس ١١٩/٢. وقال مكّي في مشكل إعراب القرآن ٢٨٥/١: وذلك أن النداء فيه طرف من معنى الأمر، لأنك إذا قلت: يا زيد، فمعناه: تعال يا زيد، أدهوك يا زيد، فحذفت «يا» من نداء الربِّ ليزول معنى الأمر ويتقصر، لأن «يا» تؤكّده وتظهر معناه.

(٢) ٤٨١/١ - ٤٨٢.

(٣) ٤٧٤/١ وما بعدها.

(٤) أحكام القرآن للكلبي الهراسي ١٣٤/٣.

وتعالى جعل لذريته ما يسترون به عوراتهم، ودلّ على الأمر بالتستر.

ولا خلاف بين العلماء في وجوب ستر العورة عن أعين الناس.

واختلفوا في العورة ما هي؟ فقال ابن أبي ذئب: هي من الرجل الفرج نفسه؛ القبل والدبر دون غيرهما، وهو قول داود، وأهل الظاهر، وابن عُلَيَّة^(١) والطبري؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَأْسَا يَأْسَى سَوَاءً تَكُمُ﴾ [الاعراف: ٢٦]، ﴿بَدَتْ لَهَا سَوَاءً تَكُمَا﴾ [الاعراف: ٢٢]، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوَاءً تَكُمَا﴾ [الاعراف: ٢٧]، وفي البخاري عن أنس: فأجرى رسول الله ﷺ في رفاق خيبر. وفيه: ثم حَسَرَ الإزارَ عن فخذِه؛ حتى إنِّي أنظرُ إلى بياضِ فخذِ نبيِّ الله ﷺ^(٢).

وقال مالك: السرة ليست بعورة، وأكره للرجل أن يكشف فخذَه بحضرة زوجته^(٣). وقال أبو حنيفة: الرُكْبَةُ عورة، وهو قول عطاء. وقال الشافعي: ليست السرة ولا الركبتان من العورة على الصحيح، وحكى أبو حامد الترمذي^(٤) أن للشافعي في السرة قولين.

وحجّة مالك قوله عليه الصلاة والسلام لجزهد: «عَطَّ فَعِذْكَ، فَإِنَّ الفِخْذَ عورةٌ»، خرّجه البخاري تعليقاً وقال: حديث أنس أسند، وحديث جزهد أحوط حتى يُخْرَجَ من اختلافهم^(٥). وحديث جزهد هذا يدلُّ على خلاف ما قال أبو حنيفة. وروى أن أبا هريرة قبّل سرة الحسن بن عليّ وقال: أقبّل منك ما كان رسول الله ﷺ يقبّل منك^(٦)، فلو كانت السرة عورة ما قبّلها أبو هريرة، ولا مكّنه الحسن منها.

(١) في (د) و(م): ابن أبي عبله، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق للتمهيد ٦/٣٨٠، والاستذكار ٤٣٩/٥، والكلام منهما.

(٢) صحيح البخاري (٣٧١)، وأخرجه أحمد (١١٩٩٢)، ومسلم ١٠٤٣/٢ (١٣٦٥) (كتاب النكاح).

(٣) قال ابن عبد البر في الاستذكار ٤٣٩/٥: وهذا ما لا أعلم أن أحداً قاله غيره.

(٤) في الاستذكار: ابن حامد، ولم نعرفه.

(٥) صحيح البخاري (قبل الحديث: ٣٧١)، وأخرجه أحمد (١٥٩٣٢). وجرهد: هو ابن خويلد بن بجره، كان من أهل الصُّفَّة، مات آخر خلافة يزيد. الإصابة ٧٤/٢.

(٦) أخرجه أحمد (٧٤٦٢).

وأما المرأة الحُرَّة، فعورةٌ كُلُّها إِلَّا الوجهَ والكفَّين، على هذا أكثرُ أهلِ العلم^(١). وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلْيَنْظُرْ إِلَى وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا»^(٢)، ولأنَّ ذلك واجبٌ كشفه في الإحرام.

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: كلُّ شيء من المرأة عورةٌ حتى ظُفْرُها. وزُوي عن أحمد بن حنبل نحوه.

وأما أمُّ الولد؛ فقال الأثرم: سمعته - يعني أحمد بن حنبل - يُسأل عن أمِّ الولد: كيف تُصَلِّي؟ فقال: تُغَطِّي رَأْسَهَا وَقَدَمَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تُبَاع، وَتُصَلِّي كَمَا تُصَلِّي الْحُرَّةُ^(٣).

وأما الأَمَةُ؛ فالعورة منها ما تحت ثدييها^(٤) ولها أن تُبَدِيَ رَأْسَهَا وَمِعْصَمَيْهَا، وَقِيلَ: حُكْمُهَا حُكْمُ الرَّجُلِ، وَقِيلَ: يُكْرَهُ لَهَا كَشْفُ رَأْسِهَا وَصَدْرِهَا، وَكَانَ عَمْرٌ ﷺ يَضْرِبُ الْإِمَاءَ عَلَى تَغْطِيَتِهِنَّ رُؤُوسَهُنَّ، وَيَقُولُ: لَا تُشْبِهَنَّ بِالْحَرَائِرِ^(٥). وقال أصبغ: إن انكشف فخذها أعادت الصلاة في الوقت^(٦).

(١) التمهيد ٦/٣٧٩ - ٣٨١ و ٣٦٤، والاستذكار ٥/٤٣٨ - ٤٣٩.

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أحمد (١٤٥٨٦) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظرَ منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليقبل»، وقال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة ﷺ: «أذهب فانظر إليها...» أخرجه أحمد (١٨١٣٧)، وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً خطب امرأة، فقال النبي ﷺ: «انظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً»، أخرجه أحمد (٧٨٤٢)، ومسلم (١٤٢٤). وترجم البخاري: باب النظر إلى المرأة قبل التزويج. وذكر حديث سهل بن سعد ﷺ (٥١٢٦)، أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله فصدد النظر إليها وصوبه...

(٣) التمهيد ٦/٣٦٤ - ٣٦٦، والاستذكار ٥/٤٤٤ - ٤٤٥.

(٤) في (خ): بدنها، وفي (ظ): يديها، وفي (ز) و(م): ثديها، والمثبت من المفهوم ١/٥٩٧، والكلام منه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٠٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف ٢/٢٣١.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٧١.

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: كلُّ شيء من الأمة عورة حتى ظُفرها^(١).

وهذا خارجٌ عن أقوال الفقهاء؛ لإجماعهم على أنَّ المرأة الحرة لها أن تصلي المكتوبة ويدها ووجهها مكشوفٌ ذلك كله، تُباشر الأرض به^(٢)، فالأمة أولى، وأمُّ الولد أغلظُ حالاً من الأمة. والصبيُّ الصغير لا حُرمة لعورته. فإذا بلغت الجارية إلى حدِّ تأخذها العين، وتُشتهي سترت عورتها.

وحجَّة أبي بكر بن عبد الرحمن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبِنَاكِ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وحديثٌ أمُّ سلمة أنها سُئلت: ماذا تصلي فيه المرأة من الثياب؟ فقالت: تُصلي في الدرع والخمار السابغ الذي يُغيب ظهورَ قدميها، وقد رُوي مرفوعاً، والذين أوقفوه على أمِّ سلمة أكثرُ وأحفظُ، منهم مالك^(٣) وابن إسحاق وغيرهما. قال أبو داود: ورفع عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن محمد بن زَيْد، عن أمِّه، عن أمِّ سلمة، أنها سألت رسولَ الله ﷺ^(٤). قال أبو عمر^(٥): عبد الرحمن هذا ضعيفٌ عندهم، إلاَّ أنه قد خرَّج البخاريُّ بعضَ حديثه، والإجماعُ في هذا الباب أقوى من الخبر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ يعني: المطرَ الذي يُنبِت القطن والكثان، ويُقيم البهائم الذي منها الأصواف والأوبار والأشعار^(٦)، فهو مجاز مثل: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ فَنَيبَةَ أَرْوَجٍ﴾ [الزمر: ٦] على ما يأتي.

وقيل: هذا الإنزالُ إنزالُ شيء من اللباس مع آدم وحواء؛ ليكون مثلاً لغيره.

(١) المفهم ٥٩٨/١. وسلف القول نفسه في المرأة.

(٢) التمهيد ٣٦٥/٦، وذكر ابن عبد البر هذا الكلام تعقباً على القول الأول لأبي بكر بن عبد الرحمن.

(٣) الموطأ ١٤٢/١، ومن طريق مالك أخرجه أبو داود (٦٣٩).

(٤) سنن أبي داود (٦٤٠).

(٥) في التمهيد ٣٦٨/٦ وما قبله منه.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢٨٦/١.

وقال سعيد بن جبير: «أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ» أي: خلقنا لكم؛ كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ نَكَبًا أَزْوَاجًا﴾ أي: خلق. على ما يأتي. وقيل: ألهمناكم كيفية صنعته^(١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَرِيثًا﴾ قرأ أبو عبد الرحمن والحسن وعاصم من رواية الْمُفَضَّلِ الضَّبِّي، وأبو عمرو من رواية الحسين بن علي الجُعْفِيِّ: «وريشاً». ولم يَحْكِهِ أبو عُبيد إلا عن الحسن، ولم يُفَسِّرْ معناه^(٢).

وهو جمع ريش. وهو ما كان من المال واللباس. وقال الفراء^(٣): ريشٌ ورياش، كما يقال: ليس ولياس. وريشٌ الطائر: ما ستره اللئ به. وقيل: هو الخضب وزفاهية العيش^(٤).

والذي عليه أكثر أهل اللغة أن الرِّيشَ ما سَتَرَ من لباس أو معيشة. وأنشد سيبويه: فريشي منكم وهواي منكم وإن كانت زيارتكم لِمَا^(٥) وحكى أبو حاتم عن أبي عُبيدة: وهبت له دابةٌ بريشها؛ أي: بكسوتها وما عليها من اللباس^(٦).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلِيَأْسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ بين أن التقوى خيرٌ لباس؛ كما قال:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ثقلبَ عُرياناً وإن كان كاسياً
وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربِّه ولا خيرَ فيمن كان لله عاصياً^(٧)

(١) زاد المير ١٨١/٣ ، ومجمع البيان ٣٦/٨ - ٣٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٢ ، وذكر هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٣ ، وابن جني في المحتب ٢٤٦/١ . والقراءة المتواترة عن عاصم وأبي عمرو بن العلاء كقراءة الجماعة .

(٣) في معاني القرآن ٣٧٥/١ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٢ .

(٤) تفسير الطبري ١٠/١٢٣ .

(٥) الكتاب ٢٨٧/٣ ، ونسبه سيبويه للراعي، وليس في ديوانه، وهو في ديوان جرير ٢٢٥/١ ، وصدده فيه: وريشي منكم وهواي فيكم.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٢٣/٣ ، وينظر مجاز القرآن ١/٢١٣ .

(٧) البيت الأول لأبي العتاهية، وهو في ديوانه ص ٤٣٤ ، ولم تقف على البيت الثاني.

وروى قاسم بن مالك، عن عوف، عن مَعْبَدِ الْجُهَيْنِيِّ قَالَ: «لِبَاسُ التَّقْوَى» الْحَيَاءُ^(١). وقال ابن عباس: «لِبَاسُ التَّقْوَى» هو العمل الصالح. وعنه أيضاً: السَّمْتُ الْحَسَنُ فِي الْوَجْهِ^(٢). وقيل: ما عَلَّمَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهَدَى بِهِ، وقيل: «لِبَاسُ التَّقْوَى»: لُبْسُ الصُّوفِ وَالْحَشِينِ مِنَ الثِّيَابِ؛ مِمَّا يُتَوَاضَعُ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَيُتَعَبَّدُ لَهُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ^(٣)، وقال زيد بن عليّ: «لِبَاسُ التَّقْوَى»: الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ، وَالسَّاعِدَانُ^(٤)، وَالسَّاقَانُ؛ يَنْقَى بِهِمَا فِي الْحَرْبِ^(٥)، وقال عروة بن الزبير: هو الخشيّة لله، وقيل: هو استشعارُ تقوى الله تعالى فيما أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ^(٦).

قلت: وهو الصحيح، وإليه يَرْجِعُ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعُرْوَةَ، وَقَوْلُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ حَسَنٌ؛ فَإِنَّهُ حَضَّ عَلَى الْجِهَادِ.

وقال ابن زيد: هو ستر العورة^(٧)، وهذا فيه تَكَرُّارٌ؛ إِذْ قَالَ أَوَّلًا: «قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَدِّي سَوَاءَ فِيكُمْ». وَمِنْ قَالَ: إِنَّهُ لُبْسُ الْحَشِينِ مِنَ الثِّيَابِ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضَعِ وَتَرَكَ الرُّعُونَاتِ، فَدَعَاؤِي؛ فَقَدْ كَانَ الْفَضْلَاءُ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَلْبَسُونَ الرَّفِيعَ مِنَ الثِّيَابِ مَعَ حُصُولِ التَّقْوَى، عَلَى مَا يَأْتِي مَبِينًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٨).

وقرأ أهل المدينة والكسائي: «ولباس» بالنصب^(٩) عطفاً على «لباساً» الأوّل، وقيل: انتصب بفعل مُضْمَرٍ، أَي: وَأَنْزَلْنَا لِبَاسَ التَّقْوَى.

(١) معاني القرآن للنحاس ٢٤/٣، وأخرجه الطبري ١٢٥/١٠ - ١٢٦.

(٢) أخرجهما الطبري ١٢٦/١٠ - ١٢٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٢.

(٤) في (ظ): والساعد.

(٥) تفسير البغوي ١٥٥/٢.

(٦) تفسير الطبري ١٢٧/١٠ و ١٣٠.

(٧) أخرجه الطبري ١٢٨/١٠ بنحوه.

(٨) ص ٢٠٣ وما بعدها من هذا الجزء.

(٩) قرأ بها ابن عامر الشامي أيضاً، كما في السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١٠٩.

والباقون بالرفع على الابتداء، و«ذلك» نعته، و«خَيْرٌ» خبر الابتداء. والمعنى: ولباسُ التقوى المُشار إليه، الذي عَلِمْتُمُوهُ، خَيْرٌ لكم من لبسِ الثياب التي تُؤاري سوءاتِكُمْ، ومن الرِّياش الذي أنزلنا إليكم، فالْبَسُوهُ. وقيل: ارتفع بإضمار هو، أي: وهو لباسُ التقوى، أي: وهو ستر العورة، وعليه يُخْرَج قولُ ابن زيد. وقيل: المعنى: ولباسُ التقوى هو خيرٌ، ف«ذلك» بمعنى هو، والإعرابُ الأوَّل أحسنُ ما قيل فيه^(١).
وقرأ الأعمش: «ولباسُ التقوى خيرٌ»، ولم يقرأ: «ذلك»^(٢)، وهو خلافُ المصحف.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مما يدلُّ على أنَّ له خالقاً^(٣).

و«ذلك»^(٤) رفع على الصِّفة، أو على البدل، أو عطف بيان.

قوله تعالى: ﴿يَنْبَغُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمْ﴾ أي: لا يَضْرِبَنَّكم الشيطانُ عن الدِّين كما فتنَ أبويكم بالإخراج من الجنة. «أبٌ» للمذكَّر، و«أبَةٌ» للمؤنَّث، فعلى هذا قيل: أبوان.

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في موضع نصب على الحال، ويكون مستأنفاً فيوقف على «من الجنة».

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٠ - ١٢١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/٢٤، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٣، ونسبها لابن مسعود.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢١.

(٤) يعني في قوله: «ذلك خيرٌ». مشكل إعراب القرآن ١/٢٨٦، والكشف عن وجوه القراءات ١/٤٦١.

﴿لِرَبِّهِمَا﴾ نصب بلام كي. ﴿إِنَّكُمْ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ الأصل: «بِرَأْكُمْ»، ثم خُفِّت الهمزة، «وَقَبِيلُهُ» عطف على المضمَر، و«هو» توكيدٌ ليحسن العطف، كقوله: ﴿أَسْكَنْتَ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْبَلْعَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وهذا يدلُّ على أنه يقبُح رأيتك وعمرو، وأنَّ المضمَر كالْمُظْهَر^(١).

وفي هذا أيضاً دليلٌ على وجوب ستر العورة؛ لقوله: «يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَاسَهُمَا»، قال الآخرون: إنما فيه التحذيرُ من زوال النعمة كما نزل بآدم ﷺ، هذا أن لو ثبت أن شرع آدم يلزمننا، والأمر بخلاف ذلك^(٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ «قَبِيلُهُ»: جنوده، قال مجاهد: يعني الجنَّ والشياطين. ابن زيد: «قبيله»: نسله، وقيل: جيله^(٣).

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.

قال بعض العلماء^(٤): في هذا دليلٌ على أنَّ الجنَّ لا يُرَوْنَ؛ لقوله: «مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ». وقيل: جائزٌ أن يُرَوَّا؛ لأنَّ الله تعالى إذا أراد أن يُرِيَهُمْ كَشَفَ أَجْسَامَهُمْ حَتَّى تُرَى.

قال النحاس^(٥): «مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» يدلُّ على أنَّ الجنَّ لا يُرَوْنَ إِلَّا فِي وَقْتِ نَبِيٍّ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى نَبَوِّتِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ خَلَقَهُمْ خَلْقًا لَا يُرَوْنَ فِيهِ، وَإِنَّمَا يُرَوْنَ إِذَا نُقِلُوا عَنْ صُورِهِمْ، وَذَلِكَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا فِي وَقْتِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢١/٢، وفيه: وأنه ليس المضمَر كالْمُظْهَر.

(٢) أحكام القرآن للكلبي الهراسي ١٣٤/٣.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٣٦/١٠، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٣/١، ومعاني القرآن للنحاس ٢٤/٣، والنكت والعيون ٢١٦/٢. وقوله: جيله، يعني جنسه، كما في اللسان (جيل)، ووقع في (د) و(ز): خَيْلُهُ.

(٤) الكشف ٧٤/٢ - ٧٥، ومجمع البيان ٣٨/٨.

(٥) في إعراب القرآن ١٢١/٢.

قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الخبر: «إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم»^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ للملِّكَ لَمَمَّةً وللشيطانِ لَمَمَةً - أي: بالقلب - فأما لَمَمَةُ الملِّك: فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، وأما لَمَمَةُ الشيطان: فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحق». وقد تقدَّم في «البقرة»^(٢).

وقد جاء في رؤيتهم أخبارٌ صحيحة، وقد خرَّج البخاري عن أبي هريرة قال: وكَلَّنِي رسولُ الله ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضان، وذكر قصَّةً طويلة؛ ذكر فيها أنَّه أخذ الجِنِّي الذي كان يأخذ التمر، وأنَّ النبي ﷺ قال له: «ما فعلَ أسيرُك البارحة»، وقد تقدَّم في «البقرة»^(٣). وفي «صحيح» مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «والله لولا دعوةُ أخي سليمانَ لأصبحَ مؤثَّقاً يلعبُ به ولدانُ أهلِ المدينة»^(٤)؛ في العفريت الذي تَقَلَّت عليه. وسيأتي في «ص» إن شاء الله تعالى^(٥).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: زيادةً في عقوبتهم، وسوينا بينهم في الذهاب عن الحق^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا مَبَاءِنًا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

الفاحشة هنا في قول أكثر المفسرين: طوافهم بالبيت عُراءً، وقال الحسن: هي

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٩٢)، ومسلم (٢١٧٤) من حديث أنس ؓ، وسلف ٤٤٩/١، وأخرجه البخاري (٢٠٣٥) من حديث صفة رضي الله عنها.

(٢) ٣٥٥/٤، واللَمَمَةُ: الحَظْرَةُ تقع في القلب، أراد إمام الملك أو الشيطان به والقرب منه. النهاية (لم).

(٣) ٢٦٤/٤، والحديث في صحيح البخاري (٢٣١١).

(٤) صحيح مسلم (٥٤٢) وهو من حديث أبي الدرداء ؓ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ؓ أخرجه أحمد (١١٧٨٠)، وعن أبي هريرة ؓ أخرجه البخاري (٤٦١).

(٥) عند تفسير الآية (٣٥) منها.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٢٩ - ٣٣٠.

الشرك والكفر^(١). واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأن الله أمرهم بها. وقال الحسن: ﴿وَاللَّهُ أَمْرًا بَيِّنًا﴾ قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لَنقلنا عنه^(٢).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بَيِّنَ أَنَّهُمْ مُتَحَكِّمُونَ، ولا دليلَ لهم على أَنَّ الله أمرهم بما ادَّعوا. وقد مضى ذمُّ التلذذِ وذمُّ كثيرٍ من جهالاتهم^(٣). وهذا منها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٨﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ قال ابنُ عباس: لا إله إلا الله^(٤)، وقيل: القِسْطُ: العَدْلُ^(٥)، أي: أمر بالعدل فأطيعوه، ففي الكلام حذفٌ. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: توجَّهوا إليه في كلِّ صلاةٍ إلى القبلة. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: في أيِّ مسجدٍ كنتم. ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: وحُدوده ولا تُشركوا به.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ نظيره: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقد تقدَّم^(٦). والكاف في موضع نصب، أي: تعودون كما بدأكم، أي: كما خلقكم أوَّلَ مَرَّةٍ يُعِيدُكُمْ. وقال الزجاج: هو متعلِّق بما قبله، أي: ومنها تُخْرَجُونَ كما بدأكم تعودون^(٧).

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ «فريقاً» نصبٌ على الحال من المضمَر في «تَعُودُونَ» أي: تعودون فريقين: سعداء وأشقياء، يُقَوِّي هذا قراءةُ أبي: «تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً

(١) أورده الماوردي في النكت والعيون ٢/٢١٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٨٥.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/٣٩.

(٣) ١٥/٣ وما بعدها.

(٤) تفسير البغوي ٢/١٥٦، وتفسير الرازي ١٤/٥٧.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/١٣٩ من قول مجاهد والسدي.

(٦) ٨/٤٦٢.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٢، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣١.

حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ»، عن الكسائي^(١).

وقال [محمد بن] كعب القُرظي في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال: مَنْ ابتدأ اللهُ خَلَقَهُ للضلالة صَيَّرَهُ إلى الضلالة وَإِنْ عَمِلَ بِأعمال أهل الهدى^(٢)، وَمَنْ ابتدأ اللهُ خَلَقَهُ على الهدى صَيَّرَهُ إلى الهدى وَإِنْ عَمِلَ بِأعمال الضلالة، ابتدأ اللهُ خَلَقَ إبليس على الضلالة، وَعَمِلَ بِأعمال السعادة مع الملائكة، ثم رَدَّهُ اللهُ إلى ما ابتدأ عليه خَلَقَهُ، قال: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ [البقرة: ٣٤]^(٣).

وفي هذا ردٌّ واضحٌ على القدرية ومن تابعهم.

وقيل: «فَرِيقًا» نُصِبَ بـ «هَدَىٰ»، «وَفَرِيقًا» الثاني نُصِبَ بإضمار فعل، أي: وأضلَّ فريقًا، وأنشد سيويه^(٤):

أصبحْتُ لا أحملُ السِّلَاحَ ولا أمليكَ رأسَ البعيرِ إن نَفَرَا
والذئبُ أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا
قال الفراء^(٥): ولو كان مرفوعاً لجاز.

﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وقرأ عيسى بن عمر: «أنهم» بفتح الهمزة، بمعنى لأنهم^(٦).

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ عَادَمٌ خُدُوا زَيْنَبَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾

فيه سبع مسائل:

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٢/٢، وينظر مشكل إعراب القرآن لمكي ٢٨٧/١ - ٢٨٨، والمحمر الوجيز ٣٩٢/٢، وقراءة أبيه ذكرها أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣٧٦/١.

(٢) في (ز): السعادة.

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ١٤٣/١٠، وابن أبي حاتم (٨٣٦٧) وما بين حاصرتين منهما.

(٤) في الكتاب ٨٩/١ ونسبها للربيع بن صبيح الفزاري، وأوردتها أبو علي القالي في أماليه ١٨٥/٢.

(٥) في معاني القرآن ٣٧٦/١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٢٢/٢ - ١٢٣، والمحمر الوجيز ٣٩٢/٢.

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ مَادَمٌ﴾ هو خطابٌ لجميع العالم، وإن كان المقصودُ بها مَنْ كان يطوفُ مِنَ العربِ بالبيتِ عُرياناً، فإنه عامٌ في كلِّ مسجدٍ للصلاة؛ لأنَّ العِبْرَةَ للعمومِ لا للسبب. ومن العلماءِ مَنْ أنكرَ أن يكونَ المرادُ به الطواف؛ لأنَّ الطوافَ لا يكونُ إلا في مسجدٍ واحد، والذي يَعُمُّ كلَّ مسجدٍ هو الصلاة، وهذا قولٌ مَنْ خَفِيَ عليه مقاصدُ الشريعة.

وفي «صحيح» مسلم^(١) عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوفُ بالبيت وهي عُريانة وتقولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوِّفًا؟ تجعلُهُ على فَرْجِها، وتقولُ: اليَوْمَ يَبْنُدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَجْلُ لَهُ فنزلت هذه الآية: ﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢). التَّطَوُّفُ بكسر التاء، وهذه المرأة هي ضباعة بنتُ عامر بن قُرط، قاله القاضي عياض^(٣).

وفي «صحيح» مسلم^(٤) أيضاً عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كانت العربُ تطوفُ بالبيتِ عُراً إلا الحُمْسَ - والحُمْسُ: قريشٌ وما ولدت - كانوا يطوفون بالبيتِ عُراً إلا أن تُعطيَهُم الحُمْسُ ثياباً، فيُعطي الرجالُ الرجالَ والنساءُ النساءَ، وكانت الحُمْسُ لا يَخْرُجونَ مِنَ المُرْدَلِفَةِ، وكان النامسُ كلُّهُم يَقْفُونَ^(٥) بعرفات.

في غير مسلم^(٦): ويقولون: نحن أهلُ الحَرَمِ، فلا ينبغي لأحدٍ مِنَ العربِ أن يطوفَ إلا في ثيابنا، ولا يأكلَ إذا دخلَ أرضنا إلا مِن طعامنا. فمن لم يكنْ له مِن

(١) الحديث (٣٠٢٨).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٧/٢ و ٧٦٩.

(٣) نقله المصنف عنه بواسطة المفهم لأبي العباس القرطبي ٣٤٦/٧، وينظر إكمال المعلم للقاضي عياض ٥٨٩/٨.

(٤) الحديث (١٢١٩): (١٥٢)، وهو في صحيح البخاري (١٦٦٥) بنحوه.

(٥) في صحيح مسلم: يبلغون عرفات. وسَمُّوا الحُمْسَ لأنهم شَدُّوا على أنفسهم، وكانوا إذا أهلوا بحجٍّ أو عمرة لا يأكلون لحماً، ولا يضربون ويراً ولا شعراً. فتح الباري ٥١٦/٣.

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٧/٢ - ٧٦٨، والكلام منه إلا آخر المسألة.

العربِ صديقٌ بمكَّةَ يُعيرُهُ ثوباً، ولا يَسَارُّ يَسْتَأْجِرُهُ به؛ كان بين أحدِ أمرين: إمَّا أن يطوفَ بالبيتِ عُرياناً، وإمَّا أن يطوفَ في ثيابه، فإذا قَرَعَ مِن طوافِهِ ألقى ثوبَهُ عنه؛ فلم يمسَّهُ أحدٌ، وكان ذلك الثوبُ يُسَمَّى اللَّقَى، قال قائلٌ مِنَ العرب:

كَفَى حَزَنًا كَرِّيَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ^(١)

فكانوا على تلك الجهالةِ والبدعةِ والضلالةِ حتى بعثَ اللهُ نبيَّهُ محمداً ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿يَبَيْتُكَ إِذْ مَدَّ حُدُودًا زِينَتَكَ﴾ الآية، وأذُنَ مؤذُنَ رسولِ اللهِ ﷺ: «ألا لا يطوفُ بالبيتِ عُرياناً»^(٢).

قلت: ومَن قال بأنَّ المرادَ الصلاةَ؛ فزینتها التُّعَالُ، لِمَا رواه كُرْزُ بْنُ وَبْرَةَ، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «خُذُوا زِينَةَ الصَّلَاةِ»، قيل: وما زينةُ الصلاة؟ قَالَ: «إِلسُوا نِعَالَكُمْ فَصَلُّوا فِيهَا»^(٣).

الثانية: دَلَّتْ الآيةُ على وُجُوبِ سِتْرِ العَوْرَةِ كما تقدَّم^(٤)، وذهبَ جُمهورُ أهلِ العلمِ إلى أنَّها فرضٌ مِن فروضِ الصلاة، وقال الأبهريُّ: هي فرضٌ في الجملة، وعلى الإنسان أن يستترها عن أعينِ الناسِ في الصلاةِ وغيرها، وهو الصحيحُ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لِلْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ: «إِزْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ، وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً»، أخرجه مسلم^(٥). وذهبَ إسماعيلُ القاضي إلى أنَّ سِتْرَ العَوْرَةِ مِن سُنَنِ الصلاة،

(١) أورده أبو العباس في المفهم ٣٤٦/٧، وابن منظور في اللسان (حرم).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٧٧)، والبخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢١٧١/٦، وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية قال ابن معين: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه، وقال النسائي: متروك الحديث، فيما ذكره ابن عدي. وأخرجه أيضاً في الكامل ١٨٢٩/٥ من طريق آخر عن أبي هريرة ؓ، وفيه علي بن أبي علي القرشي، قال ابن عدي: مجهول ومنكر الحديث. وأورده ابن أبي حاتم في العلل ١٤٩/١، وقال: قال أبي: هذا حديث منكر. وسيذكر المصنف في المسألة الثالثة أنه مروى عن أنس ؓ، وقال: لم يصح.

(٤) ص ١٨١ من هذا الجزء.

(٥) الحديث (٣٤١).

واحتجَّ بأنه لو كان فرضاً في الصلاة لكان العريان لا يجوز له أن يُصَلِّيَ؛ لأنَّ كلَّ شيء من فروض الصلاة يجبُ الإتيانُ به مع القدرة عليه، أو بدله مع عدمه، أو تسقط الصلاة جملةً، وليس كذلك^(١).

قال ابن العربي: وإذا قلنا: إنَّ سَتَرَ العورة فرضٌ في الصلاة، فسَقَطَ ثوبُ إمام، فانكشَفَ دُبُرُهُ وهو راکعٌ، فرفعَ رأسه فغطَّاهُ؛ أجزاءه؛ قاله ابنُ القاسم. وقال سُخْنُون: وكلُّ مَنْ نظَرَ إليه من المأمومين أعادَ. وزوي عن سخنون أيضاً: أَنَّهُ يُعِيدُ وَيُعِيدُونَ؛ لأنَّ سَتَرَ العورة شرطٌ من شروط الصلاة، فإذا ظَهَرَتْ بطلت الصلاة. أصله الطهارة.

قال القاضي ابن العربي^(٢): أمَّا مَنْ قال: إنَّ صلاتهم لا تبطل؛ فإنهم لم يَفْقِدُوا شرطاً، وأمَّا مَنْ قال: إنَّ أَخَذَهُ مكانه صحَّحت صلاته، وتبطل صلاة مَنْ نظَرَ إليه؛ فصحيحةً يجبُ مَحْوُها، ولا يجوزُ الاشتغالُ بها.

وفي البخاري والنسائي: عن عمرو بن سلمة قال: لَمَّا رَجَعَ قومي من عند النبي ﷺ قالوا: قال: «لِيؤمَّكُمْ أَكثُرُكُمْ قِراءَةً لِلقرآنِ»، قال: فدَعَوني، فَعَلَّمُوني الرُكُوعَ والسُّجُودَ، فَكُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ مَفْتُوقَةٌ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأبي: أَلَا تُعْطِي عَنَّا اسْتِ ابْنِكَ. لفظ النسائي^(٣).

وثبت عن سهل بن سعد قال: لقد كانت الرجال عاقدي أزرهم في أعناقهم من ضيق الأزر خلف رسول الله ﷺ في الصلاة كأمثال الصبيان، فقال قائل: يا معشر النساء، لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال. أخرجه البخاري والنسائي وأبو داود^(٤).

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٢، والتمهيد ٦/٣٧٦ - ٣٧٩، والامتدكار ٥/٤٣٧، والمضى ١/٢٤٧، وعقد الجواهر الثمينة ١/١٥٨.

(٢) في أحكام القرآن ٢/٧٧٠.

(٣) في المجتبى ٢/٧١، وصحيح البخاري (٤٣٠٢). وأخرجه أيضاً أحمد (٢٠٣٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٣٦٢)، والمجتبى ٢/٧٠، وسنن أبي داود (٦٣٠). وأخرجه أيضاً أحمد (١٥٥٦٢)، ومسلم (٤٤١).

الثالثة: واختلفوا إذا رأى عورة نفسه، فقال الشافعي: إذا كان الثوب ضيقاً؛ يزره أو يخلله بشيء؛ لئلا يتجافى القميص فيرى من الجيب العورة، فإن لم يفعل ورأى عورة نفسه؛ أعاد الصلاة، وهو قول أحمد. ورخص مالك في الصلاة في القميص محلول الأزرار^(١)، ليس عليه سراويل، وهو قول أبي حنيفة وأبي ثور. وكان سالم يصلي محلول الأزرار^(٢). وقال داود الطائي^(٣): إذا كان عظيم اللحية فلا بأس به، وحكى معناه الأثرم عن أحمد.

فإن كان إماماً فلا يصلي إلا بردائه؛ لأنه من الزينة.

وقيل: من الزينة الصلاة في الثعلين، رواه أنس عن النبي ﷺ، ولم يصح^(٤).

وقيل: زينة الصلاة رفع الأيدي في الركوع وفي الرفع منه. قال ابن عمر^(٥): لكل شيء زينة، وزينة الصلاة التكبير ورفع الأيدي.

وقال عمر رضي الله عنه: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم، جمع رجل عليه ثيابه؛ صلى في إزار ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء، وأحسبه قال: في ثبان وقميص، في ثبان ورداء، في ثبان وقباء. رواه البخاري والدارقطني^(٦).

(١) في (خ) و(ز) والتمهيد ٦/٣٧٥ (والكلام منه): الإزار، والمثبت من (د) و(ظ) و(م)، وهو الموافق للاستذكار ٥/٤٣٦ - ٤٣٧ (والكلام منه أيضاً).

(٢) في (ز) والتمهيد: الإزار، والمثبت من (خ) و(د) و(ظ) و(م) والاستذكار.

(٣) داود بن قيس، أبو سليمان الكوفي، كان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة. توفي سنة (١٦٢هـ)، وقيل: (١٦٥هـ). السير ٧/٤٢٢.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٧٠، وأخرجه العُقيلي في الضعفاء ٣/١٤٣، وفي إسناده عبّاد بن جويرية، كذبه أحمد والبخاري. ميزان الاعتدال ٢/٣٦٥. وسلف نحوه في المسألة الأولى.

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(م): قال أبو عمر، وفي (ظ): قاله ابن عمر، والمثبت من التمهيد ٧/٨٣ و ٩/٢٢٥.

(٦) صحيح البخاري (٣٦٥)، وسنن الدارقطني (١٠٩١) واللفظ له. وقوله: وأحسبه، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٤٧٥: قائل ذلك أبو هريرة (وهو راوي الحديث) والضمير في أحسبه راجع إلى عمر. اهـ. والقباء من الثياب، سمي به لاجتماع أطرافه، وهو في الغالب من لباس الأعاجم، ويعرف اليوم عندنا بالقباز. معجم متن اللغة (قبي). والثبان: سراويل صغير يستر العورة المغلطة فقط، النهاية (تبن).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال ابن عباس: أحلّ الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مَخِيلَةً^(١).

فأمّا ما تدعو الحاجة إليه - وهو ما سدّ الجوعَ وسكّن الظمّاً - فمندوبٌ إليه عقلاً وشرعاً؛ لما فيه من حفظ النفس، وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال^(٢)؛ لأنّه يُضعفُ الجسدَ، ويُميتُ النفسَ، ويُضعفُ عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل. وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظّ من برٍّ، ولا نصيب من زهد؛ لأنّ ما حرّمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثواباً وأعظم أجراً^(٣).

وقد اختلف في الزائد على قدر الحاجة على قولين؛ فقليل: حرام، وقيل: مكروه، قال ابن العربي^(٤): وهو الصحيح؛ فإنّ قدر الشبّع يختلف باختلاف البلدان والأزمان والأسنان والطعمان.

ثمّ قيل: في قلة الأكل منافع كثيرة؛ منها أن يكون الرجل أصحّ جسماً، وأجود حفظاً، وأذكى^(٥) فهماً، وأقلّ نوماً، وأخفّ نفساً. وفي كثرة الأكل كظ المعدة، وتثنت الثخمة، ويتولّد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر ممّا يحتاج إليه القليل الأكل.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدوائِ تقديرُ الغذاء^(٦). وقد بيّن النبي ﷺ هذا المعنى بياناً شافياً يُغني عن كلام الأطباء فقال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن ضلّبه، فإن كان لا محالة؛ فثلث لطعاويه، وثلث لشرابه، وثلث

(١) أخرجه الطبري ١٥٥/١٠، والبيهقي في الشعب (٦٥٧٢).

(٢) سلفت أحاديث النهي عن الوصال ٢١٠/٣ - ٢١١.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣١٩.

(٤) في أحكام القرآن ٧٧١/٢.

(٥) في (د) و(م): أزمى، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ).

(٦) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٣٢٠.

لِنَفْسِهِ». خَرَّجَهُ الترمذي من حديثِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ^(١).

قال علماؤنا: لو سَمِعَ بِقَرَاظِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ لَعَجِبَ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ^(٢).

وَيُذَكِّرُ أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ لَهُ طَيِّبٌ نَصْرَانِيٌّ حَادِقٌ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٣): لَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ عِلْمِ الطَّبِّ شَيْءٌ، وَالْعِلْمُ عِلْمَانُ: عِلْمُ الْأَدْيَانِ وَعِلْمُ الْأَبْدَانِ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ الطَّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِنَا، فَقَالَ لَهُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: وَلَا يُؤْتَرُ عَنْ رَسُولِكُمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّبِّ؟ فَقَالَ عَلِيُّ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّبَّ فِي الْفَاطِظِ يَسِيرَةٍ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: «الْمَعْدَةُ بَيْتُ الْأَدْوَاءِ، وَالْحِمِيَّةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ، وَأَعْطَى كُلَّ جَسَدٍ مَا عَوَّدْتَهُ». فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا تَرَكَ كِتَابِكُمْ وَلَا نَبِيَّكُمْ لَجَالِينُوسِ طَبِّاً^(٤).

قلت: ويُقال: إِنَّ مَعَالَجَةَ الْمَرِيضِ نِصْفَانِ: نِصْفُ دَوَاءٍ، وَنِصْفُ حِمِيَّةٍ، فَإِنْ اجْتَمَعَا، فَكَأَنَّكَ بِالْمَرِيضِ قَدْ بَرِيءٌ وَصَحَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى^(٥)، وَإِلَّا فَالْحِمِيَّةُ بِهِ أَوْلَى، إِذْ لَا يَنْفَعُ دَوَاءٌ مَعَ تَرْكِ الْحِمِيَّةِ، وَلَقَدْ^(٦) تَنَفَّعَ الْحِمِيَّةُ مَعَ تَرْكِ الدَّوَاءِ، وَلَقَدْ قَالَ

(١) سنن الترمذي (٢٣٨٠)، وأخرجه أحمد (١٧١٨٦) وفيهما: أكلات، بدل: لقيمات. وأكلات، بالضم: جمع أكلة، كلقمة، لفظاً ومعنى. قاله السدي في حاشية المسند.

(٢) تلييس إبليس ص ٢٠٨، وبقراط: هو ابن إبراهيم، سيد الطبيعين في عصره، كان قبل الاسكندر بنحو مئة سنة، له في الطب تأليف شريفة. أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٦٤.

(٣) علي بن الحسين بن واقد، أبو الحسن المروري، المحدث، مولى أمير خراسان عبد الله بن عامر بن كرزب القرشي، توفي سنة (٢١١هـ)، السير ١٠/٢١١.

(٤) ذكر هذه القصة الزمخشري في الكشاف ٢/٧٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٨٨، وقال: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. اهـ. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٨٩: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره. وجالينوس: هو الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني، إمام الأطباء في عصره، مؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها، قال المسعودي: كان جالينوس بعد المسيح بنحو مئتي سنة وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. أخبار العلماء للقفطي ص ٨٦.

(٥) قوله: بإذن الله تعالى، من (ظ).

(٦) في (ظ): وقد، وفي (خ) و(د) و(ز): ولمعري، والمثبت من (م).

رسولُ الله ﷺ: «أصلُ كلِّ دواءٍ الحِمْيَةُ»^(١)، والمعنيُّ بها - والله أعلم - أنها تُغني عن كلِّ دواءٍ، ولذلك يُقال: إنَّ الهنْدَ جُلُّ معالجاتِهِم الحِمْيَةُ، يَمْتَنِعُ المريضُ عن الأكلِ والشُّربِ والكلامِ عدَّةَ أيَّامٍ، فيبرأ ويصحُّ.

الخامسة: روى مسلم عن ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمعاءٍ، والمؤمنُ يأكلُ في مِعَى واحدٍ»^(٢). وهذا منه ﷺ حصُّ على التقليلِ مِنَ الدنيا والرَّهْدِ فيها والقنَاعَةِ بالبُلْغَةِ. وقد كانت العربُ تَمْتَدِحُ بقلَّةِ الأكلِ وتَدُمُّ بِكثْرتهِ، كما قال قائلُهُم:

تَكْفِيهِ فَلَنذَةُ كِبِيدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوِي شُرْبَهُ العُمرُ^(٣)
وقالت أمُّ زرعٍ في ابنِ أبي زرعٍ: وَيُسْبِغُهُ ذِرَاعُ الجَفْرَةِ^(٤). وقال حاتمُ الطائي يَدُمُّ
بكثرةِ الأكلِ:

فإنَّكَ إِنْ أعطيتَ بطنَكَ سؤلَهُ وفرجَكَ نالَا مُنتهى الذَّمِّ أجمَعَا^(٥)
وقال الحَظَّايِيُّ^(٦): معنَى قوله ﷺ: «المؤمنُ يأكلُ في مِعَى واحدٍ» أَنَّهُ يتناولُ دونَ
شِبعِهِ، ويؤثِّرُ على نَفْسِهِ، ويُبقي مِنَ زادِهِ لغيرِهِ، فيَقْنَعُهُ ما أَكَلَ.
والتأويلُ الأوَّلُ أَوْلَى، والله أعلم.

وقيل في قوله عليه الصلاة والسلام: «والكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمعاءٍ»: ليس على

(١) قطعة من الحديث الذي سلف الكلام عليه.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٦٠)، وأخرجه أحمد (٤٧١٨)، والبخاري (٥٣٩٣).

(٣) البيت لأعشى باهلة من قصيدة يرثي بها المُتشرِّين وهب الباهلي، وهو في الكامل ٤٥٩/١ و١٤٣١/٣، والعُمر: هو القدر الصغير. اللسان (عمر).

(٤) قطعة من حديث أم زرع الطويل الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨). والجفرة: الأنثى من ولد المَعزِّ، إذا كان ابن أربعة أشهر وتُفصل عن أمه وأخذ في الرعي. فتح الباري ٢٧٠/٩.

(٥) ديوان حاتم ص ٦٨، وصدده فيه: وإنك مهما تعط بطنك سؤلَه.

(٦) أعلام الحديث ٢٠٤٥/٣.

عمومه؛ لأنَّ المُشاهدةَ تدفعُهُ، فإنَّه قد يوجدُ كافرٌ أقلُّ أكلاً من مؤمن، ويُسلِمُ الكافرُ فلا يَقِلُّ أكلُهُ ولا يزيدُ.

وقيل: هو إشارةٌ إلى معيَّن؛ ضافَ النبيُّ ﷺ ضيفَ كافرٍ - يقال: إنَّه الجَهْجَاهُ الغِفاريُّ، وقيل: ثُمَامَةُ بنُ أَنَال، وقيل: نَضْلَةُ بنُ عمرو الغِفاريُّ، وقيل: بَضْرَةُ بنُ أبي بصرَةَ الغِفاريُّ^(١) - فشرَبَ حِلَابَ سبعِ شياهُ، ثم إنَّه أصبحَ فأسلمَ، فشرَبَ حِلَابَ شاةٍ، فلم يَسْتَمَّهُ، فقال النبيُّ ﷺ ذلك^(٢). فكأنَّه قال: هذا الكافر. والله أعلم.

وقيل: إنَّ القلبَ لَمَّا تنوَّرَ بنورِ التوحيدِ نظرَ إلى الطعامِ بعينِ التقويِ على الطاعة، فأخذَ منه قَدْرَ الحاجة، وحين كان مُظْلِماً بالكفرِ كان أكلُهُ كالبهيمَةِ ترتعُ حتى تثلِطَ^(٣).

واختلِفَ في هذه الأمعاء، هل هي حقيقةٌ أم لا؟ فقول: حقيقةٌ، ولها أسماءٌ معروفةٌ عندَ أهلِ العلمِ بالطبِّ والتشريحِ^(٤). وقيل: هي كنايةاتٌ عن أسبابِ سبعةٍ يأكلُ بها النَّهْمُ^(٥): يأكلُ للحاجة، وللخَبَرِ، والشَّمِّ، والنظرِ، واللَّمْسِ، والذوقِ، ويزيدُ استغناماً^(٦). وقيل: المعنى أن يأكلَ أكلَ مَنْ له سبعةٌ أمعاء، والمؤمنُ بخفَّةٍ أكله يأكلُ أكلَ مَنْ ليس له إلا مَعَى واحدٌ، فيشاركُ الكافرَ بجزءٍ من أجزاءِ أكلِهِ، ويزيدُ الكافرُ

(١) المفهم ٥/٣٤٣.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٢٤، ومسلم (٢٠٦٣)، والترمذي (١٨١٩) من حديث أبي هريرة ؓ دون تعيين الرجل. وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٢١٥٢) من حديث جهجاه الغفاري، وأحمد (١٨٩٦٢) من حديث نضلة بن عمرو الغفاري، وأخرجه أحمد أيضاً (٢٧٢٢٦) من حديث أبي بصرَةَ الغفاري، وهؤلاء الثلاثة ؓ هم أصحاب القصة، وذكر ابن إسحاق في السيرة (سيرة ابن هشام ٢/٦٣٨) من حديث أبي هريرة أن ثُمَامَةَ بنُ أَنَال لما أسر ثم أسلم وقعت له قصة تشبه قصة جهجاه، فيجوز أن يُقَسَّرَ الضيف بشمامة فيما ذكره الحافظ ابن حجر، وقوى أن تكون القصة متعددة. وينظر فتح الباري ٩/٥٣٨.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٧١. وقوله: تثلط: تثلط البعير إذا ألقى بعره رقيقاً. الصحاح (ثلط).

(٤) الكلام بنحوره في إكمال المعلم ٦/٥٥٧.

(٥) في النسخ الخطية: البهيم، والمثبت من (م).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٧١.

عليه بسبعة أمثاله. والمعنى في هذا الحديث هو المعيدة^(١).

السادسة: وإذا تقرّر هذا فاعلم أنه يُستحبُّ للإنسانِ غسلُ اليدِ قبلَ الطعامِ وبعده؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «الوضوءُ قبلَ الطعامِ وبعده بركة»، وكذا في التوراة، رواه زاذان عن سلمان^(٢)، وكان مالك يكرهُ غسلَ اليدِ النظيفة^(٣)، والافتداءُ بالحديثِ أولى.

ولا يأكلُ طعاماً حتى يعرفَ أحاراً هو أم بارد؟ فإنّه إن كان حاراً فقد يتأذى. ورؤي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أبردُوا بالطعام، فإنَّ الحارَّ غيرُ ذي بركة». حديثٌ صحيح^(٤)، وقد تقدّم في «البقرة»^(٥). ولا يشمُّه، فإنَّ ذلك من عمَلِ البهائم، بل إنَّ اشتهاهُ أكله، وإن كرهه تركه، ويصغرُ اللقمة ويكثرُ مضغها لئلاَّ يعدَّ شراً.

ويُسمي الله تعالى في أوّله ويحمّده في آخره. ولا ينبغي أن يرفعَ صوته بالحمْدِ إلا أن يكونَ جُلُساؤه قد قرَعوا من الأكل؛ لأنَّ في رفعِ الصوتِ منعاً لهم من الأكل. وآدابُ الأكلِ كثيرةٌ، هذه جملةٌ منها، وسيأتي بعضها في سورة هود إن شاء الله تعالى^(٦).

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٤٠/٩: ونقل الكرماني عن الأطباء في تسمية الأعمال السبعة أنها المعيدة.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٧٣٢)، وأبو داود (٣٧٦١)، والترمذي (١٨٤٦) بلفظ: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»، قال أبو داود: وهو ضعيف، وقال الترمذي: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع، وقيس بن الربيع يَضَعُفُ في الحديث. وسلمان: هو الفارسي. (٣) المفهم ٣٠٠/٥.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٢٠٥) من حديث أبي هريرة ؓ، وفي إسناده عبد الله بن يزيد البكري، ضَعَفَهُ أبو حاتم، وقال: ذاهب الحديث، كما في الجرح والتعديل ٢٠١/٥، وأخرجه الحاكم في المستدرک ١١٨/٤. من حديث جابر ؓ، وسكت عنه، وفي إسناده محمد بن عبيد الله العَرَزَمِي، قال البخاري: تركه ابن المبارك ويحيى، وقال ابن معين: ليس بشيء، ولا يُكْتَبُ حديثه. كما في تهذيب الكمال ٤١/٢٦ - ٤٣. وينظر المقاصد الحسنة ص ١١، وفيض القدير ٧٧/١.

(٥) ٣٦٦/٢، وهو حديث أسماه رضي الله عنها؛ أنها كانت إذا ثردت غطّته شيئاً حتى يذهب قُوْزُه، وتقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه أعظمُ للبركة».

(٦) عند تفسير الآية (٩٩) منها.

وللشَّرابِ^(١) أيضاً آدابٌ معروفةٌ، تركنا ذِكْرَها لِشَهْرَتِها. وفي «صحيح» مسلم^(٢) عن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أكلَ أحدُكم فليأكلْ بيمينِهِ، وإذا شَرِبَ فليشربْ بيمينِهِ؛ فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشمالِهِ ويشربُ بشمالِهِ».

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِقُوا﴾ أي: في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يُثقلُ المَعِدَةَ، ويُثبِّطُ الإنسانَ عن خدمةِ ربِّه والأخذِ بحظِّه من نوافلِ الخير، فإنَّ تعدُّى ذلك إلى ما فوقه ممَّا يمنعه القيامَ بالواجبِ^(٣)، حرَّم عليه، وكان قد أسرفَ في مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ.

روى أسدُ بن موسى من حديثِ عون بن أبي جُحَيْفَةَ، عن أبيه قال: أكلتُ ثريداً بلحمِ سمين، فأتيتُ النبيَّ ﷺ وأنا أتجشأ^(٤)، فقال: «أَكْفَفْتُ عَلَيْكَ مِنْ جُشَائِكَ أبا جُحَيْفَةَ، فإنَّ أكثرَ الناسِ شَبَعاً في الدنيا أطولُهم جوعاً يومَ القيامةِ». فما أكلَ أبو جُحَيْفَةَ بملءِ بَطْنِهِ حتى فارَقَ الدنيا، وكان إذا تغدَّى لا يتعشى، وإذا تعشى لا يتغدى^(٥).

قلتُ: وقد يكونُ هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمنُ يأكلُ في معنى واحد» أي: التامُّ الإيمان؛ لأنَّ مَنْ حَسَنَ إسلامُهُ وكَمَلَ إيمانه كأبي جُحَيْفَةَ تفكَّرَ فيما يصيرُ إليه من أمرِ الموتِ وما بعده، فيمنعُهُ الخوفُ والإشفاقُ من تلك الأحوالِ من استيفاءِ شهواته، والله أعلم.

(١) في (ظ): وللشرب.

(٢) الحديث (٢٠٢٠)، وهو في مسند أحمد (٤٥٣٧).

(٣) بعدما في (خ) و(د) و(ز) و(م): عليه، والمثبت من (ظ).

(٤) في (خ) و(د): أتجشئ، ولم تجوِّد في (ظ)، والمثبت من (ز)، وهو الموافق للمصادر.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٢٤)، والبيهقي في الشعب (٥٦٤٤) من طريق أسد بن موسى، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥٣٧، وفي إسناده الوليد بن عمرو بن ساج، قال ابن عدي: مع ضعفه يُكتَب حديثه. وأخرج المرفوع منه - دون ذكر أبي جُحَيْفَةَ - الترمذي (٢٤٧٨)، وابن ماجه (٣٣٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن زيد: معنى «ولا تُسْرِفُوا»: لا تأكلوا حراماً^(١). وقيل: «مِنَ السَّرْفِ أَنْ تَأْكَلَ كُلَّ مَا اسْتَهَيْتَ»، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ، خرَّجه ابن ماجه في «سننه»^(٢). وقيل: «مِنَ الإسْرَافِ الأَكْلُ بَعْدَ الشَّبَعِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحْظُورٌ»^(٣). وقال لقمان لابنه: يا بُنَيَّ، لا تَأْكُلْ شَبَعاً فَوْقَ شَبَعٍ، فَإِنَّكَ إِذَا تَنَبَّذَهُ لِلْكَلبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ»^(٤). وسأل سمره بن جندب عن ابنه ما فعل. قالوا: بِسْمِ البارِحَةِ، قال: بِسْمِ! فقالوا: نعم، قال: أما إنَّه لو مات ما صلَّيتُ عليه^(٥). وقيل: إنَّ العربَ في الجاهليَّة كانوا لا يأكلون دَسماً في أيَّام حجِّهم، ويكتفون باليسير من الطعام، ويطوفون عُراً، فقيل لهم: ﴿شُدُّوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: لا تُسْرِفُوا في تحريم ما لم يُحرِّم عليكم^(٦).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣١)

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ بين أنهم حرَّموا من تلقاء أنفسهم ما لم يُحرِّمه الله عليهم. والزينة هنا: الملبس الحسن؛ إذا قدرَ عليه صاحبه، وقيل:

(١) أخرجه الطبري ١٠/١٥٦.

(٢) الحديث (٣٣٥٢)، وفي إسناده نوح بن ذكوان، قال فيه أبو حاتم: ليس بشيء وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً. ميزان الاعتدال ٤/٢٧٧.

(٣) أحكام القرآن للكيا ٣/١٣٨.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩٥٣٩)، وأحمد بن حنبل في الزهد ص ٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٩١) و(٥٦٩٨) عن الحسن.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٤٨، وفي الورع ص ١٠٢، والبغوي في الجعديات (٣٢٢١). والبسم: الشخمة عن الدسم. النهاية (بسم).

(٦) أخرجه الطبري ١٠/١٥٥ عن السدي.

جميع الثياب، كما روي عن عمر: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا، وقد تقدم^(١).
 وروي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك^(٢) ﷺ أنه كان يلبس
 كساء خزّ بخمسين ديناراً، يلبسه في الشتاء، فإذا كان في الصيف تصدق به، أو باعه،
 فتصدق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر مُمشقين، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ
 حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٣).

الثانية: وإذا كان هذا فقد دلّت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها
 في الجُمع والأعياد، وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان، قال أبو العالية: كان
 المسلمون إذا تزاوروا تجملوا^(٤)، وفي «صحيح» مسلم بن حديث عمر بن الخطاب
 أنه رأى حُلَّةً سبَّاءً تُباع عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتها ليوم
 الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لَا خِلَاقَ
 لَهُ فِي الآخِرَةِ»^(٥)، فما أنكر عليه ذُكْر التجمل، وإنما أنكر عليه كونها سبَّاءً، وقد
 اشترى تميم الدَّارِي حُلَّةً بألف درهم كان يُصلي فيها، وكان مالك بن أنس^(٦) يلبس
 الثياب العَدَنِيَّةَ الجيادَ، وكان ثوبُ أحمد بن حنبل يُشترى بنحو الدينار.

(١) ١٩١/٧ .

(٢) في هذا الكلام نظر فهو من شيوخ أشياخ مالك فقد ولد الإمام مالك سنة (٨٩٣هـ) كما في السير ٤٩/٨ ،
 وتوفي الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ (وهو الملقب بزَيْن العابدين) في هذه السنة،
 وقيل: (٩٤هـ)، وقيل: (٩٢هـ)، وقيل: (١٠٠)، كما في التمهيد ١٥٨/٩ ، والله أعلم.(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢١٨/٥ ، وابن عبد البر في التمهيد ١٥٨/٩ - ١٥٩ . وقوله: ممشقين:
 المشق: المَغْرَة، وهو صبغ أحمر، وثوب ممشوق وممشق: مصبوغ بالوشق. اللسان (مشق). ووقع في
 الطبقات: أشمونيين بدل: ممشقين.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١١٥/٧ ، والبخاري في الأدب المفرد (١/٣٤٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٦٨)، وأخرجه أحمد (٤٧١٣)، والبخاري (٨٨٦)، وقوله: حلة سبَّاءً، أي: حلة
 حرير. النهاية ٤٣٣/٢ .(٦) في النسخ: مالك بن دينار، والمثبت من تلبس إبليس ص ١٩٣ (والكلام منه)، وطبقات ابن سعد
 (القسم المتعمم) ٤٣٤/١ ، والسير ٧٠/٨ .

أين هذا مَن يَرُغِبُ عنه وَيُؤْتِرُ لِبَاسَ الْحَاشِنِ مِنَ الْكَثَّانِ وَالصَّوْفِ مِنَ الشِّيَابِ، ويقول: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾! هيهات! أترى مَن ذكرنا تركوا لباسَ التقوى، لا والله! بل هم أهلُ التقوى وأولو المعرفة والنهي، وغيرهم أهلُ دَعْوَى، وقلوبهم خالية من التقوى.

قال خالد بن شُوذَب (١): سَهَدْتُ الْحَسَنَ وَأَتَاهُ فَرَقْدٌ، فَأَخَذَهُ الْحَسَنُ بِكَسَائِهِ فَمَدَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا فُرَيْقُدُ، يَا ابْنَ أُمِّ فُرَيْقُدِ، إِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ فِي هَذَا الْكِسَاءِ، إِنَّمَا الْبِرُّ مَا وَقَرَ فِي الصَّدْرِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ (٢).

ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن بشار (٣) وعليه جبّة صوف، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد، صوّفت قلبك أو جسمك؟ صوّف قلبك، والبس القوهي على القوهي (٤).

وقال رجلٌ للشُّبَلِيِّ: قد ورَدَ جماعةٌ من أصحابك وهم في الجامع، فمضَى فرأى عليهم المرقعات والفوط، فأنشأ يقول:
أما الخيامُ فإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا (٥)

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله (٦): وأنا أكره لبسَ الفوطِ والمرقعات لأربعة أوجه: أحدها: أنه ليس من لبسِ السلف، وإنما كانوا يُرَقِّعون ضرورةً. والثاني: أنه يتضمَّنُ ادِّعاءَ الفقر، وقد أمرَ الإنسانُ أن يُظهِرَ نعمة (٧) الله عليه.

(١) أبو عبد الرحمن الجشمي البصري، الجرح والتعديل ٣/٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٢٧، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٨٩.

(٣) في (د) و(ز): يسار، والكلام في تلبيس إبليس ص ١٩٢. وأبو الحسن بن بشار هو علي بن محمد بن بشار الزاهد، توفي سنة (٣١٣هـ). طبقات الحنابلة ٥٧/٢، والقصة فيه.

(٤) القوهي: ضرب من الثياب بيض، فارسي منسوبة إلى قوهستان. اللسان (قوه).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٨٤. والبيت لأبي الحسن الفالي، كما في معجم الأدباء ٢٢٧/١٢.

(٦) في تلبيس إبليس ص ١٨٤.

(٧) في (د) و(ز) و(م): أثر نعم، والمثبت من (خ) و(ظ)، وتلبيس إبليس.

والثالث: إظهارُ التزهُّد، وقد أمرنا بسِّثْرِهِ. والرابع: أنه تشبَّه بهؤلاء المُتَزَحِّزِحِينَ عن الشريعة، وَمَنْ تشبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.

وقال الطبري^(١): ولقد أخطأ مَنْ آثَرَ لباسَ الشعر والصوف على لباس القطن والكثان مع وجود السبيل^(٢) إليه من جلِّه، وَمَنْ أَكَلَ البُقُولَ والعدسَ واختارَهُ على خبز البُرِّ، وَمَنْ تركَ أَكَلَ اللَّحْمِ خوفاً مِنْ عارِضِ شهوةِ النساءِ.

وسئل بشر بن الحارث^(٣) عن لبسِ الصوف، فسقَّ عليه، وتبيَّنت الكراهةُ في وجهه، ثم قال: لُبِسُ الحَزِّ والمُعَصَفِرِ أحبُّ إليَّ مِنْ لبسِ الصوفِ في الأمصار.

وقال أبو الفرج: وقد كان السلفُ يلبسون الثيابَ المتوسِّطةَ، لا المُترَفعةَ ولا الدُّونَ، ويتخَيَّرُونَ أجودَها للجُمعةِ والعيدِ وللقاءِ الإخوانِ، ولم يَكُنْ تخييراً^(٤) الأجودِ عندهم قبيحاً. وأمَّا اللباسُ الذي يُزري بصاحبه فإنه يتضمَّنُ إظهارَ الزهدِ وإظهارَ الفقرِ، وكأنَّه لسانُ شكوى مِنَ الله تعالى، ويوجب احتقارَ اللباسِ، وكلُّ ذلك مكروهٌ منهيٌّ عنه.

فإن قال قائلٌ: تجويدُ اللباسِ هوى النفس، وقد أمرنا بمجاهدتها، وتزيُّنٌ للخلق، وقد أمرنا أن تكونَ أفعالنا لله لا للخلق.

فالجوابُ: أنه ليس كلُّ ما تهواه النفسُ يذمُّ، وليس كلُّ ما يُتزيَّنُ به للناسِ يُكره، وإنَّما يُنهي عن ذلك إذا كان الشرعُ قد نهى عنه، أو على وجهِ الرِّياءِ في بابِ الدِّينِ، فإنَّ الإنسانَ يُحبُّ^(٥) أن يُرى جميلاً، وذلك حظُّ للنفسِ لا يُلامُّ فيه، ولهذا يُسرحُ

(١) نقله المصنف عنه بواسطة ابن الجوزي في تلييس إبليس ص ١٩٣، وسلف ٦/٢٦٢.

(٢) في النسخ الخطية: النيل، والمثبت من (م) وتلييس إبليس.

(٣) أبو نصر المروزي، البغدادي، المحدث، كان رأساً في الورع والإخلاص توفي سنة (٢٢٧هـ). السير ٤٦٩/١٠.

(٤) في تلييس إبليس ص ١٩٣: ولم يكن غير.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ) و(م) ومطبوع تلييس إبليس ص ١٩٥: يجب، والمثبت من (خ).

شعره، وينظر في المرأة ويسوي إمامته، ويلبس بطانة الثوب الحسنة إلى داخل، وظهارته الحسنة إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يذم.

وقد روى مكحول عن عائشة قالت: كان نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله، وأنت تفعل هذا؟! قال: «نعم»، إذا خرج الرجل إلى إخوانه؛ فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال»^(١).

وفي «صحيح» مسلم: عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(٢). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، تدلُّ كلها على النظافة وحسن الهيئة.

وقد روى محمد بن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا مندل، عن ثور، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة، والدّهن والسواك والكحل. وعن ابن جريج: مشط عاج يمشط به.

قال ابن سعد: وأخبرنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفیان، عن ربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرّح

(١) قوله منه: «إن الله جميل يحب الجمال» صحيح، وسيأتي بعده. وأما باقي الحديث فقد أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٦٨٧ من طريق أيوب بن مردك، وأخرجه في تلبس إبليس ص ١٩٥ من طريق العلاء بن كثير الدمشقي، كلاهما عن مكحول عن عائشة رضي الله عنها، به. وأيوب بن مردك كذبه ابن معين، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك، وقال ابن حبان: روى أيوب عن مكحول بنسخة موضوعة. ولم يره. ميزان الاعتدال ١/٢٩٣. والعلاء بن كثير الدمشقي، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: له عن مكحول نسخ عن الصحابة كلها غير محفوظة. ومكحول لم يدرك عائشة رضي الله عنها. ينظر تنزيه الشريعة ٢/٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم (٩١)، وأخرجه أحمد (٣٧٨٩) بنحوه. قال أبو العباس القرطبي في المفهم ١/٢٨٨-٢٨٩: بطل الحق: إبطاله. وغمط الناس: احتقارهم واستصغارهم.

لحيته بالماء، أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا عبّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله ﷺ مَكْحَلَةٌ يَكْتَحِلُ بِهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ^(١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الطَّيِّبَاتُ: اسْمٌ عَامٌّ لِمَا طَابَ كَسَبًا وَطَعْمًا. قال ابن عباس وقتادة: يعني بالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ: مَا حَرَّمَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَوَامِي^(٢). وقيل: هي كُلُّ مُسْتَلَذٍّ مِنَ الطَّعَامِ^(٣).

وقد اختلف في ترك الطَّيِّبَاتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّذَاتِ، فقال قومٌ: ليس ذلك من القُرْبَاتِ، وَالْفِعْلُ وَالتَّرْكُ يَسْتَوِي فِي الْمَبَاحَاتِ. وقال آخرون: ليس قُرْبَةً فِي ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ سَبِيلٌ إِلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَقَصْرِ الْأَمَلِ فِيهَا، وَتَرْكِ التَّكْلِيفِ لِأَجْلِهَا، وَذَلِكَ مَدْنُوبٌ إِلَيْهِ، وَالْمَدْنُوبُ قُرْبَةٌ. وقال آخرون: وَنُقِلَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَوْلُهُ: لَوْ شِئْنَا لَأَتَّخَذْنَا صَلَاةً وَصَلَاتٍ وَصِنَابًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَذُمُّ أَقْوَامًا فَقَالَ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٤) [الأحقاف: ٢٠]، وَيُرْوَى: صَرَائِقُ، بِالرَّاءِ، وَهُمَا جَمِيعًا الْجَرَادِقُ. وَالصَّلَاتُ: بِاللَّامِ: مَا يُضَلَّقُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْبُقُولِ. وَالصَّلَاءُ بِكَسْرِ الصَّادِ وَالْمَدِّ: الشَّوَاءُ. وَالصَّنَابُ: الْخَرْدَلُ بِالزَّيْبِ^(٥).

وفرق آخرون بين حضور ذلك كُلِّهِ بِكُلْفَةٍ وَبِغَيْرِ كُلْفَةٍ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُفَضَّلِ الْمَقْدِسِيُّ^(٦) شَيْخُ أَشْيَاخِنَا: وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٤٨٤ وخير خالد بن معدان مرسل، وحديث أنس ﷺ أخرجه البيهقي في الشعب (٦٤٦٣)، والترمذي بنحوه في الشمائل (٣٢)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٣٣١٨)، والترمذي (٢٠٤٨)، وابن ماجه (٣٤٩٩).

(٢) أخرجه الطبري ١٠/ ١٥٨، وسلف شرح هذه الألفاظ ٦/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٣) النكت والعيون ٢/ ٢١٩.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٤٩ بنحوه.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٦٤، والفائق ٢/ ٢٩٦ و ٣١١. والصلائق تروى أيضاً: الصلائق، بالسين. والجرادق: جمع جردقة: الرغيف، فارسية معربة، اللسان (جرق).

(٦) ثم الإسكندراني، برع في المذهب المالكي، وتوفي سنة (٦١١هـ). السير ٢٢/ ٦٦.

عن النبي ﷺ أنه امتنع من طعام لأجل طيبه قَطُّ، بل كان يأكلُ الحلوى والعسل، والبَطِيخَ والرُّطْبَ^(١)، وإنما يكره التكلُّف؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ مَهَمَّاتِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قلت: وقد كره بعض الصوفية أكل الطيبات، واحتج بقول عمر ﷺ: يَاكُمْ وَاللَّحْمَ، فَإِنْ لَهُ ضَرَاوَةٌ كَضَرَاوَةِ الْخَمْرِ^(٢). والجواب: أن هذا من عمر قول خرج على مَنْ خُشِيَ مِنْهُ إِثَارُ التَّنَعُّمِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَشِفَاءُ النَّفْسِ مِنَ اللَّذَاتِ، وَنَسْيَانُ الْآخِرَةِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ كَانَ يَكْتَبُ^(٣) إِلَى عُمَّالِهِ: يَاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ أَهْلِ الْعَجَمِ، وَاخْشَوْشِنُوا^(٤)، وَلَمْ يُرِدْ ﷺ تَحْرِيمَ شَيْءٍ أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَلَا تَحْظِيرَ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَى مَا امْتَلَأَ وَاعْتَبَدَ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سَيِّدُ إِدَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّحْمُ»^(٥)، وَقَدْ رَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ الطَّيِّخَ بِالرُّطْبِ، وَيَقُولُ: «يَكْسِرُ حَرَّ هَذَا بِرَدِّ هَذَا، وَيُرْدُ هَذَا حَرَّ هَذَا»^(٦)، وَالطَّيِّخُ لَفَةٌ فِي الْبَطِيخِ، وَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ، وَقَدْ مَضَى

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣١٦)، والبخاري (٥٦١٤)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحَلْوَاءَ والعسل... وسياي حديث أكله ﷺ البطيخ والرطب قريباً.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٣٥.

(٣) بعدها في (د) و(م): عمر.

(٤) أخرجه أحمد (٩٢)، ومسلم (٢٠٦٩): (١٢)، وابن حبان (٥٤٥٤)، ولفظ: واخشوشنوا، عند ابن حبان وحده. وقد سلف نحوه ٥٦/٥.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣) من حديث بُرَيْدَةَ ﷺ، وفي إسناده سعيد بن عنبسة الرازي، كذبه ابن معين وابن الجنيدي، كما في لسان الميزان ٣/٣٩. وأخرجه ابن ماجه (٣٣٠٥) من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظ: «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم»، وفيه سليمان بن عطية الجزري، وهو منكر الحديث، فيما قاله الحافظ ابن حجر في تحرير التقریب ٢/٧٤. وينظر المقاصد الحسنة ص ٢٤٤.

(٦) أخرجه أبو داود (٣٨٣٦)، وأخرجه الترمذي (١٨٤٣) مختصراً دون الطرف القولي منه. وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ يأكل الرُّطْبَ بِالرُّطْبَاءِ. أخرجه أحمد (١٧٤١)، والبخاري (٥٤٤٧)، ومسلم (٢٠٤٣)، وينظر فتح الباري ٩/٥٧٣.

في «المائدة»^(١) الرُّدُّ على مَنْ آثَرَ أَكْلَ الْحَسَنِ مِنَ الطَّعَامِ، وهذه الآية تردُّ عليه وغيرها، والحمد لله.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: بحقها من توحيد الله تعالى والتصديق له، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ وَيَرْزُقُ، فَإِنْ وَحَدَهُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ قَامَ بِحَقِّ النِّعْمَةِ، وَإِنْ كَفَرَ فَقَدْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ نَفْسِهِ. وفي صحيح الحديث: «لا أحدٌ أصبرُ على أذى من الله، يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وهم يَدْعُونَ له الصَّاحِبَةَ والوَلَدَ»^(٢).
وَتَمَّ الْكَلَامُ على^(٣): «الحياة الدنيا». ثم قال: «خَالِصَةٌ» بالرفع، وهي قراءة ابن عباس^(٤) ونافع^(٥).

﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يخلصُ الله الطَّيِّبَاتِ فِي الْآخِرَةِ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وليس للمشركين فيها شيءٌ كما كان لهم في الدنيا من الاشتراكِ فيها. وَمَجَازُ الْآيَةِ: قل: هي للذين آمنوا مُشْتَرَكَةٌ فِي الدُّنْيَا مَعَ غَيْرِهِمْ، وهي للمؤمنين خالصةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٦)، فـ«خالصةٌ» مستأنفةٌ على خبر مبتدأ مضمرة. وهذا قولُ ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة والسدي وابن جريج، وابن زيد^(٧).

وقيل: المعنى: إنَّ هذه الطَّيِّبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ فِي الدُّنْيَا هي خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) ١١٨/٨ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٧٧٢/٢ - ٧٧٣ . والحديث أخرجه أحمد (١٩٥٨٩)، والبخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وليس عندهم قوله: «الصاحبة». وهي عند عبد الرزاق في المصنف (٢٠٢٥٠).

(٣) في (خ) و(د) و(ز): في، بدل: على، وليس فيها قوله: وتم الكلام. والمثبت من (ظ) و(م).

(٤) في (د) و(ز): ابن عامر، وهو خطأ، وفي (خ): أئبي، والمثبت من (ظ) و(م)، وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ١٢٣/٢، والكلام فيه بنحوه.

(٥) البعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١٠٩ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٧٧/١ .

(٧) أخرجه الطبري ١٠٩/١٠ - ١٦١ .

للمؤمنين في الدنيا، وتخلوؤها أنهم لا يُعاقبون عليها ولا يُعذبون، فقوله: «في الحياة الدنيا» متعلق بـ «آمنوا»، وإلى هذا يُشير تفسير سعيد بن جبير^(١).

وقرأ الباقر بن النصب على الحال والقطع؛ لأن الكلام قد تمّ دونه، ولا يجوز الوقف على هذه القراءة على «الدنيا»؛ لأن ما بعده متعلق بقوله: «لَّذِينَ آمَنُوا» حالاً منه، بتقدير: قُلْ هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حالِ تخلصها لهم يوم القيامة، قاله أبو علي. وخبرُ الابتداء: «لَّذِينَ آمَنُوا»، والعاقل في الحال ما في اللام من معنى الفعل في قوله: «لَّذِينَ»^(٢)، واختار سيويه النصب لتقدم الظرف^(٣).

﴿كَذَلِكَ نُنْهَى الْآيَاتِ﴾ أي: كالذي فصلت لكم الحلال والحرام؛ أفضل لكم ما تحتاجون إليه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا لَعْمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

فيه مسألة واحدة:

قال الكلبي: لما لبس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت غيرهم المشركون، فنزلت هذه الآية، والفواحش: الأعمال المفردة في الشبح، ما ظهر منها وما بطن: روى رُوْح بن عبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد قال: «ما ظَهَرَ منها»: نكاح الأمهات في الجاهلية، «وما بَطَنَ»: الزنى. وقال قتادة: سرها وعلانيتها^(٤). وهذا فيه نظر؛ فإنه ذكر الإثم والبغى، فدل أن المراد بالفواحش بعضها، وإذا كان كذلك فالظاهر من الفواحش الزنى^(٥)، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٩٣ - ٣٩٤، وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري ١٠/١٦٢.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٤/١٥ - ١٧، وينظر المحرر الوجيز ٢/٣٩٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٣، وينظر الكتاب ٢/٩٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٢٨ - ٢٩، وأخرج الطبري قولي مجاهد وفتادة ٩/٥١٨ و ٥١٦ و ٦٦٠ و

٦٦١.

(٥) أحكام القرآن للكيا ٣/١٣٩.

﴿وَالْإِثْمُ﴾ قال الحسن: الخمر^(١)، قال الشاعر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ^(٢)
وقال آخر:

نَشَرِبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جِهَارًا وَتَرَى الْمُثَنِّكَ^(٣) بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا
﴿وَالْبَغْيُ﴾: الظلم وتجاوز الحد فيه، وقد تقدّم^(٤). وقال ثعلب: البغي أن يقع الرجل في الرجل فيتكلم فيه، ويبغي عليه بغير الحق، إلا أن ينتصر منه بحق. وأخرج الإثم والبغي من الفواحش، وهما منه، لعظيما وفحشهما، فنص على ذكرهما تأكيداً لأمرهما وقضداً للزجر عنهما. وكذا: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا﴾، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾، وهما في موضع نصب عطفاً على ما قبل^(٥).

وقد أنكر جماعة أن يكون الإثم بمعنى الخمر، قال الفراء^(٦): الإثم: ما دون الحد، و[البغي]: الاستطالة على الناس. قال النحاس: فأما أن يكون الإثم الخمر، فلا يعرف ذلك، وحقيقة الإثم أنه جميع المعاصي، كما قال الشاعر:

إِنِّي وَجَدْتُ الْأَمْرَ أَرْشُدُهُ تَسْفَوَى إِلَهٍ وَشَرُّهُ الْإِثْمُ^(٧)
قلت: وأنكره ابن العربي أيضاً وقال: ولا حجة في البيت؛ لأنه لو قال: شربْتُ

(١) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ١٩١/٣، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٩٥/٢: وهذا قول مردود؛ لأن هذه السورة مكية، ولم تكن الشريعة بتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد.
(٢) سلف ٤٤٦/٣.

(٣) في (م): السك، والبيت في تهذيب اللغة ١٦١/١٥، وزاد المسير ١٩١/٣ دون ذكر قائله. قال الأزهرى: المثنك: الأترج، أي: تناوره بأيدينا، نشمه.

(٤) ٤٥/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/٢.

(٦) في معاني القرآن ٣٧٨/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٢٣/٢، وما سيرد بين حاصرتين منهما.

(٧) قائله المُخَبَّلُ السعدي، وهو في الفضليات ص ١١٣، ومنتهى الطلب ٣٧٦/١.

الذَّنْبِ، أو شَرِبْتُ الْوِزْرَ؛ لكان كذلك، ولم يُوجِبْ قَوْلُهُ أَنْ يَكُونَ الذَّنْبُ وَالْوِزْرُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، كَذَلِكَ الْإِثْمُ، وَالَّذِي أَوْجِبَ التَّكْلِمَ بِمِثْلِ هَذَا الْجَهْلُ بِاللُّغَةِ وَبِطَرِيقِ الْأَدْلَةِ فِي الْمَعَانِي^(١).

قلت: وقد ذكرناه عن الحسن، وقال الجوهري في «الصحاح»^(٢): وقد يُسَمَّى الْخَمْرُ إِثْمًا، وَأَنْشَدَ: شَرِبْتُ الْإِثْمَ، الْبَيْتَ وَأَنْشَدَهُ الْهَرَوِيُّ فِي «غَرِيبِيهِ» عَلَى أَنَّ الْخَمْرَ الْإِثْمُ. فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْإِثْمُ يَقَعُ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَاصِي، وَعَلَى الْخَمْرِ أَيْضًا نُعَةً، فَلَا تَنَاقُضُ. وَالْبَغْيُ: التَّجَاوُزُ فِي الظُّلْمِ، وَقِيلَ: الْفَسَادُ.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

فيه مسألة واحدة:

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: وَقْتُ مُرُوتِ. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَرَأَ ابْنُ سِيرِينَ: جَاءَ أَجَالُهُمْ^(٣)، بِالْجَمْعِ. ﴿لَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا أَقْلَ مِنْ سَاعَةٍ، إِلَّا أَنَّ السَّاعَةَ خُصِّتْ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهَا أَقْلُ أَسْمَاءِ الْأَوْقَاتِ، وَهِيَ ظَرْفُ زَمَانٍ^(٤)، ﴿وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾، فَذَلَّ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْمَقْتُولَ إِنَّمَا يُقْتَلُ بِأَجَلِهِ^(٥)، وَأَجَلُ الْمَوْتِ هُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ، كَمَا أَنَّ أَجَلَ الدِّينِ هُوَ وَقْتُ حُلُولِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَقْتُ بِهِ شَيْءٌ فَهُوَ أَجَلٌ لَهُ، وَأَجَلُ الْإِنْسَانِ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٧٤/٢ .

(٢) مادة (إثم).

(٣) القرلوات الشاذة ص ٤٤، والمحتسب ٢٤٦/١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٣٤/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠/٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/٢ .

يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ يَمُوتُ الْحَيُّ فِيهِ لَا مُحَالَةَ، وَهُوَ وَقْتُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ مَوْتِهِ عَنْهُ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَيْسَ مَقْدُوراً تَأْخِيرُهُ.

وقال كثيرٌ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ - إِلَّا مَنْ شَدَّ مِنْهُمْ -: إِنَّ الْمَقْتُولَ مَاتَ بِغَيْرِ أَجَلِهِ الَّذِي ضُرِبَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ لَحَيٌّ.

وهذا غَلَطٌ؛ لِأَنَّ الْمَقْتُولَ لَمْ يَمُتْ مِنْ أَجَلٍ قَتَلَ غَيْرِهِ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجَلِ مَا فَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ إِزْهَاقِ نَفْسِهِ عِنْدَ الضَّرْبِ لَهُ^(١).

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ مَاتَ بِأَجَلِهِ؛ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ضَارِبَهُ وَتَقْتَصُونَ مِنْهُ؟ قِيلَ لَهُ: نَقْتُلُهُ لِتَعْدِيهِ وَتَضَرُّفِهِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَضَرَّفَ فِيهِ، لَا لِمَوْتِهِ وَخُرُوجِ الرُّوحِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ، وَلَوْ تَرَكْنَا النَّاسَ وَالتَّعْدِيَّ مِنْ غَيْرِ قِصَاصٍ، لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْفَسَادِ وَدَمَارِ الْعِبَادِ، وَهَذَا وَاضِحٌ.

قوله تعالى: ﴿يَبْقَى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْقَى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ شرط، ودخلت التوَنُ توكيداً لدخولِ «ما»^(٢)، وقيل: «ما» صلة، أي: إِنْ يَأْتِيَنَّكُمْ^(٣)، أَخْبَرَ أَنَّهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ مِنْهُمْ؛ لِتَكُونَ إِجَابَتُهُمْ أَقْرَبَ. وَالْقَصَصُ: اتِّبَاعُ الْحَدِيثِ بَعْضُهُ بَعْضاً.

﴿آيَاتِي﴾ أي: فرائضي وأحكامي^(٤).

﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ شرط، وما بعده جوائبه، وهو جوابُ الأوَّلِ، أي: وَأَصْلَحَ

(١) تمهيد الأوائل للباقلاني ١/ ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٢٤.

(٣) في النسخ الخطية: يأتينكم، والمثبت من (م).

(٤) تفسير البغوي ٢/ ١٥٨، ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

منكم ما بيني وبينه. ﴿فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رُعبٌ ولا فزعٌ^(١)، وقيل: قد يلحقهم أهوال يوم القيامة، ولكن ما لهم الأمن^(٢). وقيل: جواب «إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ» ما دل عليه الكلام، أي: فأطيعوهم، فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ^(٣)، والقول الأول قول الزجاج^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ المعنى: أي ظلم أشنع^(٥) من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بآياته؟ ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: ما كُتِبَ لهم من رزق وعُمر وعمل. عن ابن زيد. ابن جبير: من شقاء وسعادة. ابن عباس: من خير وشر. الحسن وأبو صالح: من العذاب بقدر كفرهم^(٦).

واختيار الطبري أن يكون المعنى: ما كُتِبَ لهم، أي: ما قُدِّرَ لهم من خير وشر، ورزق وعمل وأجل، على ما تقدم عن ابن زيد وابن عباس وابن جبير. قال: ألا ترى أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ﴾^(٧) يعني رُسلَ ملك الموت.

وقيل: «الكتاب» هنا القرآن؛ لأنَّ عذاب الكفار مذكور فيه. وقيل: «الكتاب» اللوح المحفوظ^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/٢.

(٢) تفسير الرازي ٦٩/١٤.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥١٦/٢.

(٤) معاني القرآن له ٣٣٤/٢.

(٥) في (خ): أي ذنب أشنع، وفي (د): أي أظلم أشنع، وفي (ظ): أي شيء أظلم وأشنع، والمثبت من (ز) و(م).

(٦) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٦٨/١٠ و١٦٩ و١٧٣ و١٧٥.

(٧) تفسير الطبري ١٧٥/١٠.

(٨) زاد المسير ١٩٣/٣.

ذكر الحسن بن علي الحُلواني^(١) قال: أملى عليّ عليّ بن المَدِيني قال: سألت عبد الرحمن بن مهدي عن القَدَر، فقال لي: كلُّ شيء بقَدَر، والطاعة والمعصية بقَدَر. قال^(٢): وقد أعظم الفُرِيَّة مَنْ قال: إنَّ المعاصي ليست بقَدَر. قال علي: وقال لي عبد الرحمن بن مهدي: العلم والقَدَر والكتاب سواء. ثم عرضتُ كلام عبد الرحمن ابن مهدي علي يحيى بن سعيد، فقال: لم يبقَ بعد هذا قليلٌ ولا كثيرٌ^(٣).

وروى يحيى بن معين: حدثنا مروان الفَرَزاري، حدثنا إسماعيل بن سَمْع، عن بُكير الطويل، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿أَوَّلِكَ يَأْتُمُّ نَصِيْبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ قال: قومٌ يعملون أعمالاً لا بدَّ لهم من أن يعملوها^(٤).

و«حتى» ليست غايةً، بل هي ابتداءٌ خيرٍ عنهم. قال الخليل وسيبويه: «حتى» و«إما» و«إلا» لا يُملَن؛ لأنهنَّ حروفٌ، فَفُرقَ بينها وبين الأسماء نحو: حُبَلِي وَسَكْرِي.

قال الزجاج^(٥): تُكتب حتى بالياء؛ لأنها أشبهت سَكْرِي^(٦)، ولو كُتبت «إلا» بالياء لأشبهت إلی. ولم تُكتب «إما» بالياء؛ لأنها «إن» ضُمَّت إليها «ما». ﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ سؤال توبيخ. ومعنى «تَدْعُونَ»: تعبدون. ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾ أي: بَطَلُوا وذهبوا. قيل: يكون هذا في الآخرة. ﴿وَشَهِدُوا عَلَ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ أي: أقرؤا بالكُفر على أنفسهم^(٧).

(١) أبو محمد الهذلي، المجاور بمكة، الحافظ، الصدوق، توفي سنة (٢٤٢هـ). السير ٣٩٨/١١.

(٢) لفظ: قال، من (خ) و(ز) و(ظ).

(٣) التمهيد ٦٧/٦، ويحيى بن سعيد، هو القطان.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٣٩) من طريق إسماعيل بن سميع، به. وأخرجه الطبري ١٧١/١٠ من طريق مروان الفزاري، لكن من قول مجاهد.

(٥) في معاني القرآن ٢/٣٣٥، ونقله المصنف عنه، مع ما قبله بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٢٥/٢ وينظر كتاب سيبويه ١٣٥/٤.

(٦) يعني لأنها على أربعة أحرف، كما قال الزجاج.

(٧) الوسيط ٢/٣٦٦، وزاد المسير ٣/١٩٤.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْنَهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا ففَاتِنَهُمْ عَدَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَانَهُمْ لِأَخْرِضْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي: مع أمم، ف «في» بمعنى مع. وهذا لا يمتنع؛ لأن قولك: زيد في القوم، أي: مع القوم. وقيل: هي على بابها^(١)، أي: أدخلوا في جملتهم. والقائل قيل: هو الله عز وجل، أي: قال الله أدخلوا. وقيل: هو مالك خازن النار^(٢).

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْتَهَا﴾ أي: التي سبقتها إلى النار، وهي أختها في الدُّنْيَا والمِلَّة^(٣). ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا﴾ أي: اجتمعوا.

وقرأ الأعمش: «تداركوا» وهو الأصل، ثم وقع الإدغام، فاحتجج إلى ألف الوصل. وحكاها المهدي عن ابن مسعود^(٤).

النحاس: وقرأ ابن مسعود: «حتى إذا أذركوا» أي: أدرك بعضهم بعضاً^(٥). وعِصْمَةُ^(٦) عن أبي عمرو: «حتى إذا أذركوا» بإثبات الألف^(٧) على الجمع بين

(١) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٢، وينظر التصاريف ليحيى بن سلام ص ٢٢٦.

(٢) تفسير الرازي ١٤/٧٢.

(٣) الوسيط ٢/٣٦٦، وزاد المسير ٣/١٩٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٥، والمحتسب ١/٢٤٧، والمحزر الوجيز ٢/٣٩٩.

(٥) إعراب القرآن ٢/١٢٥، وفيه مجاهد، بدل: ابن مسعود. ولم تقف على من نسبها لابن مسعود.

(٦) عصمة بن عروة، أبو نجیح الفقيمي البصري، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود. غاية النهاية ١/٥١٢.

(٧) يعني ألف «إذا»، ونسب ابن جنى في المحتسب ١/٢٤٧ هذه القراءة لمجاهد وحُميد ويحيى وإبراهيم. وقراءة أبي عمرو المشهورة عنه كقراءة الجماعة.

الساكنين. وحُكي: هذان عبدا لله. و: له ثلثا المال. وعن أبي عمرو أيضاً: «إذا إدَّارَكُوا» بقطع ألف الوصل^(١)؛ فكأنه سكت على «إذا» للتذكُّر، فلما طال سكوته قطع ألف الوصل كالمبتدئ بها. وقد جاء في الشعر قَطْعُ ألف الوصل نحو قوله:

يا نفسُ صبراً كلُّ حيٍّ لاقٍ وكلُّ إنَّسِينِ إلى افتراقٍ^(٢)

وعن مجاهد وحُميد بن قيس: «حتى إذ أدركوا» بحذف ألف «إذا» لالتقاء الساكنين، وحذف الألف التي بعد الدال^(٣). «جَمِيعاً» نصب على الحال.

﴿قَالَتْ أَفْرَيْتَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ﴾ أي: آخرهم دخولاً، وهم الأتباع، لأولاهم وهم القادة: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾^(٤). فاللام في «أولاهم» لام أجل؛ لأنهم لم يخاطبوا أولاهم، ولكن قالوا في حق أولاهم: ربَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا^(٥).

والضَّعْفُ: المِثْلُ الزائد على مثله مرة أو مرات. وعن ابن مسعود أنَّ الضَّعْفَ هاهنا الأفاعي والحيات^(٦). ونظيرُ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا آتِنِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا﴾^(٧) [الأحزاب: ٦٨]. وهناك يأتي ذكر الضَّعْفِ بأشبع من هذا، وما يترتب عليه من الأحكام، إن شاء الله تعالى.

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ أي: للتابع والمتبوع^(٨). ﴿وَلَكِنَّ لَا يَعْتَمُونَ﴾ على قراءة مَنْ قرأ

(١) المحتسب ٢٤٧/١، والمحزر الوجيز ٣٩٩/٢.

(٢) المحتسب ٢٤٧/١ - ٢٤٨، والبيت فيه وفي الخصائص ٤٧٥/٢ دون نسبة.

(٣) القرءات الشاذة ص ٤٤.

(٤) الوسيط ٣٦٦/٢.

(٥) تفسير الرازي ٧٣/١٤، وينظر الكشاف ٧٨/٢.

(٦) أخرجه الطبري ١٧٩/١٠.

(٧) قرأ بها السبعة ما عدا عاصم قرأ: «كبيراً»، وستأتي في موضعها.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٣٣٧/٢، والوسيط ٣٦٦/٢.

بالباء^(١)، أي: لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر، إذ لو علم بعض من في النار أن عذاب أحد فوق عذابه، لكان نوع سلوة له.

وقيل: المعنى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالتاء، أي: ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما يجدون من العذاب. ويجوز أن يكون المعنى: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ما هم فيه من العذاب^(٢).

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْتًا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: قد كفرتم وفعلتم كما فعلنا، فليس تستحقون تخفيفاً من العذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(٣)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْفِيلِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي: لأرواحهم. جاءت بذلك أخبار صحاح ذكرناها في كتاب «التذكرة»^(٤) منها حديث البراء بن عازب، وفيه في قبض روح الكافر قال: «ويخرج منها»^(٥) ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة. فيقولون: فلان بن فلان؛ بأقبح أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون، فلا يُفتح لهم. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا نُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ الآية^(٦).

(١) هي قرلة عاصم في رواية شعبة، وقرأها الباقون بالتاء. السبعة ص ٢٨٠، والتيسير ص ١١٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٣٧/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٢٥/٢.

(٤) ص ١١٩.

(٥) في (خ) و(ز) و(ظ): معها.

(٦) قطعة من حديث البراء الطويل؛ أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وفيه: «ما هذا الروح الخبيث» بدل: «ما هذه الروح الخبيثة».

وقيل: لا تفتح لهم أبواب السماء إذا دَعَوْا. قاله مجاهد والنخعي^(١). وقيل: المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة؛ لأن الجنة في السماء^(٢). ودل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، والجمل لا يليج، فلا يدخلونها البتة، وهذا دليل قطعي لا يجوز العفو عنهم، وعلى هذا أجمع المسلمون^(٣) الذين لا يجوز عليهم الخطأ أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لهم ولا لأحد منهم.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب^(٤): فإن قال قائل: كيف يكون هذا إجماعاً من الأمة، وقد زعم قوم من المتكلمين بأن مقلدة اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ليسوا في النار؟ قيل له: هؤلاء قوم أنكروا أن يكون المقلد كافراً؛ لشبهة دخلت عليهم، ولم يزعموا أن المقلد كافراً، وأنه مع ذلك ليس في النار، والعلم بأن المقلد كافراً أو غير كافر طريقه النظر دون التوقيف والخبر.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لَا يُفْتَحُ﴾ بالياء مضمومة على تذكير الجمع. وقرأ الباقون بالتاء على تانيث الجماعة^(٥)، كما قال: ﴿مُفَنِّعَةٌ لِّمُؤْتَبِرٍ﴾ [ص: ٥٠] فأثت. ولما كان التانيث في الأبواب غير حقيقي جاز تذكير الجمع. وهي قراءة ابن عباس بالياء^(٦).

وخفف أبو عمرو وحمزة والكسائي، على معنى أن التخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد للتكثير والتكرير مرة بعد مرة لا غير، والتشديد هنا أولى؛ لأنه على الكثير أدل^(٧).

(١) أخرجه الطبري ١٨٤/١٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣٧.

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): [إجماع المسلمين].

(٤) في تمهيد الأوائل ص ٤٠٣.

(٥) مع التخفيف لأبي عمرو، والتشديد لنافع وابن كثير وابن عامر وعاصم. السبعة ص ٢٨٠، واليسير ص ١١٠.

(٦) لم تقف على من نسبها لابن عباس، ونسبها النحاس في إعراب القرآن ٢/١٢٥ للأعمش.

(٧) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٥، والكشف عن وجوه القراءات ١/٤٦٢.

وَالجَمَلُ مِنَ الْإِبِلِ. قَالَ الْفَرَّاءُ^(١): الْجَمَلُ زَوْجُ النَّاقَةِ. وَكَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْجَمَلِ، فَقَالَ: هُوَ زَوْجُ النَّاقَةِ!^(٢) كَأَنَّهُ اسْتَجْهَلَ مَنْ سَأَلَهُ عَمَّا يَعْرِفُهُ النَّاسُ جَمِيعاً^(٣).

وَالجَمْعُ: جِمَالٌ وَأَجْمَالٌ وَجِمَالَاتٌ وَجِمَائِلٌ، وَإِنَّمَا يُسَمَّى جَمِلاً إِذَا أَرَبَعَ^(٤). وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ الْأَصْفَرُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ». ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ قَالَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ، فَذَكَرَهُ^(٥).

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْجُمَّلُ»^(٦) بِضَمِّ الْجِيمِ وَقَفَّحَ الْمِيمَ وَتَشَدِيدَهَا. وَهُوَ حَبْلُ السَّفِينَةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْقَلْسُ، وَهُوَ حَبَالٌ مَجْمُوعَةٌ^(٧)، جَمْعُ جُمْلَةٍ؛ قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ^(٨). وَقِيلَ: الْحَبْلُ الْغَلِيظُ مِنَ الْقُنْبِ. وَقِيلَ: الْحَبْلُ الَّذِي يُصَعَّدُ بِهِ فِي النَّخْلِ^(٩).

وَرُويَ عَنْهُ^(١٠) أَيْضاً، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «الْجُمَّلُ» بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ، قِيلَ: هُوَ الْقَلْسُ أَيْضاً وَالْحَبْلُ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا آنفَاءً. وَرُويَ عَنْهُ أَيْضاً: «الْجُمَّلُ» بِضَمَّتَيْنِ جَمْعُ جَمَلٍ؛ كَأَسَدٍ وَأَسْدٍ، وَ«الْجُمَّلُ» مِثْلُ: أَسَدٍ وَأَسْدٍ. وَعَنْ أَبِي السَّمَّالِ:

(١) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ١/٣٧٩.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٠/١٨٨.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٣/٣٥.

(٤) الصَّحَاحُ (جَمَلٌ).

(٥) الْمَصَاحِفُ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ ٣/٨٤، وَهُوَ فِي فِضَائِلِ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدٍ ص ١٧٢.

(٦) الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ ص ٤٣، وَالْمَحْتَسَبُ ١/٢٤٩، وَأَخْرَجَهَا الطَّبْرِيُّ ١٠/١٩٢.

(٧) الصَّحَاحُ (جَمَلٌ).

(٨) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٣/٣٥ - ٣٦.

(٩) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٠/١٩٣ مِنْ قَوْلِ عِكْرَمَةَ.

(١٠) يَعْنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ ص ٤٣، وَالْمَحْتَسَبُ ١/٢٤٩.

«الْجَمَلُ» بفتح الجيم وسكون الميم؛ تخفيف «جَمَلٌ»^(١).

وَسَمَّ الْخِيَاطَ: ثَقَبُ الإبرة، عن ابن عباس وغيره^(٢). وكلُّ ثَقَبٍ لطيفٍ في البدن يُسَمَّى سَمًا وَسَمًا، وجمعه: سُمُومٌ. وجمعُ السَّمِّ القاتل: سِمَامٌ^(٣). وقرأ ابن سيرين: «في سُمِّ» بضم السين^(٤). والخِيَاطُ: ما يُخَاطُ به، يقال: خِيَاطٌ ومِخِيَطٌ، مثل: إِزَارٌ ومِثْرَةٌ، وقِنَاعٌ ومِقْنَعٌ^(٥).

وَالْمِهَادُ: الفِراش. و«غواشٍ» جمعُ غاشية، أي: نيرانٌ تغشاهم.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْفَاطِلِينَ﴾ يعني الكفار^(٦)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٧)

قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ كلامٌ مُعْتَرِضٌ، أي: والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون^(٧).

ومعنى ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾^(٨) أي: إنه لم يُكَلِّفْ أحداً من نفقات الزوجات إلا ما وجد وتمكّن منه، دون ما لا تناله يده، ولم يُرِدْ إثبات الاستطاعة قبل الفعل، قاله ابن الطيب، نظيره: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا ءَاتَتْهَا﴾ [الطلاق: ٧]^(٩).

(١) القراءات الشاذة ص ٤٣، والمحتسب ٢٤٩/١، ويعني بالتخفيف إسكان الميم.

(٢) أخرجه الطبري ١٩٦/١٠.

(٣) كذا قال، وكلاهما يجمع على سُومٍ وسِمَامٍ. ينظر الصحاح (سوم).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٦، والمحور الوجيز ٢/٤٠٠، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٣ لأبي السّمّال.

(٥) معاني القرآن للقره ١/٣٧٩.

(٦) الكلام بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٣/٣٦ - ٣٧.

(٧) تفسير الرازي ١٤/٧٨.

(٨) في النسخ الخطية، وتمهيد الأوائيل ص ٣٢٨، والكلام منه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٩) ومعنى الآية أن الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق، فلا تكلف نفس إلا طاقتها وما لا تخرج فيه ولا تضيق عليه. ينظر المحور الوجيز ٢/٤٠١، وتفسير البهوي ٢/١٦٠.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ يَمْجَىٰ مِنَ الْأَنْهَارِ وَقَالُوا لَمَعَدُ
لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْمَقِي
وَوُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا يُنْعِمُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ نَزْعَ الْغَلِّ مِنْ صُدُورِهِمْ.

والتَّزْعُ: الاستخراج. والغِلُّ: الحِقْدُ الكَامِنُ فِي الصَّدْرِ، وَالْجَمْعُ: غِلَالٌ^(١)،

أَي: أَذْهَبْنَا فِي الْجَنَّةِ مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَلِّ فِي الدُّنْيَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْغِلُّ عَلَى
بَابِ الْجَنَّةِ كَمَبَارِكِ الْإِبْلِ قَدْ نَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢). وَرُويَ عَنْ عَلِيٍّ ؓ أَنَّهُ
قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعِثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾^(٣).

وقيل: نَزْعُ الْغَلِّ فِي الْجَنَّةِ أَلَّا يَحْسُدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي تَفَاضُلِ مَنَازِلِهِمْ^(٤). وَقَدْ

قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عَنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾
[الإنسان: ٢١] أَي: يُطَهِّرُ الْأَوْصَارَ مِنَ الصَّدُورِ، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ
وَالزَّمْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٥).

﴿وَقَالُوا لَمَعَدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا﴾ أَي: لِهَذَا الشَّوَابِ؛ بَأَنَّ أَرْشَدَنَا وَخَلَقَ لَنَا
الهِدَايَةَ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ.

﴿وَمَا كُنَّا﴾ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ بِإِسْقَاطِ الْوَاوِ، وَالْبَاقُونَ بِإِثْبَاتِهَا^(٦). ﴿لِنَهْتَدِيَ﴾ لَامٌ
نَفِي^(٧). ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٣٦/٢ .

(٢) لم نقف عليه، ونقله المصنف عن ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٠١/٢ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢٢٩/٢ ، والطبري ١٠/١٩٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٣٩/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٧/٣ .

(٥) سورة الإنسان، الآية (٢١)، وسورة الزمر، الآية (٧٣).

(٦) السبعة ص ٢٨٠ ، والتيسير ص ١١٠ .

(٧) في النسخ الخطية (م): كي، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ١٢٦/٢ ، والكلام منه، ولام النفي:

هي اللام التي تأتي بعد كان المنفية، ويسمونها أكثرهم لام الجحود. قال ابن هشام في المغني ص ٢٧٨ :

قال النحاس: والصواب تسميتها لام النفي؛ لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار.

﴿وَتُودُوا﴾ أصله: نُودُوا. ﴿أَنْ﴾ في موضع نصبٍ مخففةٍ من الثقبلة، أي: بأنه ﴿تِلْكُمْ الْجَنَّةُ﴾. وقد تكون تفسيراً لما نُودوا به؛ لأنَّ النداء قولٌ، فلا يكون لها موضعٌ، أي: قيل لهم: ﴿تِلْكُمْ الْجَنَّةُ﴾؛ لأنَّهم وُعدوا بها في الدنيا، أي: قيل لهم: تلكمُ ^(١) الجنة التي وُعدتم بها، أو يقال لهم ذلك قبل الدخول حين عاينوها من بُعدٍ ^(٢). وقيل: ﴿تِلْكُمْ﴾ بمعنى هذه ^(٣).

ومعنى ﴿أُورِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ورِثتم منازلها بعملِكُم، ودخولكم إيَّها برحمة الله وفضله، كما قال: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٠]، وقال: ﴿تَسْكِنُوهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥].

وفي «صحيح» مسلم: «لن يدخل أحداً منكم عملة الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» ^(٤). وفي غير الصحيح: ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزلٌ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار رفعت الجنة لأهل النار، فنظروا إلى منازلهم فيها، فقبل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال: يا أهل الجنة، رثوهم بما كنتم تعملون، فتقسم بين أهل الجنة منازلهم ^(٥).

قلت: وفي «صحيح» مسلم: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» ^(٦)، فهذا أيضاً ميراثٌ، نعم ^(٧) بفضله من شاء، وعذب بعديه من

(١) في النسخ غير (ظ): هذه تلكم. والظاهر أن لفظة هذه، نسخة للفظة: تلكم، أقحمت في النص.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٤٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٦، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٣٨.

(٣) تفسير أبي الليث ١/٥٤٢.

(٤) صحيح مسلم (٢٨١٦) (٧٥)، وأخرجه أحمد (٧٥٨٧)، والبخاري (٥٦٧٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٢٠٢ من قول السدي. وفي باب رؤية العبد مقعده من الجنة أو النار عند الموت عن أبي سعيد الخدري ؓ عند أحمد (١١٠٠٠) وينظر حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم (٢٨٧٠).

(٦) صحيح مسلم (٢٧٦٧) (٥٠)، وأخرجه أحمد (١٩٤٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٧) في (ز) و(ظ): يعم.

شاء. وبالجملة؛ فالجنة ومنازلها لا تُنال إلا برحمته، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته، ودخلوها برحمته، إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم. وقري: «أورثموها» من غير إدغام، وقري بإدغام الشاء في التاء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مَوْزِنًا بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هذا سؤالٌ تفرّيعٌ وتغيير.

﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ مثل: ﴿أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ أي: إنه قد وجدنا، وقيل: هو نفس النداء^(٢).

﴿فَإِنَّ مَوْزِنًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى وصوت؛ يعني من الملائكة، «بينهم» ظرف، كما تقول: أعلم وسطهم.

وقرأ الأعمش والكسائي: «نعم» بكسر العين، وتجوّز على هذه اللّغة بإسكان العين^(٣). قال مكّي^(٤): من قال: «نعم» بكسر العين أراد أن يُفرّق بين «نعم» التي هي جواب، وبين «نعم» التي هي اسمٌ للإبل والبقر والغنم. وقد روي عن عمر إنكار «نعم» بفتح العين في الجواب، وقال: قل نعم^(٥).

ونعم ونعم لغتان؛ بمعنى العدة والتصديق، فالعدة إذا استفهمت عن موجب، نحو قولك: أيقوم زيد؟ فيقول: نعم. والتصديق إذا أخبرت عما وقع، تقول: قد كان

(١) قرأ بإدغام (أورثموها) أبو عمرو وابن عامر من رواية هشام، وحمزة والكسائي، والباقون من غير إدغام. السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ٤٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٤٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٧، وقرائة الكسائي في السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ١١٠.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٦٢ - ٤٦٣.

(٥) وذكر هذه القصة أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٠٣. قال السمين في الدرر المصون ٥/٣٢٦: ولم تر العرب يعرفون ما زوّوه عن عمر، ونراه مؤلّداً. ثم قال: هذا طعن في المتواتر فلا يقبل.

كذا وكذا، فيقول: نَعَمْ. فإذا استفهمت عن منفيّ فالجواب: بلى، نحو قولك: ألم أكرمك؟ فيقول: بلى.

فَنَعَمْ لجواب الاستفهام الداخِل على الإيجاب كما في هذه الآية. ويلى لجواب الاستفهام الداخِل على النفي، كما قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقرأ البَرَزِيُّ وابنُ عامر وحمزة والكسائي: «أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ»، وهو الأصل. وقرأ الباقر بتخفيف «أَنَّ» وَرَفَعَ اللَّعْنَةَ على الابتداء^(١)، فـ «أَنَّ» في موضع نصب على القراءتين على إسقاط الخافض. وَيَجُوزُ في المخففة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتكون مفسرة كما تقدّم^(٢). وَحُكِيَ عن الأعمش أنه قرأ: «إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ» بكسر الهمزة، فهذا على إضمار القول كما قرأ الكوفيون: ﴿فَنَادَاهُ^(٣) الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ إِنَّ^(٤) اللَّهَ^(٥)﴾ [آل عمران: ٣٩].

ويُروى أَنَّ طاروساً دَخَلَ على هشام بن عبد الملك فقال له: أتتِ اللّهَ واحْتَزَرَ يومَ الأذان، فقال: وما يومُ الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. فصَوِّقَ هشام، فقال طاروسٌ: هذا ذُلُّ الصِّفَةِ، فكيف ذُلُّ المعايِنَةِ^(٦).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في موضع خفض لـ «الظالمين» على النعت، وَيَجُوزُ الرفع والنصب على إضمار: هُم، أو: أعني^(٧)، أي: الذين كانوا

(١) السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ١١٠.

(٢) في تفسير الآية السابقة، عند قوله تعالى: (أن تلکم).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي، مع الإمالة، وقرأ الباقر: «فنادته» كما سلف ٥/١١٢.

(٤) قرأ بها ابن عامر وحمزة، وقرأ الباقر: «أن» بفتح الهمزة، وسلفت ٥/١١٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٧.

(٦) وذكر هذه القصة الذهبي في الكبائر ص ١٧٩.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٧.

يصدّون في الدنيا النَّاسَ عن الإسلام، فهو مِنَ الصَّدِّ الذي هو المنع، أو يصدّون بأنفسهم عن سبيلِ الله، أي: يُعرِضون، وهذا مِنَ الصَّدود.

﴿وَبَتُّنَا عَبَا﴾ يطلبون اعوجاجها، ويذمونها فلا يؤمنون بها، وقد مضى هذا المعنى^(١).

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ أي: وكانوا بها كافرين، فحذف، وهو كثير في الكلام.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَلْعَنُونَ كُلًّا مِمَّنَّاهُمْ وَأَنذَرُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَن سَلَطَ عَلَيْهِمْ لَئِنْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين النار والجنة - لأنه جرى ذكرهما - حاجز^(٢)، أي: سور، وهو السور الذي ذكره الله في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ يَسُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: وعلى أعراف السور، وهي: شرفه، ومنه عُرف الفرس^(٣)، وعُرف الديك. روى عبيد الله^(٤) بن أبي يزيد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف: الشيء المشرف. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف: سور له عُرف كعُرف الديك^(٥).

والأعراف في اللغة: المكان المشرف، جمع عُرف. قال يحيى بن آدم^(٦): سألت الكسائي عن واحد الأعراف، فسكت، فقلت: حدّثنا إسرائيل، عن جابر، عن

(١) ٢٣٣/٥.

(٢) في (ظ): حجاب.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٢٧/٢.

(٤) في النسخ: عبد الله، والمثبت من تفسير الطبري ٢٠٩/١٠ - ٢١٠، ومعاني القرآن للنحاس ٤٠/٣ والكلام منه. وهو من رجال التهذيب.

(٥) أخرجهما الطبري ٢١٠/١٠ - ٢١١.

(٦) أبو زكريا الأموي، الكوفي، المحافظ صاحب «الخراج»، توفي سنة (٢٠٣هـ). السير ٥٢٢/٩.

مجاهد، عن ابن عباس قال: الأعرافُ سُورٌ له عُرفٌ كعُرفِ^(١) الدِّيكِ، فقال: نعم والله، واحده يعني، وجماعتُهُ أعرافٌ، يا غلام، هاتِ القِرطاسَ فكتبته.

وهذا الكلامُ خَرَجَ مَخْرَجَ المدحِ؛ كما قال فيه: ﴿يَجَالُ لَا لِتَلِيهِمْ يَحْتَرَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٧].

وقد تكلم العلماءُ في أصحابِ الأعرافِ على عشرة أقوال: فقال عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عباس والشعبي والضحاك وابن جبير: هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم^(٢).

قال ابن عطية^(٣): وفي مسندِ خَيْثَمَةَ بنِ سليمان^(٤) في آخرِ الجزءِ الخامسِ عشرَ حديثٌ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُوضَعُ الموازينُ يومَ القيامةِ، فتوزَنُ الحسناتُ والسيئاتُ، فمن رجحتْ حسناته على سيئاتِهِ مثقالَ صُوابَةٍ دخلَ الجنةَ، ومن رجحتْ سيئاته على حسناته مثقالَ صُوابَةٍ دخلَ النَّارَ». قيل: يا رسولَ الله، فمن استوتْ حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحابُ الأعرافِ، لم يدخلوها وهم يظعمون»^(٥). وقال مجاهد: هم قومٌ صالحون فقهَاءُ علماء^(٦). وقيل: هم الشهداء. ذكره المهدوي^(٧). وقال القشيري: وقيل: هم فضلاءُ المؤمنين والشهداء، فرغوا مِن شُغْلِ أَنْفُسِهِمْ، وتفرَّغوا لمطالعةِ حالِ النَّاسِ، فإذا رأوا أصحابَ النَّارِ تعوَّذوا بالله أنْ يُردُّوا إلى النَّارِ، فإنَّ في قُدرةِ الله كلَّ شيءٍ، وخلافُ المعلومِ مقدورٌ.

(١) في (خ) و(ز)، و(ظ): مثل عرف.

(٢) أخرجه الطبري ٢١٣/١٠ - ٢١٧.

(٣) في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٤) القرشي، محدث الشام، مصنف «فضائل الصحابة». توفي سنة (٥٣٤٣هـ). السير ٤١٢/١٥.

(٥) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢١/٥، وأبو الشيخ وابن مردويه فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٣. وقوله: «صوابة»: هي بيضة القملة. الصحاح (صأب).

(٦) أخرجه الطبري ٢١٩/١٠.

(٧) نقله عنه المصنف بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية ٤٠٤/٢.

فإذا رأوا أهل الجنة وهم لم يدخلوها بعدُ يرجون لهم دخولها.

وقال شَرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ: هم المُسْتَشْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الَّذِينَ خَرَجُوا عَصَاةَ لِأَبَائِهِمْ^(١)، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ تَعَادَلَ عُقُوفُهُمْ وَاسْتَشْهَادُهُمْ^(٢). وَذَكَرَ الثَّلَعِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِيَالًا﴾ قَالَ: الْأَعْرَافُ: مَوْضِعُ عَالٍ عَلَى الصَّرَاطِ، عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ وَحَمِزَةُ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ ﷺ، يَعْرِفُونَ مُحِبِّيهِمْ بِيَاضِ الْوُجُوهِ، وَمُبْغِضِيهِمْ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ^(٣).

وَحَكَى الزَّهْرَاوِيُّ أَنَّهُمْ عَدُولُ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَهَمَّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ^(٤). وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ النَّحَّاسُ^(٥)، وَقَالَ: وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ، فَهَمَّ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ^(٦): هَمَّ قَوْمٌ أَنْبِيَاءٌ. وَقِيلَ: هَمَّ قَوْمٌ كَانَتْ لَهُمْ صَغَائِرٌ لَمْ تُكْفَرْ عَنْهُمْ بِالْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَتْ لَهُمْ كِبَائِرٌ، فَيُحْبَسُونَ عَنِ الْجَنَّةِ لِيُنَالَهُمْ بِذَلِكَ غَمٌّ فَيَقَعُ فِي مَقَابِلَةِ صَغَائِرِهِمْ.

وَتَمَنَّى سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ^(٧)؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّهُمْ مُذْنِبُونَ. وَقِيلَ: هَمَّ أَوْلَادُ الزُّنَى، ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٨).

(١) أخرجه الطبري ٢١٨/١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٤/٢، والحديث الذي ذكره الطبري ٢١٨/١٠ فيه أبو مَعْتَرٍ، وهو ضعيف، وقد اضطرب فيه فيما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٣٠/٦، وينظر كلام الشيخ أحمد شاکر في تفسير الطبري ٤٥٨/١٢ (طبعته).

(٣) ذكره الطبري في مجمع البيان ٦٥/٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٥) في إعراب القرآن ١٢٧/٢.

(٦) في معاني القرآن ٣٤٣/٢.

(٧) أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٤٩، وابن أبي الدنيا في كتابه المُتَمِّين ص ٣١.

(٨) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٥/٣.

وقيل: هم ملائكة موكلون بهذا السور، يُمَيِّزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار. ذكره أبو مجلز. فقيل له: لا يُقال للملائكة رجالاً؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث^(١)، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم، كما أوقع على الجن في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ كَانَكُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَمُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الْمَيْمَنَةِ﴾^(٢) [الجن: ٦]. فهؤلاء الملائكة يعرفون المؤمنين بعلاماتهم، والكفار بعلاماتهم، فيبشرون المؤمنين قبل دخولهم الجنة وهم لم يدخلوها بعد، فيطمعون فيها. وإذا رأوا أهل النار دعوا لأنفسهم بالسلامة من العذاب.

قال ابن عطية^(٣): واللَّازِمُ من الآية أنَّ على الأعراف رجالاً من أهل الجنة يتأخرو دخولهم، ويقع لهم ما وُصِفَ من الاعتبار في الفريقين. و﴿يَمْرُقُونَ كَلًّا بِسَمْتِهِمْ﴾ أي: بعلامتهم^(٤)، وهي بياض الوجوه وحسنتها في أهل الجنة، وسوادها وقبحها في أهل النار، إلى غير ذلك من معرفة حيز هؤلاء وحيز هؤلاء^(٥).

قلت: فوقف عن التعيين لاضطراب الأثر والتفصيل، والله بحقائق الأمور عليم. ثم قيل: الأعراف جمع عُرف، وهو كل عالٍ مرتفع؛ لأنه بظهوره أعرف من المنخفض، قال ابن عباس: الأعراف شرف الصراط^(٦).

وقيل: هو جبلٌ أحدُ يوضعُ هناك، قال ابن عطية^(٧): وذكر الزُّهْرَاوِيُّ حديثاً أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يُجْبِنُنَا وَنُجِبُهُ، وَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمَثُلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ

(١) أخرجه الطبري ٢١٩/١٠ - ٢٢١.

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٣) في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ - ٤٠٥.

(٤) في (د) و(م): بعلاماتهم.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): خبر (في الموضوعين). والمثبت من (خ) و(م) وهو الموافق للمحرر الوجيز ٤٠٤/٢ - ٤٠٥، والكلام منه.

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٨٧/١٤.

(٧) في المحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

وَالنَّارُ يُحْبَسُ عَلَيْهِ أَقْوَامٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيْمَاهُمْ، هُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١)،
وَذَكَرَ حَدِيثًا آخَرَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدًا عَلَى رَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ
الْجَنَّةِ»^(٢).

قلت: وذكّر أبو عمر عن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَحَدٌ جَبَلٌ يُجْبِنُنَا
وَنُجْبُهُ، وَإِنَّهُ لَعَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة،
﴿أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: قالوا لهم: سلام عليكم.

وقيل: المعنى سَلِّمْتُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ، ﴿لَتَدْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: لم يَدْخُلِ الْجَنَّةَ
أصحاب الأعراف، أي: لم يَدْخُلُوهَا بَعْدُ، «وَهُمْ يَطْمَعُونَ» على هذا التاويل بمعنى:
وهم يعلمون أنهم يَدْخُلُونَهَا، وذلك معروف في اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ طَمَعٌ بِمَعْنَى عَلِمَ،
ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ^(٤). وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما؛ أَنَّ الْمُرَادَ أَصْحَابَ
الْأَعْرَافِ^(٥). وقال أبو مِجَلَزٍ: هم أهلُ الْجَنَّةِ، أي قال لهم أصحاب الأعراف: سلام
عليكم، وأهلُ الْجَنَّةِ لم يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بَعْدُ، وهم يَطْمَعُونَ فِي دُخُولِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ

(١) لم تقف عليه بهذا السياق، وقوله فيه: «إن أحدا جبل يجننا ونجبه» أخرجه أحمد (١٢٤٢١) والبخاري
(٤٠٨٣)، ومسلم (١٣٩٣) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أحمد (٢٣٦٠٤)، والبخاري (٤٤٢٢)،
ومسلم (١٣٩٢) من حديث أبي حميد الساعدي ﷺ.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٨٣/١ من حديث داود بن الحصين، وأخرجه أبو يعلى (٧٥١٦)،
والطبراني في الكبير (٥٨١٣) من حديث سهل بن سعد ﷺ، ولفظه: «أحد ركن من أركان الجنة»، وفي
إسناده عبد الله بن جعفر بن نجيج، والد علي بن المدني، متفق على ضعفه، قال يحيى: ليس بشيء،
وقال ابن المدني: أبي ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً، ميزان الاعتدال ٤٠١/٢.

(٣) التمهيد ٣٣٠/٢٢، وأخرجه ابن ماجه (٣١١٥)، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعن.
وقوله منه: «أحد جبل يجننا ونجبه» صحيح، وسلف قريباً.

وقوله: «ترعة»: الترعة في الأصل: الروضة على المكان المرتفع خاصة، فإذا كانت في المطمئن فهي
روضة، النهاية (ترع).

(٤) في إعراب القرآن ١٢٧/٢ - ١٢٨.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢٦/١٠.

المازِينَ على أصحابِ الأعرافِ^(١).

والوقف على قوله: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». وعلى قوله: «لَمْ يَدْخُلُوهَا». ثم يبتدئ: «وَهُمْ يَطْمَعُونَ» على معنَى: وهم يطمعون في دخولها. ويجوزُ أن يكونَ «وَهُمْ يَطْمَعُونَ» حالاً، ويكون المعنى: لم يدخلها المؤمنون المارون على أصحابِ الأعراف طامعين، وإنما دخلوها غير طامعين في دخولها، فلا يُوقَفُ على «لَمْ يَدْخُلُوهَا»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة^(٣). ولم يأت مصدرٌ على تفعّل غير حرفين: تلقاء وتبيان، والباقي بالفتح، مثلُ تسيار وتهمام وتذكار. وأما الاسم بالكسر فيه فكثير، مثلُ تقصار وتمثال^(٤).

﴿قَالُوا﴾ أي: قال أصحابُ الأعرافِ. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سألوا الله ألا يجعلهم معهم، وقد علموا أنه لا يجعلهم معهم، فهذا على سبيل التذلل، كما يقول أهل الجنة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨]، ويقولون: الحمد لله، على سبيل الشكر لله عز وجل، ولهم في ذلك لذة^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ أي: من أهل النار. ﴿قَالُوا﴾

(١) أخرجه الطبري ٢٢٧/١٠ بنحوه.

(٢) المكفَى في الوقف والابتداء ص ٢٧١، وثمار الهدى للأشموني ص ١٠٩.

(٣) الوسيط للواحد ٣٧١/٢.

(٤) تفسير الرازي ٩٠/١٤ - ٩١، وإملاء ما من به الرحمن ١٣/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٢٨/٢.

مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أي: للدنيا، واستكباركم عن الإيمان. ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ﴾ إشارة إلى قوم من المؤمنين الفقراء، كبلال وسلمان وخبّاب وغيرهم. ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ في الدنيا، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة، ﴿يَرْحَمُهُ﴾؛ يُؤَيِّسُونَهُمْ بذلك، ويزيدوا غمًا وحسرةً بأن قالوا لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

وقرأ عكرمة: «دَخَلُوا الْجَنَّةَ» بغير ألف، والدال مفتوحة، وقرأ طلحة بن مُصْرَفٍ: «أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ» بكسر الخاء على أنه فعلٌ ماضٍ^(١).

ودلّت الآية على أنّ أصحاب الاعراف ملائكة أو أنبياء؛ فإن قولهم ذلك إخبارٌ عن الله تعالى. ومَن جَعَلَ أصحاب الاعراف المذنبين كأن آخر قولهم لأصحاب النار ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، ويكون «أهواء الذين» إلى آخر الآية من قول الله تعالى لأهل النار توبيخاً لهم على ما كان من قولهم في الدنيا، وروي عن ابن عباس^(٢)، والأوّل عن الحسن. وقيل: هو من كلام الملائكة الموكّلين بأصحاب الاعراف، فإن أهل النار يحلفون أنّ أصحاب الاعراف يدخلون معهم النار، فتقول الملائكة لأصحاب الاعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَمْحَبَ الْجَنَّةَ أَنْ أَيْسُرُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَمْحَبَ الْجَنَّةَ أَنْ أَيْسُرُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ﴾ قيل: إذا صار أهل الاعراف إلى الجنة طمّعت أهل النار فقالوا: يا ربنا إنّ لنا قرايات في الجنة؛ فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم. وأهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم، فيقولون: ﴿أَيْسُرُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ﴾

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٨/٢، وينظر القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحجب ٢٤٩/١.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٢٣١.

(٣) تفسير البغوي ٢/١٦٣.

﴿اللَّهُ﴾^(١) فَبَيَّنَ أَنْ ابْنَ آدَمَ لَا يَسْتَعْنِي عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَإِنْ كَانَ فِي الْعَذَابِ^(٢).

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني طعام الجنة وشرابها. والإفاضة: التوسعة^(٣)، يقال: أفاضَ عليه نِعْمَةً.

الثانية: في هذه الآية دليلٌ على أن سَقَى الماء من أفضلِ الأعمال. وقد سُئِلَ ابنُ عباس: أيُّ الصدقةِ أفضل؟ فقال: الماء، ألم تَرَوْا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة: ﴿أَنْ أَوْفِئُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَلَّةِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(٤)؟.

وروى أبو داود أن سعداً أتى النبي ﷺ فقال: أيُّ الصدقة أعجبُ إليك؟ قال: «الماء». وفي رواية: فحفرَ بئراً فقال: «هذه لأمِّ سعد»^(٥).

وعن أنس قال: قال سعدٌ: يا رسولَ الله، إنَّ أمَّ سعد كانت تحبُّ الصدقةَ، أفينفعها أن أتصدقَ عنها؟ قال: «نعم، وعليك بالماء»^(٦). وفي رواية: أن النبي ﷺ أمر سعدَ بنَ عبادة أن يسقيَ عنها الماء.

فدلَّ على أن سَقَى الماء من أعظمِ القُرْبَات عند الله تعالى.

وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه يسقي الماء. وقد غفر الله ذنوبَ الذي سقى الكلبَ، فكيف بمن سقى رجلاً مؤمناً موحداً وأحياه^(٧).

روى البخاريُّ عن أبي هريرة ؓ أن رسولَ الله ﷺ قال: «بيننا رجلٌ يمشي بطريق،

(١) زاد المسير ٢٠٨/٣.

(٢) تفسير أبي الليث ٥٤٤/١.

(٣) تفسير الطبري ٢٣٥/١٠.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦٧٣)، والطبراني في الأوسط (١٠١٥)، وفي إسناده موسى بن المغيرة، وهو مجهول وشيخه الذي روى عنه الأثر لا يعرف. قاله الذهبي في الميزان ٢٢٤/٤. ثم أورد هذا الأثر.

(٥) سنن أبي داود (١٦٧٩) و(١٦٨١)، وهو عند أحمد (٢٢٤٥٩). وسعد: هو ابن عبادة ؓ.

(٦) أخرجه ضياء الدين المقدسي في المختارة (٢٠٥٦).

(٧) لم تقف عليه، وذكره العيني في عمدة القاري ٢٠٨/١٢.

اشتد عليه العطش، فنزل بشراً فشرب منها، ثم خرَج؛ فإذا كلبٌ [يلهثُ] يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي، فملاً حُفَّهُ ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال. «في كل كبدٍ رطوبةٌ أجرٌ»^(١).

وعكسُ هذا ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «عُدَّبت امرأةٌ في هرةٍ سَجَّتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقَّتها إذ هي حَبَّستها، ولا هي تركتها تأكلُ من خَشاشِ الأرض»^(٢).

وفي حديث عائشة عن النبي ﷺ: «ومن سقى مسلماً شربةً من ماءٍ حيث يوجد الماء، فكأنما أعتق رَقَبَةً، ومن سقى مسلماً شربةً من ماءٍ حيث لا يوجد الماء، فكأنما أخياها». خرَّجه ابنُ ماجه في «السُّنن»^(٣).

الثالثة: وقد استدللَّ بهذه الآية مَنْ قال: إنَّ صاحب الحوضِ والقِربةِ أحقُّ بمائه، وأنَّ له مَنْعَه ممن أرادَه، لأنَّ معنى قولِ أهل الجنة: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: لا حَقَّ لكم فيهما. وقد بَوَّبَ البخاريُّ رحمه الله على هذا المعنى: باب: مَنْ رأى أنَّ صاحِبَ الحَوْضِ والقِربةِ أحقُّ بمائه. وأدخل في الباب: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «والَّذي نفسي بيده، لأذودنَّ رجالاً عن حوضي، كما تُذادُ العَرَبِيُّ مِنَ الإِبِلِ عن الحَوْضِ»^(٤). قال المُهَلَّب: لا خلاف أن صاحِبَ الحَوْضِ أحقُّ

(١) صحيح البخاري (٢٣٦٣)، وأخرجه أحمد (٨٨٧٤)، ومسلم (٢٢٤٤)، وما بين حاصرتين منها. ووقع في (م): لأجر... و: «في كل ذات كبد...» وهي عند البخاري (٢٤٦٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٤٢)، وأخرجه البخاري (٣٤٨٢). وفي الباب عن أبي هريرة ؓ أخرجه أحمد (٧٨٤٧)، ومسلم (٢٢٤٣). وقوله: «خَشاشِ الأرض»: أي: هوائها وحشراتهما. النهاية (خشش).

(٣) الحديث (٢٤٧٤)، وفي إسناده زهير بن مرزوق، عن علي بن زيد بن جدعان، قال البخاري في زهير: منكر الحديث. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف أيضاً. ميزان الاعتدال: ٨٥/٢ - ٨٦ و ١٢٧/٣. وينظر تنزيه الشريعة ١٣٦/٢.

(٤) صحيح البخاري (٢٣٦٧). وأخرجه أحمد (٧٩٦٨)، ومسلم (٢٣٠٢).

بمائه ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : «لأذودنَّ رجالاً عن حوضي»^(١).

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَائِبِينَ ﴿٥١﴾﴾

«الذين» في موضع خفض نعتٌ للكافرين. وقد يكون رفعاً ونصباً بإضمار^(٢). قيل : هو من قولِ أهل الجنة . ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ﴾ أي : نتركهم في النار . ﴿كَمَا كَانُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أي : تركوا العملَ له^(٣) وكذبوا به . و«ما» مصدرية ، أي : كُنْهِيم . ﴿وَمَا كَانُوا بِتَائِبِينَ بِمَحَدُونَ﴾ عطفٌ عليه ، أي : وجحدهم^(٤).

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن . ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ أي : بيّناه حتى يعرفه من تدبره . وقيل : «فَصَّلْنَاهُ» : أنزلناه متفرقاً . ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ مِنَّا به ، لم يقع فيه سهوٌ ولا غلط .

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ ، قال الزجاج : أي : هادياً وذا رَحمة ، فجعله حالاً من الهاء التي في «فَصَّلْنَاهُ» . قال الزجاج : ويجوز : هدى ورحمة ، بمعنى هو هدى ورحمة^(٥) . وقيل : يجوز : هدى ورحمة ، بالخفض على البدل من كتاب^(٦) .

وقال الكسائي والفراء^(٧) : ويجوز : هدى ورحمة بالخفض على النعت لكتاب .

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ٣١/٥ ، ونسبه لابن بطال .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢ .

(٣) من (د) و(ز) و(م) : به ، والمثبت من (خ) و(ظ) .

(٤) الوسيط ٣٧٤/٢ ، والبيان ٣٦٤/١ .

(٥) معاني القرآن ٣٤١/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢ .

(٦) نسب ذلك مكى في مشكل إعراب القرآن ٢٩٣/١ للفراء والكسائي . وجواز الرفع والخفض هنا يعني في اللغة ، لا في القراءة .

(٧) معاني القرآن له ٣٨٠/١ ، ونقله المصنف عنه بواسطة في إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢ .

قال الفراء: مثل ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ حُصَّ المؤمنون لأنهم المُتَّفَعُونَ به.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي نَسِئُهُ مِنْ قَبْلُ
قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِآلِهَاتِنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْمَاءَ فَيَنْشَفَعُوا لَنَا أَوْ نُرْدُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ بالهمز، من «آل». وأهل المدينة يُخَفِّفُونَ
الهمزة. والنَّظَرُ: الانتظار، أي: هل ينتظرون إلا ما وُعدوا به في القرآن من العقاب
والحساب. وقيل: «ينظرون» من النَّظَرِ إلى يوم القيامة^(١)، فالكناية في «تأويله» تَرْجِعُ
إلى الكتاب، وعاقبة الكتاب ما وَعَدَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ البعث والحساب^(٢). وقال مجاهد:
«تأويله»: جزاؤه، أي: جزاء تكذيبهم بالكتاب. قال قتادة: «تأويله»: عاقبته^(٣).
والمعنى مُتَّقَابِرٌ.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي: تبدو عواقبه يوم القيامة. و«يوم» نصب بـ «يقول»^(٤)، أي:
يقول الذين نَسِئُهُ مِنْ قَبْلُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِآلِهَاتِنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
شُعْمَاءَ﴾ استفهامٌ فيه معنى التمني. ﴿فَيَنْشَفَعُوا﴾ نصب؛ لأنه جوابُ الاستفهام. ﴿لَنَا أَوْ
نُرْدُ﴾ قال الفراء^(٥): المعنى: أو هل نُردُّ ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾. قال
الزجاج^(٦): نردُّ عطف على المعنى، أي: هل يشفع لنا أحدٌ أو نردُّ. وقرأ ابن [أبي]

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٩/٢ - ١٣٠.

(٢) من قوله: وعاقبة الكتاب... إلى هنا، لعل حثه أن يأتي بعد قول قتادة الآتي.

(٣) أخرجهما الطبري ٢٤١/١٠ - ٢٤٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٣٠/٢.

(٥) في معاني القرآن ١/٣٨٠.

(٦) لم نقف عليه في معاني القرآن له.

إسحاق: «أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ»، بالنصب فيهما^(١)، والمعنى: إلا أن نُرَدُّ فَنَعْمَلْ^(٢)؛ كما قال: فقلْتُ له لا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَتُعْذِرَا^(٣) وقرأ الحسن: «أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ» برفعهما جميعاً.

﴿قَدْ خَيْرًا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: فلم ينتفعوا بها، وكلُّ مَنْ لم ينتفع بنفسه فقد خيبرها^(٤). وقيل: خيبروا النعم وحظَّ أنفسهم منها. ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَوُونَ﴾ أي: بطل ما كانوا يقولون من أن مع الله إلهاً آخر^(٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْإِنشَاءُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ بين أنه المنفردُ بقدرة الإيجاد، فهو الذي يَجِبُ أن يُعْبَد.

وأصل «سته»: سِدْسَة، فأرادوا إدغامَ الدالِ في السين، فالتقيا عند مَخْرَجِ التاء؛ فغلبت عليهما - وإن شئت قلت: أبدل من إحدى السينين تاء وأدغم في الدال - لأنك تقول في تصغيرها: سُدَيْسَة، وفي الجمع: أسداس، والجمع والتصغير يَرُدُّان الأسماء إلى أصولها. ويقولون: جاء فلانٌ سادساً وسادياً وساتاً؛ فمن قال: سادياً أبدل من السين ياءً^(٦).

(١) القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحتسب ٢٥١/١، وما بين حاصرتين منهما ومن إعراب القرآن للنحاس ١٣٠/١، وعنه نقل المصنف قولي الفراء والزجاج السالفين.

(٢) قوله: فَنَعْمَلْ، من (ظ).

(٣) قاله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٦٦، وسلف ٣٠٧/٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٣٠/٢، وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص ٤٤.

(٥) الوسيط ٣٧٥/٢.

(٦) وقع في النسخ: ساداتا، أبدل من السين تاء، والمثبت من تهذيب اللفظة ٢٨٢/١٢، وينظر المخصص ١١٢/١٧، والدر المصون ٣٣٩/٥.

واليوم: من طلوع الشمس إلى غروبها. فإن لم يكن شمسٌ فلا يوم؛ قاله القشيري. وقال: ومعنى «في ستة أيام» أي: من أيام الآخرة، كلُّ يوم ألف سنة؛ لتفخيم الأمر في^(١) خلق السماوات والأرض. وقيل: من أيام الدنيا. قال مجاهد وغيره: أولها الأحد وآخرها الجمعة^(٢).

وذكر هذه المدة، ولو أرادَ خَلْقَهَا في لحظةٍ لفعل؛ إذ هو القادرُ على أن يقول لها: كوني، فتكون. ولكنه أرادَ أن يُعَلِّم عباده الرِّفْقَ والتثبُّتَ في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء^(٣). وهذا عند من يقول: خلق الله الملائكة قبل خلق السماوات والأرض.

وحكمةٌ أخرى: خلقها في ستة أيام؛ لأنَّ لكل شيءٍ عنده أجلاً. ويبيِّن بهذا تركَّ معالجة العُصاة بالعقاب؛ لأنَّ لكل شيءٍ عنده أجلاً. وهذا كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٨-٣٩]. بعد أن قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾^(٤) [ق: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْمَرْثِ﴾ هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وإجزاء^(٥). وقد بيَّنا أقوال العلماء فيها في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى»^(٦) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً. والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيُّز، فمن ضرورة ذلك ولو اِحْتِجَّه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين، تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى

(١) قوله: الأمر في، ليس في (م).

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٢٤٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢.

(٤) تفسير الرازي ١٤/٩٩.

(٥) في (م): وإجراء.

(٦) ص ١٨٧ وما بعدها.

اختصَّ بجهةٍ أن يكون في مكانٍ أو حيِّزٍ، ويلزم على المكانِ والحيِّزِ الحركةُ والسكونُ للمتحيِّزِ، والتغيُّرُ والحدوثُ. هذا قولُ المتكلمين.

وقد كان السلف الأولُ ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافةُ بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرث رسله.

ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقةً. وخصَّ العرشَ بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاته. وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته، كما قال مالكٌ رحمه الله: الاستواءُ معلومٌ - يعني في اللغة - والكَيْفُ مجهولٌ، والسؤالُ عن هذا بدعةٌ^(١). وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها^(٢). وهذا القَدْرُ كافٍ، ومن أراد زيادةً عليه فليَقِفْ عليه في موضعه من كُتُب العلماء.

والاستواءُ في كلام العرب هو العُلُوُّ والاستقرار. قال الجوهريُّ: واستوى من اعوجاجٍ، واستوى على ظهرِ دابَّته، أي: استقرَّ. واستوى إلى السماء، أي: قَصَد. واستوى، أي: استولى وظهر. قال:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ من غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهراقِ
واستوى الرجلُ، أي: انتهى شبابه. واستوى الشيءُ: إذا اعتدل^(٣).

وحكى أبو عمر بن عبد البرّ عن أبي عبيدة^(٤) في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: علا. وقال الشاعر:

فأوردتهم ماءً بفيقَاءِ قَفْرَةٍ وقد حَلَّقَ النجمُ اليمانيُّ فاستوى
أي: علا وارتفع^(٥).

(١) سلف ١/ ٣٨١.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٦٣).

(٣) الصحاح (سوى). والبيت للأخطل، وقد سلف ١/ ٣٨٢.

(٤) في مجاز القرآن ١٥/ ٢.

(٥) التمهيد ٧/ ١٣١، وسلف البيت ١/ ٣٨١.

قلت: فعلوا الله تعالى وارتفأه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته، أي: ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق سبحانه.

قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾، العرش^(١): لفظ مشترك يُطلق على أكثر من واحد. قال الجوهري^(٢) وغيره: العرش: سرير المليك. وفي التنزيل ﴿تَكْرُؤًا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. والعرش: سقف البيت. وعرش القدم: ما نتأ في ظهرها، وفيه الأصابع. وعرش السماك: أربعة كواكب صغار أسفل^(٣) من العواء^(٤)، يقال: إنها عجز الأسد. وعرش البئر: طيها بالخشب، بعد أن يُطوى أسفلها بالحجارة قدر قامة؛ فذلك الخشب هو العرش، والجمع عروش. والعرش: اسم لمكة^(٥). والعرش: المليك والسلطان. يقال: ثل عرش فلان: إذا ذهب ملكه وسلطانه وعزّه. قال زهير:

تداركثما عبساً وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت^(٦) بأقدامها النعل

وقد يؤول^(٧) العرش في الآية بمعنى المليك، أي: ما استوى المليك إلا له جلّ وعزّ. وهو قول حسن^(٨)، وفيه نظر، وقد بيّناه في جملة الأقوال في كتابنا. والحمد لله^(٩).

(١) قوله: العرش، من (د) و(ز).

(٢) الصحاح (عرش).

(٣) في (ز): أصغر.

(٤) العواء: منزل للقمر خمسة كواكب، أو أربعة. الفاموس المحيط (عرش) (عوى).

(٥) في النسخ الخطية: اسم الملك، والمثبت من (م). وقال المصنف في كتابه الأسنى ص ١٨٦: ويقال: إن العرش اسم الملك، لرفعته وعلو منزلته.

(٦) في (م): ذلت. ورواية الديوان ص ١٠٩:

تداركثما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

(٧) في النسخ الخطية: تأول، والمثبت من (م).

(٨) بل هو قول بعض المعتزلة، وقد رده المحققون من السلف، والاستواء عند أهل السنة بمعنى العلو والاستقرار والارتفاع.

(٩) الأسنى ص ١٨٦ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ أي: يجعله كالغشاء^(١)، أي: يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل. فالليل للسكون، والنهار للمعاش.

وقرئ: «يُغْشَى» بالتشديد، ومثله في «الرعد» [الآية: ٣]. وهي قراءة أبي بكر عن عاصم، وحمزة والكسائي. وخفف الباقون^(٢). وهما لغتان: أغشى وغشى. وقد أجمعوا على: ﴿فَقَشْنَاهَا مَا عَشْنُ﴾ [النجم: ٥٤] مشدداً، وأجمعوا على: «فَأَغْشَيْنَاهُمْ» [يس: ٩]، فالقراءتان متساويتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير^(٣). والتغشية والإغشاء: إلباس الشيء الشيء.

ولم يذكر في هذه الآية دخول النهار على الليل، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، مثل ﴿سَرِيلٌ تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(٤) [النحل: ٨١]. ﴿بِيَدِكَ الْغَيْرُطُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقرأ حميد بن قيس: «يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ»^(٥) ومعناه: أن النهار يغشى الليل.

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا﴾ أي: يطلبه دائماً من غير فتور^(٦). و«يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ» في موضع نصب على الحال. والتقدير: استوى على العرش مُغْشِيَا اللَّيْلَ النَّهَارَ. وكذا «يَطْلُبُهُ» حال من الليل، أي: يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ طالباً له. ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة ليست بحال. «حَيْثُ مَا» بدل من طالب المقدر، أو نعت له، أو نعت لمصدر محذوف، أي: يطلبه طلباً سريعاً^(٧). والحث: الإعجال والسرعة. و«وَلَّى حَيْثُ مَا»، أي: مُسرِعاً.

﴿وَالسَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾، قال الأخفش^(٨): هي معطوفة على

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ .

(٢) السبعة ص ٢٨٢ ، والتيسير ص ١١٠ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٤) الوسيط للواحدى ٢/٣٧٦ .

(٥) المحتسب ١/٢٥٣ .

(٦) الوسيط ٢/٣٧٦ .

(٧) ويعرب أيضاً: حال. ينظر إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ ، والبيان ١/٣٦٤-٣٦٥ ، والدر المصون ٥/٣٤٢ ، وغيرها .

(٨) معاني القرآن ٢/٥١٩ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ .

السموات؛ أي: وخلق الشمس^(١). ورُوي عن عبد الله بن عامر بالرفع فيها كلها^(٢) على الابتداء والخبر.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فيه مسألان:

الأولى: صدق الله في خبره، فله الخلق وله الأمر، خلقهم وأمرهم بما أحب. وهذا الأمر يقتضي النهي. قال ابن عيينة: فرّق بين الخلق والأمر؛ فمن جمع بينهما فقد كفر^(٣).

فالخلق المخلوق، والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق، وهو قوله: ﴿كُنْ﴾^(٤).
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥) [النحل: ٤٠].

وفي تفرقة بين الخلق والأمر دليلٌ بيّنٌ على فساد قول من قال بخلق القرآن، إذ لو كان كلامه - الذي هو أمرٌ - مخلوقاً لكان قد قال: ألا له الخلق والمخلوق. وذلك عيٌّ من الكلام ومستهجنٌ ومُستغثٌ. والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه. ويدلُّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي﴾. فأخبر سبحانه أن المخلوقات قائمةٌ بأمره، فلو كان الأمرُ مخلوقاً لافتقر إلى أمرٍ آخرٍ يقوم به، وذلك الأمرُ إلى أمرٍ آخر، إلى ما لا نهاية له. وذلك مُحالٌ. فثبت أن أمره الذي هو كلامه قديمٌ أزليٌّ غيرُ مخلوق؛ ليصحَّ قيامُ المخلوقات به.

ويدلُّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

(١) في النسخ: السموات، والمثبت من (م).

(٢) السبعة ص ٢٨٢، والتيسير ص ١١٠.

(٣) علّقه البخاري قبل الحديث (٧٥٥٥) بنحوه، وأورده بهذا اللفظ العيني في عمدة القاري ١٤٤/٢٥. ووصله ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٣٢/١٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٣/٣.

(٥) في (م): ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق للإنصاف للباقلاني، والكلام فيه بنحوه كما سيأتي.

[الحجر: ٨٥]، وأخبر تعالى أنه خَلَقَهُمَا بِالْحَقِّ، يعني القول، وهو قوله للمكُونَات: «كُن». فلو كان الحق مخلوقاً لَمَا صَحَّ أَنْ يَخْلُقَ بِهِ المَخْلُوقَات؛ لِأَنَّ الخَلْقَ لَا يُخْلَقُ بِالمَخْلُوقِ. يدلُّ عليه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِيبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الانبیاء: ١٠١]. ﴿وَلَكِن حَتَّى الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]. وهذا كله إشارة إلى السَّبْقِ فِي القَوْلِ فِي القِدَمِ، وذلك يُوجِبُ الأَزَلَ فِي الوجود. وهذه التُّكْتة كافيَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِم.

ولهم آياتٍ احتجُّوا بها على مذهبهم؛ مثلُ قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ﴾ الآية [الانبیاء: ٢]، ومثلُ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. و﴿مَقْدُونًا﴾ [الأحزاب: ٢٧] وما كان مثله.

قال القاضي أبو بكر^(١): معنى ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ أي: من وَعَظٍ من النبي ﷺ ووَغْدٍ وتخويف ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الانبیاء: ٢]؛ لِأَنَّ وَعَظَ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ وتحذيرهم ذِكْرٌ؛ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، ويقال: فلانٌ في مجلس الذكر.

ومعنى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ و﴿مَقْدُونًا﴾ أراد سبحانه عقابه وانتقامه من الكافرين، ونصره للمؤمنين، وما حكم به وقدره من أفعاله. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُهُمْ إِلَّا يَوْمَ يَنْزِلُ السَّمَاءُ كَغَمِّ لَبَدٍ﴾ [هود: ٩٧] يعني به شأنه وأفعاله وطرائقه. قال الشاعر:

لها أمرها حتى إذا ما تبوأَتْ بأخفافها مرعى تبوأ مضجعا^(٢)

الثانية: وإذا تقرَّرَ هذا فاعلم أن الأمر ليس من الإرادة في شيء. والمعتزلة تقول: الأمر نفس الإرادة. وليس بصحيح، بل يأمر بما لا يريد، وينهى عما يريد. ألا ترى أنه

(١) في الإنصاف ص ٧٤ - ٧٥، وينظر الكلام الذي قبله فيه ص ٧١ وما بعدها، وفي تهديد الأرائل ٢٧١/١.

(٢) أورده أبو علي القالي في أماليه ١٤٠/٢ وذكر أن جندل بن الراعي أنشده من شعر أبيه الراعي. وعنده: لأخفافها، بدل: بأخفافها.

أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يُرْده منه؟ وأمر نبيه أن يُصَلِّيَ مع أمته خمسين صلاة، ولم يُرْده منه إلا خمس صلوات^(١). وقد أراد شهادة حمزة حيث يقول: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقد نهى الكفار عن قتله، ولم يأمرهم به. وهذا صحيح نفيس في باب، فتأمل.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾، «تبارك» تفاعل، من البركة وهي^(٢) الكثرة والاتساع. يقال: بُورِكَ الشيء وبُورِكَ فيه؛ قاله ابن عرفة. وقال الأزهري^(٣): «تبارك»: تعالى وتعاضم وارتفع. وقيل: إن باسمه يُتَبَرَّكُ وَيُتَمَيَّنُ. وقد مضى في «الفاتحة» معنى ﴿رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾
فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ هذا أمرٌ بالدعاء وتعبُّد به. ثم قرآنٌ جلٌّ وعزٌّ بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع والاستكانة والتضرُّع. ومعنى «خُفْيَةً» أي: سرًّا في النفس ليعبد عن الرياء؛ وبذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام إذ قال مُخْبِرًا عنه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾^(٥) [مريم: ٣]. ونحوه قولُ النبي ﷺ: «خيرُ الذِّكْرِ الخُفْيُ، وخيرُ الرِّزْقِ ما يَكْفِي»^(٦).
والشريعة مقررة أن السرَّ فيما لم يُفترض^(٧) من أعمال البرِّ أعظمُ أجرًا من الجهر.

(١) سلف ٤٩٣/٤.

(٢) في النسخ: وهو، والمثبت من (م).

(٣) تهذيب اللغة ٢٣٠/١٠.

(٤) ٢١١/١ وما بعدها.

(٥) تفسير الطبري ٢٤٨/١٠.

(٦) أخرجه أحمد (١٤٧٧) من حديث سعد بن مالك ﷺ.

(٧) في (د) و(م) والمحرور الوجيز ٤١٠/٢ (والكلام منه): يعترض، والمثبت من (ز) و(ظ). وعبارة (خ):
والشريعة مقررة أن ليس فيما تفترض...

وقد تقدّم هذا المعنى في «البقرة»^(١). قال الحسنُ بنُ أبي الحسن: لقد أذركنا أقواماً ما كان على الأرض عملٌ يقدرّون على أن يكون سرّاً فيكون جهراً أبداً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يُسمع لهم صوتٌ، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربّهم. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾. ودَكَرَ عبداً صالحاً رضي فعله فقال: ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا﴾^(٢) [مريم: ٣].

وقد استدل أصحابُ أبي حنيفة بهذا على أن إخفاء «أمين» أولى من الجهر بها؛ لأنه دعاء^(٣). وقد مضى القولُ فيه في «الفاتحة»^(٤).

وروى مسلم عن أبي موسى قال: كُنَّا مع النبي ﷺ في سَفَرٍ - وفي رواية: في غَزَاةٍ - فجعل الناسُ يجهرون بالتكبير - وفي رواية: فجعل رجلٌ كلما عَلَا ثَنِيَّةً قال: لا إله إلا الله - فقال رسولُ الله ﷺ: «أيها^(٥) الناس، اِزْبِعُوا على أنفسكم، إنكم لستم تدعون أصمّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم». الحديث^(٦).

الثانية: واختلف العلماءُ في رفع اليدين في الدعاء، فكرهه طائفةٌ منهم جُبَيْر بن مُظَلِّم^(٧)، وسعيد بن المسيّب^(٨)، وسعيد بن جبيرة. ورأى شريحٌ رجلاً رافعاً يديه فقال: مَنْ تتناول بهما، لا أمّ لك^(٩)! وقال مسروق لقوم رَفَعُوا أيديهم: قَطَعَهَا الله^(١٠). واختاروا إذا دعا الله في حاجةٍ أن يُشيرَ بأصبعه السبابة، ويقولون: ذلك

(١) ٣٥٩/٤ وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز ٤١٠/٢ .

(٣) أحكام القرآن للكنيا ١٤٠/٣ .

(٤) ١٩٥/١ وما بعدها.

(٥) في النسخ الخطية: يا أيها، والمثبت من (م)، وهو الموافق لصحيح مسلم.

(٦) صحيح مسلم (٢٧٠٤): (٤٤) و(٤٦)، وأخرجه أحمد (١٩٥٢٠)، والبخاري (٦٣٨٤).

(٧) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ١٤٣/١١، وعزاه للطبري.

(٨) أخرجه عنه عبد الرزاق في المصنف (٣٢٥١).

(٩) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٤٣/١١، وعزاه للطبري.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٧/٢ .

الإخلاص^(١). وكان قتادة يُشير بأصبعه ولا يرفع يديه. وكرة رفع الأيدي عطاء، وطاوس^(٢)، ومجاهد وغيرهم.

وروي جوازُ الرفع عن جماعة من الصحابة والتابعين، وروي عن النبي ﷺ - ذكره البخاري - قال أبو موسى الأشعري: دعا النبي ﷺ، ثم رَفَعَ يَدَيْهِ، ورأيتُ بياضَ إِنْطِيبِهِ. ومثله عن أنس. وقال ابن عمر: رَفَعَ النبي ﷺ يَدَيْهِ وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنَعَ خالد»^(٣).

وفي «صحيح» مسلم^(٤) من حديث عمر بن الخطاب قال: لما كان يومُ بَدْرٍ نَظَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاث مئة وسبعة عشر رجلاً^(٥)، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ مادًّا يَدَيْهِ، فجعل يَهْتِفُ برَبِّهِ. وذكر الحديث.

وروي الترمذيُّ عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ لم يَحْطِطْهُمَا حتى يمسحَ بهما وجهه. قال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريب^(٦).

وروي ابن ماجه عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَبِّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي من عبده أن يرفعَ يَدَيْهِ إليه فيردُّهُمَا صِفْرًا [أو قال:] خَائِبَتَيْنِ»^(٧).

احتجَّ الأولون بما رواه مسلم عن عُمارة بن رُوَيْبَةَ ورأى بِشَرَ بن مَرْوان^(٨) على

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٢٤٧) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٧/٢.

(٣) أخرج البخاري (٦٣٤١) حديث أنس ؓ، وعلّق قبله حديثي أبي موسى وابن عمر ؓ، ووصل حديث أبي موسى برقم (٤٣٢٣)، وحديث ابن عمر برقم (٤٣٣٩).

(٤) الحديث (١٧٦٣)، وسلف ٢٩٦/٥.

(٥) في صحيح مسلم: تسعة عشرة رجلاً، ورواية المصنف هي رواية المفهم ٥٧٢/٣.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٨٦).

(٧) سنن ابن ماجه (٣٨٦٥)، وما بين حاصرتين منه، وأخرجه أبو داود (١٤٨٨) وأخرجه أحمد (٢٣٧١٤) عن سلمان الفارسي ؓ. موقوفاً، وصححه عنه مرفوعاً ابن حبان (٨٨٠)، والحاكم ٥٣٥/١.

(٨) هو أخو عبد الملك بن مروان، ولي العراقين بعد مقتل مصعب، مات سنة (٧٥هـ). السير ١٤٥/٤.

المنبر رافعاً بيديه فقال: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا. وأشار بإصبعه المُسَبَّحَةِ^(١). وبما روى سعيدُ بن أبي عَروبة، عن قتادة أن أنس بن مالك حَدَّثَهُ أن النبي ﷺ كان لا يرفعُ يَدَيْهِ في شيءٍ من الدعاء إلا عند الاستسقاء، فإنه كان يرفعُهما حتى يُرَى بياضُ إِنْطِنِهِ.

والأول أصحُّ طُرُقاً وأثبتُّ من حديث سعيد بن أبي عَروبة؛ فإن سعيداً كان قد تغيَّر عقله في آخر عمره^(٢). وقد خالفه شعبةٌ في روايته عن قتادة، عن أنس بن مالك، فقال فيه: كان رسولُ الله ﷺ يرفع يَدَيْهِ حتى يُرَى بياضُ إِنْطِنِهِ^(٣).

وقد قيل: إنه إذا نزلت بالمسلمين نازلةٌ أن الرفعَ عند ذلك جميلٌ حسنٌ؛ كما فعل النبي ﷺ في الاستسقاء، ويوم بدر.

قلت: والدعاء حَسَنٌ كيفما تيسر، وهو المطلوب من الإنسان لإظهار مَوْضِعِ الفقر والحاجة إلى الله عزَّ وجلَّ، والتذللِ له والخُضُوع. فإن شاء استَقْبَلَ القبلةَ ورفع يَدَيْهِ فحسنٌ، وإن شاء فلا، فقد فَعَلَ ذلك النبي ﷺ حَسْبَمَا وَرَدَ في الأحاديث. وقد قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الاعراف: ٥٥]. ولم يُرد صفةً من رفع يدين وغيرها. وقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، فمدحهم ولم يشترط حالةً غيرَ ما ذكر. وقد دَعَا النبي ﷺ في خُطْبَتِهِ يومَ الجمعة وهو غيرُ مستقبل القبلة^(٤).

(١) صحيح مسلم (٨٧٤)، وهو في مسند أحمد (١٧٢١٩).

(٢) اختلاط سعيد ليس بعلة في هذا الحديث، فقد رواه عنه جماعة قبل اختلاطه، ثم إن حديثه هذا أخرجه أحمد (١٢٨٦٧)، والبخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥).

(٣) لم نقف على هذا اللفظ من طريق شعبة عن قتادة عن أنس ﷺ. إنما أخرجه من هذه الطريق أبو نعيم في أخبار أصبهان ١٤١/١ بلفظ حديث سعيد الذي ساقه المصنف، وأخرجه مسلم (٨٩٥): (٥) من طريق شعبة، عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يُرَى بياضُ إِنْطِنِهِ. ثم إن مسلماً رحمه الله قد أورد هذين اللفظين في باب رفع اليدين في الدعاء في الاستسقاء، فليس ثمة اختلاف بين الروایتين كما ذكر المصنف!

(٤) أخرجه أحمد (١٣٠١٦)، والبخاري (٦٣٤٢)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس ﷺ. وقد ترجم له البخاري: باب الدعاء غير مستقبل القبلة.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُنْتَوِبِينَ﴾ يُريد في الدعاء وإن كان اللفظ عاماً، إلى هذا هي الإشارة^(١). والمُعتدي هو المجاوزُ للحُدِّ ومُرتكبُ الحظر، وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى فيه. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء». أخرجه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدَّثنا عقَّان، حدَّثنا حماد بن سلمة، أخبرنا سعيدُ الجُريري، عن أبي نعام، أن عبد الله بن مُغفل سَمِع ابنه يقول: اللهمَّ إني أسألك القصرَ الأبيضَ عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أيُّ بُني، سَلِ الله الجنة، وعُدِّ به مِن النار، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء»^(٢).

والاعتداءُ في الدعاء على وجوه: منها الجهرُ الكثير والصياح، كما تقدَّم^(٣). ومنها أن يدعو الإنسانُ في أن تكونَ له منزلةٌ نبيِّ، أو يدعو في مُحال، ونحو هذا من الشُّطط^(٤).

ومنها أن يدعو طالباً معصيةً وغير ذلك^(٥).

ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخيَّر ألفاظاً مُفكِّرة، وكلماتٍ مُسجَّعة^(٦)، قد وجدها في كراريس لا أصلَ لها ولا معوَّل عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه الصلاة والسلام. وكلُّ هذا يمنع من استجابة الدعاء، كما تقدم في «البقرة» بيَّانه^(٧).

(١) المحرر الوجيز ٢/٤١٠.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٨٦٤)، وأخرجه أحمد (١٦٨٠١) وأبو داود (٩٦) وعندهما: . . في الدعاء والظهور.

(٣) في المسألة الأولى.

(٤) في (خ) و(ز): الشُّطط.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤١٠.

(٦) أخرج البخاري (٦٣٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... فانظر السُّجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

(٧) ١٧٩/٣ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه مسألة واحدة، وهو أنه سبحانه نهى عن كل فساد قلّ أو كثر بعد صلاح قلّ أو كثر. فهو على العموم على الصحيح من الأقوال. وقال الضحاك: معناه: لا تُعَوِّرُوا^(١) الماء المَعِين، ولا تقطعوا الشجرَ المُشِيرَ ضِراراً. وقد وَرَدَ: قَطَعُ الدنانيرِ من الفساد في الأرض. وقد قيل: تجارة الحُكَّام من الفساد في الأرض^(٢).

وقال القُشَيْرِيُّ: المرادُ: ولا تُشْرِكُوا، فهو نهى عن الشرك وسفكِ الدماء والهَرَجِ في الأرض، وأمرٌ بلزوم الشرائع بعد إصلاحها، بعد أن أصلحها الله ببعثه^(٣) الرسل، وتقرير الشرائع ووضوح مِلَّة محمد ﷺ. قال ابن عطية^(٤): وقائلُ هذه المقالة قَصَدَ إلى أكبر^(٥) فساد بعد أعظم صلاح، فخصَّه بالذكر.

قلت: وأما ما ذكره الضحاك؛ فليس على عمومه، وإنما ذلك إذا كان فيه ضررٌ على المؤمن، وأما ما يعود ضرره على المشركين فذلك جائز؛ فإن النبي ﷺ قد عَوَّرَ^(٦) ماءً قَلِيْبٍ بدرٍ، وقطعَ شَجَرَ الكافرين^(٧). وسيأتي الكلام في قطع الدنانير في «هود» إن شاء الله تعالى^(٨).

(١) في (د) و(ز) و(ظ): لا تغوروا، والمثبت من (خ) و(م). وجهه في اللسان (عور): عَوَّرت عيون المياه: إذا دفتها وسدتها.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤١٠.

(٣) في (خ) و(ظ): بيعته، وفي (د): بيعت.

(٤) في المحرر الوجيز ٢/٤١٠.

(٥) في (ظ): أكثر.

(٦) في النسخ: غور، والمثبت من (م)، وسلف معناها.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٢٠، ٢/١٩١.

(٨) في تفسير الآية (٨٦) منها.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أمر بأن يكون الإنسان في حالة تَرَقُّبٍ وتخوُّفٍ وتأميلٍ لله عزَّ وجلَّ، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر؛ يَحْمِلَانَهُ في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هَلَكَ الإنسان^(١)، قال الله تعالى: ﴿ثِقَةٌ عِبَادِي أُولَئِكَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. فرجى وخوَّف. فيدعو الإنسان خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَذَعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الانباء: ٩٠]. وسيأتي القول فيه. والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المصاير. والطمع: توقع المحبوب، قاله القشيري.

وقال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء^(٢). قال النبي ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله». صحيح، أخرجه مسلم^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل: قريبة. ففيه سبعة أوجه: أولها أن الرَّحْمَةَ والرَّحْمَ واحدٌ، وهي بمعنى العفو والغفران؛ قاله الزجاج، واختاره النحاس^(٤). وقال التَّضَرُّبُ بْنُ شُمَيْلٍ: الرحمة مصدرٌ، وحقُّ المصدر التذكير؛ كقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وهذا قريبٌ من قول الزجاج؛ لأنَّ الموعظةَ بمعنى الوعظ^(٥). وقيل: أراد بالرَّحْمَةِ الإحسانَ؛ ولأنَّ ما لا يكونُ تأنيثه حقيقياً جازَ تذكيره، ذكره الجوهري^(٦). وقيل: أرادَ بالرحمة هنا المَطْرَ؛ قاله الأخفش^(٧). قال: ويجوزُ أن يُذَكَّرَ كما يذَكَّرُ بعضُ المؤنث. وأنشد:

(١) المحرر الوجيز ٤١١/٢ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحديث (٢٨٧٧)، وهو في مسند أحمد (١٤١٢٥) من حديث جابر ؓ.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٤٤/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ .

(٥) تفسير الرازي ١٤/١٣٧ .

(٦) في الصحاح (قرّب).

(٧) في معاني القرآن له ٥١٩/٢ .

فَلَا مُزْنَةَ وَذَقْتَ وَذَقَهَا وَلَا أَرْضَ أُنْقَلَ إِلَيْهَا^(١)

وقال أبو عبيدة^(٢): دُكِّرَ «قَرِيبٌ» على تذكير المكان، أي: مكاناً قريباً. قال عليُّ ابنُ سليمان: وهذا خطأ، ولو كان كما قال؛ لَكَانَ «قَرِيبٌ» منصوباً في القرآن، كما تقول: إن زيدا قريباً منك.

وقيل: دُكِّرَ على النسب، كأنه قال: إنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ ذَاتُ قُرْبٍ، كما تقول: امرأةٌ طالقٌ وحائضٌ^(٣).

وقال الفراء: إذا كان القريبُ في معنى المسافة يُدَكَّرُ ويؤنَّثُ، وإذا^(٤) كان في معنى النسب يؤنَّثُ بلا اختلافٍ بينهم. تقول: هذه المرأةُ قريبتِي، أي: ذاتُ قرابتي، ذكره الجوهري^(٥).

وذكر غيره عن الفراء: يقالُ في النسب: قريبةُ فلانٍ، وفي غير النَّسَبِ يجوز التذكيرُ والتأنيثُ، يقال: دارُكَ مِنَّا قَريبٌ، وفلانةُ منا قَريبٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الاحزاب: ٦٣]. وقال من احتجَّ له: كذا كلامُ العرب، كما قال امرؤ القيس:

لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمَّ هَاشِمٍ قَرِيبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَةَ ابْنَةُ يَشْكُرَا^(٦)
قال الزجاج^(٧): وهذا خطأ؛ لأن سبيلَ المدكَّرِ والمؤنَّثِ أن يجريا على أفعالهما.

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي، وهو في الكتاب ٤٦/٢، ومجاز القرآن ٦٧/٢، وخزانة الأدب ٤٥/١. والمُزْنَةُ: واحدة المُزْنِ، وهي السحابة البيضاء. والوَدَقُ: المطر. وأُنْقَلَ: أي: نبت بقله. خزانة الأدب.

(٢) في مجاز القرآن ٢١٦/١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٢.

(٤) في (م): وإن.

(٥) في الصحاح (قرب)، وينظر معاني الفراء ٣٨٠/١ - ٣٨١.

(٦) سلف ٤١٣/٣.

(٧) في معاني القرآن له ٣٤٥/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ - ١٣٢. وما قبله منه، وقول الفراء السالف في معاني القرآن له ٣٨٠/١ - ٣٨١.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنْتَهُ لِكُلِّ حَيْثُ أَثَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ عطف على قوله: ﴿يُقْسِي الثَّلْجَ النَّهَارَ﴾. ذكر شيئاً آخر من نعمه، ودل على وحدانيته وثبوت إلهيته. وقد مضى الكلام في الريح في «البقرة»^(١). ورياح جمع كثرة، وأرواح جمع قلة. وأصل ريح: روح. وقد خطئ من قال في جمع القلة: أرياح.

﴿بُشْرًا﴾ فيه سبع قراءات:

قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو: «نُشْرًا» بضم النون والشين^(٢)؛ جمع ناثير على معنى النسب، أي: ذات نُشر، فهو مثل: شاهد وشُهد. ويجوز أن يكون جمع نُشور؛ كرسول ورُسل. يقال: ريح النشور: إذا أتت من هاهنا وهاهنا. والنشور بمعنى المنشور؛ كالركوب بمعنى المركوب. أي: وهو الذي يرسل الرياح مُنشرة.

وقرأ الحسن وقتادة: «نُشْرًا» بضم النون وإسكان الشين^(٣) مخففاً من نُشر؛ كما يقال: كُتِبَ ورُمِلَ.

وقرأ الأعمش وحمزة: «نُشْرًا» بفتح النون وإسكان الشين على المصدر^(٤)، أعمل فيه معنى ما قبله، كأنه قال: وهو الذي ينشر الرياح نُشْرًا. نُشِرَت الشيء فانتشر، فكأنها كانت مطوية فنُشرت^(٥) عند الهبوب. ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال من الرياح؛ كأنه قال: يرسل الرياح مُنشرة^(٦)، أي: مُحْيية؛ من أنشَر الله الميت

(١) ٢٩٨/٢ عند تفسير الآية ١٩٧ منها.

(٢) يعني هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. السبعة ص ٢٨٣، والتيسير ص ١١٠.

(٣) وهي قراءة ابن عامر من السبعة.

(٤) وهي قراءة الكسائي أيضاً.

(٥) في (خ) و(ز): فنتشر. وفي (ظ): تنشر. والمثبت من (م).

(٦) في (ظ): منتشرة.

فَنَشَّرَ^(١)، كما تقول: أتاناً رَكُضاً، أي: راكضاً. وقد قيل: إن نَشَرَأ - بالفتح - من النَّشْر الذي هو خلاف الطَّيِّ، على ما ذكرنا. كأن الريح في سكونها كالمطوية، ثم تُرسل من طَيِّها ذلك، فتصير كالمنفتحة. وقد فسره أبو عبيدة^(٢) بمعنى: متفرقة في وجوهها، على معنى ينشرها هاهنا وهاهنا.

وقرأ عاصم: «بُشْرَأ» بالياء وإسكان الشين والتنوين؛ جمع بشير، أي: الرياح تُبَشِّرُ بالمطر، وشاهده قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦]. وأصل الشين الضم، لكن سَكُنَتْ^(٣) تخفيفاً؛ كرسُل^(٤) ورُسُل. ورُوي عنه «بُشْرَأ» بفتح الباء^(٥). قال النحاس: ويقرأ: «بُشْرَأ»، و«بُشْرَأ»^(٦)؛ مصدر بَشَرَه ييشره بمعنى بَشَرَه. فهذه خمس قراءات. وقرأ اليماني: «بُشْرَى»^(٧)، على وزن حُبْلَى. وقراءة سابعة: «بُشْرَأ»^(٨) بضم الباء والشين.

قوله تعالى: ﴿حَوَّجَ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ السحاب يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، وكذا كلُّ جمع بينه وبين واحده هاء. ويجوز نعتُه بواحد؛ فتقول: سحابٌ ثَقِيلٌ وثَقِيلَةٌ^(٩). والمعنى: حملت الريحُ سَحَابًا ثِقَالًا بالماء، أي: استقلت^(١٠) بحمله. يقال: أَقْلَتْ

(١) في (ظ): ينشره.

(٢) في (خ) (ز) و(م): أبو عبيد. والمثبت من (ظ). وكلامه بنحوه في مجاز القرآن ٢١٧/١.

(٣) في (ظ): وأسكنت.

(٤) في النسخ الخطية: كرسول. والمثبت من (م).

(٥) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٤ لعصمة عن عاصم. ونسبها ابن جني في المحتسب ٢٥٥/١ لأبي عبد الرحمن، والقراءة المتواترة عن عاصم هي التي ذكرها عنه أولاً.

(٦) ينظر إعراب القرآن ١/١٣٣. وقوله: يقرأ، يعني عاصم.

(٧) القراءات الشاذة ص ٤٤، والمحتسب ٢٥٥/١، وزادا نسبتها لابن قطيب.

(٨) في (م): بُشْرَى. والمثبت موافق لإعراب القرآن. والقراءة نسبها ابن جني في المحتسب ٢٥٥/١ لابن عباس والسلمي بخلاف، وعاصم بخلاف.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٣.

(١٠) في (م): أثلقت.

فلان الشيء، أي: حَمَلَه.

﴿سُقْتَهُ﴾ أي السحاب. ﴿لِكَلِّمْتِنِي﴾ أي ليس فيه نبات. يقال: سقته لبلد كذا، وإلى بلد كذا. وقيل: لأجل بلد ميت؛ فاللام لام أجل.

والبلدُ: كلُّ موضع من الأرض عامرٍ أو غيرِ عامرٍ، خالي أو مسكون^(١).
والبلدة والبلد: واحد البلاد والبلدان.

والبَلَدُ: الأثر، وجمعه: أبلاد. قال الشاعر^(٢):

مِن بَعْدِ مَا شَمَلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا

والبلد: أذْحِي النَّعَامِ^(٣). يقال: هو أَذَلُّ من بِيضَةِ البلد؛ أي: من بيضة النعام التي يتركها.

والبلدة: الأرض؛ يقال: هذه بلدتنا، كما يقال: بَحْرَتْنَا.

والبَلْدَةُ: من منازل القمر، وهي سِتَّةُ أَنْجُمٍ من القوس، تنزلها الشمس في أقصر يوم في السَّنَةِ^(٤).

والبلدة: الصِّدْر؛ يقال: فلان واسع البلدة؛ أي: واسع الصدر؛ قال الشاعر:

أَبِيحَتْ فَالْقَتْ بَلْدَةٌ فَوْقَ بَلْدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا^(٥)

يقول: بَرَكَّتِ النَّاقَةُ، فألقت صدرها على الأرض.

والبَلْدَةُ؛ بفتح الباء وضمها: نقاوة ما بين الحاجبين^(٦)؛ فهما من الألفاظ المشتركة.

(١) تهذيب اللغة ١٤/١٢٧ .

(٢) هو ابن الرقاع، كما في الصحاح (بلد) - وعنه نقل المصنف - وتهذيب اللغة ١٤/١٢٩، واللسان (بلد).

(٣) هو موضعها الذي تفرخ فيه.

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٤/١٢٨ .

(٥) قائله ذو الرمة، والبيت في ديوانه ٢/١٠٠٤ (شرح الأصمعي). وقوله: بُغَامُهَا؛ بغام الناقة: صوت لا تفصح به. الصحاح (بغم).

(٦) الصحاح (بلد)، وما قبله منه.

﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾ أي: بالبلد. وقيل: أنزلنا بالسحاب الماء؛ لأن السحاب آلة لإنزال الماء. ويحتمل أن يكون المعنى: فأنزلنا منه الماء، كقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي: منها.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الكاف في موضع نصب، أي: مثل ذلك الإخراج يحيي الموتى. وخرج البيهقي وغيره: عن أبي رزين^(١) العُقَيْلي قال: قلت: يا رسول الله، كيف يُعيد الله الخلق، وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مرزت بوادي قومك جذباً، ثم مرزت به يهتز خضراً؟» قال: نعم، قال: «فتلك آية الله في خلقه»^(٢).

وقيل: وجه التشبيه أن إحياءهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله على قبورهم، فتنشئ عنهم القبور، ثم تعود إليهم الأرواح.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «ثم يرسل الله - أو قال: يُنزل الله - مطراً كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا^(٣) إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون». وذكر الحديث^(٤). وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة^(٥) والحمد لله، فدل على البعث والنشور، وإلى الله ترجع الأمور.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾

(١) في النسخ الخطية: ابن رزين، والمثبت من (م). واسمه لقيط بن عامر.

(٢) هو عند البيهقي في الاعتقاد ص ١٤٥، وفي الأسماء والصفات (١٠٦٩) و(١٠٧٠). وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (١٦١٩٣)، والحاكم في المستدرک ٥٦٠/٤.

(٣) في صحيح مسلم: هلم.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٤٠). وأخرجه أيضاً أحمد (٦٥٥٥).

(٥) ص ١٦٥ باب انقراض هذا الخلق وذكر هذا النسخ.

أي: الثَّربَةُ الطَّيِّبَةُ. وَالخَيْبُ: الذي في تربته حجارة أو شوك؛ عن الحسن. وقيل: معناه التشبيه، شبه تعالى السريع الفهم بالبلد الطيب، والبليد بالذي خُبث؛ عن النحاس^(١). وقيل: هذا مَثَلٌ للقلوب؛ فقلبٌ يقبل الوعظ والذكرى، وقلبٌ فاسقٌ يَنْبُو عن ذلك؛ قاله الحسن أيضاً. وقال قتادة: مَثَلٌ للمؤمن يعمل محتسباً متطوعاً، والمنافق غير محتسب^(٢). قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو يَعْلَمُ أحدهم أنه يَجِدُ عَظْماً سَمِيناً، أو مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ العِشَاءَ»^(٣).

﴿نَكَدًا﴾ نصب على الحال، وهو العيرُ الممتنع من إعطاء الخير. وهذا تمثيل. قال مجاهد: يعني أن في بني آدم الطيب والخبيث^(٤).

وقرأ طلحة: «إِلَّا نَكْدًا»^(٥) حذف الكسرة لثقلها. وقرأ ابن القَعْقَاع: «نَكَدًا» بفتح الكاف^(٦)، فهو مصدر بمعنى: ذا نكد؛ كما قال:

فإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٧)

وقيل: «نَكَدًا» بنصب الكاف وخفضها بمعنى؛ كالدَّنْفِ والدَّنْفِ، لغتان^(٨).

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي: كما صرَّفنا من الآيات - وهي الحجج والدلالات - في إبطال الشرك؛ كذلك نُصَرِّفُ الْآيَاتِ^(٩) في كلِّ ما يحتاج إليه الناس. ﴿لِقَوْرِ

(١) ينظر إعراب القرآن له ١٣٤/٢ .

(٢) أخرج نحوه الطبري ٢٥٩/١٠ .

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٢٨)، والبخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة ؓ. وقوله: مرماتين؛ المرمأة: ظلُّ الشاة، وقيل: ما بين ظلِّها، وتكر ميمه وتفتح. النهاية (رمى).

(٤) أخرجه الطبري ٢٥٨/١٠ - ٢٥٩ .

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٤ .

(٦) ابن القعقاع هو أبو جعفر، من العشرة، وقراءته في النشر ٢/ ٢٧٠ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٣٤/٢ . والبيت للخنساء وهو في ديوانها ص ٤٨ ، وصدرة: ترتع ما رتعت حتى إذا أذكرت، وسلف ٣/ ٥٤ .

(٨) ينظر معاني القرآن للفره ١/ ٣٨٢ .

(٩) قوله: الآيات، من (م).

يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ وخصَّ الشاكرين لأنهم المتشكرون بذلك.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا لِقَوْمِهِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَّا ذِكْرٌ غَيْرٌ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا لِقَوْمِهِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لما بيَّن أنه الخالق القادر على الكمال؛ ذكَّر أفاصيص الأمم وما فيها من تحذير الكفار. واللام في «لقد» للتأكيد المنبّه على القسم. والفاء دالّة على أن الثاني بعد الأوّل. ﴿يَتَقَوَّمُوا﴾ نداء مضاف، ويجوز: «يا قومي» على الأصل^(١).

ونوح أوّل الرُّسل إلى الأرض بعد آدم عليهما السلام بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات. قال النحاس^(٢): وانصرف لأنه على ثلاثة أحرف، وقد يجوز أن يُشتقَّ من ناح ينوح؛ وقد تقدّم في «آل عمران»^(٣) هذا المعنى وغيره فأعنى عن إعادته.

قال ابن العربي: ومَن قال من المؤرِّخين: إنَّ إدريسَ كان قبله^(٤)؛ فقد وهم. والدليل على صحة وهمه الحديث الصحيح في الإسراء^(٥)، حين لقي النبي ﷺ آدم وإدريس، فقال له آدم: «مَرَحَبًا بالنبيِّ الصَّالحِ، والابنِ الصَّالحِ»، وقال له إدريسُ: «مَرَحَبًا بالنبيِّ الصَّالحِ، والأخِ الصَّالحِ» فلو كان إدريس أباً لنوح [على صلب محمد] لقال: مرحباً بالنبيِّ الصَّالحِ، والابنِ الصَّالحِ. فلمَّا قال له: والأخِ الصَّالحِ؛ دَلَّ ذلك على أنه يجتمع معه في نوح، صلوات الله عليهم أجمعين. ولا كلام لمنصف بعد هذا.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٣٤/٢.

(٢) في إعراب القرآن ٣٦٨/١.

(٣) ٩٤/٥ عند الآية (٣٣).

(٤) في النسخ: ومن قال إن إدريس كان قبله من المؤرخين. والمثبت من أحكام القرآن ٧٧٥/٢. وما بين حاصرتين منه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وينظر حديث أبي بن كعب في مسند أحمد (٢١٢٨٨).

قال القاضي عياض^(١): وجاء جواب الآباء هاهنا؛ كنوح وإبراهيم وآدم: «مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ»، وقال عن إدريس: «بالأخ الصالح» كما ذكر عن موسى وعيسى ويوسف وهارون ويحيى ممن ليس بابٍ - باتِّفاق - للنبيِّ ﷺ.

وقال المازري^(٢): قد ذكر المؤرِّخون أنَّ إدريس جدُّ نوح عليهما السلام، فإن قام الدليلُ على أنَّ إدريس بُعثَ أيضاً؛ لم يصحَّ قولُ النَّسَّابين: إنه قبل نوح؛ لِمَا أخبر عليه الصلاة والسلام من قول آدم: إِنَّ نوحاً أَوَّلُ رَسولٍ بُعثَ، وإن لم يقم دليلٌ جاز ما قالوا، وصحَّ أن يُحملَ أنَّ إدريس كان نبياً غيرَ مرسل.

قال القاضي عياض^(٣): قد يُجمع بين هذا بأن يقال: اختصَّ بعثُ نوح لأهل الأرض - كما قال في الحديث^(٤) - كافَّةً؛ كنيِّنا عليه الصلاة والسلام، ويكون إدريس لقومه كموسى وهود وصالح ولوط وغيرهم. وقد استدلَّ بعضهم على هذا بقوله تعالى: ﴿وَلِئِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات: ١٢٣-١٢٤]. وقد قيل: إنَّ إلياسَ هو إدريسُ، وقد قرئ: «سلام على إدرايين»^(٥).

قال القاضي عياض^(٦): وقد رأيت أبا الحسن ابنَ بَطَّال ذهب إلى أنَّ آدم ليس برسول؛ لَيْسَلم من هذا الاعتراض. وحديثُ أبي ذرِّ الطويل يدلُّ على أنَّ آدم وإدريس رسولان.

(١) في إكمال المعلم ٥٠٢/١ .

(٢) في المعلم ٣٤١/١ . ونقل المصنف عنه بواسطة إكمال المعلم ٥٧٥/١ .

(٣) في إكمال المعلم ٥٧٥/١ - ٥٧٦ .

(٤) حديث الشفاعة عند أحمد (١٢١٥٣)، والبخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) نسبها ابن خالويه في القرءات الشاذة ص ١٢٨ لابن مسعود، وزاد ابن جني في المحتسب ٢٢٤/٢ نسبتها ليحيى والأعمش والمنهال والحكم بن عيينة، وقال: فيجب أن يكون من تحريف العرب الكلم الأعجمي؛ لأنه ليس من لغتها.

(٦) إكمال المعلم ٥٧٦/١ .

قال ابن عطية^(١): ويجمع ذلك بأن تكون بعثة نوح مشهورة لإصلاح الناس وحملهم بالعذاب والإهلاك على الإيمان؛ فالمراد أنه أوّل نبيّ بُعث على هذه الصفة. والله أعلم. وزوي عن ابن عباس: أنّ نوحاً عليه السلام بُعث ابن^(٢) أربعين سنة. قال الكلبي: بعد آدم بثمان مئة سنة.

وقال ابنُ عباس: وبقي في قومه يدعوهم ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً؛ كما أخبر التنزيل^(٣)، ثم عاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وقَسُوا^(٤). وقال وهب: بُعث نوحٌ وهو ابنُ خمسين سنة^(٥). وقال عَوْنُ بن شَدَّاد: بُعث نوحٌ وهو ابنُ ثلاث مئة وخمسين سنة^(٦).

وفي كثير من كتب الحديث؛ الترمذي وغيره: أنّ جميعَ الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام^(٧).

وذكر النَّقَّاشُ عن سليمان بن أرْقَم عن الزُّهري: أنّ العربَ وفارسَ والرومَ وأهلَ الشام وأهلَ اليمن من ولدِ سَامِ بن نوح. والسند والهند والزُّنَج والحبشة والزُّطِّ والثوبية، وكلُّ جلد أسود من ولدِ حَامِ بن نوح. والترک وبَرْبَرُ ووراء الصين وياجوج وماجوج والصقالبة؛ كلُّهم من ولدِ يَافِثَ بن نوح. والخلق كلُّهم ذرية نوح^(٨).

(١) في المحرر الوجيز ٤١٦/٢. وحديث أبي نَزَّ الذي أشار إليه المصنف سلف ذكره قريباً.

(٢) في (م): وهو ابن.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَكْوٍ إِلَّا حَمِيَّتَ لَمَالِكُ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٦٠/١٣ - ٦١ موقوفاً. وأخرجه الحاكم ٥٤٥/٢ - ٥٤٦ مرفوعاً.

(٥) المحرر الوجيز ٤١٦/٢.

(٦) أخرجه الطبري ٣٧٠/١٨.

(٧) أخرج نحوه البزار (٢١٨) (زوائد) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وقال: لا نعلم أسنده عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة بهذا الإسناد... ورواه غيره مرسلأً، وإنما جعله من قول سعيد [بن المسيب]. اهـ. وأخرجه الحاكم ٤٦٣/٤ موقوفاً على سعيد بن المسيب وحديث الترمذي في التعليق التالي.

(٨) المحرر الوجيز ٤١٦/٢. وأخرج الترمذي (٣٢٣٠) عن سمرة، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَمَكَانًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْآيَاتِ﴾ [الصافات: ٧٧] قال: «حام وسام ويافث». وقال: حديث حسن غريب. =

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ برفع «غَيْرُهُ» قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم وحمزة^(١)؛ أي: ما لكم إله غيرُهُ؛ نعتٌ على الموضع. وقيل: «غير» بمعنى إلا؛ أي: ما لكم من إله إلا الله. قال أبو عمرو: ما أعرف الجرَّ ولا النصب. وقرأ الكسائي بالخفض على الموضع. ويجوز النصب على الاستثناء، وليس بكثير؛ غير أن الكسائي والفراء أجازا نصب «غير» في كل موضع يحسن فيه «إلا»؛ ثمَّ الكلام أو لم يتم. فأجازا: ما جاءني غيرك^(٢).

قال الفراء^(٣): هي لغة بعض بني أسد وقضاعة. وأنشد:

لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ هَتَفْتُ حَمَامَةً فِي سَحُوقِ ذَاتِ أَوْقَالٍ^(٤)
قال الكسائي: ولا يجوز: جاءني غيرك، في الإيجاب؛ لأن إلا لا تقع هاهنا. قال النحاس^(٥): لا يجوز عند البصريين نصب «غير» إذا لم يتمَّ الكلام، وذلك عندهم من أقبح اللحن.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَنْفَوْرُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾

«المَلَأُ»: أشرف القوم رؤسائهم، وقد تقدّم بيانه في «البقرة»^(٦).

= وأخرجه أيضاً (٣٢٣١) عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، وياث أبو الروم». وهو في مسند أحمد (٢٠٠٩٩).

(١) وهي أيضاً قراءة ابن كثير وابن عامر. السبعة ص ٢٨٤، والتيسير ص ١١٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٣٤/٢ - ١٣٥ وجواز نصب «غيره» يعني في اللغة لا في القراءة.

(٣) في معاني القرآن ١/٣٨٢. ونقل عنه المصنف بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٣٥/٢.

(٤) نسبة سيبويه في الكتاب ٢/٣٢٩ لكتاني، ونُسب في شرح شواهد المقتني ١/٤٥٨ وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٨٠ لأبي قيس بن رفاعة. وذكره في اللسان (وقل) دون نسبة، وقال: السحوق: ما طال من الدَّوْم (وهو ضخام الشجر)، وأوقاله: ثماره.

(٥) في إعراب القرآن ١٣٥/٢ وما قبله منه.

(٦) ٢٢٨/٤ عند الآية ٢٤٦.

وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ: العُدول عن طريق الحق والذهاب عنه، أي: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي دَعَاتِنَا إِلَىٰ إِلَهِ وَاحِدٍ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ.

﴿أَبْلَغَكُمْ﴾ بالتشديد من التبليغ، وبالتخفيف من الإبلاغ^(١). وقيل: هما بمعنى واحد لغتان؛ مثل كَرَّمَهُ وأكْرَمَهُ.

﴿وَأَفْصَحُ لِكُرِّ﴾ النَّصِيحُ: إخلاصُ النية من شوائب الفساد في المعاملة، بخلاف الغشِّ. يقال: نصحتُه، ونصحتُ له، نصيحةً ونصاحةً ونُصْحاً، وهو باللام أفصح؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَفْصَحُ لِكُرِّ﴾. والاسم: النصيحة. والنَّصِيحُ: الناصِحُ، وقوم نُصحاء. ورجل ناصح الجَنِّبِ، أي: نقيُّ القلب. قال الأصمعيُّ: الناصح: الخالصُ من العسل وغيره، مثلُ الناصع. وكلُّ شيء خَلَصَ فقد نَصَحَ. وانتَصَحَ فلان، أي: قَبِلَ النصيحة^(٢). يقال: انتَصَحَنِي إني لك ناصح. والناصح: الخياط. والنَّصاح: السلك يُخاط به. والنَّصاحات أيضاً: الجلود. قال الأعشى^(٣):

فَتَرَى الشَّرْبَ^(٤) تَشَاوَى كُلَّهُمْ مِثْلَ مَا مُدَّتْ نِصَاحَاتُ الرِّبْحِ
الرِّبْحُ لغةٌ في الرِّبْحِ؛ وهو الفَصِيلُ. والرِّبْحُ أيضاً طائر. وسيأتي لهذا زيادة معنى في براءة [الآية: ٩٢] إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ نَجْوَىٰ مِّنكُمْ يُنذِرْكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَعْيَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ فُتحت الواو لأنها واو عطف، دخلت عليه ألف

(١) قرأ أبو عمرو: «أَبْلَغَكُمْ» بالتخفيف، وقرأ باقي السبعة بالتشديد. السبعة ص ٢٨٤، والتيسير ص ١١١.

(٢) في النسخ: وانتصح فلان أقبل على النصيحة. والمثبت من الصحاح (نصح) والكلام منه.

(٣) ديوانه ص ٤١.

(٤) في الصحاح (نصح)، وتهذيب اللغة ٤/٢٤٩: القوم. والشَّرْبُ: القوم يشربون. القاموس (شرب).

الاستفهام للتقرير. وسبيل الواو أن تدخل على حروف الاستفهام، إلا الألف لقوتها^(١). ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي: وعظ من ربكم. ﴿عَلَى رَجُلٍ يَنْكُرُ﴾ أي: على لسان رجل. وقيل: «على» بمعنى «مع»، أي: مع رجل. وقيل: المعنى: أن جاءكم ذكر من ربكم، مُتَزَلٌّ على رجل منكم، أي: تعرفون نسبه، أو^(٢): على رجل من جنسكم. ولو كان ملكاً؛ فربما كان في اختلاف الجنس تنافر الطبع. و«الفلنك» يكون واحداً، ويكون جمعاً. وقد تقدّم في «البقرة»^(٣).

و﴿عَيْنٌ﴾ أي: عن الحق؛ قاله قتادة. وقيل: عن معرفة الله تعالى وقدرته؛ يقال: رجل عمّ بكذا، أي: جاهل^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّنَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ أُتِلْفِكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٥٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِمَّنْ لِيُنذِرَكُمْ أَنْ تُذَكَّرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْعَةً فَادَّكَّرُوا ؕ أَلَا لِلَّهِ لَمَلَكٌ تُلْقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُودًا﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً. قال ابن عباس: أي: ابن أبيهم^(٥). وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي: بشراً من بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هوداً؛ أي: صاحبهم^(٦).

وعاد من ولد سام بن نوح؛ قال ابن إسحاق: وعاد هو ابن عوص بن إرم بن

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) في (م): أي.

(٣) ٢/ ٢٩٤ عند تفسير الآية ١٦٤ منها.

(٤) تفسير الواحدي ٢/ ٣٨٠ - ٣٨١.

(٥) ذكره الواحدي في تفسيره ٢/ ٣٨١ دون نسبة.

(٦) لم تقف عليه.

شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام^(١).

وهود: هو هود بن عبد الله بن رياح بن الخُلُود^(٢) بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح؛ بعثه الله إلى عاد نبيًا، وكان من أوسطهم نَسَبًا، وأفضلهم حَسَبًا^(٣).
و«عاد» مَنْ لَمْ يَصْرَفْهُ جَعَلَهُ اسْمًا لِلْقَبِيلَةِ، وَمَنْ صَرَفَهُ جَعَلَهُ اسْمًا لِلْحَيِّ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَفِي حَرْفِ أَبِي وَابْنِ مَسْعُودٍ: «عَادِ الْأُولَى» بِغَيْرِ أَلْفٍ^(٤).

و«هود» أعجمي، وانصرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف، وقد يجوز أن يكون عربيًا مشتقًا من هاد يهود، وانتصب^(٥) على البدل. وكان بين هود ونوح - فيما ذكر المفسرون - سبعة آباء. وكانت عادٌ فيما رُوِيَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، يَنْزِلُونَ الرَّمَالَ؛ رَمَلٌ عَالِجٌ^(٦)، وَكَانُوا أَهْلَ بَسَاتِينَ وَزُرُوعٍ وَعِمَارَةٍ، وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ أَخْصَبَ الْبِلَادِ، فَسَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ فَجَعَلَهَا مَفَاوِزَ، وَكَانَتْ - فِيهَا رُؤْيٍ - بِنَوَاحِي حَضْرَمَوْتِ إِلَى الْيَمَنِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ. وَلَحِقَ هُوْدٌ حِينَ أَهْلَكَ قَوْمَهُ بِمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِمَكَّةَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى مَاتُوا^(٧).

﴿إِنَّا لَنَرُّنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أَي: فِي حُمْقٍ وَخِفَّةِ عَقْلِ. قَالَ:

مَشِينٌ كَمَا اهْتَرَّتْ رِمَاحٌ تَبَفَّهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيَاحِ الشَّوَامِسِ^(٨)

(١) أخرجه الطبري ٢٦٨/١٠، وليس فيه: ابن شالغ بن أرفخشذ. ولم ترد كذلك في المحيّر ص ٣٨٤ والمتنظم ٢٥٢/١، وعرائس المجالس ص ٦٢.

(٢) في (خ) و(د) و(م): الجلود. وفي (ز): الحلود. والمثبت من (ظ). وهو الموافق لتاريخ الطبري ٢١٦/١، وعرائس المجالس ص ٦٣، والمتنظم ٢٥٢/١ وقال: بضم الخاء واللام، كذلك رأيت... ويقال: بالجم المكسورة واللام المفتوحة.

(٣) عرائس المجالس ص ٦٣.

(٤) ذكرها الرازي في تفسيره ٢٣/٢٩ دون نسبة، وهي من الآية (٥٠) في سورة النجم.

(٥) في (م): والنصب.

(٦) في مجمع البيان ٩٦/٣: الأحقاف، وهي رمال يقال لها: رمل عالج.

(٧) تفسير الطبري ٢٦٨/١٠، والمحزر الوجيز ٤١٨/٢، ومجمع البيان ٩٦/٣.

(٨) قاله ذو الرمة. وتقدم ٣١١/١.

وقد تقدّم هذا المعنى في «البقرة» [الآية: ١٣].

والرؤية هنا وفي قصة نوح قيل: هي من رؤية البصر. وقيل: يجوز أن يراد بها الرأي؛ الذي هو أغلبُ الظنِّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ «خلفاء» جمع خليفة على التذكير والمعنى، وخلائف على اللفظ^(١)؛ مَنْ عَلَيْهِمْ بَأَن جَعَلَهُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ^(٢).

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ ويجوز «بسطة» بالصاد؛ لأنَّ بعدها طاء^(٣)، أي: طولاً في الخلق وعظم الجسم. قال ابن عباس: كان أطولهم مئة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعاً^(٤). وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم. وقيل: على خلق قوم نوح. قال وهب: كان رأسُ أحدهم مثلَ قَبَّةِ عَظِيمَةٍ، وكانَ عَيْنُ الرَّجُلِ يَفْرُخُ فِيهَا السُّبَاعَ، وكذلك مناخرهم^(٥).

وَرَوَى شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِ عَادٍ لِيَتَّخِذَ^(٦) الْمِصْرَاعِينَ مِنْ حِجَارَةٍ، لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا خَمْسُ مِئَةٍ^(٧) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَمْ يَطِيقُوهُ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَغْمِزُ بِقَدَمِهِ^(٨) الْأَرْضَ فَتَدْخُلَ فِيهَا^(٩).

﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نِعَمَ اللَّهِ، واحداً: إِلَى وَإِلَى وَإِلَى وَإِلَى؛ كَالْأَنَاءِ؛

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٣٦/٢ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٦٦/١٠ عن السدي وابن إسحاق. وينظر المحرر الوجيز ٤١٧/٢ .

(٣) قرأ قبيل وحفص وهشام وأبو عمرو وحزمة بخلاف عن خلاد بالسين، وباقي السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني لخلاد. السبعة ص ١٨٥ - ١٨٦ ، والتيسير ص ٨١ .

(٤) ذكره أبو الليث في تفسيره ٥٥٠/١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٢/٣ .

(٥) تفسير البغوي ١٧٠/٢ ، وهذه الأخبار من الإسرائيليات .

(٦) في (م): يتخذ. والمثبت من النسخ الخطية موافق لتفسير الطبري ١٣٧/٢٢ .

(٧) في (د) و(ز) و(م): خمس مئة رجل. والمثبت من (خ) و(ظ) وهو الموافق لتفسير الطبري.

(٨) في (د) و(ز) و(م): برجله. والمثبت من (خ) و(ظ).

(٩) أخرجه الطبري ١٣٧/٢٢ - ١٣٨ . وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٣٦/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد. وشهر بن حوشب كثير الإرسال والأوهام؛ كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب .

واحدما: إني وإني وإنتو وأنى. ﴿لَمَلَكُوا تَلْحُونُ﴾ تقدم^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحَدْرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ وَإِنَّا لَنَاقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَيبٌ فَأَنْجِلُونِي فَتِ اسْمَاو سَمِيْتُوهُمَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤَكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٦٦﴾ فَأَجْبَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ يُرْحَمُوهُمْنَا وَقَطَمْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

طلبوا العذاب الذي خوفهم به وحذرهم منه، فقال لهم: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ﴾. ومعنى وقع، أي: وجب. يقال: وقع القول والحكم، أي: وجب، ومثله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْسُ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي: نزل بهم. ﴿وَلِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢]. والرَّجْسُ: العذاب. وقيل: عُني بالرجس الرِّينُ على القلب بزيادة الكفر. ﴿أَنْجِلُونِي فَتِ اسْمَاو سَمِيْتُوهُمَا﴾ يعني الأصنام التي عبدوها، وكان لها أسماء مختلفة. ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حُجَّةٍ لكم في عبادتها، فالاسم هنا بمعنى المسمَّى، نظيره: ﴿مَا تَقْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمِيْتُوهُمَا﴾ [يوسف: ٤]. وهذه الأسماء مثل العزَّى من العزِّ والأعزِّ، واللَّات، وليس لها من العزِّ والإلهية شيء. ﴿دَائِرَ﴾: آخر، وقد تقدم^(٢)، أي: لم يبقَ لهم بقية.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآتِيَنَّهُمْ نَارٌ مِّنْ تَحْتِهَا يَصْعَدُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسْوَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٩﴾

وهو ثمود بن عاد^(٣) بن إرم بن سام بن نوح. وهو أخو جدريس، وكانوا في سَعَوِ

(١) ٢٧٧/١.

(٢) ٤٢٧/٦.

(٣) كذا في الأصول الخطية (م) والعرائس ص ٦٨، وعنه نقل المصنف. وفي تاريخ الطبري ٢٢٦/١، وفي تفسيره ٢٨٢/١٠، والمحبر لابن حبيب ص ٣٨٤، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٦٢: جائر. وفي الكشف ٨٩/٢، وتفسير البيهقي ١٧٣/٢: عابر. وفي المحرر الوجيز ٤٢٠/٢: غائث.

من معاشيهم، فخالفوا أمر الله، وعبدوا غيره، وأفسدوا في الأرض، فبعث الله إليهم صالحاً نبياً؛ وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح^(١) بن عبيد بن حاذر^(٢) بن ثمود، وكانوا قوماً غريباً، وكان صالح من أوسطهم نسباً، وأفضلهم حسباً، فدعاهم إلى الله تعالى حتى شَمِط^(٣)، ولا يتبعه منهم إلا قليلٌ مستضعفون^(٤).

ولم ينصرف «ثمود» لأنه جعل اسماً للقبيلة. وقال أبو حاتم: لم ينصرف لأنه أعجمي^(٥). قال النحاس^(٦): وهذا غلط؛ لأنه مشتق من الثَّمَد، وهو الماء القليل. وقد قرأ القراء: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾^(٧) [هود: ٦٨] على أنه اسم للحَيِّ.

وكانت مساكنُ ثمود الحِجْرَ بين الحجاز والشام إلى وادي القرى. وهم من ولد سام بن نوح.

وسُمِّيت ثمود لقلعة ماثها^(٨). وسيأتي بيانه في «الحجر»^(٩) إن شاء الله تعالى.

﴿هَذِيذٌ نَأَقَةُ اللَّهِ لَكُمُ آيَةٌ﴾ أخرج لهم الناقة حين سألوه من حَجَرِ صُلْد، فكان لها يومٌ تشرب فيه ماء الوادي كله، وتسقيهم مثله لبناً؛ لم يُشْرَب قطُّ الذُّ وأحلى منه، وكان بقدر حاجتهم على كثرتهم؛ قال الله تعالى: ﴿لَمَّا شَرِبُوا وَلَكُرَّ شَرِبُهُمْ يَوْمَ﴾

(١) في (خ) و(ز): ما اسخ. وفي تاريخ الطبري ٢٢٦/١: ماسخ. وفي (م): كاشح. وسقطت من (د). والمثبت من (ظ) وهو الموافق للعرائس ص ٦٨، وتفسير البغوي ١٧٣/٢.

(٢) في (خ) و(ز) و(ظ): حادر. وفي تاريخ الطبري ٢٢٦/١، وتفسير البغوي ١٧٣/٢: خادر. والمثبت من (د) و(م)، وهو الموافق للعرائس ص ٦٨.

(٣) الشَّمَط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. مختار الصحاح (شِط).

(٤) عرائس المجالس ص ٦٨. وينظر تفسير الطبري ٢٨٦/١٠.

(٥) في (د) و(م): اسم أعجمي.

(٦) في إعراب القرآن، وما قبله منه.

(٧) قرأ حفص وحمزة: «ثمود» بغير تنوين، والباقون بالتنوين. السبعة ص ٣٣٧، والتيسير ص ١٢٥.

(٨) نسب هذا القول البغوي ١٧٤/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٣/٣، والشعلبي في العرائس ص ٦٨ لأبي عمرو بن العلاء.

(٩) عند تفسير الآية (٨٠) منها.

مَقْلُوبٍ ﴿ [الشعراء: ١٥٥].

وأضيفت الناقطة إلى الله عزَّ وجلَّ على جهة إضافة الخلق إلى الخالق، وفيه معنى التشريف والتخصيص^(١).

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ﴾ أي: ليس عليكم رزقها ومؤنتها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْجُذُوتَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا وَنَجْحُوتَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَسْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه محذوف، أي: وبوأكم في الأرض منازل. ﴿تَنْجُذُوتَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا﴾ أي: تبنون القصور بكل موضع^(٣). ﴿وَنَجْحُوتَ الْجِبَالِ يَبُوتًا﴾ اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم؛ فإنَّ السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم^(٤).

وقرأ الحسن بفتح الحاء، وهي لغة، وفيه حرف من حروف الحلق؛ فلذلك جاء على فَعَلٍ يَفْعَلُ^(٥).

الثانية: استدللَّ بهذه الآية من أجاز البناء الرفيع كالقصور ونحوها، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الاعراف: ٣٢]. ذكر أنَّ ابناً لمحمد ابن سيرين بنى داراً، وأنفق فيها مالاً كثيراً؛ فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال: ما أرى بأساً أن يبني الرجلُ بناءً ينفعه.

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٢١، وتفسير الرازي ١٤/١٦٣.

(٢) الوسيط للواحد ٢/٣٨٣.

(٣) نسب الواحد ٢/٣٨٣ هذا القول لابن عباس.

(٤) الواحد ٢/٣٨٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٧. وزاد ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٤ نسبة القراءة للأعرج.

وَرُوي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ أَحَبَّ أَنْ يُرَى أَنْتَرُ النُّعْمَةَ عَلَيْهِ»^(١). ومن آثار النعمة البناء الحسن، والثياب الحسنة، ألا ترى أنه لو اشترى جارية جميلة بمالٍ عظيم؛ فإنه يجوز، وقد يكفيه دون ذلك؛ فكذلك البناء. وكره ذلك آخرون، منهم الحسنُ البصريُّ وغيره، واحتجُّوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعِيداً شَرّاً أَهْلَكَ مَالَهُ فِي الطَّيْنِ وَاللِّينِ»^(٢)، وفي خبر آخر عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ بَنَى فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ؛ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمَلُهُ عَلَى عُنُقِهِ»^(٣).

قلت: بهذا أقول؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «وما أنفق المؤمن من نفقة، فإن

(١) أخرجه أحمد (٨١٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه أيضاً أحمد (٦٧٠٨)، والترمذي (٢٨١٩) من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الترمذي: حديث حسن. وأخرجه أيضاً أحمد (١٩٩٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٢٠٠) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ (١٧٥٥)، وفي الأوسط (٩٣٦٥)، وفي الصغير (١١٢٧)، ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٣٨١ من حديث جابر رضي الله عنه، ولفظه: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعِيداً شَرّاً خَضَّرَ لَهُ فِي اللَّيْنِ وَالطَّيْنِ حَتَّى يَبْنِي» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٩: رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني؛ ولم أجد من ضعفه. وجرَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب عقب (٢٧٩٤).

وأخرجه بنحوه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٧١ من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو يحيى الوقار المصري، قال ابن عدي: كان يضع الحديث ويوصلها.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٤)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٢٠) من حديث محمد بن بشر الأنصاري، بنحوه وقال: لا يروى إلا بهذا الإسناد.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ (١٠٢٨٧)، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٨٤، وابن جميع الصيدائوي في معجم الشيوخ ص ١١٥، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٤٦ و ٢٥٢، والبيهقي في الشعب (١٠٧١١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. قال ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١١٥ - ١١٦: حديث باطل لا أصل له بهذا الإسناد. وقال المنذري في الترغيب والترهيب عقب (٢٧٩٦): رواه الطبراني في الكبير من رواية المسيب بن واضح، وهذا الحديث مما أنكر عليه، وفي سنده انقطاع. وقال الذهبي في الميزان ٤/ ١١٦: هذا حديث منكر.

خَلَقَهَا عَلَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ؛ [فَاللَّهُ] ضَامِنٌ^(١)، إِلَّا مَا كَانَ فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ. رواه جابر بن عبد الله، وخَرَّجَهُ الدَّارِقُطَنِيُّ^(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس لابنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٍ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفٍ الْخَبِيزِ وَالْمَاءِ» أخرجه الترمذي^(٣).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ أي: نِعَمَهُ. وهذا يدلُّ على أَنَّ الكفار مُنْعَمٌ عليهم. وقد مضى في «آل عمران»^(٤) القولُ فيه.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ تقدّم في البقرة^(٥). والعِشِيُّ والعُثُوُّ لغتان. وقرأ الأعمش: «تَعْتَوُوا» بكسر التاء، أخذه من عَثِيَ يَعْتَى، لا من عَثَا يَعْتُو^(٦).

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَقْتَلُونَ أَنك صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّكَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ الثاني بدلٌ من الأوّل، لأنّ المستضعفين هم المؤمنون. وهو بدلٌ البعض من الكلّ.

(١) ما بين حاصرتين من المستدرك للحاكم ٥٠/٢، ولفظ «ضامن» من (ظ).

(٢) في سننه (٢٨٩٥) وأوله: «كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله ونفسه؛ كتب له صدقة، وما وقى الرجل به عرضه؛ كتب له به صدقة...» وأخرجه بتامه أبو يعلى في مسنده (٢٠٤٠)، والحاكم في المستدرك ٥٠/٢.

(٣) في سننه (٢٣٤١) من حديث عثمان بن عفان ؓ، وأخرجه أيضاً أحمد (٤٤٠)، وهو حديث لا يصح كما سلف الكلام ٥٧/٥.

(٤) ٤٨٢/٥.

(٥) ١٤٢/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢ وقد كسر الله في المضارع، لأن ماضيه مكسور العين، وهي لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز. الكتاب ١١٠/٤، وانظر تفسير الآية (١١٧) الآتي. عند قوله: تلقف ما يأفكون. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦ قراءة الأعمش (في سورة البقرة الآية ٦٠).

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آثَانَا بِمَا
 قَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ
 ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنفُورُوا لَقَدْ أُنبِئْتُمْكُمْ رَسُولًا مِنِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا
 تَنصِتُونَ إِلْتِصَابِ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ العقر: الجرح. وقيل: قطع عضو يؤثر في النفس.
 وعقرت الفرس: إذا ضربت قوائمه بالسيف. وخيل عقرى^(١). وعقرت ظهر الدابة: إذا
 أذبرته.

قال امرؤ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
 عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلي^(٢)
 أي: جرحته وأذبرته. قال الفشيري: العقر كسف^(٣) عرقوب البعير، ثم قيل
 للنحر: عقر؛ لأن العقر سبب النحر في الغالب.

وقد اختلف في عاقر الناقة على أقوال؛ أصحها ما في صحيح مسلم من حديث
 عبد الله بن زُمعة قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال:
 ﴿إِذْ أُبْعِثَ أَشَقْنَهَا﴾ [الشمس: ١٢]؛ انبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارِمٌ مَنيعٌ في رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي
 زُمَعَةَ وذكر الحديث^(٤).

وقيل في اسمه: قُدار بن سالف.

وقيل: إن مُلكهم كان إلى امرأة يقال لها: ملكا، فحسدت صالحاً لما مال إليه

(١) في النسخ الخطية: عقارى. والمثبت من (م)، وهو الموافق لمجمل اللغة ٦٢١/٢ والكلام منه.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١١. والغبيط: الرُّحْل، وهو للنساء، يشدُّ عليه اليهودج، واللسان (غبط).

(٣) في (ظ): كسر، وكذا في فتح القدير ٢٢٠/٢. وفي (م): كشف؛ وينظر تهذيب اللغة ١/٢١٥. قال
 في اللسان (كسف): الكسف: قطع العرقوب... وكسف عرقوبه: قطع عصبته دون سائر الرُّجُل.

(٤) صحيح مسلم (٢٨٥٥). وأخرجه أيضاً البخاري (٤٩٤٢)، وأحمد (١٦٢٢٢) والدارم: الخبيث الشرير.
 النهاية (عرم). وأبو زُمَعَةَ المذكور: هو الأسود بن المطلب بن أسد، أحد المستهزئين، مات على كفره
 بمكة، وهو جدُّ عبد الله بن زُمعة راوي الحديث. الفتح ٧٠٦/٨.

الناس، وقالت لامرأتين كان لهما خليلان يعشقانهما: لا تطيعاهما، واسألاهنا عقر الناقة، ففعلتنا. وخرج الرجلان وألجأ الناقة إلى مضيق، ورماها أحدهما بسهم، وقتلها. وجاء السقُب - وهو ولدها - إلى الصخرة التي خرجت الناقة منها فرغاً ثلاثاً، وانفجرت^(١) الصخرة، فدخل فيها؛ فيقال: إنه الدابة التي تخرج في آخر الزمان على الناس؛ على ما يأتي بيانه في النمل^(٢).

وقال ابن إسحاق: اتبع السقُب أربعة نفر ممن كان عقر الناقة، مضدع وأخوه دؤاب، فرماه مضدع بسهم فانتظم قلبه، ثم جرّه برجله فألحقه بأمه، وأكلوه معها^(٣). والأول أصح. وإن صالحاً قال لهم: إنه بقي من عمركم ثلاثة أيام، ولهذا رَغَا ثلاثاً. وقيل: عقرها عاقرها ومعه ثمانية رجال، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَاكَ فِي الْبَدِينِ بَعَثَ رَهْطًا﴾ [النمل: ٤٨] على ما يأتي بيانه في «النمل»^(٤). وهو معنى قوله: ﴿فَنَادُوا صَالِحًا فَغَاظُنْهُمْ فَغَمَّرُوا﴾ [القمر: ٢٩]. وكانوا يشربون، فأعوزهم الماء ليمزجوا شرابهم، وكان يوم لبن الناقة، فقام أحدهم وترصد الناقة^(٥) وقال: لأريحن الناس منها، فعقرها.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَوْا عَنْ أُمَّي رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا. عَتَا يَعْتُو عُتْوًا، أي: استكبر. وَتَعَتَّى فلان: إذا لم يُطع. والليل العاتي: الشديد الظلمة؛ عن الخليل^(٦). ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَادِيَنَا بِمَا قَدَدْنَا﴾ أي: من العذاب. ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ﴾ أي: الزلزلة الشديدة^(٧). وقيل: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم؛ كما في سورة هود في

(١) في (م): انفجرت.

(٢) عند تفسير الآية (٨٢) منها. وينظر عرائس المجالس ص ٧١.

(٣) العرائس ص ٧٢.

(٤) عند تفسير الآية (٤٨) منها.

(٥) في (خ): للناس. وفي (ز) و(م): الناس، ولم توجد في (د) والمثبت من (ظ).

(٦) كتاب العين ٢/٢٢٦.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٣٥٠.

قصة ثمود: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [٦٧] (١). يقال: رَجَفَ الشيءُ، يَرْجُفُ رَجْفًا وَرَجْفَانًا. وأرجفت الريحُ الشجرَ: حَرَّكته (٢). وأصله: حركة مع صوت؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ﴾ [النازعات: ٦]. قال الشاعر:

ولمَّا رأيتُ الحجَّ قد آنَ وقتهُ وظلَّتْ مطايا القومِ بالقومِ تَرْجُفُ (٣)

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي: بلدهم. وقيل: وُحِدَ على طريق الجنس، والمعنى: في دورهم. وقال في موضع آخر: ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ [هود: ٦٧ و٩٤] أي: في منازلهم.

﴿جَنَّتَيْنِ﴾ أي: لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم؛ كما يجثم الطائر، أي: صاروا خامدين من شدَّة العذاب. وأصل الجُثوم للأنب وشبهها، والموضع مَجْثَمٌ. قال زهير:

بها العينُ والآرامُ يَمْشِينِ خِلْفَةً وأطلاؤها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٤)

وقيل: احترقوا بالصاعقة فأصبحوا مَيِّتِينَ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله؛ فلمَّا خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه (٥).

﴿مَقُولًا عَنْهُمْ﴾ أي: عند اليأس منهم. ﴿وَقَالَ يَنْقَرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ﴾. يحتمل أنه قال ذلك قبل موتهم، ويحتمل أنه قاله بعد موتهم؛ كقوله

(١) في النسخ: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾. وهي من سورة الحجر الآية (٨٣)، وليست في سورة هود.

(٢) تهذيب اللغة ٤٢/١١ - ٤٣.

(٣) لم تقف عليه بهذا اللفظ، وذكر نحوه السمين في الدر المصون ٣٦٨/٥ ونسبه لابن أبي ربيعة؛ ولم تقف عليه في ديوانه، وينظر البحر المحيط ٣١٥/٤.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٩/٣. والبيت في ديوان زهير ص ٥، وقال ثعلب شارحه: «العين: البقر، الواحدة عيناء، والذكر أمين. والآرام: الظباء البيض الخوالص البيضاء. وخِلْفَةً: إذا مضى فوج جاء آخر. والطلأ: ولد البقرة، وولد الظبية الصغير. وقوله: «ينهضن من كل مجثم»: أراد أنهن يُنْشَرْنَ أولادهن إذا أرضعنهن، ثم يَرْعَيْنَ، فإذا ظننَّ أنَّ أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن؛ صَوَّرْنَ بأولادهن، فينهضن للأصوات لبشرين.

(٥) أخرجه أحمد (١٤١٦٠) من حديث جابر مرفوعاً، وأبو داود (٣٠٨٨) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً. والرجل هو أبو رغال.

عليه الصلاة والسلام لِقَتْلِي بَدْر: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فقيل: أَتَكْلُم هؤلاء الجِيفَ؟! فقال: «ما أنتم بأَسْمَعَ منهم، ولكنهم لا يُقَدِّرون على الجواب»^(١). والأوَّل أظهر؛ يدلُّ عليه: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ أي: لم تقبلوا نُصْحِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِيهِ أَتَأْتُونَ الْفَنَاحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَلْوَتِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِيهِ﴾ قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أَلَيْطٌ بقلبي، أي: أَلِصَقٌ^(٣). وقال النحاس^(٤): قال الزجاج^(٤): زعم بعض النحويين - يعني الفراء - أنَّ لوطاً يجوز أن يكون مشتقاً من لَطَّتُ الحوض: إذا مَلَسَتْه بالطين. قال: وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تُشْتَقُّ، كإسحاق، فلا يقال: إنه من السُّحْق، وهو البُعد.

وإنما صُرف «لوط» لِحِقَّتْهُ؛ لأنه على ثلاثة أحرف، وهو ساكنُ الوسط^(٥).

قال النقَّاش: «لوط» من الأسماء الأعجمية، وليس من العربية.

فأما لَطَّتُ الحوضَ، وهذا أَلَيْطٌ بقلبي من هذا، فصحيح. ولكن الاسم أعجمي، كإبراهيم وإسحاق^(٦).

(١) أورده بهذا اللفظ الواحد في الوسيط ٢/ ٣٨٥. وأخرجه بنحوه أحمد (١٨٢)، ومسلم (٢٨٧٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأخرجه أيضاً أحمد (٤٨٦٤)، والبخاري (١٣٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٠٢٠)، ومسلم (٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه أحمد (٢٦٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لم نقف عليه في معاني القرآن للفراء، وذكره النحاس والزجاج، كما سيأتي.

(٣) في إعراب القرآن ٢/ ١٣٧.

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢.

(٥) الصحاح (لوط)، وتفسير الرازي ١٤/ ١٦٨.

(٦) هذا الكلام للزجاج، وهو تمة كلامه السابق.

قال سيويه^(١): نُوحٌ وَلُوطٌ أسماءٌ أعجمية، إلا أنها خفيفة؛ فلذلك صُرِفَتْ. بعثه الله تعالى إلى أُمَّةٍ تُسَمَّى سَدُومَ، وكان ابنُ أخِي إبراهيمَ^(٢). ونَضِبُهُ إما بـ «أرسلنا» المتقدِّمة^(٣) فيكونُ معطوفاً. ويجوز أن يكونَ منصوباً بمعنى: واذكُرْ^(٤). الثانية: قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني: إثباتَ الذُّكُورِ. ذكرها الله باسم الفاحشة ليبينَ أنها زنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢].

واختلف العلماء فيما يجب على مَنْ فعل ذلك، بعد إجماعهم على تحريمه، فقال مالك: يُرْجَمُ؛ أَحْصَنَ أو لم يُحْصَن. وكذلك يُرْجَمُ المفعولُ به إن كان مُحْتَلِماً. وروى عنه أيضاً: يُرْجَمُ إن كان مُحْصَناً، ويُجسبُ ويؤدَّب إن كان غيرَ مُحْصَن. وهو مذهب عطاءٍ والنخعيِّ وابنِ المسيَّب وغيرهم^(٥). وقال أبو حنيفة: يُعزَّرُ المُحْصَنُ وغيره؛ وروى عن مالك. وقال الشافعي: يحدُّ حدَّ الزَّنى قياساً عليه. احتجَّ مالكٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَاباً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]. فكان ذلك عقوبةً لهم وجزاءً على فعلهم.

فإن قيل: لا حُجَّةَ فيها لوجهين: أحدهما: أنَّ قومَ لوطٍ إنما عُوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم. الثاني: أنَّ صغيرهم وكبيرهم دخل فيها؛ فدلَّ على خروجها من باب الحدود.

قيل: أمَّا الأوَّلُ فغلَطَ؛ فإنَّ الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها؛ منها هذه. وأمَّا الثاني؛ فكان منهم فاعلٌ، وكان منهم راضٍ، فعُوقب

(١) الكتاب ٣/ ٢٣٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٤٢٤، وينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٤.

(٣) عند قوله تعالى: «لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه...» الآية (٥٩).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣٧.

(٥) نقل عنهم ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٧٧٦ أن مذهبهم: الرجم أحسن أو يحسن.

الجميع؛ لسكوت الجماهير عليه. وهي حكمة الله وسنته في عباده. وَيَقِيْ أَمْرُ الْعُقُوْبَةِ عَلَى الْفَاعِلِينَ مُسْتَمِرًّا. والله أعلم.

وقد رَوَى أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ». لفظ أبي داود وابن ماجه^(١). وعند الترمذي: «أَخْصَنَا أَوْ لَمْ يُحْصَنَا»^(٢).

وروى أبو داود والدارقطني عن ابن عباس في البكر يُوجد على اللوطية، قال: يُرْجَمُ^(٣).

وقد رَوَى عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه حرق رجلاً يُسَمَّى الْفُجَاءَةَ حِينَ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ بِالنَّارِ^(٤). وهو رأي علي بن أبي طالب، فإنه لما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر في ذلك، جمع أبو بكر أصحاب النبي ﷺ واستشارهم فيه، فقال علي: إن هذا الذنب لم تنص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة؛ صنع الله بها ما علمتم، أرى أن يُحرق بالنار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار، فأحرقه^(٥). ثم أحرقهم ابن الزبير في زمانه^(٦). ثم

(١) سنن أبي داود (٤٤٦٢)، وسنن ابن ماجه (٢٥٦١)، وسنن الترمذي (١٤٥٦)، وسنن النسائي الكبرى (٧٢٩٧)، وسنن الدارقطني (٣٢٣٤)، وهو في مسند أحمد (٢٧٣٢) كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به. ولفظ النسائي: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط» ثلاثاً. قال البخاري - كما في العلل الكبير للترمذي ٦٢٢/٢ -: عمرو بن أبي عمرو صدوق، ولكن روى عن عكرمة تناكير. قال الترمذي: ولم يذكر في شيء من ذلك أنه سمع من عكرمة. وقال ابن معين: عمرو ثقة، يُنكر عليه حديث عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به» ميزان الاعتدال ٢٨٢/٣. وينظر الكلام السالف في هذه المسألة في أحكام القرآن لابن العربي ٧٧٧/٢.

(٢) لم نقف على هذا اللفظ عند الترمذي، وأخرجه البزار من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه عاصم بن عمر العمري، فيما ذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٥٥/٤، وقال: لا يصح، وعاصم متروك.

(٣) سنن أبي داود (٤٤٦٣)، وسنن الدارقطني (٣٢٣٥)، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (٧٢٩٨).

(٤) المحرر الوجيز ٤٢٥/٢.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٢/٨.

(٦) ذكره ابن المنذر في الإشراف ٣٦/٢.

أحرقهم هشام بن الوليد. ثم أحرقهم خالد القسريُّ بالعراق^(١).

وروي أنّ سبعة أخذوا في زمن ابن الزبير في لواط، فسأل عنهم، فوجد أربعة قد أخصنوا، فأمر بهم، فخرجوا بهم^(٢) من الحرم، فرجموا بالحجارة حتى ماتوا، وحدّ الثلاثة؛ وعنده ابن عباس وابن عمر فلم يُنكرَا عليه^(٣). وإلى هذا ذهب الشافعي^(٤).

قال ابن العربي: والذي صار إليه مالكٌ أحقُّ، وهو أصحُّ سنداً وأقوى مُعتمداً. وتعلّق الحنفيون بأن قالوا: عقوبة الزنى معلومة، فلما كانت هذه المعصية غيرها، وجب ألا تُشاركها في حدّها، ويأثرون في هذا حديثاً: «مَنْ وضع حدّاً في غير حدِّ، فقد تعدّى وظلم»^(٥). وأيضاً فإنه وطئ^(٦) في فرج لا يتعلّق به إحلالٌ ولا إحصان، ولا وجوبٌ مهر ولا ثبوتٌ نسب، فلم يتعلّق به حدٌّ^(٧).

الثالثة: فإن أتى بهيمةً، فقد قيل: لا يُقتل هو ولا البهيمة. وقيل: يقتلان؛ حكاه ابنُ المُنذِر^(٨) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. وفي الباب حديثٌ رواه أبو داود والدارقطني عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ وقع على بهيمةٍ فاقتلوه واقتلوا البهيمةَ معه». فقلنا لابن عباس: ما شأنُ البهيمة؟ قال: ما أراه قال ذلك إلا أنه كرهه أن يُؤكل لحمها وقد عمِلَ بها ذلك العمل^(٩).

(١) المحلى ٣٨١/١١. وخالد القسري: هو خالد بن عبد الله الدمشقي، أبو الهيثم، أمير العراقيين لهشام ابن الوليد، توفي سنة (١٢٦هـ). السير ٤٢٥/٥.

(٢) في النسخ: فخرج بهم، والمثبت من (م).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٣/٨.

(٤) لم تقف عليه، وسلف أن الشافعي يقول فيمن فعل ذلك: يُحد حدّ الزاني، وهو كذلك في الإشراف ٣٦/٢، والاستذكار ٧٨/٢٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٧٦/٢.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٧/٨، وقال: المحفوظ هذا الحديث مرسل.

(٦) في (م): وطء.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٧٧٦/٢-٧٧٧.

(٨) في الإشراف ٣٧/٢.

(٩) سنن أبي داود (٤٤٦٤)، وسنن الدارقطني (٣٢٣٧)، وأخرجه الترمذي (١٤٥٥)، والنسائي في الكبرى (٧٣٠٠). والمرفوع منه عند أحمد (٢٤٢٠).

قال ابن المنذر^(١): **إِنَّ يَكُ الْحَدِيثُ ثَابِتاً، فَالْقَوْلُ بِهِ يَجِبُ، وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيراً، وَإِنْ عَزَّرَهُ الْحَاكِمُ كَانَ حَسَناً. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.**
وقد قيل: **إِنَّ قَتْلَ الْبَهِيمَةِ لَثَلَا تُلْقَى خَلْقاً مُشَوَّهاً؛ فَيَكُونُ قَتْلُهَا مصلحةً لهذا المعنى مع ما جاء من السنة. والله أعلم.**

وقد روى أبو داود عن ابن عباس قال: **ليس على الذي زنى بالبهيمة حدٌ.** قال أبو داود: **وكذا قال عطاء. وقال الحكم: أرى أن يجلد ولا يبلغ به الحد.** وقال الحسن: هو بمنزلة الزاني^(٢).

وقال الزهري: **يُجْلَدُ مئة؛ أَحصَنَ أَوْ لَمْ يُحصَن.** وقال مالك والثوري وأحمد وأصحاب الرأي: **يعزَّر.** وروى عن عطاء والنخعي والحكم. واختلفت الروايات^(٣) عن الشافعي، وهذا أشبه على مذهبه في هذا الباب^(٤). وقال جابر بن زيد: **يُقام عليه الحد، إلا أن تكون البهيمة له.**

الرابعة: قوله تعالى: **﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَلِّينَ الْفٰلٰكِينَ﴾** «مين» لاستغراق الجنس، أي: **لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط. والمُلجِدون يزعمون أن ذلك كان قبلهم. والصدق ما ورد به القرآن.**

وحكى النقاش أن إبليس كان أضلَّ عملهم، بأن دعاهم إلى نفسه لعنه الله، فكان ينكح بعضهم بعضاً. قال الحسن^(٥): **كانوا يفعلون ذلك بالغرائب^(٦)، ولم يكن يفعله بعضهم ببعض.**

(١) في الإشراف ٣٧/٢ - ٣٨ .

(٢) سنن أبي داود (٤٤٦٥)، وأخرجه الترمذي (١٤٥٥).

(٣) في (م): الرواية.

(٤) في الإشراف ٣٧/٢ (والكلام منه): **واشبه عليّ مذهب الشافعي في هذا الباب، لأن الروايات قد اختلفت عنه . اهـ .**

(٥) في (ز) و(د): **النحاس .**

(٦) **المحرر الوجيز ٤٢٤/٢ .**

وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»^(١). وقال محمد بن سيرين: ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ أَرْجَالُ شَهْوَةٍ مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾^(٣)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ﴾ قرأ نافع وحفص على الخبر بهمزة واحدة مكسورة، تفسيراً للفاحشة المذكورة، فلم يحسن إدخال الاستفهام عليه؛ لأنه يقطع ما بعده ممّا قبله. وقرأ الباقران بهمزتين على لفظ الاستفهام^(٣) الذي معناه التوبيخ، وحسن ذلك؛ لأن ما قبله وبعده كلام مستقل.

واختار الأوّل أبو عبيد والكسائي وغيرهما؛ واحتجوا بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ لَمُتْلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ولم يقل: أفهم؟ وقال: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ولم يقل: أنقلبتم؟ وهذا من أقبح العَلَط؛ لأنهما شبها شيئين بما لا يشبهان؛ لأن الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد، كالمبتدأ والخبر؛ فلا يجوز أن يكون فيهما استفهامان. فلا يجوز: أفإن مِتَّ أفهم؟ كما لا يجوز: أزيد أمنطلق؟ وقصة لوط عليه السلام فيها جملتان، فلك أن تستفهم عن كل واحد منهما. هذا قول الخليل وسيبويه، واختاره النحاس ومكي وغيرهما^(٤).

﴿شَهْوَةٌ﴾ نصب على المصدر، أي: تشتهونهم شهوةً. ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال^(٥).

(١) سنن ابن ماجه (٢٥٦٣)، وأخرجه أحمد (١٥٠٩٣)، والترمذي (١٤٥٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٣٢. وسلف ١١٩/٧.

(٣) السبعة ص ٢٨٥، والتيسير ص ١١١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢ - ١٣٨، وينظر الكشف عن وجوه القرآيات السبع ٤٦٨/١.

(٥) تفسير الرازي ١٦٨/١٤.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ نظيره: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦] في جمعكم إلى الشُّرك هذه الفاحشة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنظَهُرُونَ ﴿٨٧﴾ فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْقَائِرِينَ ﴿٨٨﴾﴾
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لوطاً وأتباعه. ومعنى «يَنْظَهُرُونَ» عن الإتيان في هذا المآتى. يقال: تطهَّر الرجل، أي: تنزَّه عن الإثم. قال قتادة: عابوهم - والله - بغير عيب^(١).

﴿مِنَ الْقَائِرِينَ﴾ أي: الباقيين في عذاب الله، قاله ابن عباس وقتادة^(٢). عَبَّرَ الشيء إذا مَضَى، وَعَبَّرَ إذا بَقِيَ، وهو من الأضداد. وقال قوم: الماضي: عابر، بالعين غير مُعْجَمَة. والباقي: غابر، بالغين معجمة. حكاه ابن فارس في «المجمل»^(٣). وقال الرَّجَاج^(٤): «مِنَ الْغَابِرِينَ» أي: من الغائبين عن النجاة، وقيل: لطول عمرها.

قال النحاس: وأبو عبيدة يذهب إلى أَنَّ المعنى: من المُعَمَّرِينَ؛ أي: إنها قد هَرِمَتْ. والأكثر في اللغة أن يكونَ الغابِرُ الباقي، قال الراجز:
فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا عَبَّرَ^(٥)

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾
سَرَى لُوطٌ بِأَهْلِهِ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ: ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]، ثم أمر جبريلَ

(١) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٠.

(٢) أخرجه الطبري ٣٠٩/١٠.

(٣) ٦٩٠/٣.

(٤) في معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥١/٣، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/١. والرجز للمعراج، وهو في ديوانه ص ٦٧. قال شارحه الأصمعي: فما وَنَى: فما فتر.

عليه السلام، فأدخل جناحه تحت مدانتهم فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة وتباح الكلاب، ثم جعل عاليها سافلها، وأمطرت عليهم حجارة من سجيل، قيل: على من غاب منهم. وأدرك امرأة لوط - وكانت معه - حجر فقتلها. وكانت - فيما ذكر - أربع قرى. وقيل: خمس، فيها أربع مئة ألف^(١). وسيأتي في سورة هود^(٢) قصة لوط بأبين من هذا، إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَلِإِن مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَحْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا الْمَالَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ. وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا نَّكَرْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ. وَطَآئِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلِإِن مَدِينٌ﴾ قيل في «مدين»: اسم بلد وقطر. وقيل: اسم قبيلة، كما يقال: بكر وتميم. وقيل: هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام. فمن رأى أن «مدين» اسم رجل لم يصرِّفه؛ لأنه معرفة أعجمي. ومن رآه اسماً للقبيلة أو الأرض، فهو أحرى بأن لا يصرِّفه. قال المهدي: ويرى أنه كان ابن بنت لوط. وقال مكِّي: كان زوج بنت لوط^(٣).

(١) عرائس المجالس ص ١٠٧ - ١٠٨، والمحرر الوجيز ٤٢٦/٢. وما ذكره المصنف رحمه الله عن اقتلاع جبريل لمدانتهم ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة... ليس فيه نص صحيح.

(٢) عند تفسير الآيات (٧٧ - ٨٣).

(٣) المحرر الوجيز ٤٢٦/٢.

واختلف في نسبه، فقال عطاء وابنُ إسحاق وغيرهما: وشعيب: هو ابن ميكيل ابنِ يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. وكان اسمه بالشريانية: يثرون^(١). وأمه ميكائيل بنتُ لوط. وزعم الشرقيُّ بن قُطامي^(٢) أنَّ شعيباً: ابنُ عَيْفَا بنِ يُوَيْبَ بنِ مَدِين بنِ إبراهيم. وزعم ابنُ سَمعان^(٤) أنَّ شعيباً: ابنِ جزي بنِ يشجر^(٥) بنِ لاوي بن يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم. وشُعيب تصغير شُعْب أو شُعْب^(٦). وقال قتادة: هو شُعيب بنُ يُوَيْبَ. وقيل: شعيب بنُ صيفون^(٧) بنِ عيفا بنِ ثابت بنِ مَدِين بنِ إبراهيم. والله أعلم. وكان أعمى؛ ولذلك قال قومه: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِتْنًا صَعِيْبًا﴾^(٨) [هود: ٩١]. وكان يقال له: خطيبُ الأنبياء، لِحُسْنِ مُراجعتِهِ قَوْمَهُ^(٩). وكان قَوْمُهُ أَهْلَ كَفْرٍ بِاللَّهِ وَبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

(١) في النسخ: بيروت، والمثبت من تفسير الطبري ٥٥٤/١٢ (تحقيق الشيخ محمود شاكر رحمه الله)، والكامل لابن الأثير ١/١٥٧، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/٤٢٧ (وفي مطبوعه: بثرون) وقال: وفي هذا نظر.

(٢) الوليد بن الحصين، والشرقي لقبه، له نحو عشرة أحاديث فيها مناكير، كان عالماً بالنسب وافر الأدب، ضم المنصور إليه المهدي ليأخذ من أدبه. ميزان الاعتدال ٢/٢٦٨.

(٣) في (خ): ثويب، وفي معاني القرآن للنحاس ١٠١/٥ (والكلام منه): نويب، والمثبت من (ز) و(ظ) و(م)، وكذلك قيدها السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠٢ فقال: يوب بوزن جعفر، أوله مثناة تحتية وبعد الواو موحدتان.

(٤) عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي، أبو عبد الرحمن المدني، مولى أم سلمة، كذبه مالك، وقال أحمد: متروك. تهذيب التهذيب ٢/٣٣٦.

(٥) في (ز) و(ظ): حره بن يسحر، وفي (خ): جزه بن يسحر، والمثبت من (م) ومعاني القرآن للنحاس.

(٦) في تكملة الصحاح وتاج العروس (شعب): قال الصاغاني: شعيب يمكن أن يكون تصغير شُعْب أو أشعب.

(٧) في النسخ: صفوان، والمثبت من تاريخ الطبري ١/٣٢٥، وعرائس المجالس ص ١٦٧.

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٥٦٨ من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٩) أخرجه الطبري في تاريخه ١/٣٢٧ والحاكم في المستدرک ٢/٥٦٨ مرسلًا. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١/٤٢٩ من حديث ابن عباس، وفيه إسحاق بن بشر، وهو متروك.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بيان، وهو مجيء شعيب بالرسالة. ولم يذكر له معجزة في القرآن^(١). وقيل: معجزته - فيما ذكر الكسائي - في قصص الأنبياء.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا الْكَاسَ أَشْيَاءَ هُمْ﴾ البخس: النقص. وهو يكون في السلعة بالتعيب والتزهد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزهد في الكيل والتقصان منه^(٢). وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على السنة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ عطف على «ولا تبخسوا». وهو لفظ يعم دقيق الفساد وجليله.

قال ابن عباس: كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيباً رسولاً يعمل فيها بالمعاصي، وتشتغل فيها المحارم، وتفسك فيها الدماء. قال: فذلك فسادها. فلما بعث الله شعيباً ودعاهم إلى الله؛ صلحت الأرض. وكل نبي بعث إلى قومه فهو صلاحهم^(٣).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا يَكُلَّ صِرَاطَ تَوَعُّدُونَ﴾ نهاهم عن القعود بالطرق والصد عن الطريق الذي يؤدي إلى طاعة الله، وكانوا يوعدون العذاب من آمن.

واختلف العلماء في معنى قعودهم على الطريق^(٤) على ثلاثة معان: قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي: كانوا يقعدون على الطرق المفضية إلى شعيب، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدونه ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما

(١) تفسير أبي الليث ١/ ٥٥٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٧٨ .

(٣) لم تقف عليه، وذكر أبو الليث في تفسيره ١/ ٩٦ نحوه، وسلف ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٤) في (م): الطرق.

كانت قريشٌ تفعله مع النبي ﷺ. وهذا ظاهرُ الآية.

وقال أبوهريرة: هذا نهى عن قطع الطريق، وأخذ السلب، وكان ذلك من فعلهم^(١). ورؤي عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أُسري بي خشبةً على الطريق، لا يمرُّ بها ثوبٌ إلا شقَّته، ولا شيءٌ إلا خرقته، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا مثلُ لقومٍ من أمتك يقعدون على الطريق، فيقطعونه، ثم تلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الآية^(٢). وقد مضى القولُ في اللصوص والمحارِبين^(٣)، والحمد لله. وقال السُّديُّ أيضاً كانوا عَشَّارين متقبلين^(٤).

قال علماؤنا^(٥): ومثلهم اليوم هؤلاء المكَّاسون الذين يأخذون من الناس ما لا يلزمهم شرعاً من الوظائف الماليَّة بالقهر والجبر؛ فضمَّنوا ما لا يجوز ضمانُ أصله من الزكوات^(٦) والمواريث والملاهي، والمترتبون في الطرق، إلى غير ذلك مما قد كثر في الوجود، وعمل به في سائر البلاد. وهو من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها؛ فإنه غَضِبَ وظَلَمَ وعَسَفَ على الناس، وإذاعةٌ للمنكر وعملٌ به، ودوامٌ عليه وإقرارٌ له، وأعظمه تضمينُ الشرع والحُكم للقضاء، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، لم يبق من الإسلام إلا رَسْمُه، ولا من الدين إلا اسمه. يَغْضُدُ هذا التأويل ما تقدَّم من النهي في شأن المال في الموازين والأكيال والبَحْس.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ الضمير في «به» يَحْتَمِلُ أن يعودَ على اسم اللهِ تعالى، وأن يعودَ على^(٧) شعيب في قول مَنْ رأى القعودَ على الطريق للصدِّ، وأن

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٢٧، والأقوال السالفة أخرجها الطبري ١٠/٣١٣ - ٣١٤.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٣١٤، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) ١٤٨/٦.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/٣١٤، دون قوله: متقبلين.

(٥) قوله: قال علماؤنا، ليس في (م).

(٦) في (م): الزكاة.

(٧) في (م): إلى.

يعود على السبيل. ﴿عَوَجًا﴾ قال أبو عبيدة والزجاج: كسر العين في المعاني، وفتحها في الأجرام^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَرْتُمْ﴾ أي: كثر عددكم، أو كثركم بالغنى بعد الفقر. أي: كنتم فقراء فأغناكم.

﴿فَأَصْبِرُوا﴾ ليس هذا أمراً بالمقام على الكفر، ولكنه وعيد وتهديد^(٢). وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ حَالُكُمْ يَنْتَظِرُ﴾ فذكّر على المعنى، ولو راعى اللفظ قال: كانت^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرِينَ ﴿٨٥﴾ قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ تقدم معناه^(٤). ومعنى «أو لتعودن في ملتنا» أي: لتصيرن إلى ملتنا. وقيل: كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر، أي: لتعودن إلينا كما كنتم من قبل^(٥).

قال الزجاج^(٦): يجوز أن يكون العود بمعنى الابتداء؛ يقال: عاد إلي^(٧) من فلان

(١) المحرر الوجيز ٤٢٧/٢، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٩/١ - ٢٢٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥٤/٢.

(٢) تفسير أبي الليث ٥٥٥/١، والمحرر الوجيز ٤٢٧/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٣٩/٢.

(٤) تقدم معنى الملا ٢٢٨/٤، ومعنى الاستكبار ٤٤١/١ - ٤٤٢.

(٥) تفسير البغوي ١٨١/٢.

(٦) في معاني القرآن ٣٥٥/٢، وينظر زاد المسير ٢٣١/٣.

(٧) في معاني القرآن للزجاج وزاد المسير: علي.

مكروه، أي: صار، وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك، أي: لِحَقْنِي ذلك منه. فقال لهم شعيب: «أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ» أي: ولو كنا كارهين تُجْبِرُونَنَا عَلَيْهِ؟! أي: على الخروج من الوطن، أو العَوْدُ فِي مِلَّتِكُمْ. أي: إن فعلتم هذا أتيتم عظيمًا.

﴿فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا﴾ إِيْمَانُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى مِلَّتِهِمْ. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رِئْسًا﴾ قال أبو إسحاق الزجاج^(١): أي: إلا بمشيئة الله عز وجل، قال: وهذا قول أهل السنة أي: وما يقع منا العَوْدُ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ. فالاستثناء منقطع^(٢).

وقيل: الاستثناء هنا على جهة التسليم لله عز وجل؛ كما قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]. والدليل على هذا أن بعده ﴿وَمِيعَ رَبِّنَا كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(٣).

وقيل: هو كقولك: لا أكلمك حتى يبييض الغراب، وحتى يلج الجمل في سم الخياط. والغراب لا يبييض أبدًا، والجمل لا يلج في سم الخياط^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمِيعَ رَبِّنَا كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: علم ما كان وما يكون. «علمًا» نصب على التمييز.

وقيل: المعنى ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ أي: في القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا، بل نخرج من قريتك مهاجرين إلى غيرها. «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» رَدْنَا إِلَيْهَا^(٥). وفيه بُعد؛ لأنه يقال: عاد للقرية، ولا يقال: عاد في القرية.

(١) في معاني القرآن ٢/ ٣٥٥، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣٩.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٩٧.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٥.

(٤) قوله: في سم الخياط، من (م). وذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٤٢٨، وقال: هذا تأويل إنما هو للمعتزلة الذين من مذهبهم أن الكفر والإيمان ليسا بمشيئة من الله تعالى، فلا يترتب هذا التأويل إلا عندهم، وهذا تأويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه.

(٥) تفسير الرازي ١٤/ ١٧٨، ومجمع البيان ٩/ ١١٨ - ١١٩.

قوله تعالى: ﴿عَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: اعتمدنا. وقد تقدّم في غير موضع^(١). ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ قال قتادة: بعثه الله إلى أُمَّتَيْنِ: أهلِ مدين وأصحابِ الأيكة^(٢).

قال ابن عباس: وكان شعيبٌ كثيرَ الصلاة، فلما طال تمادي قومه^(٣) في كفرهم وغيبهم، ويَسَسَ من صلاحهم، دعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾. فاستجاب الله دعاءه، فأهلكهم بالرجفة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ أَنْبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنْ كُنْتُمْ لِإِذَا لَخَيْرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴿١٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿١٧﴾ فَنَوَّلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَهْلَقْنَاكُمْ وَرَبِّي مُنصَحٌ لَكُمْ فَكَيْفَ آمَنُوا عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قالوا لمن دونهم: ﴿لِيَنِ أَنْبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنْ كُنْتُمْ لِإِذَا لَخَيْرُونَ﴾ أي: هالكون. ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ﴾ أي: الزلزلة، وقيل: الصيحة. وأصحابُ الأيكة أهلُكوا بالظُلَّة، على ما يأتي^(٥).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا﴾ قال الجرجاني: قيل: هذا كلامٌ مستأنف؛ أي: الذين كذبوا شعيباً صاروا كأنهم لم يزالوا موتى. و﴿يَفْتَنُوا﴾: يقيموا؛ يقال: غَنَيْتُ بالمكان: إذا أقمت به. و﴿عَنِ الْقَوْمِ﴾ في دارهم، أي: طال

(١) ٢٩٠/٥ - ٢٩٢.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ١/٣٢٧، وأخرجه في التفسير ١٠/٣٢٢ من قول السدي. قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/٤٣٨: ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقولُه ضعيف.

(٣) في (خ): فلما طال تماديهم.

(٤) عرائس المجالس ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٥) في تفسير الآيات (١٧٦ - ١٨٩) من سورة الشعراء.

مُقامُهم فيها، والمَعْنَى: المنزل، والجمع المَعْنَانِي^(١). قال لَيْدٌ^(٢):

وَعَنَيْتُ سَبْتًا^(٣) قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لو كان لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ^(٤)

وقال حاتم طيء:

عَنِينَا^(٥) زَمَانًا بِالتَّصَعُّلِكِ وَالغِنَى [كما الدَّهْرُ في أَيامه العُسْرُ وَالْيُسْرُ]

كَسَيْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِينًا وَغِلْظَةً] وكلاً سقاناها بكأسيهما^(٦) الدهرُ

فما زادنا بأوا^(٧) على ذي قرابة غِنَانًا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْغَاسِقِينَ﴾ ابتداءً خطاب، وهو مبالغة في الذم

والتوبيخ، وإعادة لتعظيم الأمر وتفخيمه. ولما قالوا: من أتبع شعيباً خاسر، قال الله:

الخاسرون هم الذين قالوا هذا القول. ﴿فَكَيْفَ ءَاتَيْنَا عَلَى قَوْمِ كَافِرِينَ﴾ أي: أحزن.

أسيئت على الشيء آسى آسى، وأنا آسى^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَةِ

لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾^(٩) ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

ءَاهِبَانَا الصَّرَةَ وَالصَّرَةَ فَآخَذْتَهُمْ بِفَنَاءٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فيه إضمار، وهو: فكذب أهلها إلا

(١) تهذيب اللغة ٢٠٢/٨، وتفسير البغوي ١٨٢/٢.

(٢) في ديوانه ص ٣٥.

(٣) في (ز) و(ظ) و(م): سبأ، وفي (خ): بيتاً، وهو تحريف، والمثبت من الديوان ومصادر البيت.

(٤) قال الطوسي شارح الديوان: غنيتُ: عشْتُ. سبتاً: دهرأ. ويقال: إن السبت ثمانون سنة. داحس: فرس.

اللجوج: العاصبة.

(٥) في الديوان المطبوع ص ٥١: غنينا، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٦) في (م): بكأسيهما.

(٧) في النسخ: بغياً، والمثبت من الديوان، والبأو: الكبر والفخر. ينظر الخزانة ٢١٣/٤ - ٢١٤.

(٨) مجمل اللغة ٩٦/١.

أخذناهم. ﴿وَالْبَاسَاءَ وَالضَّرَّاءَ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ تقدم القول فيه^(١).

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: أبدلناهم بالجذب خضباً^(٢). ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كثروا، عن ابن عباس^(٣). وقال ابن زيد: كثرت أموالهم وأولادهم^(٤). وعفا: من الأضداد. عفا: كثر. وعفا: ذرَس^(٥). أعلم الله تعالى أنه أخذهم بالشدة والرخاء فلم يزدجروا ولم يشكروا. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فنحن مثلهم. ﴿فَلَاخَذْتَهُمْ بِعُنُقِهِمْ﴾ أي: فجأة؛ ليكون أكثر حسرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَلَاخَذْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ يقال للمدينة: قرية؛ لاجتماع الناس فيها. من: قَرِئْتُ الماء: إذا جمعته. وقد مضى في «البقرة» مستوفى^(٦). ﴿ءَامَنُوا﴾ أي: صدَّقوا. ﴿وَأَتَّقُوا﴾ أي: الشُّرك. ﴿لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: المطر والنبات^(٧). وهذا في أقوام على الخصوص جرى ذكْرهم. إذ قد يُمتحن المؤمنون بضيق العيش، ويكون تكفيراً لذنوبهم. ألا ترى أنه أخبر عن نوح إذ قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١]. وعن هود: ﴿ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]. فوعدهم المطر والخضب على التخصيص. يدل عليه: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَلَاخَذْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: كذبوا الرُّسل، والمؤمنون صدَّقوا، ولم يكذبوا.

(١) ٦٣ - ٦٢/٣ .

(٢) تفسير أبي الليث ١/٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٠/٣٣٠ .

(٤) أخرجه الطبري ١٠/٣٣٠ من قول مجاهد.

(٥) الأضداد لابن الأبياري ص ٨٦ .

(٦) ١٢٢/٢ .

(٧) تفسير أبي الليث ١/٥٥٧ ، وتفسير البغوي ٢/١٨٣ .

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْمُونَ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الاستفهام للإنكار، والفاء للعطف^(١)، نظيره: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

والمراد بالقرى مكة وما حولها؛ لأنهم كذبوا محمداً ﷺ. وقيل: هو عام في جميع القرى. ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿بَيِّنًا﴾ أي: ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(٢).

﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ قرأ^(٣) الجزميان وابن عامر بإسكان الواو للعطف^(٤)، على معنى الإباحة؛ مثل: ﴿وَلَا تُلْغِ بِتَنَمٍّ آئِنًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، جالس الحسن أو ابن سيرين. والمعنى: أو آمنوا هذه الضروب من العقوبات، أي: إن أمتهم ضرباً منها لم تأمنوا الآخر. ويجوز أن يكون «أو» لأحد الشيتين، كقولك: ضربت زيداً أو عمراً. وقرأ الباقون بفتحها بهمزة بعدها. جعلها واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، نظيره ﴿أَوْ كَلِمًا عَنْهَدُوا عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠].

ومعنى ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْمُونَ﴾ أي: وهم فيما لا يُجدي عليهم؛ يقال لكل من كان فيما يضره ولا يُجدي عليه: لاعب، ذكره النحاس^(٥).

وفي الصحاح: اللَّعِبُ معروف، واللَّعْبُ مثله، وقد لعب يلعب. وتَلَعَّبَ: [لَعِبَ]

(١) قال الزمخشري في كشافه ٩٨/٢: فإن قلت: ما المعطوف عليه، ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله: «فأخذناهم بفتنة»، وقوله: «ولو أن أهل القرى» إلى «يكسبون» وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطف بالفاء؛ لأن المعنى: فعلوا وصنعوا، فأخذناهم بفتنة، أثبت ذلك أمين أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيانا، وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟.

(٢) الوسيط ٣٨٩/٢، وتفسير البغوي ١٨٣/٢.

(٣) في (خ) و(د) و(ز) و(م): قرأه.

(٤) الجزميان: ابن كثير ونافع، وقرأ ورش على أصله بإلقاء حركة الهزمة على الواو. السبعة ص ٢٨٦-٢٨٧، واليسير ص ١١١، وينظر الكشف عن وجوه القراءات ٤٦٨/١ - ٤٦٩.

(٥) في معاني القرآن ٥٨/٣.

مرة بعد أخرى. ورجلٌ تلعبه: كثير اللُّعب، والتَّلعب - بالفتح - المصدر. وجارية نُعُوبٌ^(١).

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١١)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه وجزاءه على مكرهم. وقيل: مكره: استدراجه بالنعمة والصحة^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١٢)

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي: يبين. ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ يريد كفار مكة ومن حولهم. ﴿أَصَبْنَاهُمْ﴾ أي: أخذناهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بكفرهم وتكذيبهم. ﴿وَنَطْبَعُ﴾ أي: ونحن نطبع؛ فهو مستأنف. وقيل: هو معطوف على أصبنا، أي: نُصِيبُهُمْ وَنَطْبَعُ؛ فوقع الماضي مَوْقِعَ المستقبل^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَهَا وَلِئَلَّامُنَ مَا لَا يَفْقَهُ كَذِبًا أُولَئِكَ يُرِثُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُرِثُونَ﴾^(١٣)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا﴾ أي: هذه القرى التي أهلكتها، وهي قري [قوم] نوح و عادٍ ولوط وهود^(٤) وشُعَيْبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ. ﴿تَتَّبِعُوا﴾ أي: تتلو. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(١) الصحاح (لعب)، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) الوسيط ٢/٣٩٠، وتفسير البغوي ٢/١٨٤.

(٣) الوسيط ٢/٣٩٠، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٣٦١.

(٤) كذا في النسخ: هود، ولعل الصواب: وشمود. وينظر تفسير البغوي ٢/١٨٤، وتفسير الرازي ١٤/١٨٨، وما بين حاصرتين منهما.

أي: من أخبارها. وهي تسليّة للنبيّ عليه الصلاة والسلام والمسلمين.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بعد هلاكهم لو أخييناهم؛ قاله مجاهد. نظيره: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَمَادُوا﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقال ابن عباس والرَّبِيع: كان في عِلْمِ اللّهِ تَعَالَى يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمِ المِيثَاقَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالرُّسُلِ.

﴿بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ يريدُ يَوْمَ المِيثَاقِ حينَ أخرجهم من ظَهْرِ آدَمَ، فأمنوا كُفْرًا لَا طَوْعًا. قال السُّدِّيُّ: آمنوا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمِ المِيثَاقَ كُفْرًا، فلم يكونوا ليؤمنوا الآنَ حَقِيقَةً. وقيل: سألوها المعجزات، فلَمَّا رَأَوْهَا ما كانوا ليؤمنوا بما كَذَّبُوا به من قَبْلِ رُؤْيَا المعجزات^(١). نظيره: ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢) [الأنعام: ١١٠].

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾ أي: مثلَ طَبَعِهِ على قلوب هؤلاء المذكورين، كذلك يطبعُ اللّهُ على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِن عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِن عَهْدٍ﴾:

«مِن» زائدة، وهي تدلُّ على معنى الجِنْس؛ ولولا «مِن» لجاز أن يُتَوَهَّم أنه واحدٌ في المعنى^(٤). قال ابن عباس: يريد العهدَ المأخوذَ عليهم وقتَ الذُّرِّ. وَمَن نقضَ العهدَ قيل له: إنه لا عهدَ له، أي: كأنه لم يعهد. وقال الحسن: العهدُ الذي عُهِدَ إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً^(٥). وقيل: أراد أن الكفارَ مُنقسمون، فالأكثرون منهم مَن لا أمانةَ له ولا وفاء، ومنهم مَن له أمانةٌ مع كُفْرِهِ وإن قُتِلوا، رُوي

(١) في (م): المعجزة.

(٢) زاد المسير ٢٣٦/٣، وتفسير الرازي ١٨٨/١٤، وأخرج الأقوال السالفة بنحوها الطبري ٢٣٧/١٠ - ٢٣٨.

(٣) تفسير البغوي ١٨٤/٢ - ١٨٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦٠/٣.

(٥) أورد هذين القولين ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٦/٣.

عن أبي عبيدة^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِذْ فَرَغَ نُوْحٌ وَمَلَأْنَاهُ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. ﴿مُوسَىٰ﴾ أي: موسى بن عمران. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: بمعجزاتنا. ﴿ظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: كفروا ولم يصدقوا بالآيات^(٢). والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. قوله تعالى: ﴿فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: آخر أمرهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بِنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَاتٍ فَاتِّبِعْ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْفَنَّا عُصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَّ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَادَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْسِلْ رَأْسَهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا نُوحُ كُلِّ سَجْرِ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾﴾

«حَقِيقٌ عَلَيَّ» أي: واجب. وَمَنْ قَرَأَ «عَلَىٰ أَنْ لَا»، فالمعنى: حريصٌ على الآ أقول^(٣). وفي قراءة عبد الله: «حَقِيقٌ أَنْ لَا أَقُولُ» بإسقاط «على»^(٤). وقيل: «على» بمعنى الباء، أي: حَقِيقٌ بَأَنَّ لَا أَقُولُ. وكذا في قراءة أبي والاعمش: «بَأَنَّ لَا

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٢٣: مجازه: وما وجدنا لأكثرهم عهداً، أي: وفله ولا حفيظة. و«ين» من حروف الزوائد. وينظر معاني القرآن للنحاس ٣/٦٠.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٣٤١.

(٣) مجاز القرآن ١/٢٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٤١. والقراءة الأولى لنافع، والثانية للباين. السبعة ص ٢٨٧، والتهذيب ص ١١١.

(٤) الكشاف ٢/١٠٠، والبحر المحيط ٤/٣٥٦.

أقول^(١). كما تقول: رميتُ بالقوس وعلى القوس. فـ «حَقِيقٌ» على هذا بمعنى محفوق^(٢).

ومعنى «فَأَرْمِلْ مَعِيَ بِنْفَ إِشْرَاقِ يَلٍ» أي: خَلِّهم. وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة. «فَأَلْفَرِ عَصَاهُ» يُستعمل في الأجسام والمعاني، وقد تقدّم^(٣). والشعبان: الحية الضخمة، الذكّر، وهو أعظم الحيات^(٤). «ثُمَّ يَنْ» أي: حية لا لبس فيها.

«وَنَزَعَ يَدَهُ» أي: أخرجها وأظهرها. قيل: من جيبه أو من جناحه؛ كما في التنزيل: «وَأَنزَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِثْلِ سَائِرِ بَدَنِهِ» [النحل: ١١٢] أي: من غير برص. وكان موسى أسمرَ شديد السُمرة، ثم أعاد يده إلى جيبه فعادت إلى لونها الأول. قال ابن عباس: كان ليده نورٌ ساطع يُضيء ما بين السماء والأرض^(٥). وقيل: كانت تخرج يده بيضاء كالثلج تلوح، فإذا ردها عادت إلى مثل سائر بدنه^(٦). ومعنى «عَلِيمٌ» أي: بالسر. «مَنْ أَرْضَكُمْ» أي: من ملِككم معاشر القبط، بتقديمه بني إسرائيل عليكم^(٧).

«فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» أي: قال فرعون: فماذا تأمرون؟ وقيل: هو من قول المَلَأ، أي: قالوا لفرعون وحده: فماذا تأمرون؟ كما يُخاطب الجبّارون والرؤساء: ما تَرُونَ في كذا. ويجوز أن يكون: قالوا له ولأصحابه^(٨). و«ما» في موضع رفع، على أن «ذا» بمعنى الذي. وفي موضع نصب، على أن «ما» و«ذا» شيء واحد^(٩).

(١) تفسير البغوي ٢/ ١٨٥، ونسب الفراء في معاني القرآن ١/ ٣٨٦ وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٥ هذه القراءة لابن مسعود

(٢) تفسير الرازي ١٤/ ١٩١ - ١٩٢.

(٣) ٣٥٦/٥ - ٣٥٧.

(٤) الوسيط ٢/ ٣٩٢.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٩٦.

(٦) تفسير الطبري ١٠/ ٣٤٦ - ٣٤٧، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٣٦.

(٧) الوسيط ٢/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٨) زاد المسير ٣/ ٢٣٨، وتفسير الرازي ١٤/ ١٩٧.

(٩) مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٩٨.

«قالوا أَرْجِه» قرأ أهل المدينة وعاصمٌ والكِسائيُّ بغير همز^(١)، إِلَّا أَنْ وَرَشَأَ والكِسائيُّ أَشْبَعَا كسرة الهاء. وقرأ أبو عمرو بهمزة ساكنة والهاء مضمومة. وهما لغتان؛ يقال: أَرَجَاتُهُ وَأَرْجَيْتُهُ، أي: أَخْرَتُهُ. وكذلك قرأ ابنُ كَثِيرٍ وابنُ مُخَيَّبِ بْنِ وهشام؛ إِلَّا أَنَّهُمْ أَشْبَعُوا ضَمَّةَ الهاء. وقرأ سائرُ أهلِ الكوفة: «أَرْجِه» بإسكان الهاء^(٢). قال الفراء^(٣): هي لغةٌ للعرب، يَقْفُونَ على الهاء المَكْنِيَّ عنها في الوصل إذا تحرَّك ما قبلها، وكذا: هذه طلحةٌ قد أقبلت. وأنكر البصريُّون هذا^(٤).

قال قتادة: معنى «أَرْجِه»: إِخْبِسُهُ. وقال ابن عباس: أَخْرَهُ^(٥). وقيل: «أَرْجِه» مأخوذٌ من رجا يرجو؛ أي: أَظْمِغُهُ وَدَعَّهُ يَرْجُو؛ حكاه النحاس^(٦) عن محمد بن يزيد؛ وكسرُ الهاء على الإِتْبَاعِ. ويجوز ضَمُّها على الأصل. وإسكانُها لَحْنٌ لا يجوز إِلَّا في شذوذٍ من الشُّعْرِ^(٧).

﴿وَأَخَاهُ﴾ عطف على الهاء. ﴿حَشِيرِينَ﴾ نصب على الحال. ﴿يَأْتُونَكَ﴾ جزم؛ لأنه جوابُ الأمر، ولذلك حُذفت منه النون. قرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا: «بِكُلِّ سَحَارَةٍ». وقرأ سائرُ الناس: «ساحر»^(٨). وهما متقاربان، إِلَّا أَنْ فَعَالًا أَشَدُّ مبالغةً.

(١) كذا نقل المصنف عن النحاس في إعراب القرآن ١٤٢/٢ - ١٤٣، والقراءة المشهورة عن عاصم: «أَرْجِه» بإسكان الهاء، وستأتي. وينظر السبعة ص ٢٨٧، والتيسير ص ١١١.

(٢) قرأ بها عاصم وحمة من أهل الكوفة، وتقدمت قراءة الكسائي (وهو كوفي أيضاً).

(٣) في معاني القرآن ١/٣٨٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٦٥، وتفسير الرازي ١٤/١٩٨.

(٥) أخرج هذين القولين الطبري ١٠/٣٥٠ - ٣٥١.

(٦) في إعراب القرآن ٢/١٤٣، والكلام منه إلى آخر تفسير الآية.

(٧) لكن قرأ بإسكان الهاء عاصمٌ وحمة كما سلف. قال السمين في الدر المصون ٥/٤٠٩: في هذه الكلمة (أرجه) ست قراءات في المشهور المتواتر، ولا التفات إلى من أنكر بعضها ولا لمن أنكر على راويها.

(٨) السبعة ص ٢٨٩، والتيسير ص ١١٢.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الشَّعْرَةُ رِعُونَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الشَّعْرَةُ رِعُونَ﴾ وحذف ذكر الإرسال لعلم السامع^(١).

قال ابن عبد الحكم: كانوا اثني عشر نقيباً، مع كل نقيب عشرون غريباً، تحت يدي كل غريب ألف ساحر. وكان رئيسهم شمعون في قول مقاتل بن سليمان^(٢). وقال ابن جريج: كانوا تسع مئة، من العريش والفيوم والإسكندرية، اثلاثاً^(٣). وقال ابن إسحاق: كانوا خمسة عشر ألف ساحر، وروي عن وهب. وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال ابن المنكدر: ثمانين ألفاً. وقيل: أربعة عشر ألفاً. وقيل: كانوا ثلاث مئة ألف ساحر من الريف، وثلاث مئة ألف ساحر من الصعيد، وثلاث مئة ألف ساحر من الفيوم وما والاها. وقيل: كانوا سبعين رجلاً. وقيل: ثلاثة وسبعين؛ فالله أعلم^(٤). وكان معهم فيما روي جبال وعصي يحملها ثلاث مئة بعير. فالتقمت الحيّة ذلك كله.

قال ابن عباس والسدي: كانت إذا فتحت فاها صار شذقها ثمانين ذراعاً؛ واضعة فكها الأسفل على الأرض، وفكها الأعلى على سور القصر^(٥). وقيل: كان سعة فيها أربعين ذراعاً، فالله أعلم. فقصدت فرعون لئبتلعه، فوثب من سريره، فهرب منها واستغاث بموسى، فأخذها، فإذا هي عصاً كما كانت. قال وهب: مات من خوف العصا خمسة وعشرون ألفاً^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٤٣/٢.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ١٨٧/٢.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٣ ونسبه لأبي الشيخ.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٣٥٤/١٠ - ٣٥٥، وعرائس المجالس ص ١٨٨، وتفسير البغوي ١٨٧/٢، والمحرر الوجيز ٤٣٨/٢، وزاد المسير ٢٤٠/٣ - ٢٤١. قال ابن عطية: وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده.

(٥) أخرجه الطبري ٣٤٤/١٠ بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري ٣٤٥/١٠. وهذه الأخبار من الإسرائيليات.

﴿قَالُوا أَيِّنَ لَنَا لِأَجْرًا﴾ أي: جائزة ومالاً. ولم يقل: فقالوا، بالفاء؛ لأنه أراد: لَمَّا جاؤوا قالوا^(١). وقُرئ: «إِنَّ لَنَا» على الخبر، وهي قراءة نافع وابن كثير^(٢). أَلزَمُوا فرعونَ أن يجعلَ لهم مالاً إِنْ غَلَبُوا؛ فقال لهم فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّمَا لَكُمْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: لَمِنَ أهلِ المنزلةِ الرفيعةِ لدينا، فزادهم على ما طلبوا. وقيل: إنهم إنما قَطَعُوا ذلك لأنفسهم في حكمهم إِنْ غَلَبُوا. أي قالوا: يجب لنا الأجرُ إِنْ غَلَبْنَا.

وقرأ الباقون بالاستفهام على جهة الاستخبار؛ استخبروا فرعون؛ هل يجعل لهم أجراً إِنْ غَلَبُوا أو لا؟ فلم يقطعوا على فرعون بذلك، إنما استخبروه هل يفعل ذلك؛ فقال لهم: «نعم» لكم الأجرُ والقربُ إِنْ غَلَبْتُمْ^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْشُونَ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ عَنْ الْمَلَكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَبُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْبِهُمُ وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذْهَا بِهَا تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

تأدبوا مع موسى عليه السلام، فكان ذلك سببَ إيمانهم^(٤). و«أن» في موضع نصبٍ عند الكسائي والفراء، على معنى: إِمَّا أَنْ تَفْعَلَ الإلقاء. ومثله قول الشاعر:

قالوا الرُّكُوبَ فقلنا تلك عادتنا^(٥)

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ قال الفراء: في الكلام حذف. والمعنى: قال لهم موسى: إنكم لن تَغْلِبُوا ربَّكم ولن تُبْطِلُوا آيَاتِهِ. وهذا مِنْ مُعْجَزِ القرآنِ الذي لا يأتي مثله في كلام

(١) مجمع البيان ١٤٤/٣.

(٢) وقرأ بها عاصم من رواية حفص. وقرأ الباقون من السبعة بالاستفهام على جهة الاستخبار - كما سيذكر المصنف - كل على مذهبه؛ فقرأ ابن عامر وعاصم في رواية شعبة وحزمة والكسائي بهمزتين محطقتين، غير أن هشاماً (راوي ابن عامر) أدخل بينهما ألفاً، وقرأ أبو عمرو بهمزتين الأولى محققة والثانية مسهلة وأدخل بينهما ألفاً. السبعة ص ٢٨٩، والتيسير ص ١١٢.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٧٢/١ - ٤٧٣.

(٤) تفسیر الرازي ٢٠٢/١٤.

(٥) إعراب القرآن للشحاس ١٤٣/٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٩٨/١، وينظر معاني القرآن للفراء ٣٨٩/١. والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١١٣، وعجزه: أو تنزلون فإنا معشرٌ نزل.

الناس، ولا يقِدرون عليه؛ يأتي اللفظ اليسير بجمع المعاني الكثيرة^(١).
وقيل: هو تهديد^(٢). أي: ابتدئوا بالإلقاء، فَسْتَرُونَ ما يُحْلُ بِكُمْ من الافتضاح،
إذ لا يجوز على موسى أن يأمرهم بالسحر. وقيل: أمرهم بذلك ليبيِّن كذِبهم
وتمويههم.

﴿فَلَمَّا أَفْقَا﴾ أي: الحبال والعصي. ﴿سَكْرًا أَعْيَت النَّاس﴾ أي: خيلوا لهم،
وقلبوها عن صِحة إدراكها، بما يُخَيِّل من التَّمويه الذي جرى مجرى السُّعوذة وخِفة
اليد، كما تقدَّم في «البقرة» بيَّانه^(٣). ومعنى ﴿عَظِيمٌ﴾ أي: عندهم؛ لأنه كان^(٤)
كثيراً، وليس بعظيم على الحقيقة^(٥).

قال ابن زيد: كان الاجتماع بالإسكندرية، فبلغ ذَنبُ الحية وراء البحيرة^(٦). وقال
غيره: وفتحت فاهها، فجعلت تَلْقَف - أي: تلتقم - ما أَلْقَوْا مِن جِبَالهم وَعِصِيهم.
وقيل: كان ما أَلْقَوْا جبالاً من آدم، فيها زئبق، فتحركت وقالوا: هذه حَيَّات^(٧).

وقرأ حَفْص: «تَلْقَفُ» بإسكان اللام والتخفيف^(٨)؛ جعله مستقبل لَقِف يَلْقَف
- قال النحاس^(٩): ويجوز على هذه القراءة «تَلْقَفُ»؛ لأنه من لَقِف^(١٠) - وقرأ الباقر
بالتشديد وفتح اللام؛ جعلوه مستقبل تَلْقَفُ، فهي تَتَلْقَف^(١١). يقال: لَقِفَت الشيء

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٤٤/٢ .

(٢) مجمع البيان ١٤٤/٩ .

(٣) ٢٧٢/٢ وما بعدها. وينظر الوسيط ٣٩٤/٢ .

(٤) في (ظ): لأنهم كانوا.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٤٤/٢ .

(٦) تفسير البيهقي ١٨٧/٢ ، والمحور الوجيز ٤٣٩/٢ . قال ابن عطية: وهذا قول بعيد من الصواب مفرط الإغراق، لا ينبغي أن يُلْتَمِز إليه. اهـ. والبحيرة: كورة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة، معجم البلدان ٣٥١/١ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٤٤/٢ ، وتفسير الرازي ٢٠٣/١٤ .

(٨) السبعة ص ٢٩٠ ، والتيسير ص ١١٢ .

(٩) في إعراب القرآن ١٤٤/٢ .

(١٠) يعني كسر أوائل الأفعال المضارعة إذا كان عين الماضي مكسوراً، قال سيبويه في كتابه ١١٠/٤ :
وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تعلم، وأنا أعلم...

(١١) الكشف عن وجوه القرلعات السبع ٤٧٣/١ .

وتَلَقَّته: إذا أخذته أو بِلَعته^(١). تَلَقَّف وتَلَقَّم وتَلَمَّم بمعنى واحد.

قال أبو حاتم: وبلغني في بعض القراءات: «تَلَقَّم» بالميم والتشديد^(٢). قال

الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تنزل تَلَقَّم ما يَأْفُكُه السَّاحِرُ^(٣)

ويُروى: تَلَقَّف.

﴿مَا يَأْكُونُ﴾ أي: ما يكذبون؛ لأنهم جاؤوا بحبال، وجعلوا فيها زُئْبِقًا حتى

تحركت.

قوله تعالى: ﴿تَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَنِينًا ﴿١١٨﴾

وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّبُ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَوَقَّعَ الْحَقُّ﴾ قال مجاهد: أي: فظهر الحق^(٤). ﴿وَانْقَلَبُوا صَنِينًا﴾

نصب على الحال. والفعلُ منه صَغَرُ يَصْغُرُ صِغْرًا وَصُغْرًا وَصَغَارًا^(٥). أي: انقلب قومُ

فرعون - وفرعونُ معهم - أذلاءً مقهورين مغلوبين. فاما السَّحْرَةُ فقد آمنوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ لِي

الْمَدِينَةَ لِشُخْرِبِوًا مِنِّي أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ لِأَطْعَمَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ ثُمَّ

لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْتَ

ءَأَمَّنَّا بِإِيْتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَنفِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَوَقِّفْنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ﴾ إنكارٌ منه عليهم. ﴿إِنَّ هَذَا

(١) مجمل اللغة ٣/٨١٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/٦٣.

(٣) النكت والعيون ٢/٢٤٦، وأورده الزجاج في معاني القرآن ٢/٣٦٦، وفيه: تلقف بدل: تلقم. وذكرها المصنف بعده.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/٣٦٠ - ٣٦١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٤٤. وصغر، من باب كرم وفرح. تاج العروس (صغر).

لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا ﴿١﴾ أي: جرث بينكم وبينه مواطاة في هذا لتستولوا على مصر؛ أي: كان هذا منكم في مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء^(١). ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

قال ابن عباس: كان فرعون أول من صلب، وقطع الأيدي والأرجل من خلاف^(٢). الرجل اليمنى واليد اليسرى، واليد اليمنى والرجل اليسرى؛ عن الحسن^(٣).

﴿وَمَا لَيْفُهُمْ مِنَّا إِلَّا أَتَاءَمْنَا بِبَايَاتِ رَبِّنَا﴾ قرأ الحسن بفتح القاف. قال الأخفش^(٤): هي لغة. يقال: نَقَمْتُ الأَمْرَ وَنَقِمْتُهُ: أنكرته^(٥). أي: لست تكره منّا سوى أنا^(٦) أمّا بالله، وهو الحق. ﴿لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ آياته وبيناته.

﴿رَبِّنَا أَفْرَغْ عَلَيْنَا حَبْرًا﴾ الإفراغ: الصب، أي: أضببنا علينا عند القطع والصلب. ﴿وَوَقْنَا سُيْلِينَ﴾ فقيل: إن فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطئ النهر^(٧)، وإنه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمئة ألف^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَدُّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكُ وَءَالِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبَلُ آبَاءَهُمْ وَنَسَبَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَوْيُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَدُّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي:

(١) الوسيط ٣٩٦/٢، والكشاف ١٠٤/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٣٦٣/١٤.

(٣) مجمع البيان ١٤٩/٩.

(٤) في معاني القرآن ٥٣٠/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٤٤/٢. وقرءة الحسن ذكرها ابن خالويه في القرءات الشاذة ص ٤٥، ونسبها ليحيى وإبراهيم وأبي حنيفة.

(٥) مجمل اللغة ٨٨٠/٤.

(٦) في (م): أن.

(٧) تفسير البغوي ١٨٨/٢.

(٨) المحرر الوجيز ٤٤١/٢.

بإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل. ﴿وَيَذْرُوكُ﴾ بنصب الراء، جواب الاستفهام، والواو نائبة عن الفاء^(١). ﴿وَالْهَيْكَلُ﴾ قال الحسن: كان فرعون يعبد الأصنام^(٢)، فكان يعبد ويُعبد. قال سليمان التيمي: بلغني أن فرعون كان يعبد البقر. قال التيمي: فقلت للحسن: هل كان فرعون يعبد شيئاً؟ قال: نعم، إن كان يعبد شيئاً قد^(٣) جعله في عُقْقه^(٤).

وقيل: معنى «والهيكل» أي: وطاعتك؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿أَتُخَذُوا آبَاءَهُمْ وَإِبْنَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ رَبِّكَ أَلَّا يَتَذَكَّرَ﴾ [التوبة: ٣١]: إنهم ما عبدوهم ولكن أطاعوهم؛ فصار تمثيلاً^(٥).

وقرأ نعيم بن ميسرة^(٦): ﴿وَيَذْرُوكُ﴾ بالرفع على تقدير: وهو يذرك. وقرأ الأشهب العقبلي: ﴿وَيَذْرُوكُ﴾ مجزوماً مخففاً: «يذرك»؛ لثقل الضمة. وقرأ أنس بن مالك: ﴿وَيَذْرُوكُ﴾ بالرفع والنون^(٧). أخبروا عن أنفسهم أنهم يتركون عبادته إن ترك موسى حياً. وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس والضحاك: ﴿وَالْأَهْتَكُ﴾. ومعناه: وعبادتك^(٨). وعلى هذه القراءة كان يُعبد ولا يُعبد، أي: وترك عبادته لك.

قال أبو بكر الأنباري: فومن مذهب أصحاب هذه القراءة أن فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَكْبَرُ﴾ [النازعات: ٢٤]، و: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [الفصص: ٢٨]،

(١) الوسيط ٣٩٦/٢ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ٢١١/١٤ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٣٦٧/١٠ .

(٣) في (م): إنه كان يعبد شيئاً كان قد...

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣٨/٥ (٨٨٢٣).

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦٥/٣ .

(٦) أبو عمرو الكوفي النحوي نزل الري، ويروى عنه حروف شواذ من اختياره، توفي سنة (١٧٤هـ). غاية النهاية ٣٤٢/٢ .

(٧) المحرر الوجيز ٤٤١/٢ ، وينظر القراءات الشاذة ص ٤٥ ، والمحاسب ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

(٨) القراءات الشاذة ص ٤٥ ، والمحاسب ٢٥٦/١ .

نَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ رَبٌّ وَإِلَاهَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: وَيَذَرُكَ وَإِلَاهَتَكَ؛ بِمَعْنَى: وَيَتْرَكَكَ وَعِبَادَةَ النَّاسِ لَكَ.

وقراءة العامة: «وَأَلْهَتَكَ» كما تقدّم، وهي مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنْ فَرَعُونَ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَرْثُوبٌ^(١). دَلِيلُ هَذَا قَوْلُهُ عِنْدَ حُضُورِ الْجَمَامِ^(٢): ﴿ءَأَمَنْتَ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]. فَلَمْ يُقْبَلْ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ، لَمَّا أَتَى بِهِ بَعْدَ إِغْلَاقِ بَابِ التَّوْبَةِ. وَكَانَ قَبْلَ هَذِهِ الْحَالِ لَهُ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ سِرًّا دُونَ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلًّا وَعِزًّا؛ قَالَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ^(٣).

وَفِي حَرْفِ أَبِي: «أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَقَدْ تَرَكَوكَ أَنْ يَعْبُدُوكَ»^(٤).

وقيل: «وَأَلْهَتَكَ» قيل: كان يعبدُ بقرةً، وكان إذا استحسَنَ بقرةً أَمَرَ بِعِبَادَتِهَا، وَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ وَرَبُّ هَذِهِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [طه: ٨٨]. ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ^(٥). قَالَ الزَّجَّاجُ^(٦): كَانَ لَهُ أَصْنَامٌ صِغَارٌ يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ، فَتَسَبَّحَتْ إِلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى». قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ: قَوْلُ فَرَعُونَ: «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» يَذُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ شَيْئًا غَيْرَهُ.

وقد قيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْإِلَاهَةِ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْبَقْرَةَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا. وَقِيلَ: أَرَادُوا بِهَا الشَّمْسَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَهَا. قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) تفسير الرازي ٢١١/١٤.

(٢) الجَمَامُ: قِضَاءُ الْمَوْتِ وَقُدْرَةُ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (حَمَم).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٧/١٠.

(٤) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ١٤٤/٢ - ١٤٥، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٤٤١/٢، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٦/١٠.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٧/١٠، وَالآيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي السَّامِرِيِّ، وَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فَرَعُونَ يَعْبُدُ مَا يَسْتَحْسِنُ مِنَ الْبَقَرِ أَخْرَجَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِجٌ، وَقَالَ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى. يَنْظُرُ النَّكْتُ وَالْمَبِينُ ٢٤٨/٢.

(٦) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٣٦٧/٢.

وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَوْرِيَا^(١)

ثم آنس قومه فقال: ﴿سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بالتخفيف؛ قراءة نافع وابن كثير. والباقون بالشديد على التكرير^(٢). ﴿وَنَسَخِيهِنَّ نِسَاءَهُمْ﴾ [نتركهن أحياء]^(٣). أي: لا تخافوا جانبهم. ﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ آنسهم بهذا الكلام. ولم يقل: سَنَقْتُلُ موسى؛ لعلمه أنه لا يقدر عليه^(٤). وعن سعيد بن جبير^(٥) قال: كان فرعون قد ملئ من موسى رغباً، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار.

ولما بلغ قوم موسى من فرعون هذا، قال لهم موسى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ أطمعهم في أن يورثهم الله أرض مصر. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الجنة لمن اتقى^(٦). وعاقبة كل شيء: آخره، ولكنها إذا أطلقت فقيل: العاقبة لفلان، فهم منه في العرف الخير.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ أي: في ابتداء ولادتك بقتل الأبناء واسترقاق النساء. ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أي: والآن أعيد علينا ذلك؛ يعنون الوعيد الذي كان من فرعون. وقيل: الأذى من قبل: تسخيرهم ليني إسرائيل في أعمالهم إلى نصف النهار، وإرسالهم بقيته ليكتسبوا لأنفسهم. والأذى من بعد: تسخيرهم جميع

(١) قائلته مئة بنت عتية بن الحارث اليربوعي، وصلره: تروحنا من اللعابه قصرأ. وهو في تفسير الطبري ٣٦٩/١٠، والمحتسب ١٢٣/٢، وتفسير البغوي ١٨٩/٢.

(٢) السبعة ص ٢٩٢، والتيسير ص ١١٢.

(٣) ما بين حاصرتين من تفسير البغوي ١٨٩/٢، وهو المعنى الذي ذكره المفسرون، ولم يذكره المصنف.

(٤) زاد المسير ٢٤٥/٣.

(٥) في (ظ): سعيد بن المسيب، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩١١) من قول مجاهد.

(٦) الوسيط ٣٩٧/٢، وزاد السير ٢٤٥/٣.

النهار كله بلا طعام ولا شراب؛ قاله جُوَيْر. وقال الحسن: الأذى من قبلُ ومن بعدُ واحد، وهو أخذُ الجزية^(١).

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ «عسى» من الله واجب؛ جَدَّد^(٢) لهم الوعدَ وحَقَّقَه. وقد استخلفوا في مصر في زمان داودَ وسليمانَ عليهما السَّلام، وفتحوا بيت المقدس مع يوشعَ بن نون^(٣)؛ كما تقدَّم^(٤).

ورُوي أنهم قالوا ذلك حين خرج بهم موسى وتبعهم فرعون، فكان وراءهم، والبحرُ أمامهم^(٥)، فحقَّق الله الوعيد؛ بأن غرَّق فرعونَ وقومَه وأنجاهم.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَمَلُّونَ﴾ تقدَّم نظائره. أي يرى ذلك العمل الذي يجبُ به الجزاء؛ لأن الله لا يُجازيهم على ما يعلمه منهم، إنما يُجازيهم على ما يقعُ منهم^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ يعني: الجُدُوب. وهذا معروف في اللغة، يقال: أصابهم سنةٌ، أي: جذب. وتقديره: جذبُ سنة. وفي الحديث: «اللهم اجعلها عليهم مِئِينَ كَسِينِي يوسُفَ»^(٧).

(١) النكت والعيون ٢/٢٤٩، وزاد المسير ٣/٢٤٥.

(٢) في (ز): حدد، وفي (ط): جرد.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٤٢.

(٤) ٢٢٨/٤ وما بعدها.

(٥) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٤٢، ثم قال: وبالجمله هو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل؛ من اضطرابهم على أنبيالهم، وقلة يقينهم وصبرهم على الدين. واستعطاف موسى بقوله: «عسى ربكم أن يهلك عدوكم» ووعده لهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوساً نافرة. ويقوي هذا الظن في بني إسرائيل سلوكهم هذه السبيل في غير قصة.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٦٧.

(٧) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة ؓ، وسلف ٦/٢.

ومن العرب مَنْ يُعْرَبُ التُّونَ فِي السِّنِينَ، وَأَنْشَدَ الْفَرَاءُ:

أَرَى مَرَّ السُّنِينَ أَخَذَنْ مَنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ^(١)

قال النَّحَّاسُ^(٢): وَأَنْشَدَ سَيُوبَةُ هَذَا الْبَيْتَ بِفَتْحِ النُّونِ، وَلَكِنْ أَنْشَدَ فِي هَذَا مَا لَا

يَجُوزُ غَيْرُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرِيْمِينَ^(٣)

وحكى الفراء عن بني عامر أنهم يقولون: أقمْتُ عنده مِئِينًا يَا هَذَا؛ مَصْرُوفًا.

قال: وبنو تميم لا يَصْرِفُونَ، ويقولون: مَصَّتْ لَهُ سِنِينَ يَا هَذَا.

وسنين: جمعُ سَنَةٍ، وَالسَّنَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْجَذْبِ، لَا بِمَعْنَى الْحَوْلِ. وَمِنْهُ أَمْسَتْ

الْقَوْمُ، أَي: أَجْدَبُوا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ:

عَمْرُو الْعُلَا هَشَمَ الشَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِثُونَ عَجَافُ^(٤)

﴿لَمَلَّهُمْ يَذْكَرُونَ﴾ أَي: لِيَتَعَطَّوْا وَتَرَقَّ قُلُوبُهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ. وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا

بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

فِي مَسْأَلَتَانِ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ أَي: الْخِضْبُ وَالسَّعَةُ. ﴿قَالُوا لَنَا

هَذِهِ﴾ أَي: أَعْطَيْنَاهَا بِاسْتِحْقَاقِ. ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أَي: فَحُطِّ وَمَرَضَ، وَهِيَ

(١) قائله جرير، وهو في ديوانه ٥٤٦/٢، وفيه رأيت، بدل: أرى. والسرار (بفتح السين وكسرهما): الليلة التي يستمر فيها القمر آخر الشهر، أي: يختفي. اللسان (سرر).

(٢) في إعراب القرآن ١٤٥/٢، وما قبله منه.

(٣) قائله سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرُّيَاحِيِّ، وَصَدْرُهُ: وَمَاذَا يَذَّرِي الشُّعْرَاءَ مَنِي. وَهُوَ فِي طَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ ٧٢/١، وَالْمَقْتَضِبُ ٣٣٢/٣، وَشَرْحُ الْمَفْصَلِ ١١/٥، وَالْخِزَانَةُ ٢٦٠/١.

(٤) ديوان عبد الله بن الزُّبَيْرِ ص ٥٣، وَعَمْرُوهُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَطْعَمَ الشَّرِيدَ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ عَمْرًا، فَمَا سُمِّيَ هَاشِمًا إِلَّا بِهَشْمِهِ الْخَبِيزِ بِمَكَّةَ لِقَوْمِهِ. السيرة النبوية ١٣٦/١.

المسألة:

الثانية: ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى﴾ أي: يتشاءموا به. نظيره: ﴿وَإِنْ تُوبْتُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مِنَ عِبَادِكَ﴾ [النساء: ٧٨]. والأصل: «يتطيروا»؛ أدغمت التاء في الطاء. وقرأ طلحة: «تطيروا» على أنه فعلٌ ماضٍ^(١). والأصل في هذا من الطَّيْرَةِ وَزَجْرِ الطَّيْرِ، ثم كَثُرَ استعمالهم حتى قيل لكلِّ مَنْ تَشَاءَمَ: تَطَّيَّرَ^(٢).

وكانت العربُ تَتِيَمُنُ بالسَّانِحِ: وهو الذي يأتي من ناحية اليمين. وتتشاءم بالبارح: وهو الذي يأتي من ناحية الشُّمَالِ^(٣). وكانوا يتطيرون أيضاً بصوت الغراب، ويتأولونه البَيْنِ. وكانوا يَسْتَدِلُّونَ بِمُجَاوِبَاتِ الطَّيْرِ بعضها بعضاً على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك. وهكذا الطُّبَاءُ إذا مَضَّتْ سَانِحَةٌ أو بارحة، ويقولون إذا بَرَحَتْ: مَنْ لِي بالسَّانِحِ بعد البارح^(٤). إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير، فسموا الجميع تَطَّيَّرًا من هذا الوجه.

وتطير الأعاجم إذا رأوا صَبِيًّا يذهب به إلى المَعْلَمِ بالعِداة، وَيَتِيَمُنُونَ برؤية صبي يرجع من عند المَعْلَمِ إلى بيته، ويتشاءمون برؤية السَّقَاءِ على ظَهْرِهِ قَرْبَةً مملوءة مشدودة، وَيَتِيَمُنُونَ برؤيته^(٥) فارغ السَّقَاءِ مفتوحة قَرْبَتَهُ^(٦)؛ ويتشاءمون بالحَمَّالِ المَثْقَلِ بالحِمْلِ، والدَّابَّةِ المَوْقَرَةِ، وَيَتِيَمُنُونَ بالحَمَّالِ^(٧) الذي وضع حِمْلَهُ، وبالدَّابَّةِ يُحِطُّ عنها ثِقْلُهَا.

فجاء الإسلامُ بالنَّهْيِ عَنِ التَّطْيِيرِ والتشاؤمِ بما يُسْمَعُ من صوتِ طائر ما كان،

(١) القراءات الشاذة ص ٤٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٤٥ - ١٤٦.

(٣) زاد المسير ٣/٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) الأمثال للقاسم بن سلام ص ٢٤٥.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): برؤية، والمثبت سن (خ).

(٦) لفظة: قربت، سن (م).

(٧) في (د) و(ظ): بالجمال، في الموضعين.

وعلى أيِّ حالٍ كان، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَقْرُوا الطَيْرَ على مَكِنَاتِهَا»^(١). وذلك أنَّ كثيراً من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة، أتى الطيرَ في وَكْرَها فنَفَّرَها، فإذا أخذت ذات اليمينِ مَضَى لحاجته، وهذا هو السانحُ عندهم. وإن أخذت ذات الشَّمالِ رَجَع، وهذا هو البارحُ عندهم. فهى النبي ﷺ عن هذا بقوله: «أَقْرُوا الطَيْرَ على مَكِنَاتِهَا» هكذا في الحديث^(٢). وأهل العربية يقولون: وَكُنَاتِهَا. قال امرؤ القيس:
وقد أَغْتَدِي والطَّيْرُ في وَكُنَاتِهَا^(٣)

والوَكْنَةُ: اسمٌ لكلِّ وَكْرٍ وَعُشٍّ. والوَكْنُ: موضعُ الطائر الذي يبيض فيه ويُفْرَخُ، وهو الحَرْقُ في الحيطان والشجر. ويقال: وَكَّنَ الطائرُ يَكُنُّ وَكُونًا: إذا حَصَنَ بِيضَهُ^(٤).

وكان أيضاً من العرب مَنْ لا يرى التطيُّرَ شيئاً، ويمدحون من كَذَّبَ به. قال المُرَقَّشُ:

ولقد غَدَوْتُ وكنتُ لا أغدو على وَاقي وحاسمِ
فإذا الأشائِمُ كالأيا من والأيامنُ كالأشائِمِ^(٥)

(١) أخرجه أحمد (٢٧١٣٩) وأبو داود (٢٨٣٥) من حديث أم كُرْز الكعبية رضي الله عنها، وفي إسناده سباع بن ثابت، قال الذهبي في الميزان ١١٥/٢ سباع بن ثابت عن أم كرز لا يكاد يعرف. والمكنات في الأصل: بيض الضباب، واحدها مَكْنَةٌ، بكسر الكاف، وقد تفتح. يقال: مَكِنَتِ الضَّبَّةُ وَأَمَكِنَت. قال أبو عبيد: جاتز في الكلام أن يُستعار مَكْنُ الضَّبَابِ فيجعل للطير. وقيل: المكنات بمعنى الأمكنة، وقيل: المكنة من الثمكُن، يعني: أَقْرُوها على كل مَكْنَةٍ ترونها عليها، ودعوا التطير بها. النهاية (مكن). وينظر غريب الحديث لأبي عبيد ١٣٥/٢.

(٢) ينظر السنن للشافعي ٦٢/٢ - ٦٤.

(٣) سلف ٣٨٢/٥.

(٤) في النسخ: على ببيضه، والمثبت من (م).

(٥) اليبان في كتاب الحيوان ٤٣٦/٣، وتأويل مختلف الحديث ص ١٠٦ - ١٠٧ وعيون الأخبار ١/١٤٥، والتمهيد ٢٨٧/٩ والواقعي: هو الصَّرْدُ: وهو طائر فوق العصفور، يصيد العصافير. والحاتم: الغراب الأسود. اللسان (صدر) (حتم) (وقى). وثُمَّ مُرَقَّشان؛ الأكبر: وهو ربيعة بن سعد، ويقال: بل هو عمرو ابن سعد. والأصغر: وهو ربيعة بن سفيان من بني سعد بن مالك، وهو ابن أخي المرَقَّش الأكبر، وهو أشعر من الأكبر وأطول عمراً. ينظر الشعر والشعراء ١/٢١٠ و ٢١٤.

وقال عكرمة: كنتُ عند ابنِ عباس، فمرَّ طائرٌ يصيح، فقال رجلٌ من القوم: خير، خير. فقال ابنُ عباس: ما عند هذا لا خيرٌ ولا شرٌّ^(١).

قال علماؤنا: وأما أقوالُ الطير، فلا تعلَّق لها بما يُجعل دلالةً عليه، ولا لها علمٌ بكائنٍ فضلاً عن مستقبلٍ فتُخبر به، ولا في الناس من يعلم منطقَ الطير؛ إلا ما كان الله تعالى خصَّ به سليمانَ ﷺ من ذلك، فالتحق التطيُّرُ بجملةِ الباطل. والله أعلم.

وقال ﷺ: «ليس مِنَّا مَنْ تحلَّم، أو تكهَّن، أو ردَّه عن سفره تطيُّرٌ»^(٢).

وروى أبو داودَ عن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ» ثلاثاً، وما مِنَّا إلا، ولكنَّ الله يُذهبه بالتوكلِ^(٣).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَجَعْتَهُ الطَّيْرَةَ عن حاجته فقد أشرك». قيل: وما كفَّارةُ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، ولا خَيْرَ إلا خَيْرُكَ، ولا إلهَ غيرُكَ، ثم يَمْضِي لحاجته»^(٤). وفي خبرٍ آخر: «إذا وَجَدَ ذلك أَحَدُكُمْ فليقل: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بالحسنات إلا أنت،

(١) أورده ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٠٨، وابن عبد البر في التمهيد ١٩٤/٢٤، والحافظ ابن حجر في الفتح ٢١٥/١٠ وعزاه للطبري.

(٢) لم تقف عليه بهذا السياق، وأخرج الطبراني في الأوسط (٢٦٨٤)، وأبو نعيم في الحلية ١٧٤/٥، والخطيب في تاريخ بغداد ٢٠١/٥، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٧١١/٢ عن أبي الدرداء ؓ أن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ من كنَّ فيه لم يسكن الدرجاتِ العُلا، ولا أقول لكم الجنة: من تكهن، أو استقسم، أو ردَّه من سفر تطيُّر». وفي إسناده محمد بن الحسن الهمداني، كذَّبه ابن معين وأبو داود، وقال أحمد: ما أراه يسوي شيئاً. ميزان الاعتدال ٥١٤/٣.

(٣) سنن أبي داود (٣٩١٠)، وأخرجه أحمد (٣٦٨٧)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقوله: وما مثلاً إلا.. من قول ابن مسعود ؓ، أدرج في الخبر، وقد بيَّنه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه. فتح الباري ٢١٣/١٠ ومعنى: وما مثلاً إلا، أي: إلا من يعتره التطيُّر، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع. معالم السنن ٢٣٢/٤.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٠١/٢٤، وفيه: «من حاجته» بدل: «عن حاجته»، وأخرجه أحمد (٧٠٤٥) بنحوه.

ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(١). ثم يذهب متوكِّلاً على الله، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيهِ مَا رَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ، وكَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يُهِمُّهُ.

وقد تقدَّم في «المائدة» الفرقُ بين الفِعالِ والطَّيِّرَةِ^(٢).

﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقرأ الحسنُ: «طَبَّرْتُمْ»؛ جمعُ طائر، أي: ما قُدِّرَ لهم وعليهم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْفَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ مَا لَحَقَهُمْ مِنَ الْقَحْطِ وَالشَّدَائِدِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذُنُوبِهِمْ، لا من عند موسى وقومه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: قال قومُ فرعونَ لموسى: «مهما». قال الخليل^(٤): الأصل ما ما، الأولى للشرط، والثانية زائدة، توكيدٌ للجزاء، كما تزداد في سائر الحروف، مثل: إمَّا وحيثما وأينما وكيفما. فكَّرِها حرفين لفظهما واحد؛ فأبدلوا من الألفِ الأولى هاءً، فقالوا: مهما. وقال الكسائي: أصله: مَهْ، أي: أَكْفَفْ ما تأتينا به مِنْ آية. وقيل: هي كلمة مُفْرَدَةٌ^(٥)، يُجَارَى بها لِيُجَزَمَ ما بعدها على تقدير: إن. والجواب: «فما نحن لك بمؤمنين».

﴿لِنَسْحَرَنَّ﴾: لِنَتَضَرَّقْنَا عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ. وقد مضى في «البقرة» بيانُ هذه اللفظة^(٦).

قيل: بقي موسى في القَيْطِ بعد إلقاء السحرةِ سَجْدًا عشرين سنة يُرِيهِمُ الآياتِ إِلَى أَنْ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ، فكان هذا قولهم.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٩) من حديث عروة بن عامر القرشي. قال المنذري في مختصره ٣٧٩/٥: قال أبو القاسم الدمشقي: لا صحبة له تصح. وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس. فعلى هذا يكون الحديث مرسلًا. اهـ.

(٢) ٢٩٠/٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٤٦/٢، وقرآنة الحسن في القراءات الشاذة ص ٤٥.

(٤) في العين ٣٥٨/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٤٦/٢.

(٥) إملاء ما من به الرحمن، للمكبري (على هامش الفتوحات الإلهية) ٥٥/٣.

(٦) ٢٧٢/٢ - ٢٧٣.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

فيه خمسُ مسائل:

الأولى: روى إسرائيل عن سِمَاك، عن نَوْفٍ الشَّامِيِّ قال: مَكَثَ موسى ﷺ في آل فرعونَ بعد ما غَلَبَ السَّحَرَةُ أربعين عاماً. وقال محمد بنُ عثمان بنِ أبي شيبة عن مِنجَاب: عشرين سنة؛ يُرِيهِم الآيات: الجراد والقُمَّل والضفادع والدم^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿الطُّوفَانَ﴾ أي: المطر الشديد حتى عاثوا فيه. وقال مجاهدٌ وعطاء: الطوفان: الموت^(٢). قال الأخفش^(٣): واحده طُوفَانَةٌ. وقيل: هو مصدرٌ كالرُّجْحَانِ والنَّقْصَانِ، فلا يُطَلَّبُ له واحد^(٤). قال النحاس^(٥): الطوفان في اللغة ما كان مُهْلِكاً من موتٍ أو سَيْلٍ؛ أي: ما يُطِيفُ بهم فيهِلُّكهم.

وقال السُّدِّي: ولم يُصَبْ بني إسرائيل قطرةً من ماء، بل دخل بيوت القَبِيطِ حتى قاموا في الماء إلى تَرَاقِيهِمْ، ودام عليهم سبعة أيام. وقيل: أربعين يوماً. فقالوا: أَدْعُ لَنَا رَبَّنَا يَكْشِفْ عَنَا فَنُؤْمِنَ بِكَ، فدعا ربُّه، فرفع عنهم الطُّوفَانَ، فلم يؤمنوا. فأُنْبِتَ اللُّهُ لهم في تلك السَّنَةِ، ما لم يُنْبِتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَالِ والزَّرْعِ، فقالوا: كان ذلك الماءَ نعمةً، فبعث اللُّهُ عليهم الجراد - وهو الحيوانُ المعروف، جمع جرادة في المذْكَرِ والمؤنَّثِ، فإنَّ أَرْدَتِ الفِصْلَ نَعَتْ فَقَلَّتْ: رأيتُ جرادةً ذكراً^(٦) - فأكلَ زروعهم وثمارهم، حتى إنها كانت تأكلُ الشُّقُوفَ والأبوابَ حتى تَنهَدِمَ^(٧) ديارهم.

(١) أخرجهما أبو نعيم في الحلية ٥٠/٦.

(٢) أخرجه الطبري ٣٨٠/١٠.

(٣) في معاني القرآن له ٥٣١/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٣٣/١٤.

(٥) في معاني القرآن ٦٩/٣.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٤٦/٢.

(٧) في (خ): تهدمت، وفي (د): تهدم.

ولم يدخل دُورَ بني إسرائيلَ منها شيءٌ^(١).

الثالثة: واختلف العلماء في قتل الجراد إذا حَلَّ بأرض قوم^(٢) فأفسد، فقيل: لا يُقتل. وقال أهلُ الفقه كُلِّهم: يُقتل.

احتجَّ الأولون بأنه خَلَقَ عظيمٌ من خَلَقَ الله، يأكل من رزق الله، ولا يَجري عليه القلم. وما روي: «لا تقتلوا الجراد؛ فإنه جنْدُ الله الأعظم»^(٣).

واحتجَّ الجمهور بأنَّ في تَرْكها فسادَ الأموال، وقد رَخَّص النبي ﷺ بقتال^(٤) المسلم إذا أراد أخذَ ماله؛ فالجرادُ إذا أَرادَ فسادَ الأموال، كانت أولى أنْ يجوزَ قتلُها. ألا ترى أنهم قد اتَّفَقوا على أنه يجوز قتلُ الحيةِ والعقرب؛ لأنهما يؤذيان الناس؟ فكذلك الجراد.

روى ابنُ ماجه عن جابرٍ وأنسِ بنِ مالك أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال: «اللَّهُمَّ أَهْلِكَ كِبَارَهُ، واقتُل صِغَارَهُ، وأفِيدْ بِيضَهُ، واقطعْ دَابِرَهُ، وخذُ بأفواهه عن معاشنا وأرزاقنا، إنك سميعُ الدعاء». قال رجلٌ: يا رسولَ الله، كيف تدعو على جُنْدٍ من أجنادِ الله يَقَطعُ دابِرَهُ؟ قال: «إنَّ الجرادَ نَثْرَةُ الحوتِ في البحر»^(٥).

الرابعة: ثبت في «صحيح» مسلم^(٦) عن عبد الله بنِ أبي أوفى قال: عَزَّوْنَا مع رسولِ الله ﷺ سبعَ عَزَّوات كنا نأكلُ الجرادَ معه.

ولم يختلف العلماء في أكله على الجملة، وأنه إذا أخذَ حَيًّا وقطعت رأسه أنه

(١) تفسير الطبري ٣٨٦/١٠ وما بعدها، وعرائس المجالس ص ١٩٤.

(٢) كلمة: قوم، من (د) و(ز).

(٣) حديث ضعيف، وسلف ١/١٩٦، ومن الواضح أن القول الأول ظاهر الفساد.

(٤) في (ظ): يقتل.

(٥) سنن ابن ماجه (٣٢٢١)، وأخرجه الترمذي (١٨٢٣)، وفي إسناده موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، قال فيه يحيى: ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال البخاري: عنده مناكير. ميزان الاعتدال ٤/٢١٨. وقوله: «نثرَةُ الحوت»: أي: عطسته. النهاية (نثر).

(٦) الحديث (١٩٥٢)، وهو في صحيح البخاري (٥٤٩٥)، وسلف ٣/٢٤ - ٢٥.

حلالاً باتفاق. وأنَّ ذلك ينتزَلُ منه منزلةُ الذَّكَاةِ فيه. وإنما اختلفوا: هل يحتاج إلى سببٍ يموت به إذا صيّدَ أم لا؟ فعامَّتهم على أنه لا يحتاج إلى ذلك، ويؤكل كيفما مات. وحكمه عندهم حكمُ الحيتان، وإليه ذهب ابنُ نافع^(١) ومُطَرِّف.

وذهب مالكٌ إلى أنه لا بُدَّ له من سببٍ يموت به؛ كقطع رؤوسه أو أرجله أو أجنحته؛ إذا مات من ذلك، أو يُضَلَّقُ^(٢) أو يطرح في النار؛ لأنه عنده من حيوان البرِّ، فَمَيْتُهُ محرَّمة.

وكان اللَّيْثُ يكره أكلَ مَيْتِ الجراد، إلَّا ما أخذَ حيًّا ثم مات؛ فإنَّ أخذه ذكاة. وإليه ذهب سعيد بنُ المسيب.

وروى الدَّارِقُطْنِيُّ عن ابن عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَجِلُّ لنا ميتتان: الحوْثُ والجراد، ودمان: الكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(٣).

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي سَعْدٍ^(٤)، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَهَادَيْنَ الْجِرَادَ عَلَى الْأَطْبَاقِ^(٥). ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَيْضاً^(٦).

الخامسة: روى محمد بنُ المنكدر عن جابر بن عبد الله، عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ أَلْفَ أُمَّةٍ: سِتُّ مِئَةٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ، وَأَرْبَعٌ مِئَةٌ فِي الْبَرِّ، وَإِنَّ أَوَّلَ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّمِ الْجِرَادُ، فَإِذَا هَلَكْتَ الْجِرَادُ تَتَابَعَتِ الْأُمَّمُ مِثْلَ نِظَامِ السُّلُوكِ إِذَا انْقَطَعَ». ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي «نَوَادِرِ

(١) في المفهم ٥/٢٣٧ - ٢٣٨ (والكلام منه): ابن عبد الحكم.

(٢) أي: يُشَوَى. اللسان (صلق).

(٣) سنن الدارقطني (٤٧٣٢)، وسلف ٣/٢٤.

(٤) في (د) و(ز) و(م): أبي سعيد. وأبو سعد: هو سعيد بن التمرؤبان البقال. قال البخاري: منكر الحديث وضعفه النسائي، كما في تهذيب الكمال ١١/٥٢.

(٥) سنن ابن ماجه (٣٢٢٠).

(٦) في الإشراف ٢/٣٤١.

الأصول»^(١) وقال: وإنما صار الجراد أول هذه الأمم هلاكاً؛ لأنه خُلِقَ من الطينة التي فضلت من طينة آدم. وإنما تهلك الأمم لهلاك الآدميين؛ لأنها مسخرة لهم.

رَجَعْنَا إِلَى قِصَّةِ الْقَيْطِ: فعاهدوا موسى أن يؤمنوا لو كُشِفَ عنهم الجراد، فدعا فكُشِفَ، وكان قد بَقِيَ من زُرُوعِهِمْ شيءٌ، فقالوا: يكفينا ما بَقِيَ؛ ولم يؤمنوا، فبعث الله عليهم القُمَّلَ - وهو صِغَارُ الدَّبِّي؛ قاله قتادة. والدَّبِّي: الجراد قبل أن يطير، الواحدة دَبَاةٌ، وأَرْضٌ مَدْبِيَّةٌ: إذا أكل الدَّبِّي نباتها^(٢). وقال ابن عباس: القُمَّل: الشُّوس الذي في الحِنطَةِ. وقال ابن زيد: البراغيث. وقال الحسن: دوابُّ سُودٍ صِغَارٍ^(٣). وقال أبو عبيدة^(٤): الحَمْنان، وهو ضربٌ من القُرَاد، واحدها حَمْنانة - فاكلت دوابهم وزُرُوعَهُمْ، وَلَزِمَتْ جلودهم كأنها الجُدْرِيُّ عليهم، وَمَنَعَهُم النُّومَ والقرار.

وقال حبيب بن أبي ثابت: القُمَّل: الجِعْلان^(٥). والقُمَّل عند أهل اللغة: ضربٌ من القِرْدان. قال أبو الحسن الأعرابي العدوي^(٦): القُمَّل: دوابُّ صِغَارٍ مِنْ جنس القِرْدان، إلا أنها أصغرُ منها، واحدها قُمَّلة. قال النحاس^(٧): وليس هذا بناقضٍ لِمَا قاله أهلُ التفسير؛ لأنه يجوز أن تكونَ هذه الأشياءُ كلها أُرْسِلَتْ عليهم، وهي أنها

(١) ص ١٣١، وأخرجه ابن حبان في المجروحين ٢٥٦/٢ - ٢٥٧، وابن عدي في الكامل ١٩٩٠/٥، قال ابن حبان: وهذا شيء لا شك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ. قلنا: في إسناده محمد ابن عيسى بن كيسان، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: لا ينبغي أن يُحَدِّث عنه، وقال ابن حبان: يروي عن محمد بن المنكدر العجائب. ينظر ميزان الاعتدال ٣/٦٧٧.

(٢) الصحاح (دي).

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٠/٣٨٣ - ٣٨٥.

(٤) في مجاز القرآن ١/٢٢٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٧٤)، والجعلان: جمع جَعَل، حشرة كالثَّقَفَساء يكثر في المواضع النديّة. المعجم الوسيط (جعل).

(٦) لم نعرفه.

(٧) في معاني القرآن ٣/٧٠. وما قبله منه.

كلَّها تجتمع في أنها تُؤذيهم.

وذكر بعض المفسرين أنه كان يَعيَّن شمس كَثِيبٍ مِن رمل، فضربه موسى بعصاه فصار قُمَّلاً^(١). وواحدُ القُمَّلِ قُمَّلة. وقيل: القُمَّلُ: القُمَّلُ، قاله عطاءُ الخُراسانيّ^(٢). وفي قراءة الحسن: «والقُمَّل» بفتح القاف وإسكان الميم^(٣). فتضرَّعوا، فلَمَّا كُشِفَ عنهم لم يؤمنوا، فأرسل اللُّهُ عليهم الضَّفادع، جمع ضِفْدِيع، وهي المعروفةُ التي تكون في الماء، وقد ورد النهيُّ عن قتلها^(٤)، أخرجه أبو داود وابنُ ماجه بإسنادٍ صحيح؛ أخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل، عن عبد الرزاق. وابنُ ماجه عن محمد ابن يحيى النيسابوريِّ الذُّهليِّ، عن أبي هريرة قال: نهى رسولُ اللّهِ ﷺ عن قتل الصُّرَدِ^(٥) والضَّفديعِ والنَّملةِ والهدهد^(٦).

وخرَّج النَّسائيُّ عن عبد الرحمن بنِ عثمان، أنَّ طيبياً ذَكَرَ ضِفْدَعاً في دواءٍ عند النبيِّ ﷺ، فنهاه النبيُّ ﷺ عن قتلها^(٧). صحَّحه أبو محمد عبدُ الحقِّ^(٨).

(١) أخرجه الطبري ٣٩٥/١٠ من قول سعيد بن جبير والحسن.

(٢) أورده البغوي في تفسيره ١٩٢/٢، وأخرجه الطبري ٣٩٧/١٠ من قول زيد بن أسلم.

(٣) القراءات الشاذة ص ٤٥، والمحضَّب ٢٥٧/١.

(٤) في (خ) و(ظ) و(م): وفيه مسألة واحدة، وهي أن النهي ورد عن قتلها.

(٥) الصُّرَدُ: هو طائر ضخم الرأس والمتقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض ونصفه أسود. النهاية (صرد).

(٦) كذا ذكر المصنف حديثي أبي داود وابن ماجه، وهو وهم منه رحمه الله، فالذي رواه أبو داود (٥٢٦٧) عن أحمد بن حنبل، وابنُ ماجه (٣٢٢٤) عن محمد بن يحيى النيسابوري (وهو الذي ذكره المصنف أعلاه)، كلاهما (أحمد ومحمد) عن عبد الرزاق... بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصُّرَد. (وليس فيه ذكر الضَّفديع). وأما الحديث الذي أورده المصنف أعلاه، فقد رواه ابن ماجه وحده (٣٢٢٣) عن محمد بن بشار وعبد الرحمن بن عبد الوهاب (وليس عن محمد بن يحيى)... بإسنادهما إلى أبي هريرة... باللفظ الذي ذكره المصنف وأما حديث النهي عن قتل الضَّفديع عند أبي داود فهو الآتي بعده. وانظر تحفة الأشراف ٦٩/٥ و ٤٦٨/٩.

(٧) المجتبى ٢١٠/٧، وأخرجه أحمد (١٥٧٥٧)، وأبو داود (٥٢٦٩).

(٨) في الأحكام الوسطى ٢٤٩/٤ - ٢٥٠، والأحكام الصغرى ٨٤٨/٢ - ٨٤٩.

وعن أبي هريرة قال: الضَّرَدُ أوَّلُ طَيْرِ صَامٍ، وَلَمَّا خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحَرَمِ فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ، كَانَتِ السَّكِينَةُ^(١) مَعَهُ وَالضَّرَدُ؛ فَكَانَ الضَّرَدُ دَلِيلَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ، وَالسَّكِينَةُ مِقْدَارَهُ. فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْبُقْعَةِ^(٢)، وَقَعَتِ السَّكِينَةُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ وَنَادَتْ: إِبْنِ يَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى مِقْدَارِ ظِلِّي. فَهَيَّ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ الضَّرَدِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْبَيْتِ، وَعَنِ الضَّفْدِيعِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى نَارِ إِبْرَاهِيمَ^(٣). وَلَمَّا تَسَلَّطَتْ عَلَى فِرْعَوْنَ، جَاءَتْ فَأَخَذَتْ الْأَمَكَةَ كُلَّهَا، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الثَّنُورِ، وَثَبَتْ فِيهَا وَهِيَ نَارٌ تُسَعَّرُ؛ طَاعَةً لِلَّهِ. فَجَعَلَ اللَّهُ نَقِيْقَهَا تَسْبِيحًا. يُقَالُ: إِنَّهَا أَكْثَرُ الدَّوَابِّ تَسْبِيحًا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لَا تَقْتُلُوا الضَّفْدِيعَ؛ فَإِنَّ نَقِيْقَهُ الَّذِي تَسْمَعُونَ تَسْبِيحًا^(٤). فَرُوي أَنَّهَا مَلَأَتْ قُرْشَهُمْ وَأَوْعَيْتَهُمْ وَطَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ؛ فَكَانَ الرَّجُلُ يُجْلِسُ إِلَى ذَقْنِهِ فِي الضَّفَادِعِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ وَثَبَ الضَّفْدِيعُ فِي فِيهِ. فَشَكَوَا إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: تَنُوبُ؛ فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ، فَعَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ، فَسَالَ النَّيْلُ عَلَيْهِمْ دَمًا. وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّ يَغْتَرِفُ مِنْهُ الْمَاءَ، وَالْقَبْطِيُّ الدَّمَ. وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّ يَصُبُّ الْمَاءَ فِي فَمِ الْقَبْطِيِّ فَيَصِيرُ دَمًا، وَالْقَبْطِيُّ يَصُبُّ الدَّمَ فِي فَمِ الْإِسْرَائِيلِيِّ فَيَصِيرُ مَاءً زُلَالًا^(٥).

﴿وَأَيَّتِ مُفَصَّلَاتٍ﴾ أي: مُبَيِّنَاتِ ظَاهِرَاتٍ؛ عَنِ مَجَاهِدٍ^(٦). قَالَ الزَّجَاجُ^(٧): «آيَاتِ مُفَصَّلَاتٍ»: نَصَبَ عَلَى الْحَالِ. وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْآيَةِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا. وَقِيلَ: شَهْرٌ^(٨)؛ فَلِهَذَا قَالَ: «مُفَصَّلَاتٍ». ﴿فَأَسْتَكَرُّوْا﴾ أي: تَرَفَّعُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(١) السكينة: ريح سريعة الممر. النهاية (سكن).

(٢) في (ظ): الحرم.

(٣) نواذر الأصول ص ١٣٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٤١٨)، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧٢٨) عنه مرفوعاً. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١١٧/٤: صوابه موقوف.

(٥) عرائس المجالس ص ١٩٦. وليس في هذه المبالغات التي أوردها المفسرون نصٌ صحيح.

(٦) أخرجه الطبري ٣٩٨/١٠ بنحوه.

(٧) في معاني القرآن ٣٧٠/٢.

(٨) المحرر الوجيز ٢/٤٤٤ - ٤٤٥.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَسْأَلُونَ آدَمَ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي أَلِيمٍ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: العذاب. وقرئ بضمّ الراء^(١)؛ لغتان. قال ابن جبير: كان طاعوناً، مات به من القبط في يوم واحد سبعون ألفاً^(٢). وقيل: المراد بالرجز ما تقدم ذكره من الآيات.

﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ «ما» بمعنى الذي، أي: بما استودعك من العلم، أو: بما اختصك به فنباك. وقيل: هذا قسم، أي: بعهده عندك إلا ما دعوت لنا؛ ف«ما» صلة^(٣).

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ أي: بدعائك لإلهك حتى يكشف عنا. ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ أي: نصدقك بما جئت به. ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وكانوا يستخدمونهم؛ على ما تقدم^(٤).

﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ﴾ يعني: أجلهم^(٥) الذي ضرب لهم في التفرقة. ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ أي: يتنقصون ما عقده على أنفسهم.

﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي أَلِيمٍ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ والييم: البحر. «وكانوا عنها» أي: عن النعمة؛ دلّ عليها: «فانتقمنا». وقيل: عن الآيات، أي: لم يعتبروا بها حتى صاروا كالغافلين عنها.

(١) قرأ بها مجاهد وابن محيصن كما في القراءات الشاذة ص ٤٥.

(٢) أخرجه الطبري ٣٩٩/١٠ - ٤٠٠.

(٣) الصواب أنها مصدرية، ينظر الكشاف ١٠٨/٢ - ١٠٩.

(٤) ٢٦٣/٦.

(٥) في النسخ الخطية: أجلهم، والمثبت من (م).

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَقُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ يريد بني إسرائيل. ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَقُونَ﴾ أي: يُسْتَدْلُونَ بالخدمة. ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾ زَعَمَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَاءُ أَنَّ الْأَصْلَ: فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، ثُمَّ حُذِفَ «فِي» فَنَصَبَ^(١). وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ وَرِثُوا أَرْضَ الْقِبْطِ. فَهَمَا نَصَبَ عَلَى الْمَفْعُولِ الصَّرِيحِ؛ يُقَالُ: وَرِثْتُ الْمَالَ وَأَوْرَثْتُهُ الْمَالَ؛ فَلَمَّا تَعَدَّى الْفِعْلُ بِالْهَمْزَةِ نَصَبَ مَفْعُولَيْنِ.

والأرض: هي أرض الشام ومصر. ومشارقها ومغاربها: جهات الشرق والغرب بها، فالأرض مخصوصة، عن الحسن وقتادة وغيرهما. وقيل: أراد جميع الأرض؛ لأنَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَقَدْ مَلَكَ الْأَرْضَ^(٢). ﴿الَّتِي بَنَرْنَا فِيهَا﴾ أي: بإخراج الزروع والشمار والأنهار.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هي قوله: ﴿وَفَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَمَلَتْهُمُ أَيْمَةٌ وَجَمَلَتْهُمُ الرَّبْرِيتُ﴾^(٣) [القصص: ٥]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بِصَبْرِهِمْ عَلَىٰ أَدَىٰ فِرْعَوْنَ، وَعَلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِمُوسَىٰ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٤) يُقَالُ: عَرَّشَ يَعْرِشُ: إِذَا بَنَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: أَي: مَا كَانُوا يَبْنُونَ مِنَ الْقُصُورِ وَغَيْرِهَا^(٥). وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ تَعْرِيشُ الْكُرْمِ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٤٧/٢، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣٩٧/١.

(٢) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤٤٦/٢ وتفسير الرازي ٢٢١/١٤، وقول الحسن وقتادة أخرجه الطبري ٤٠٦/١٠ - ٤٠٧ دون ذكر مصر.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٦/٢، ونسبه للمهدوي.

(٤) وقع في (خ) و(ز) و(ظ) بدل هذه الآية قوله: ويعرشون بينون، والمثبت من (د) و(م).

(٥) أخرجه الطبري ٤٠٧/١٠.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «يُعْرَشُونَ» بضمّ الراء^(١). قال الكسائي: هي لغة تميم^(٢). وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: «يُعْرَشُونَ» بتشديد الراء وضمّ الياء^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْبَحْرِ فَأَتَوْنَا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْبَحْرِ فَأَتَوْنَا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾
قرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف، والباقون بضمّها^(٤). يقال: عَكَفَ يَعْكِفُ وَيَعْكُفُ، بمعنى: أقام على الشيء ولزمه. والمصدر منهما على فُعول^(٥). قال قتادة: كان أولئك القوم من لَحْم، وكانوا نزولاً بالرقّة^(٦). وقيل: كانت أصنامهم تماثيل بقر؛ ولهذا أخرج لهم السامري عجلاً^(٧).

﴿قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾ نظيره قول جُهَّال الأعراب - وقد رأوا شجرة خضراء للكفار، تُسَمَّى ذات أنواط^(٨)، يعظمونها في كل سنة يوماً -: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُ أَكْبَرُ. قُلْتُمْ - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» لتركيبتن سنن من قبلكم حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ^(٩)، حتى إنهم لو

(١) السبعة ص ٢٩٢، والتيسير ص ١١٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٤٧/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢، وهي قراءة شاذة.

(٤) السبعة ص ٢٩٢، والتيسير ص ١١٣.

(٥) تهذيب اللغة ٣٢١/١، والصحاح (عكف).

(٦) تفسير البغوي ١٩٤/٢، وأخرجه الطبري ٤٠٩/١٠ - ٤١٠ دون قوله: وكانوا نزولاً بالرقّة.

(٧) أخرجه الطبري ٤٠٩/١٠ من قول ابن جريج.

(٨) سميت بذلك لأنهم كانوا ينوطون بها سلاحهم، أي: يعلقونه بها. النهاية (نوط).

(٩) القُدَّة: ريشة السهم، جمعها: قُدْد. أي: كما تُقَدَّر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع. يضرب مثلاً للشيثين يتويان ولا يتفاوتان. النهاية (قُدْد).

دخلوا جُحْرَ صَبٍّ لدخلتموه»^(١). وكان هذا في مَخْرَجِهِ إِلَى حُنَيْنٍ، على ما يأتي بيانه في «براءة» إن شاء الله تعالى^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّنَا مَا هُمْ فِيهِ وَنَطِلُنَا مَا كَانُوا يَتَمَلَّوْنَ ۗ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أُنْبِيَاءَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْمَلَكِيِّتِ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّنَا مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي: مُهْلِكٌ، وَالتَّبَارُ: الهلاك. وكلُّ إِنْاءٍ مُكْسَّرٌ: مُتَّبَرٌّ، وأمر مُتَّبَرٌّ. أي: إنَّ العابد والمعبود مُهْلِكَانِ. وقوله: ﴿وَنَطِلُنَا﴾ أي: ذاهبٌ مُضْمَجِلٌ. ﴿مَا كَانُوا يَتَمَلَّوْنَ﴾ «كانوا» صلة زائدة.

﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أُنْبِيَاءَكُمْ إِلَهًا﴾ أي: أطلبُ لكم إلهًا غيرَ الله تعالى؟ يقال: بَغَيْتُهُ وَبَغَيْتُ لَهُ. ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْمَلَكِيِّتِ﴾ أي: على عالمي زمانِكُمْ. وقيل: فَضَّلَهُمْ بِإِهْلَاكِ عَدُوَّهُمْ وَبِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْبِئْتُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُؤُونَكُمْ سُوءَ الْمَذَابِ يُقَالُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۗ﴾

ذَكَرَهُمْ مِنْتَهُ. وقيل: هو خطابٌ ليهودِ عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ. أي: واذكروا إذ أنجينا أسلافكم^(٣)؛ حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٤).

(١) وقع لفظ هذا الحديث (كما أورده المصنف) في أكثر من حديث، فقد أخرجه أحمد (٢١٨٩٧)، والترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي ؓ، دون قوله: «حذو القُذَّةَ بالقُذَّة...» إلى آخر الحديث. وقوله: «حذو القُذَّةَ بالقُذَّة» وقع في حديث شداد بن أوس ؓ، أخرجه أحمد (١٧١٣٥)، وقوله: «حتى إنهم لو دخلوا جحر صَبٍّ لدخلتموه» وقع في حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه أحمد (٨٣٤٠)، وحديث أبي سعيد الخدري ؓ، أخرجه أحمد (١١٨٠٠)، والبخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) في تفسير الآية (٢٥) منها.

(٣) تفسير الطبري ٤١٣/١٠.

(٤) ٨٠/٢ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتَ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتَ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذكر أن ممّا كرم الله به موسى ﷺ هذا. فكان وعده المناجاة إكراماً له.

﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومسروق ﷺ: هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة^(١). أمره أن يصوم الشهر ويفرد فيه بالعبادة، فلما صامه؛ أنكر خلوف فميه، فاستاك. قيل: يعود خزنوب، فقالت الملائكة: إنا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك، فأنسدته بالسواك. فزيد عليه عشر ليالٍ من ذي الحجة.

وقيل: إن الله تعالى أوحى إليه لما استاك: يا موسى، لا أكلمك حتى يعود فوك إلى ما كان عليه قبل، أما علمت أن رائحة الصائم أحب إلي من ريح المسك. وأمره بصيام عشرة أيام^(٢).

وكان كلام الله تعالى لموسى ﷺ عداة النحر حين فدى إسماعيل من الذبح، وأكمل لمحمد ﷺ الحج^(٣).

وحذفت الهاء من عشر؛ لأن المعدود مؤنث.

والفائدة في قوله: ﴿فِتْمٍ مِيقَتَ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقد علم أن ثلاثين وعشرة

(١) أخرجه الطبري ٤١٤/١٠ - ٤١٥ ، وابن أبي حاتم ١٥٥٦/٥ (٨٩٢٠).

(٢) الوسيط ٤٠٥/٢ ، وزاد المسير ٢٥٥/٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٥٥٦/٥ (٨٩١٨) بنحوه من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨١/٢ .

أربعون، لثلاً يُتوهَّم أنَّ المراد: أتممنا الثلاثين بعشرٍ منها؛ فبيِّن أنَّ العشر سوى الثلاثين^(١). فإن قيل: فقد قال في «البقرة»: «أربعين» [الآية: ٥١]، وقال هنا: «ثلاثين»، فيكون ذلك من البداء^(٢). قيل: ليس كذلك، فقد قال: ﴿وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرٍ﴾ والأربعون، والثلاثون والعشرة؛ قولٌ واحد ليس بمختلف. وإنما قال القولين على تفصيلٍ وتأليف، قال: «أربعين» في قولٍ مؤلَّف، وقال: «ثلاثين» يعني: شهراً متتابعاً وعشراً. وكلُّ ذلك أربعون؛ كما قال الشاعر: عشر وأربع^(٣)

يعني: أربع عشرة، ليلة البدر. وهذا جائرٌ في كلام العرب.

الثانية: قال علماؤنا: دلَّت هذه الآية على أن ضَرْبَ الأجل للمواعدة سُنةٌ ماضية، ومعنى قديمٍ أسَّسه اللهُ تعالى في القضايا، وحَكَمَ به للأُمم، وعرفَهم به مقاديرَ النَّاتِي في الأعمال. وأوَّلُ أَجلٍ ضربه اللهُ تعالى الأيامُ السُّنة التي خلق فيها جميعَ المخلوقات^(٤)، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. وقد بيَّنَّا معناه فيما تقدَّم في هذه السورة من قوله: ﴿إِنَّكُمْ رَجِئْتُمْ أَنَّكُمْ مُؤْتَمَرُونَ﴾ [ق: ٥٤].

قال ابن العربي^(٥): فإذا ضُربَ الأجلُ لمعنى يحاول فيه تحصيلُ المؤجَّل، فجاء الأجلُ ولم يتيسَّر، زيدَ فيه تبصرةٌ ومعدرةٌ. وقد بيَّن اللهُ تعالى ذلك لموسى عليه السلام، فضرب له أجلاً ثلاثين ثم زاده عشرًا تنمةً أربعين. وأبطأ موسى عليه السلام في هذه العشرِ على قومه، فما عَقَلُوا جوازَ النَّاتِي والتأخُّرِ حتى قالوا: إِنَّ موسى ضَلَّ أو نَسِيَ، ونكثوا عهده وبدَّلوا بعده، وعبدوا إلهاً غيرَ الله.

(١) إهراب القرآن للنحاس ١٤٨/٢، وتفسير الرازي ٢٢٦/١٤.

(٢) يقال: بدَّأه في هذا الأمر بدَّأه - بالمد - أي: نشأ له فيه رأي. الصحاح (بدو).

(٣) قاله أبو نواس، وهو في ديوانه ص ٢٢٣، وهو بتمامه:

كالبدر ليلة عشر وأربع لشمسه

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٠/٢.

(٥) في أحكام القرآن ٧٨٠/٢.

قال ابن عباس: إن موسى قال لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه، وأخلف فيكم هارون، فلما فصل^(١) موسى إلى ربه زاده الله عشراً، فكانت فتنتهم في العشر الذي زاده الله^(٢)، بما فعلوه من عبادة العجل، على ما يأتي بيانه^(٣).

ثم الزيادة التي تكون على الأجل تكون مقدرة، كما أن الأجل مقدر. ولا يكون إلا باجتهاد^(٤) من الحاكم بعد النظر إلى المعاني المتعلقة بالأمر؛ من وقت وحال وعمل، فيكون مثل ثلث المدّة السالفة، كما أجل الله لموسى. فإن رأى الحاكم أن يجمع له الأصل في الأجل والزيادة في مدّة واحدة جاز، ولكن لا بد من التريث بعدها لما يطرأ من العذر على البشر، قاله ابن العربي.

روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة»^(٥).

قلت: وهذا أيضاً أصل لإعذار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد أخرى. وكان هذا لطفاً بالخلق، ولينفد القيام عليهم بالحق. يقال: أعذر في الأمر، أي: بالغ فيه^(٦)، أي: أعذر غاية الإعذار الذي لا إعذار بعده.

وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم؛ ليتيم حجتهم عليهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقَّ نِعْمَتِ رَسُولِكَ﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قيل: هم

(١) أي: خرج، الصحاح (فصل).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ١١٥/٣، عزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ص ٣٢٣ من هذا الجزء.

(٤) عبارة أحكام القرآن لابن العربي ٧٨١/٢ (والكلام منه): الزيادة التي تكون على الأجل غير مقترنة، كما أن الأجل غير مقدر، وإنما يكون ذلك باجتهاد...

(٥) صحيح البخاري (٦٤١٩)، وهو عند أحمد (٧٧١٣). قال الحافظ ابن حجر ٢٤٠/١١: المعنى: أنه لم يبق له اعتذار، كأن يقول: لرؤد لي في الأجل لعلت ما أمرت به.

(٦) الصحاح (عذر).

الرسول. ابن عباس: هو الشَّيب^(١). فإنه يأتي في سِنَّ الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سِنَّ الصَّبَا.

وَجَعَلَ السَّتين غاية الإعذار؛ لأن السَّتين قريبٌ من مُعْتَرَكِ العباد^(٢)، وهو سِنَّ الإِنَابَةِ والخشوع والاستسلام لله، وترقُبِ المَنِيَّةِ ولقاءِ الله، ففيه إِعْذارٌ بعد إِعْذار^(٣)؛ الأوَّلُ بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام، والثاني بالشَّيب، وذلك عند كمالِ الأربعين، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. فذكر عَزَّ وجلَّ أَنَّ مَنْ بلغَ أربعين، فقد آنَ له أن يعلمَ مقدارَ نِعَمِ الله عليه وعلى والديه وَيُشْكِرَها.

قال مالك: أدركت أهلَ العلمِ ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويُخالطون الناس، حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتت عليهم؛ اعتزلوا الناس.

الثالثة: ودلَّت الآيةُ أيضاً على أن التاريخ يكون بالليالي دون الأيام؛ لقوله تعالى: «ثلاثين ليلةً»، لأن الليالي أوائلُ الشهور. وبها كانت الصحابةُ ﷺ تُخبر عن الأيام، حتى رُوي عنها أنها كانت تقول: صُمْنَا خمساً مع رسول الله ﷺ. والعجم تخالف في ذلك، فتحسب بالأيام؛ لأن معولها على الشمس. ابن العربي^(٤): وحساب الشمس للمنافع، وحساب القمر للمناسك؛ ولهذا قال: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾. يقال: أَرَّخت تاريخاً، وورَّخت تاريخاً، لغتان^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ كُنْ خَلِيفَتِي﴾ والمعنى: وقال موسى - حين أراد المُضِيِّ للمناجاة والمغيب فيها - لأخيه هارون: كن خليفتي^(٦)،

(١) أخرجه البيهقي ٣/ ٣٧٠.

(٢) في (د) و(ز): العبادة. وسيذكر المصنف هذا المعنى عند تفسير الآية (٣٧) من سورة فاطر، وفيه: معترك المنايا، بدل: معترك العباد.

(٣) ذكر هذا الكلام الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٢٤٠ ونسبه لابن بطَّال.

(٤) في أحكام القرآن ٢/ ٧٨١، وما قبله منه.

(٥) الصحاح (أرخ).

(٦) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٠.

فدلَّ على النِّبَاية.

وفي «صحيح» مسلم: عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لعليٍّ حين خَلَفَهُ في بعض مغازيه: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

فاستدلَّ بهذا الروافضُ والإماميةُ وسائرُ فِرَقِ الشَّيعةِ على أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ استخلف عليًّا على جميع الأمة، حتى كَفَّرَ الصحابةُ الإماميةُ - قَبَّحَهُمُ اللهُ - لأنهم عندهم تركوا العملَ الذي هو النصُّ على استخلاف عليٍّ، واستخلفوا غيرهَ بالاجتهاد منهم. ومنهم من كَفَّرَ عَلِيًّا إِذْ لَمْ يَقُمْ بِطَلْبِ حَقِّهِ. وهؤلاء لا شكَّ في كُفْرِهِمْ وَكُفْرِ مَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى مَقَالَتِهِمْ^(٢). ولم يعلموا أَنَّ هَذَا اسْتِخْلَافٌ فِي حَيَاةِ - كَالْوَكَاةِ الَّتِي تَنْقُضِي بَعْزِلَ الْمُوَكَّلِ أَوْ بِمَوْتِهِ - لَا يَقْتَضِي أَنَّهُ مُتِمَادٌ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَيُنْخَلُّ عَلَى هَذَا مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْإِمَامِيَّةُ وَغَيْرِهِمْ^(٣). وقد استخلف النبيُّ ﷺ على المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَغَيْرِهِ^(٤)، ولم يُلْزَمَ مِنْ ذَلِكَ اسْتِخْلَافُهُ دَائِمًا بِالِاتِّفَاقِ. على أنه قد كان هَارُونَ شُرَكَاءَ مَعَ مُوسَى فِي أَصْلِ الرِّسَالَةِ، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهِ عَلَى مَا رَامُوهُ دَلَالَةٌ^(٥). والله الموفق للهداية.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمرٌ بالإصلاح. قال ابنُ جُريج: كان من الإصلاح أن يَزَجَرَ السَّامِرِيَّ وَيُغَيِّرَ عَلَيْهِ^(٦). وقيل: أي: أَرْقُقْ بِهِمْ، وَأَصْلِحْ أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ، أَي: كُنْ مُصْلِحًا. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لَا تَسْلُكْ سَبِيلَ الْعَاصِيينَ، وَلَا تَكُنْ عَوْنًا لِلظَّالِمِينَ.

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٤)، وهو عند أحمد (١٥٨٣) و(١٦٠٨)، والبخاري (٤٤١٦). وقد سلف ١/٣٩٨.

(٢) المفهم ٦/٢٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٥٠.

(٤) سلف ١/٤٠٠.

(٥) المفهم ٦/٢٧٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٥٠، وأخرجه الطبري ١٠/٤١٦ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرِّقَنَّ وَلَٰكِنِ أَنْظَرْنَا إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: في الوقت الموعود. ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي: أسمعته كلامه من غير واسطة. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ﴾ سأل النظر إليه، واشتاق إلى رؤيته لما أسمعته كلامه. ﴿قَالَ لَنُتَرِّقَنَّ﴾ أي: في الدنيا.

ولا يجوز الحملُ على أنه أراد: أرني آيةً عظيمةً لأنظرَ إلى قدرتك؛ لأنه قال: «إليك» وقال: «لن تراني». ولو سأل آيةً لأعطاء الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات. وقد كان لموسى عليه السلام فيها مَقْتَعٌ عن طلب آيةٍ أخرى، فبطل هذا التأويل^(١).

﴿وَلَٰكِنِ أَنْظَرْنَا إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي﴾ صَرَبَ له مِثَالًا مِمَّا هو أقوى مِنْ بِنْتِهِ وَابْتُ، أي: فَإِنِ تَبَّتِ الْجَبَلُ وَسَكَنَ؛ فسوف تراني، وإن لم يسكن؛ فإنك لا تُطِيقُ رؤيتي؛ كما أن الجبل لا يُطِيقُ رؤيتي.

وذكر القاضي عياض^(٢) عن القاضي أبي بكر بن الطَّيِّبِ ما معناه: أن موسى عليه السلام رأى الله، فلذلك خَرَّ صَعِقًا، وأنَّ الجبل رأى ربه، فصار دَكًّا بِإِدْرَاكِ خَلْقِهِ اللهُ له. واستنبط ذلك من قوله: ﴿وَلَٰكِنِ أَنْظَرْنَا إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي﴾. ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوِقًا﴾ و«تجلى» معناه: ظهر، مِنْ قولك: جَلَوْتُ العروسَ، أي: أهرزتها. وَجَلَوْتُ السيفَ: أهرزته من الصِّدَأِ، جِلاءً فِيهِمَا. وَتَجَلَّى الشَّيْءُ: انكشَفَ^(٣). وقيل: تجلَّى أمره وقدرته؛ قاله قُطْرُبٌ وغيره.

(١) تفسير الرازي ١٤/٢٣٠.

(٢) في الشفا ١/٣٨٥.

(٣) الصغاح (جلو).

وقراءة أهل المدينة وأهل البصرة: «دَكَا»^(١)، يدلُّ على صِحَّتِهَا ﴿دَكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، وأنَّ الجبلَ مذكَّر. وقرأ أهل الكوفة: «دَكَّاء»^(٢)، أي: جعله مثلَ أرضٍ^(٣) دَكَّاء، وهي الناتئة لا تبلُغُ أن تكونَ جبلاً. والمذكَّر: أدكُّ، وجمع دَكَّاء: دَكَّاوات ودكُّ، مثل: حَمْرَاوات وحُمُرٌ^(٤). قال الكِسائي: الدُّكُّ من الجبال: العِراض، واحدها: أدكُّ، غيرُه: والدُّكَّاوات جمع دَكَّاء: رَوَابٍ من طينٍ ليست بالغلظ. والدُّكِّدَاكُ كذلك من الرمل: ما التبدَّ بالأرض فلم يرتفع. وناقاة دَكَّاء: لا سَنَامَ لها^(٥).

وفي التفسير: فساخ الجبلُ في الأرض، فهو يذهب فيها حتى الآن. وقال ابن عباس: جعله تراباً. عَطِيَّةُ العَوْفِي: رملاً هائلاً.

﴿وَحَرَّ مَوْسَى صَعِقًا﴾ أي: مَغْشِيًا عليه، عن ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: ميتاً^(٦)؛ يقال: صَعِقَ الرجل فهو صَعِقٌ. وصُعِقَ فهو مصعوق^(٧). وقال قتادة والكَلْبِي: حَرَّ موسى صَعِقًا يومَ الخميس يومَ عَرَفَةَ، وأعطى التوراة يومَ الجمعة يومَ النَّحْرِ^(٨). ﴿قَلَمًا أَنَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بِنْتُ إِلَيْكَ﴾ قال مجاهد: من مسألة الرؤية في الدنيا^(٩). وقيل: سأل من غير استئذان؛ فلذلك تاب^(١٠). وقيل: قاله على جهة الإنابة إلى الله

(١) قرأ بها نافع المدني وأبو عمرو البصري، ووافقهما ابن كثير المكي وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي. السبعة ص ٢٩٣، والتيسير ص ١١٣.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي من أهل الكوفة، وأما عاصم الكوفي فقرأ: «دَكَّا»، كما سلف.

(٣) في (د) و(ز) و(ظ): الأرض.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٤٨/٢، وينظر معاني القرآن له ٧٥/٣.

(٥) مجمل اللغة ٣١٨/١.

(٦) تفسير البغوي ١٩٧/٢ - ١٩٨، وتنتظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤٢٧/١٠ - ٤٢٨.

(٧) تهذيب اللغة ١٧٨/١.

(٨) تفسير البغوي ١٩٨/٢ عن الكلبي.

(٩) أخرجه الطبري ٤٣٤/١٠.

(١٠) الرسيط ٤٠٨/٢.

والخشوع له عند ظهور الآيات^(١).

وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون. وأيضاً عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة. وعند المُبتدعة سأل لأجل القوم ليبيّن لهم أنها غير جائزة^(٢)، وهذا لا يقتضي التوبة. فقيل: أي: تبّت إليك من قتل القبطي. ذكره القشيري. وقد مضى في «الأنعام»^(٣) بيان أن الرؤية جائزة.

قال علي بن مهدي الطبري^(٤): لو كان سؤال موسى مستحيلاً، ما أقدم عليه مع معرفته بالله، كما لم يجز أن يقول له: يا رب، ألك صاحبة وولد؟. وسيأتي في «القيامة»^(٥) مذهب المعتزلة والرد عليهم، إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: من قومي. وقيل: من بني إسرائيل في هذا العصر. وقيل: بأنك لا ترى في الدنيا؛ لوعدك السابق في ذلك^(٦).

وفي الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُخَيِّرُوا بين الأنبياء، فإنَّ الناسَ يَضَعُقُونَ يومَ القيامةِ، فأرفع رأسي، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أَصَعِقَ فيمن صَعِقَ فأفاق قبلي، أو حُوسِبَ بِصَعْفَتِهِ الأولى»، أو قال: «كَفَّتْهُ صَعْفَتُهُ الأولى»^(٧).

(١) مجمع البيان ١٧/٩ - ١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

(٣) ٤٨٢/٨ - ٤٨٥.

(٤) علي بن محمد بن مهدي، أبو الحسن، تلميذ أبي الحسن الأشعري، كان من المُبرِّزين في علم الكلام، له كتاب «تأويل الأحاديث المشككات الواردة في الصفات»، وهو من طبقة القفال الشاشي. طبقات الشافعية الكبرى ٤٦٦/٣.

(٥) في تفسير الآيتين (٢٢ و ٢٣).

(٦) تفسير الطبري ٤٣٤/١٠ - ٤٣٥، والمحرر الوجيز ٤٥٢/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٢٦/١١ - واللفظ له - وأحمد (١١٢٨٦)، والبخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري. وأخرجه أحمد (٧٥٨٦)، والبخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة. وسلفت القطعة الأولى منه ٢٥٣/٤.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة^(١) عن كعب قال: إن الله تبارك وتعالى قَسَمَ كلامه ورؤيته بين محمد وموسى صلى الله وسلم عليهما، فكلمه موسى مرتين، ورآه محمد ﷺ مرتين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤُوسَ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤُوسَ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ الاصطفاء: الاجتباء، أي: فضلتك. ولم يقل: على الخلق؛ لأن من هذا الاصطفاء أنه كلمه، وقد كلم الملائكة، وأرسله وأرسل غيره^(٢). فالمراد: «على الناس» المرسل إليهم. وقرأ: «برسالتني» على الأفراد نافع وابن كثير. والباقون بالجمع^(٣). والرسالة مصدر، فيجوز أفرادها. ومن جمَع على أنه أرسل بضروب من الرسائل^(٤) فاختلفت أنواعها، فجمع المصدر لاختلاف أنواعه، كما قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْقَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فجمَع لاختلاف أجناس الأصوات واختلاف المصوتين، ووَحَد في قوله: «لَصَوْتُ» لما أراد به جنساً واحداً من الأصوات^(٥). ودل هذا على أن قومه لم يشاركه في التكليم ولا واحد من السبعين، كما بيَّناه في «البقرة»^(٦).

قوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ إشارة إلى القناعة، أي: إقنع بما أعطيتك^(٧). ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: من المظهرين لإحساني إليك وفضلي عليك، يقال: دابَّةٌ

(١) في المصنف ٥٢٧/١١ .

(٢) تفسير الرازي ٢٣٦/١٤ .

(٣) السبعة ص ٢٩٣ ، والتيسير ص ١١٣ .

(٤) في (م): الرسالة .

(٥) الكشف عن وجوه الفراءات السبع ٤٧٦/١ .

(٦) ١١٤/٢ .

(٧) في (د) و(ز) و(ظ): آتيتك .

شَكُور: إذا ظَهَرَ عليها من السَّمَن فوق ما تُعْطَى من العَلْف^(١). والشاكر معرَضٌ للمزيد كما قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ويُروى أنَّ موسى عليه السلام مكثَ بعد أن كَلَّمه اللهُ تعالى أربعين ليلة لا يراه أحدٌ إلا مات من نور الله عزَّ وجلَّ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَآمُرَ قَوْمَكَ بِأَخَذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْبِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد التوراة. وروى في الخبر أنه قبضَ عليه جبريلُ عليه السلام بجناحه، فمرَّ به في العُلا حتى أدناه، حتى سَمِعَ صَرِيْفَ القلم حين كتب اللهُ له الألواح، ذكره الترمذيُّ الحكيم^(٣).

وقال مجاهد: كانت الألواح من زُمُرْدَةٍ خضراء. ابن جُبَيْر: من ياقوتة حمراء. أبو العالية: من زَبْرَجَد. الحسن: من خشب، نزلت من السماء. وقيل: من صخره صمَاء، كَتَبَهَا اللهُ لموسى عليه السلام، فقطعها بيده، ثم شَقَّهَا بأصابعه، فأطاعته كالحديد لداود. قال مقاتل: أي: كتبنا له في الألواح كَتَفَش الخاتم. الربيع بن أنس: نزلت التوراة، وهي سبعون وقرَبعير. وأضافت الكتابة إلى نفسه على جهة التشريف، إذ هي مكتوبةٌ بأمره، كتبها جبريلُ بالقلم الذي كتبَ به الذِّكْر. واستُجِدَّ من نهر النور^(٤). وقيل: هي كتابةٌ أظهرها اللهُ وخلَقها في الألواح.

وأصل اللُّوح: اللَّمْع^(٥) بفتح اللام. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ

(١) الكلام بنحوه في تهذيب اللغة ١٠/١٢، ومجمل اللغة ١/٥١٠.

(٢) أخرج هذا القول ابن عدي في الكامل ٤/١٦١٨، والحاكم ٢/٥٧٦ من قول عبد الرحمن بن معاوية أبي الحويرث قال الذهبي في تلخيص المستدرک: إسناده كُين.

(٣) لم نقف عليه في المطبوع من نواذر الأصول، وأخرج الطبري ١/٦٦٧ نحوه من قول أبي العالية.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير ابن أبي حاتم ٥/١٥٦٢ - ١٥٦٣، والنكت والعيون ٢/٢٥٩ - ٢٦٠، والرسط ٢/٤٠٨ - ٤٠٩، وتفسير البغوي ٢/١٩٩.

(٥) في (ظ) (م): لوح، والمثبت من (خ) و(د) و(ز). وينظر معجم مقاييس اللغة ٥/٢٢٠.

مَحْفُوظٌ ﴿ البروج: ٢١-٢٢. فكان اللُّوحُ تلوح فيه المعاني ^(١). ويُروى أنها لوحان، وجاء بالجمع؛ لأنَّ الاثنينِ جَمْعٌ ^(٢). ويقال: رجلٌ عظيم الألواح، إذا كان كبيرَ عَظْمِ اليدين والرجلين ^(٣).

ابنُ عباس: وتكسَّرت الألواحُ حين ألقاها، فرُفعتُ إلَّا سُدْسَها. وقيل: بقيَ سُبُعُها ورُفعتُ سِتَّةُ أسباعِها. فكان في الذي رُفِعَ تفصيلُ كلِّ شيءٍ، وفي الذي بقيَ الهدى والرحمة ^(٤). وأسند أبو نعيم الحافظُ عن عمرو بن دينار قال: بلغني أنَّ موسى ابنَ عمرانَ نبيَّ اللهِ ﷺ صام أربعين ليلةً، فلمَّا ألقى الألواحَ تكسَّرت، فصام مثلها فرُدَّتْ إليه ^(٥).

ومعنى «من كلِّ شيءٍ»: مما يُحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبيين الحلال والحرام ^(٦)، عن الثوري وغيره. وقيل: هو لفظٌ يُذكر تفخيماً ولا يُراد به التعميم؛ تقول: دخلت السوقَ فاشتريتُ كلَّ شيءٍ. وعند فلانٍ كلُّ شيءٍ. و﴿تَدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وقد تقدَّم ^(٧).

﴿مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: لكلِّ شيءٍ أمرٍ به من الأحكام، فإنه لم يكن عندهم اجتهادٌ، وإنما خصَّ بذلك أمةَ محمد ﷺ.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حَذَفُ، أي: فقلنا له: خُذْهَا بِقُوَّةٍ؛ أي: بجِدِّ ونشاط. نظيره: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] وقد تقدَّم ^(٨).

(١) النكت والميون ٢/٢٦٠.

(٢) زاد المسير ٣/٢٥٨.

(٣) تهذيب اللغة ٥/٢٤٨.

(٤) النكت والميون ٢/٢٦٣ - ٢٦٤.

(٥) حلية الأولياء ٣/٣٤٩.

(٦) النكت والميون ٢/٢٦٠، وزاد المسير ٢/٢٥٨.

(٧) ١/٣٣٨.

(٨) ٢/١٦٥.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: يعملوا بالأوامر ويتركوا النواهي، ويتدبروا الأمثال والمواعظ. نظيره: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]. وقال: ﴿فَيَسْتَبِغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ [الزمر: ١٨]. والعَفْوُ أحسنُ من الاقتصاص، والصبرُ أحسنُ من الانتصار. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل، وأدونها المباح^(١).

﴿سَأُزَيِّجُكَ دَارَ النَّسِيِّينَ﴾، قال الكلبي: «دارُ الفاسقين» ما مرّوا عليه إذا سافروا من منازل عادٍ وثمود، والقرون الذين^(٢) أهلكوا. وقيل: هي جهنم؛ عن الحسن ومجاهد. أي: فلتكن منكم على ذكر، فاخذروا أن تكونوا منها. وقيل: أراد بها مصر، أي: سأريكم ديار القبط ومساكن فرعون خالية عنهم؛ عن ابن جبير. قتادة: المعنى: سأريكم منازل الكفار التي سكنوها قبلكم من الجبابرة والعمالقة ليعتبروا بها، يعني الشام^(٣). وهذان القولان يدلُّ عليهما ﴿وَأَوْزَقْنَا الْقَوْمَ﴾ [الاعراف: ١٣٧] الآية. ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية، وقد تقدّم^(٤). وقرأ ابن عباسٍ وقسامةُ بنُ زهير: «سأورثكم»^(٥) «مين» «ورث». وهذا ظاهر.

وقيل: الدار: الهلاك، وجمعه أدوار. وذلك أنّ الله تعالى لما أغرق فرعون، أوحى إلى البحر أن اقدف بأجسادهم إلى الساحل، قال: ففعل، فنظر إليهم بنو إسرائيل، فأراهم هلاك الفاسقين^(٦).

(١) تفسير البغوي ٢/٢٠٠، وزاد المسير ٣/٢٥٩.

(٢) في (خ) (د) (ز) (م): التي، والمثبت من (ظ)، وهو موافق لتفسير البغوي ٢/٢٠٠ والكلام منه.

(٣) تنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٢/٢٦١، والمحرد الوجيز ٢/٤٥٣، والوسيط ٢/٤٠٩ - ٤١٠، وتفسير البغوي ٢/٢٠٠، وزاد المسير ٣/٢٦٠.

(٤) ص ٣١٦ من هذا الجزء.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٦. قال الزمخشري في الكشاف ٢/١١٧: هي قراءة حسنة، يصححها قوله: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ وينظر البحر ٤/٣٨٩. وقسامة بن زهير: المازني التميمي البصري، روى عن أبي موسى الأشعري وأبي هريرة رضي الله عنهما، توفي بعد الثمانين. تهذيب التهذيب ٣/٤٤٠.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم ٥/١٥٦٦ (٨٩٨٠).

قوله تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَنَّا يَنْتَكِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْحَقَّ وَإِن يَرَوْا
كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَآ
سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَسِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَنَّا يَنْتَكِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْحَقَّ﴾ قال قتادة:
سامنهم فهمهم كتابي، وقاله سفيان بن عيينة. وقيل: سأسرفهم عن الإيمان بها^(١).
وقيل: سأسرفهم عن نفعها^(٢)، وذلك مجازاة على تكبرهم؛ نظيره: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٦١]. والآيات على هذا: المعجزات، أو الكتب المنزلة. وقيل:
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أي: أسرفهم عن الاعتبار بها^(٣). ﴿يَنْتَكِبُونَ﴾: يَرُونَ
أنهم أفضل الخلق، وهذا ظن باطل، فلماذا قال: ﴿يَغْتَرِ الْحَقَّ﴾ فلا يتبعون نبيًا، ولا
يضعفون إليه لتكبرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَإِن يَرَآ سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يعني: هؤلاء المتكبرين. أخبر عنهم أنهم
يتركون طريق الرشد، ويتبعون سبيل الغي والضلال؛ أي: الكفر؛ يتخذوه دينًا. ثم
علل فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم.
﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي: كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين. ويحتمل أن
يكونوا غافلين عما يجازون به؛ كما يقال: ما أغفل فلانًا عما يراؤه به^(٤).

وقرأ مالك بن دينار: «وإن يروا» بضم الياء في الحرفين؛ أي: يُفعل ذلك بهم^(٥).

(١) زاد المسير ٣/ ٢٦٠، وقول سفيان أخرجه الطبري ١٠/ ٤٤٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٧٩.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/ ٤٤٣ من قول ابن جريج.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٧٩، وزاد المسير ٣/ ٢٦١.

(٥) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/ ١١٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٤.

وقرأ أهل المدينة وأهل البصرة: «سَبِيلِ الرَّشْدِ» بضمّ الراء وإسكان الشين^(١). وأهل الكوفة إلا عاصماً: «الرَّشْد» بفتح الراء والشين.

قال أبو عبيد: فرّق أبو عمرو بين الرُّشد والرَّشد فقال: الرُّشد في الصّلاح. والرَّشد في الدّين.

قال النحاس^(٢): سيبويه يذهب إلى أنّ الرُّشد والرَّشد مثلُ السُّخْطِ والسَّخَطِ، وكذا قال الكسائي.

والصحيح عن أبي عمرو غير ما قال أبو عبيد؛ قال إسماعيل بن إسحاق: حدّثنا نصر بن عليّ، عن أبيه، عن أبي عمرو بن العلاء قال: إذا كان الرُّشد وسط الآيّة فهو مُسَنَّ، وإذا كان رأس الآيّة فهو محرّك.

قال النحاس: يعني برأس الآيّة نحو «وَهَيْئَةَ لَنَا مِن آثَرِنَا رَشَدًا» [الكهف: ١٠]، فهما عنده لغتان بمعنى واحد؛ إلاّ أنّه فتح هذا ليتفق الآيات. ويقال: رَشَدَ يَرُشُدُ، وَرَشِدَ يَرُشِدُ. وحكى سيبويه رَشَدَ يَرُشِدُ^(٣). وحقيقة الرُّشد والرَّشد في اللغة: أن يظفر الإنسان بما يُريد، وهو ضدُّ الخيبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِن بَعْدِيهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُم خُورٌ أَلَدٌ بَرًا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَدْرِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِن بَعْدِيهِ﴾ أي: من بعد خروجه إلى الطّور. ﴿وَمِن حُلِيِّهِمْ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة^(٤). وقرأ أهل الكوفة إلاّ عاصماً: «من

(١) قرأ بها من أهل المدينة نافع، ومن أهل البصرة أبو عمرو، وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وعاصم من الكوفيين. السبعة ص ٢٩٣، والتيسير ص ١١٣.

(٢) في إعراب القرآن ١٤٩/٢ - ١٥٠، وما قبله منه.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) قرأ بها من أهل المدينة نافع، ومن أهل البصرة أبو عمرو، وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي. السبعة ص ٢٩٤، والتيسير ص ١١٣.

جَلِيهِمْ» بكسر الحاء. وقرأ يعقوب: «من حَلِيهِمْ» بفتح الحاء والتخفيف^(١). قال النحاس^(٢): جمع حَلِيٍّ: حَلِيٍّ وَجَلِيٍّ؛ مثلُ تُذِي وَتُذِيٍّ وَتِيٍّ وَتِيٍّ. والأصلُ: حُلُوِيٍّ، ثم أدغمت الواو في الياء، فانكسرت اللام لمجاورتها الياء، وتكسرت الحاء لكسرة اللام، وضمتها على الأصل.

﴿عَجَلًا﴾ مفعول. ﴿جَدَا﴾ نعتٌ أو بدل. ﴿لَمْ حَوَّارًا﴾ رفع بالابتداء. يقال: حَارَ يَحْوَرُ حَوَّارًا: إذا حَبِنَ وَضَعَفَ.

وَرُوِي فِي قِصَصِ الْعَجَلِ^(٤): أَنَّ السَّامِرِيَّ - وَاسْمَهُ مُوسَى بْنِ ظَفَرٍ - يَنْسَبُ إِلَى قَرْيَةٍ تَدْعَى سَامِرَةَ. وَوُلِدَ عَامَ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ، وَأَخْفَتْهُ أُمُّهُ فِي كَهْفِ جَبَلٍ فَعَدَّاهُ جَبْرِيلُ؛ فَعَرَفَهُ لِذَلِكَ، فَأَخَذَ - حِينَ عَبَرَ الْبَحْرَ عَلَى فَرَسٍ وَدِيقٍ^(٥) لِيَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ - قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ حَافِرِ الْفَرَسِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦].

وكان موسى وعد قومه ثلاثين يوماً، فلما أبطأ في العشر الزائد، ومضت ثلاثون ليلة قال لبني إسرائيل - وكان مطاعاً فيهم -: إِنَّ مَعَكُمْ حُلِيًّا مِنْ حُلِيٍّ آلِ فِرْعَوْنَ - وَكَانَ لَهُمْ عِيدٌ يَتَزِينُونَ فِيهِ، وَيَسْتَعِيرُونَ مِنَ الْقَبِيطِ الْحُلِيَّ، فَاسْتَعَارُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُمَ اللَّهُ مِنْ مِصْرَ، وَغَرَّقَ الْقَبِيطَ، بَقِيَ ذَلِكَ الْحُلِيُّ فِي أَيْدِيهِمْ - فَقَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ؛ فَهَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ فَنَحْرِقْهُ.

وقيل: هذا الحُلِيُّ مَا أَخَذَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ الْغُرُقِ، وَأَنَّ هَارُونَ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْحُلِيَّ غَنِيمَةٌ، وَهِيَ لَا تَحِلُّ لَكُمْ؛ فَجَمَعَهَا فِي حُفْرَةٍ حَفَرَهَا، فَأَخَذَهَا السَّامِرِيُّ.

(١) ويعقوب من العشرة. النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٧٢.

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ١٥٠، وما قبله منه.

(٣) في النسخ حار يخار حوَّارًا، والمثبت من (م) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٥١ والكلام منه.

(٤) تنظر هذه القصص في تفسير الطبري ١/ ٦٦٩ وما بعدها، وعرائس المجالس ص ٢١٠ - ٢١١.

(٥) هي التي تشبه الفحل. النهاية (ودق).

وقيل: استعاروا الحُلِيِّ ليلة أرادوا الخروج من مصر، وأوهموا القَبْطَ أَنَّ لهم عرساً أو مجتمعاً، وكان السَّامِرِيُّ سَمِعَ قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وكانت تلك الآلهة على مثال البقر؛ فصاغ لهم عجلًا جسداً، أي: مُضْمَتًا، غير أنهم كانوا يسمعون منه خواراً.

وقيل: قلبه الله لحماً ودماً^(١). وقيل: إنه لما ألقى تلك القبضة من التراب في النار على الحُلِيِّ؛ صار عجلًا له خوار، فخارَ خَوْزَةَ واحدة ولم يُشْنُ^(٢)، ثم قال للقوم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]. يقول: نسيه هاهنا وذهب يطلبه فَضَّلَ عنه، فتعالوا نعبذ هذا العجل. فقال الله لموسى وهو يُناجيه: ﴿فَأَنَّا قَدْ فتنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]. فقال موسى: يا رب، هذا السَّامِرِيُّ أخرج لهم عجلًا من حُلِيِّهم، فمن جعل له جسداً؟ - يريد اللحم والدم - ومن جعل له خواراً؟ فقال الله سبحانه: أنا، فقال: وعزتك وجلالك، ما أضلهم غيرك. قال: صدقت يا حَكِيمَ الحُكَمَاءِ^(٣). وهو معنى قوله: ﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقال القفال: كان السامريُّ احتالَ بأن جَوَّفَ العجل، وكان قابلَ به الرِّيح، حتى جاء من ذلك ما يُحاكي الخوار، وأوهمهم أنَّ ذلك إنَّما صار كذلك لما طرح في الجسد من التراب الذي كان أخذه من تراب قوائم فرس جبريل. وهذا كلامٌ فيه تهافٌ، قاله القشيري.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ﴾ بيِّن أنَّ المعبودَ يجب أن يتَّصف بالكلام. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى حُجَّة^(٤). ﴿أَتَحْكُدُوهُ﴾ أي: إلهاً. ﴿وَكَاؤُوا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٣٦/٢ عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٦٨/٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري ١/٢٧١ عن السدي بنحوه، وينظر عرائس المجالس ص ٢١٢. وهذه الأخبار من الإسرائيليات. قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١١٠/٩: ما وقع في القصص أنه كان لحماً ودماً ويأكل ويشرب؛ فهو من وضع القصاصين.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢.

ظَلِيلِينَ ﴿١﴾ أي: لأنفسهم فيما فعلوا من اتخاذه. وقيل: وصاروا ظالمين، أي: مشركين^(١) لجعلهم العجل إلهاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّ صَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرَحْمَنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بعد عود موسى من الميقات. يقال للنادم المُتَحَيِّر: قد سَقِطَ في يده.

قال الأخفش^(٢): يقال: سَقِطَ في يده، وأَسَقِطَ. ومَنْ قال: «سَقِطَ في أيديهم» على بناء الفاعل^(٣)؛ فالمعنى عنده: سَقِطَ الندم؛ قاله الأزهريُّ والنحاس وغيرهما^(٤).

والندمُ يكون في القلب، ولكنه ذَكَرَ اليَدَ؛ لأنه يقال لمن تحَصَّلَ على شيء: قد حصل في يده أمرٌ كذا؛ لأنَّ مباشرة الأشياء في الغالب باليد، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. وأيضاً: الندمُ وإنَّ حَلَّ بالقلب^(٥) فأثره يظهر في البدن^(٦)؛ لأنَّ النادم يَعْضُ يده، ويضرب إحدى يديه على الأخرى، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُفْلِكُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢] أي: نَسِمْ. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ أي: من النَّدَم. والنادمُ يَضَعُ ذَقَّتَهُ في يده^(٧).

وقيل: أصله من الاستئثار، وهو أن يضرب الرجل الرجل، أو يصرعه، فيرمي به من يَدَيْهِ إلى الأرض ليأسيره أو يَكْتِفَهُ؛ فالمرمِيُّ مسقوطٌ به في يَدِ الساقط^(٨).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٤١١/٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في معاني القرآن ٥٣٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٥١/٢.

(٣) قرأ بها ابن السمينغ. القراءات الشاذة ص ٤٦.

(٤) تهذيب اللغة ٣٩٢/٨، وإعراب القرآن ١٥١/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢.

(٥) في (م): في القلب.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢.

(٧) مجمع الأمثال للميداني ٣٣١/١.

(٨) تفسير الطبري ٤٤٨/١٠.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ أي: انقلبوا بمعصية الله.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار. وقرأ حمزة والكسائي: «لئن لم تَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا» بالثاء على الخطاب، وفيه معنى الاستغانة والتضرع والابتهال في السؤال والدُّعاء. «رَبُّنَا» بالنصب على حذفِ النداء، وهو أيضاً أبلغ في الدُّعاء والخُضوع، فقراءتهما أبلغ في الاستكانة والتضرع، فهي أولى^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رَّبِّي لَكُمْ وَالْقَىٰ الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُم مَّكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَئِمَّتْ بِكِ الْأَعْدَاءُ وَلَا جَعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ لم ينصرف «غَضْبَانَ» لأن مؤنثه غَضْبَى، ولأنَّ الألف والنون فيه بمنزلة ألفي^(٢) التَّائِبِ في قولك: حمراء. وهو نصب على الحال.

و«أَسِفًا»: شديد الغضب. قال أبو الدرداء: الأَسْفُ منزلةٌ وراء الغضب أشد من ذلك^(٣). وهو أَيْفٌ وَأَيْفٌ وَأَسْفَانٌ وَأُسُوفٌ. والأَيْفُ أيضاً: الحزين. ابن عباس والسُّدِّي: رجع حزينا من صنع قوم^(٤). وقال الطبري: أخيره الله عزَّ وجلَّ قبل رجوعه أنهم قد قُتِلُوا بالعجل؛ فلذلك رجع وهو غضبان^(٥).

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٤٧٧، وينظر السبعة ص ٢٩٤، والتيسير ص ١١٣.

(٢) في (ظ): ألف والكلام في إعراب القرآن للنحاس ٢/١٥١.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/٤٥٠.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/٤٥٠.

(٥) تفسير الطبري ١٠/٤٤٩.

ابن العربي: وكان موسى عليه السلام من أعظم الناس غضباً، لكنّه كان سريع الفئته؛ فبتك بتلك. قال ابن القاسم: سمعتُ مالكا يقول: كان موسى عليه السلام إذا غَضِبَ طلع الدُّخَانُ من قَلْنُسُوْتِهِ، ورفَعَ شعْرُ بدنِه جُبَيْتَهُ^(١). وذلك أَنَّ الغضبَ جَمْرَةٌ تتوقّد في القلب؛ ولأجله أمرَ النبي ﷺ مَنْ غَضِبَ أَنْ يضطجع، فإن لم يذهب غضبُه اغتسل^(٢)؛ فيُخَمِدُهَا اضطجاعُه ويطفئها اغتساله^(٣). وسُرْعَةُ غضبه كان سبباً لَصَكِّهِ مَلَكُ الموت ففقاً عَيْنَهُ. وقد تقدّم في «المائدة»^(٤) ما للعلماء في هذا.

وقال الترمذي الحكيم^(٥): وإنما استجازَ موسى عليه السلام ذلك لأنه كليمُ الله؛ كأنه رأى أَنَّ مَنْ اجترأ عليه أو مدَّ إليه يداً بأذى فقد عظم الخطب فيه. ألا ترى أنه احتجَّ عليه فقال: من أين تنزَعُ روحي؟ أمن فمي وقد ناجيتُ به ربي! أم من سمعي وقد سمعت به كلامَ رَبِّي! أم من يدي وقد قبضتُ منه^(٦) الألواح! أم من قدمي وقد قمتُ بين يديه أكلّمه بالظُور! أم من عيني وقد أشرقَ وجهي لنوره. فرجعَ إلى ربّه مُفْحَمًا.

وفي «مُصَنَّف» أبي داود عن أبي ذرٍّ قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنَّ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ؛ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ»^(٧). وَرَوَى أَيْضاً عَنْ أَبِي وَائِلِ الْقَاصِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ بِنِ مُحَمَّدِ السَّعْدِيِّ^(٨) فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ

(١) سلف ٤٠٧/٧، وهو من الإسرائيليات.

(٢) لم نقف عليه بهذا السياق، والقسم الأول منه سيرد قريباً، والقسم الثاني أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٣٠/٢ من حديث معاوية رضي الله عنه، وفي إسناده ياسين بن معاذ الزيات. قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي وابن الجنيدي: متروك. ميزان الاعتدال ٣٥٨/٤. وتحرف في مطبوع الحلية: ياسين (يعني ابن معاذ) عن عبد الله، إلى: ياسين بن عبد الله.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٢/٢ - ٧٨٣.

(٤) ١٣١/٦.

(٥) في نوافر الأصول ص ٤٣.

(٦) في (ظ): بها.

(٧) سنن أبي داود (٤٧٨٢)، وهو في مسند أحمد (٢١٣٤٨).

(٨) عامل عمر بن عبد العزيز على اليمن، وكان من صالح المُثَمَّل، ينظر تهذيب الكمال ٣٢/٢٠.

فأغضبه؛ فقام، ثم رجع وقد تروصاً، فقال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تَنْظَفُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْمَا خَلَقْتُوهُنَّ مِنْ بَدَائِعٍ﴾ ذم منه لهم، أي: بشس العمل عجلتم^(٢) بعدي. يقال: خلفه، بما يكره، ويقال في الخير أيضاً؛ يقال منه: خلفه بخير أو يشر في أهله وقومه بعد شخصه^(٣).

﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي: سبقتموه. والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة. والسرعة: عمل الشيء في أول أوقاته، وهي محمودة^(٤)؛ قال يعقوب: يقال: عجلت الشيء: سبقته، وأعجلت الرجل: استعجلته^(٥)، أي: حملته على العجلة. ومعنى «أمر ربكم» أي: ميعاد ربكم، أي: وعد أربعين ليلة. وقيل: أي: تعجلتم سخط ربكم. وقيل: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن ياتيكم أمر ربكم^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ﴾ أي: ممّا اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل، وعلى أخيه في إهمال أمرهم؛ قاله سعيد بن جبير^(٧). ولهذا قيل: «ليس الخير كالمعاينة»^(٨). ولا التفات لما

(١) سنن أبي داود (٤٧٨٤)، وهو في مسند أحمد (١٧٩٨٥) وإسناده ضعيف.

(٢) في (خ): عملكم، وفي (ظ): عملتموه.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢٠٢. وقوله: شخصه؛ في القاموس: شخص من بلد إلى بلد: ذهب.

(٤) تفسير الرازي ١١/١٥، وعزاه للواحدي.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٥١/٢.

(٦) في (خ) و(م): من ربكم. وينظر تفسير الرازي ١١/١٥.

(٧) أخرجه الطبري ١٠/٤٥١، من قول سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) هو حديث عن النبي ﷺ؛ أخرجه أحمد (١٨٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسلف ٣٠٩/٤.

رُوي عن قتادة - إن صحَّ عنه، ولا يصحُّ - أنَّ إلقاء الألواح إنما كان لِمَا رأى فيها من فضيلة أمة محمد ﷺ، ولم يكن ذلك لأُمَّته^(١). وهذا قول رديء لا ينبغي أن يُضاف إلى^(٢) موسى ﷺ^(٣).

وقد تقدّم عن ابن عباس ؓ أنَّ الألواح تكسّرت، وأنه رُفِع منها التفصيل وَبَقِيَ فيها الهدى والرحمة^(٤).

الثانية: وقد استدللَّ بعضُ جُهال المتصوِّفة بهذا على جواز رمي الثياب إذا اشتدَّ ظرْبُهُم على المَغْنَى. ثم منهم من يرمي بها صحاحاً، ومنهم مَنْ يخرِقها ثم يرمي بها؛ قال: هؤلاء في غَيِّبَةٍ فلا يُلامون؛ فإنَّ موسى عليه السلام لَمَّا غلب عليه الغمُّ بعبادة قومه العجل، رمى الألواح فكسرها، ولم يدِر ما صنع.

قال أبو الفرج الجوزي^(٥): مَنْ يصحِّح عن موسى عليه السلام أنه رماها رمي كاسر؟ والذي ذكر في القرآن: إلقاءها، فمن أين لنا أنها تكسّرت؟ ثم لو قيل: تكسّرت؛ فمن أين لنا أنه قصد كسرَها؟ ثم لو صحَّحنا ذلك عنه قلنا: كان في غَيِّبَةٍ، حتى لو كان بين يديه بحرٌ من نارٍ لخاضه. ومَنْ يُصحِّح لهؤلاء غَيِّبتهم وهم يعرفون المَغْنَى من غيره، ويحدِّثون من بئر لو كانت عندهم. ثم كيف تُقاسُ أحوالُ الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء.

وقد سُئِلَ ابنُ عَقِيل^(٦) عن تواجدِهِم وتخريق ثيابِهِم فقال: خطأ وحرام، وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن إضاعة المال^(٧). فقال له قائلٌ: فإنَّهم لا يعقلون ما يفعلون. فقال:

(١) أخرجه الطبري ٤٥٢/١٠. قال ابن كثير في تفسيره ٤٧٧/٣: كأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذّابون ووضّاعون وأقاكون وزنادقة.

(٢) في (خ) و(د) و(ز): يوصف إلى.

(٣) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥٧/٢.

(٤) تقدم ص ٣٢٩ من هذا الجزء.

(٥) في تلييس إبليس ص ٢٥١.

(٦) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، أبو الرفا البخداي الحنبلي، توفي سنة (٥١٣هـ). السير ٤٤٣/١٩.

(٧) سلف ٤٨٢/٤.

إِنْ حَضَرُوا هَذِهِ الْأَمَكَّةَ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ الطَّرْبَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ فَيَزِيلُ عَقُولَهُمْ، أَتَمُّوا بِمَا أَدْخَلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّخْرِيقِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَفْسَدُوا^(١)، وَلَا يَسْقُطُ عَنْهُمْ خَطَابُ الشَّرْعِ؛ لِأَنَّهُمْ مُخَاطَبُونَ قَبْلَ الْحَضُورِ بِتَجَنُّبِ هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقْضِي إِلَى ذَلِكَ. كَمَا هُمْ مَنْهِيُّونَ عَنِ شُرْبِ الْمَسْكَرِ، كَذَلِكَ هَذَا الطَّرْبُ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ وَجَدًّا إِنْ صَدَقُوا فِيهِ أَنَّهُ^(٢) سُكْرٌ طَبِيعٌ، وَإِنْ كَذَبُوا أَفْسَدُوا مَعَ الصَّخْوِ، فَلَا سَلَامَةَ فِيهِ مَعَ الْحَالِينَ، وَتَجَنَّبُ مَوَاضِعَ الرَّيْبِ وَاجِبٌ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: بلحيته وذؤابته. وكان هارونَ أكبرَ من موسى صلوات الله وسلامه عليهما بثلاث سنين، وأحبَّ إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنَّه كان ليِّنَ الغضب^(٤).

وللعلماء في أخذ موسى برأس أخيه أربع تأويلات:

الأول: أنَّ ذلك كان متعارفاً عندهم؛ كما كانت العرب تفعله مِنْ قبض الرجل على لحيَّة أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً، فلم يكن ذلك على طريق الإذلال^(٥).

الثاني: أنَّ ذلك إنما كان^(٦) لِيُسِرَّ إِلَيْهِ نَزْوَلُ الْأَلْوَابِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَنَاجَاةِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ التَّوْرَةِ. فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: لَا تَأْخُذْ بِلِحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي؛ لِئَلَّا يَشْتَبِهَ سِرَارُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِإِذْلَالِهِ^(٧).

الثالث: إنما فعل ذلك به؛ لأنَّه وقع في نفسه أنَّ هَارُونَ مَائِلٌ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ أَمْرِ الْعَجَلِ. وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ.

(١) في النسخ: يفسدوا، والمثبت من (م).

(٢) في (خ) و(ظ): إن فيه، وفي (م): أن فيه.

(٣) تلييس إبليس ص ٢٥٢.

(٤) تفسير البغوي ٢/٢٠٢.

(٥) النكت والعيون ٢/٢٦٤.

(٦) في (ظ): إنما كان ذلك.

(٧) المحرر الوجيز ٢/٤٥٧.

الرابع: ضَمَّ إليه أخاه ليعلم ما لديه؛ فكره ذلك هارون لثلاً يظنُّ بنو إسرائيل أنه أهانه؛ فبيَّن له أخوه أنهم استضعفوه، يعني عبدة العجل، وكادوا يقتلون، أي قاربوا^(١). فلما سمع عذره قال: ربِّ اغفر لي ولأخي؛ أي: اغفر لي ما كان من الغضب الذي ألقىت من أجله الألواح، ولأخي؛ لأنه ظنَّه مُقَصِّراً في الإنكار عليهم، وإن لم يقع منه تقصير، أي: اغفر لأخي إن قصَّر. قال الحسن: عبد كلهم العجل غير هارون، إذ لو كان ثمَّ مؤمن غير موسى وهارون لَمَا اقتصر على قوله: ربِّ اغفر لي ولأخي، ولَدَعَا لذلك المؤمن أيضاً^(٢). وقيل: استغفر لنفسه من فعله بأخيه، فعل ذلك لِمَوْجِدته عليه؛ إذ لم يَلْحَقْ به فيعرفه ما جرى ليرجع فيتلافاهم؛ ولهذا قال: ﴿يَهْدُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ دَبَّحْتَهُمْ صَلُوكَ إِلَّا تَتَّعِنِينَ﴾ الآية^(٣) [طه: ٩٢ و٩٣]. فبيَّن هارون أنه إنما أقام خوفاً على نفسه من القتل. فدلَّت الآية على أن لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المُنكر أن يسكُت. وقد تقدَّم بيانُ هذا في «آل عمران»^(٤).

ابنُ العربي^(٥): وفيها دليلٌ على أن الغضب لا يغيِّر الأحكام كما زعم بعضُ الناس، فإن موسى عليه السلام لم يغيِّر غضبه شيئاً من أفعاله، بل اطردت على مجراها من إلقاء لوح، وعتاب أخ، وصلك ملك. المَهْدَوِيّ: لأنَّ غضبه كان لله عزَّ وجلَّ، وسكوته عن بني إسرائيل خوفاً أن يتحاربوا ويتفرَّقوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ وكان ابنُ أمِّه وأبيه. ولكنها كلمةٌ لين وعطف. قال الرَّجَّاج^(٦): قيل: كان هارونُ أخا موسى لأُمَّه لا لأبيه.

(١) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٣/٢.

(٢) تفسير الرازي ٦/١٥.

(٣) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٤٥٧/١٠.

(٤) ٧٥/٥.

(٥) في أحكام القرآن ٧٨٣/٢، وما قبله منه.

(٦) لم تقف عليه في معاني القرآن له، وقال هذا القول النحاس في إعراب القرآن ١٥١/٢.

وَقُرِّئَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكسرها^(١)؛ فمن فتح جعل «ابنَ أمِّ» اسماً واحداً كخمسة عشر، فصار كقولك: يا خمسة عشر أقبِلوا. ومن كسر الميم جعله مضافاً إلى ضمير المتكلم، ثم حذفت ياء الإضافة؛ لأنَّ مبنى النداء على الحذف، وأبقى الكسرة في الميم لتدلَّ على الإضافة، كقوله: «يا عِبَادِ»^(٢). يدلُّ عليه قراءة ابن السَّمِيعِ: «يا ابنَ أمِّي» بإثبات الياء على الأصل^(٣).

وقال الكسائي والفرّاء وأبو عُبيد: «يا ابنَ أمِّ» بالفتح، تقديره: يا ابنَ أمِّ^(٤). وقال البصريون: هذا القول خطأ؛ لأنَّ الألف خفيفة لا تحذف، ولكن جعل الاسمين اسماً واحداً. وقال الأخفش وأبو حاتم: «يا ابنَ أمِّ» بالكسر كما تقول: يا غلامَ غلامٍ أقبِل، وهي لغة شاذة والقراءة بها بعيدة^(٥). وإنَّما هذا فيما يكون مضافاً إليك؛ فأما المضاف إلى مضافٍ إليك فالوجه أن تقول: يا غلامَ غلامي، ويا ابنَ أخي. وجوزوا: يا ابنَ أمِّ، يا ابنَ عمِّ، لكثرتها في الكلام^(٦). قال الرَّجَّاجُ والنَّحَّاسُ: ولكن لها وجهٌ حسنٌ جيّد، يجعلُ الابنَ مع الأمِّ ومع العمِّ اسماً واحداً؛ بمنزلة قولك: يا خمسة عشر أقبِلوا، فحذفت الياء كما حذفت من: يا غلام^(٧).

﴿إِنَّ الْقَوْمَ لَمَتَّعُنَا بِعَبِيدٍ﴾: استذلُّوني وعدُّوني ضعيفاً. ﴿وَكَاذِبًا﴾ أي: قاربوا.

(١) قرأ بالفتح نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص، وقرأ بالكسر ابن عامر وعاصم - في رواية أبي بكر - وحمة والكسائي. السبعة ص ٢٩٥، والتيسير ص ١١٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٢، وتفسير الرازي ١٢/١٥.

(٣) ذكرها الزمخشري في كشافه ١١٩/٢، وأبو حيان في البحر ٣٩٦/٤ دون نسبة.

(٤) في (م): أمَّه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٢، وينظر معاني القرآن للفره ٣٩٤/١، ومعاني القرآن للأخفش ٥٣٣/٢. وقوله: وهي لغة شاذة من كلام النحاس؛ قال: لأن الثاني ليس بمنادي، فلا ينبغي أن تحذف منه الياء.

(٦) أمالي ابن الشجري ٢٩٥/٢.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٢. وينظر أمالي ابن الشجري ٢٩٦/٢.

﴿يَقْتُلُونَنِي﴾ بنونين؛ لأنه فعلٌ مستقبل. ويجوزُ الإدغام في غير القرآن^(١). ﴿فَلَا تُشْمِتُ
بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾ أي: لا تُسرِّهم.

والشَّماتة: السرور بما يُصيب أخاك من المصائب في الدِّين والدنيا، وهي مُحَرَّمَةٌ
مَنْهِيٌّ عنها. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ بِأَخِيكَ؛ فَيَعَافِيَهُ اللَّهُ
وَيَبْتَلِيكَ»^(٢). وكان رسولُ الله ﷺ يتعمَّدُ منها ويقول: «اللهمَّ إني أعودُ بك من سوءِ
القضاء، ودَرْكِ الشَّقَاءِ، وشَّماتَةِ الأعداء». أخرجه البخاري وغيره^(٣). وقال الشاعر:

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ كَلالِكُلهُ أناخَ بأخرينا
فقل للشَّامتينِ بنا أفيقوا سَيَلقى الشامتون كما لَقينا^(٤)

وقرأ مجاهد ومالك بن دينار: «تَشَمَّتْ»؛ بالنصب في التاء وفتح الميم،
«الأعداء» بالرفع^(٥). والمعنى: لا تفعل بي ما تَشَمَّتُ من أجله^(٦) الأعداء، أي: لا
يكون ذلك منهم لفعلٍ تفعله أنت بي. وعن مجاهد أيضاً: «تَشَمَّتْ» بالفتح فيهما؛
«الأعداء» بالنصب^(٧). قال ابن جني: المعنى: فلا تشمت بي أنت يا رب. وجاز هذا
كما قال: ﴿اللَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ونحوه. ثم عاد إلى المراد، فأضمر فعلاً

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٢ .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٦) من حديث وائلة بن الأسقع بلفظ: «لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ لِأَخِيكَ، فِيرْحَمَهُ اللَّهُ
وَيَبْتَلِيكَ». وقال: حديث حسن غريب.

(٣) صحيح البخاري (٦٣٤٧)، وأخرجه أحمد (٧٣٥٥)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) نسب هذين البيتين ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/١١٤ للفرزدق وتسبه ابن عبد البر في بهجة المجالس
٧٤٧/٢، والأصفهاني في الأغاني ٢١/٣٩٦ للملاء بن قرظة خالٍ للفرزدق، ونسبه البغدادي في خزنة
الأدب ٥/٢٨٧ لذئب الإصيص العدواني. وقوله: كلالِكُلهُ - وفي الخزنة: شراشره، ومعناها: التَّقَلُّبُ -
الكلكل من الفرس: ما بين محزومه إلى ما مسَّ الأرض منه إذا ربح، وقد يستعار لما ليس بجسم،
فيجعل للدهر كلكل. اللسان (كلل).

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحتسب ١/٢٥٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ١٥٢/٢ .

(٦) في (ز) و(ظ): يشمت مني بأجله، وفي (د): يشمت مني لأجله.

(٧) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحتسب ١/٢٥٩ .

نَصَبَ بِهِ الْأَعْدَاءَ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ^(١).

قال أبو عبيد: وحُكيت عن حُميد: «فَلَا تُشْمِتْ» بكسر الميم^(٢). قال النحاس^(٣): ولا وجه لهذه القراءة؛ لأنه إن كان مِنْ شَمِتَ؛ وجب أن يقول: تُشْمِتَ. وإن كانَ مِنْ أَشْمَتَ؛ وجب أن يقول: تُشْمِتَ.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ قال مجاهد: يعني الذين عبدوا العجل^(٤). ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ تقدم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الغضبُ من الله: العقوبة. ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأنهم أمروا بقتل بعضهم بعضاً. وقيل: الذلَّة: الجزية. وفيه بُعد؛ لأنَّ الجزية لم تُؤخذ منهم، وإنما أُخذت من ذريَّاتهم^(٥).

ثم قيل: هذا من تمام^(٦) كلام موسى عليه السلام؛ أخبر الله عزَّ وجلَّ به عنه، وتمَّ الكلام. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(٧). وكان هذا القول من موسى عليه السلام قبل أن يتوب القومُ بقتلهم أنفسهم؛ فإنهم لما تابوا وعفا الله عنهم بعد أن جرى القتلُ العظيم - كما تقدَّم بيَّانه في «البقرة»^(٨) - أخبرهم أن من مات منهم

(١) المحتسب ٢٥٩/١، والمحرم الوجيز ٤٥٧/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٦.

(٣) في إعراب القرآن ١٥٢/٢، وعنه نقل المصنف قول أبي عبيد السالف.

(٤) أخرجه الطبري ٤٦١/١٠.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٨٤/٣.

(٦) قوله: تمام، من (م).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٥٣/٢.

(٨) ١١٠/٢.

قتيلاً فهو شهيد، ومن بقي حياً فهو مغفور له^(١).

وقيل: كان ثم طائفة أشربوا في قلوبهم العجل - أي: حبه - فلم يتوبوا؛ فهم المعنيون بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾.

وقيل: أراد من مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات^(٢)، وقيل: أراد أولادهم، وهو ما جرى على قريظة والنضير، أي: سينال أولادهم^(٣). والله أعلم.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْرَى الْمُفْتَرِينَ﴾ أي: مثل ما فعلنا بهؤلاء فعل بالمفترين.

وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه: ما من مبتدع إلا وتجد فوق رأسه ذلّة، ثم قرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حتى قال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْرَى الْمُفْتَرِينَ﴾ أي: المبتدعين^(٤).

وقيل: إن موسى أمر بذبح العجل، فجرى منه دم؛ ويرده بالبيرد والقاه مع الدم في اليم، وأمرهم بالشرب من ذلك الماء؛ فمن عبث ذلك العجل وأشربه ظهر ذلك على أطراف فيه، فبذلك عرف عبدة العجل. وقد مضى هذا في «البقرة»^(٥).

ثم أخبر الله تعالى أن الله يقبل توبة التائب من الشرك وغيره. وقد مضى هذا في غير موضع.

﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الكفر والمعاصي. ﴿ثُمَّ قَالُوا يَا بَيْدَاهَا﴾ أي: من بعد فعلها. ﴿وَمَا آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ بِمَا بَعْدَهَا﴾ أي: من بعد التوبة ﴿لَعَنُورٌ رَجِيحٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سكن. وكذلك قرأها معاوية

(١) عرائس المجالس ص ٢١٣.

(٢) أخرجه الطبري ٤٦٢/١٠ عن ابن جريج.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢٠٢، وزاد المير ٣/٢٦٦.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المير ٣/٢٦٦، والرازي في تفسيره ١٣/١٥.

(٥) ٢/٢٥٦.

ابن قُرَّة: «سكن» بالنون^(١).

وأصل السُّكوت: السكونُ والإمساك، يقال: جرى الوادي ثلاثاً ثم سكن، أي: أمسك عن الجري.

وقال عكرمة^(٢): سكت موسى عن الغضب؛ فهو من المقلوب، كقولك: أدخلت الإصبع في الخاتم، وأدخلت الخاتم في الإصبع. وأدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت رأسي في القلنسوة.

﴿أَخَذَ الْأَلْوَاخَ﴾ التي ألقاها. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: «هُدًى» من الضلالة، «وَرَحْمَةً» أي: من العذاب.

والتَّسْخُ: نُقْل ما في كتابٍ إلى كتابٍ آخر. ويقال للأصل الذي كتبت منه: نسخة، وللفرع: نسخة.

ف قيل: لما تكسَّرت الألواح؛ صام موسى أربعين يوماً، فرُدَّت عليه وأعيدت له تلك الألواح في لوحين، ولم يَفْقِدْ منها شيئاً، ذكره ابن عباس^(٣). قال القشيري: فعلى هذا «وفي نُسْخَتِهَا» أي: وفيما نُسخ من الألواح المُتَكسِّرة، ونُقل إلى الألواح الجديدة هُدًى ورحمةً.

وقال عطاء: وفيما بقي منها^(٤). وذلك أنه لم يَبْقَ منها إلا سُبْعُها، وذهب سِتَّةُ أسباعها^(٥). ولكن لم يذهب من الحدود والأحكام شيء.

وقيل: المعنى: «وفي نُسْخَتِهَا» أي: وفيما نُسخ له منها من اللوح المحفوظ هُدًى.

(١) القراءات الشاذة ص ٤٦ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/١٥ . وينظر معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٢ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٢٠٣/٢ ، والرازي في تفسيره ١٥/١٥ .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٠٣/٢ .

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٤/٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري ٤٥٦/١٠ ،

وفيه: قُرِئَتْ إلا سُدْسُها.

وقيل: المعنى: وفيما كُتِبَ له فيها هدىً ورحمةً، فلا يحتاج إلى أصلٍ يُنقل عنه. وهذا كما يقال: انسخ ما يقول فلان، أي: أثبتته في كتابك.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ أي: يخافون. وفي اللام ثلاثة أقوال: قول الكوفيين هي زائدة. قال الكسائي: حدثني من سمع الفرزدق يقول: نقدت لها مئة درهم، بمعنى نقدتها. وقيل: هي لامٌ أجل، المعنى: والذين هم من أجل ربهم يرهبون؛ لا رياءً ولا سُمعةً؛ عن الأخفش. وقال محمد بن يزيد: هي متعلقة بمصدر^(١)، المعنى: للذين هم زهبتهم لربهم. وقيل: لَمَّا تقدَّم المفعولُ حَسُنَ دخولُ اللام، كقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرِّزْقِ يَا تَعْمُرُوتَ﴾ [يوسف: ٤٣]. فلَمَّا تقدَّم المفعولُ - وهو المفعولُ - ضَعُفَ عملُ الفعل، فصار بمنزلة ما لا يتعدى^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتْلِكَنَّهُمْ إِنَّمَا آتَيْنَاهُم بِنُورِنَا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ الْعَذَابَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: مفعولان، أحدهما: حُذفت منه مِن، وأنشد سيبويه:

مِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَيِرًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرِّعَازُ^(٣)
وقال الراعي يمدح رجلاً:

اخترتُك الناسَ إذ رُئيتَ حَلَائِقُهُمْ واختلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّوْلُ^(٤)

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/٢ ، وقول الأخفش في معاني القرآن له ٥٣٥/٢ . ومحمد بن يزيد هو المبرّد.

(٢) المحرر الوجيز ٤٥٩/٢ ، وتفسير الرازي ١٥/١٥ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/٢ ، وينظر كتاب سيبويه ٣٩/١ ، والبيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٤١٨/١ ، وفيه: وخيراً، بدل: ويراً.

(٤) ديوان الراعي النميري ص ١٩٤ ، وفيه: واعتلّ، بدل: واختلّ.

يريد: اخترتكم من الناس. وأصلُ اختار: اختير؛ فلما تحركت الياض وقبلها فتحة قلبت ألفاً، نحو: قال وبيع.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي: ماتوا. والرَّجْفَةُ في اللغة: الزَّلْزَلَةُ الشديدة. ويروى أنهم زلزلوا حتى ماتوا^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي﴾ أي: أمثهم؛ كما قال عز وجل: ﴿إِن أَرِئْنَا هَلْكَ﴾ [النساء: ١٧٦]. «وإِنِّي» عطف. والمعنى: لو شئت أمثنا من قبل أن نخرج إلى البيقات بمحضّر بني إسرائيل حتى لا يتهموني^(٢).

أبو بكر بن أبي شيبة^(٣): حدّثنا يحيى بن سعيد القَطَّان، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عُمارة بن عبد، عن عليّ ؑ قال: انطلق موسى وهارون صلى الله عليهما، وانطلق شَبْر وشَبِير - هما ابنا هارون - فانتَهوا إلى جبلٍ فيه سرير، فنام^(٤) عليه هارون فقبض روحه. فرجع موسى إلى قومه، فقالوا: أنت قتلتَه، حسدتنا على لِينه وعلى خُلُقِه، أو كلمة نحوها - الشكُّ من سفيان - فقال: كيف أقتله ومعى ابناه! قال: فاختراروا مَنْ شِئْتُمْ، فاختراروا من كل مَبِيطِ عشرة. قال: فذلك قوله: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا يُحِبُّونَنَا﴾ فانتَهوا إليه، فقالوا: مَنْ قتلك يا هارون؟ قال: ما قتلتني أحد، ولكن الله توفّاني. قالوا: يا موسى، ما تُعْصِي^(٥). فأخذتهم الرَّجْفَةُ، فجعل يتردد^(٦) يميناً وشمالاً، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾. قال: فدعا الله فأحياهم، وجعلهم أنبياء كلهم^(٧).

(١) معاني القرآن للنحاس ٨٦/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/٢.

(٣) في المصنف ٥٢٩/١١ - ٥٣٠، وهو عنده من طريق آخر عن سفيان. وأخرجه الطبري ٤٧٠/١٠.

(٤) في (خ) و(د) و(ز) و(م): فقام، والمثبت من (ظ) وهو الموافق للمصادر.

(٥) عند الطبري: يا موسى لن تُعْصَى بعد اليوم.

(٦) في النسخ: فجعلوا يترددون، والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة. وعند الطبري: فجعل موسى

يرجع...

(٧) ذكره ابن كثير في الضمير، وقال: هذا أثر غريب جداً.

وقيل: أخذتهم الرجفة لقولهم: ﴿أَرَأَيْتَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١) [النساء: ١٥٣]؛ لما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّوَاعِقُ﴾ [البقرة: ٥٥]. على ما تقدّم بيّأته في «البقرة»^(٢). وقال ابن عباس: إنّما أخذتهم الرجفة لأنّهم لم ينهزوا من عبْد العجل، ولم يرضوا عبادته^(٣). وقيل: هؤلاء السبعون غير من قالوا أرنا الله جهرة.

وقال وهب: ما ماتوا، ولكن أخذتهم الرجفة من الهيبة حتى كادت أن تبيّن مفاصلهم، وخاف موسى عليهم الموت^(٤). وقد تقدّم في «البقرة» عن وهب أنهم ماتوا يوماً وليلة^(٥). وقيل غير هذا في معنى سبب أخذهم بالرجفة. والله أعلم بصحة ذلك. ومقصود الاستفهام في قوله: «أَتُهْلِكُنَا الْجَحْد، أي: لست تفعل ذلك. وهو كثير في كلام العرب. وإذا كان تقياً كان بمعنى الإيجاب، كما قال:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحٍ^(٦)

وقيل: معناه الدعاء والطلب؛ أي: لا تهلكنا، وأضاف إلى نفسه. والمراد: القوم الذين ماتوا من الرجفة. وقال المبرّد: المراد بالاستفهام: استفهام استعطاف^(٧)، كأنه يقول: لا تهلكنا، وقد علّم موسى أنّ الله لا يهلك أحداً بذنب غيره؛ ولكنّه كقول عيسى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقيل: المراد بالسفهاء السبعون^(٨). والمعنى: أتهلك بني إسرائيل بما فعل هؤلاء

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥٩/٢.

(٢) ١١٣/٢ وما بعدها.

(٣) أخرجه الطبري ٤٧٢/١٠.

(٤) تفسير البغوي ٢٠٣/٢.

(٥) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٢١٤، ولم نقف عليه في «البقرة».

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/٢، والبيت لجريز، وهو في ديوانه ٨٩/١.

(٧) في (خ) و(د) و(ز) و(م): استعظام، وفي (ظ): إعظام، والمثبت من الوسيط للواحد ٤١٥/٢، وتفسير البغوي ٢٠٤/٢، وتفسير الرازي ١٩/١٥.

(٨) المحرر الوجيز ٤٦٠/٢.

السفهاء في قولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: ما هذا إلا اختبارك وامتحانك. وأضافت الفتنة إلى الله عز وجل، ولم يُضفها إلى نفسه؛ كما قال إبراهيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَرِيضَتُ فَهْرٍ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تعالى. وقال يوشع: ﴿وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]، وإنما استفاد ذلك موسى عليه السلام من قوله تعالى له: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥]. فلما رجع إلى قومه، ورأى العجل منصوباً للعبادة وله خوار قال: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا﴾ أي: بالفتنة. ﴿مَنْ تَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ وهذا ردٌّ على القدرية^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَكْتُتِبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالِ عَذَابٍ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَكْتُتِبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: وفقنا للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها الحسنات. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: جزاء عليها. ﴿إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ﴾ أي: بُنينا؛ قاله مجاهد وأبو العالِيَّة وفتادة^(٢). والهؤد: التوبة؛ وقد تقدّم في «البقرة»^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابٍ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ﴾ أي: المستحقين له، أي: هذه الرجفة والصاعقة عذابٌ مِنِّي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءَ. وقيل: المعنى: «من أشياء»، أي: مَنْ أَشَاءَ أَنْ أُضِلَّهُ.

قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عموم^(٤)، أي: لا نهاية لها؛ أي: مَنْ دخل فيها لم تعجز عنه. وقيل: وسعت كلَّ شيءٍ مِنَ الخَلْقِ حتى إنَّ البهيمة لها رحمة وعطفٌ على ولدها.

(١) حَزَّ الغلاصم لثيث بن إبراهيم ٢٦/١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٨٨/٣، وأخرجه الطبري ٤٨١/١٠.

(٣) ١٥٨/٢.

(٤) في (ظ): من الخلق، بدل: عموم.

قال بعض المفسرين: طمّع في هذه الآية كلُّ شيءٍ حتى إبليس، فقال: أنا شيء، فقال الله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾. فقالت اليهود والنصارى: نحن متّقون، فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية. فخرجت الآية عن العموم، والحمد لله^(١).

روى حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: كتبها الله عزّ وجلّ لهذه الأمة^(٢). والحمد لله^(٣).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

فيه عشر مسائل:

الأولى: روى يحيى بن أبي كثير، عن نوف البكالبي الحميري: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربّه قال الله تعالى لموسى: أن أجعل لكم الأرض مسجداً وظهوراً؛ تصلّون حيث أدركتكم^(٤) الصلّاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، وأجعل السكينة في قلوبكم، وأجعلكم تفرّون التوراة عن ظهر قلوبكم، يقرأها الرجل منكم والمرأة والحُرُّ والعبد والصغير والكبير. فقال ذلك موسى لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ونريد أن تكون كما كانت في التابوت، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً. فقال الله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾. فجعلها

(١) أخرجه الطبري ٤٨٤/١٠ عن ابن جريج.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٨٨/٣ - ٨٩، وأخرجه الطبري ٤٨٣/١٠.

(٣) قوله: والحمد لله، من (ظ).

(٤) في (د) و(ز): أدرككم، وفي (ظ): أدركتم.

لهذه الأمة. فقال موسى: يا رب، اجعلني نبيهم. فقال: نبيهم منهم. قال: رب اجعلني منهم^(١). قال: إنك لن تُدركهم. فقال موسى: يا رب، أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وفادتنا لغيرنا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْتَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. فرَضِيَ موسى. قال نَوْف: فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني إسرائيل لكم^(٢).

وذكر أبو نعيم^(٣) أيضاً هذه القصة من حديث الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن أبي عمرو السبباني قال: حدثني نَوْف البكالي^(٤) - إذا افتتح موعظة - قال: ألا تحمدون ربكم الذي حَضَرَ^(٥) غَيْبَتِكُمْ، وأخذ^(٦) سهمكم، وجعل وفادة القوم لكم؛ وذلك أن موسى عليه السلام وقد ببني إسرائيل، فقال الله لهم: إني قد جعلت لكم الأرض مسجداً؛ حيثما صليتم منها^(٧) تُقبَلت صلاتكم إلا في ثلاث مواطن، من صلى فيهن لم أقبَل صلاته: المقبرة، والحمام، والمرحاض. قالوا: لا، إلا في كنيسة. قال: وجعلت لكم التراب ظهوراً إذا لم تجدوا الماء. قالوا: لا، إلا بالماء. قال: وجعلت لكم حيثما صلى الرجل فكان وحده تُقبَلت صلاته. قالوا: لا، إلا في جماعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ هذه الألفاظ كما ذكرنا أخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله: ﴿سَأَكْتُمِبَا لِلَّذِينَ

(١) في (ظ): رب آخرني حتى تجعلني منهم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٣٨، والطبري ١٠/٤٩٠. قال ابن حجر في تقريب التهذيب: كُذِّبَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا رَوَاهُ نَوْفٌ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

(٣) في حلية الأولياء ٦/٤٨. والخير عن نوف، وسلف الكلام عليه.

(٤) بعدها في (ز) و(ظ) والحلية: قال: كان عمرو البكالي. ولعل صوابها: أبو عمرو البكالي، فقد قيل في كنية نوف: أبو عمرو. ينظر تهذيب الكمال ٣٠/٦٥.

(٥) في (م): حفظ، والمثبت من النسخ الخطية موافق للحلية.

(٦) بعدها في (م): لكم بعد.

(٧) في (د) و(ز) و(م): فيها، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق للحلية.

يَتَّقُونَ﴾ ، وَخَلَصَتْ هَذِهِ الْعِدَّةُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُمَا^(١).
و«يَتَّبِعُونَ» يَعْنِي فِي شَرْعِهِ وَدِينِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ.

وَالرُّسُولُ وَالنَّبِيُّ اسْمَانِ لِمَعْنِيَيْنِ؛ فَإِنَّ الرُّسُولَ أَخْصَّ مِنَ النَّبِيِّ. وَقَدَّمَ الرُّسُولَ
اهْتِمَامًا بِمَعْنَى الرِّسَالَةِ، وَإِلَّا فَمَعْنَى النَّبِئَةِ هُوَ الْمَتَقَدِّمُ؛ وَلِذَلِكَ رَدَّ رُسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
الْبَرَاءِ حِينَ قَالَ: وَرَسُولُكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ. فَقَالَ لَهُ: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ»
خَرَّجَهُ فِي الصَّحِيحِ^(٢). وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ: «وَرَسُولُكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ» تَكْرِيرَ
الرِّسَالَةِ، وَهُوَ مَعْنَى وَاحِدٍ^(٣)، فَيَكُونُ كَالْحَشْوِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ. بِخِلَافِ قَوْلِهِ:
«وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ» فَإِنَّهُمَا لَا تَكَرَّرُ فِيهِمَا.

وَعَلَى هَذَا فَكُلُّ رُسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رُسُولًا؛ لِأَنَّ الرُّسُولَ وَالنَّبِيَّ قَدْ اشْتَرَكَا
فِي أَمْرٍ عَامٍّ، وَهُوَ النَّبَأُ، وَافْتَرَقَا فِي أَمْرٍ خَاصٍّ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ. فَإِذَا قُلْتَ: مُحَمَّدٌ
رُسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَضَمَّنَ ذَلِكَ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَرُسُولٌ^(٤) وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْأُمَمُ﴾ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي هِيَ عَلَى
أَصْلِ وِلَادَتِهَا، لَمْ تَتَعَلَّمِ الْكِتَابَةَ وَلَا قِرَاءَتَهَا؛ قَالَ ابْنُ عُزَيْرٍ^(٥).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: كَانَ نَبِيِّكُمْ ﷺ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَا يَحْسُبُ^(٦)، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّوْنَ بِمِيمِنِكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٨].
وَرُوِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٢ ، وأخرجه الطبري ١٠/ ٤٨٣ و ٤٩٠ .

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٨٨)، والبخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٢ .

(٤) بعدها في (ز) و(ظ) و(م): الله. والكلام من المفهم ٧/ ٤٠ .

(٥) في نزعة القلوب ص ١١٢ .

(٦) أورده البغوي في تفسيره ٢/ ٢٠٥ .

نحسب». الحديث^(١). وقيل: نسب النبي ﷺ إلى مكة أم القرى، ذكره النحاس^(٢).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ روى البخاري قال: حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا قُليح قال: حدثنا هلال، عن عطاء ابن يسار قال: لقيتُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفة في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وجزراً للأُميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب^(٣) في الأسواق، ولا يرفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً^(٤).

في غير البخاري: قال عطاء: ثم لقيتُ كعباً، فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفاً، إلا أن كعباً قال بلغته: قلوباً غُلفياً، وأذاناً صُومياً، وأعيناً عُمومياً^(٥). قال ابن عطية^(٦): وأظنُّ هذا وهماً وعُجمة^(٧). وقد روي عن كعب أنه قالها: قلوباً غُلفياً، وأذاناً صُومياً، وأعيناً عُمومياً^(٨). قال الطبري: هي لغة جُميرية^(٩). وزاد كعب في صفة النبي ﷺ قال: مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه بالشام، وأمته الحامدون؛

(١) أخرجه أحمد (٥٠١٧)، والبخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠): (١٥).

(٢) في معاني القرآن ٨٩/٣.

(٣) في (ظ) و(م): سخاب، وكلاهما بمعنى.

(٤) صحيح البخاري (٢١٢٥). وهو في مسند أحمد (٦٦٢٢).

(٥) أخرجه الطبري ٤٩٢/١٠.

(٦) في المحرر الوجيز ٤٦٣/٢.

(٧) في (خ) و(ظ) و(م): أو عجمة، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق للمحرر الوجيز.

(٨) هذه رواية الإمام أحمد (٦٦٢٢).

(٩) تفسير الطبري ٤٩٢/١٠.

يحمّدون الله على كلِّ حال وفي كلِّ منزل، يُوضّثون أطرافهم، ويأتزرون إلى أنصاف ساقهم، رعاة الشمس، يصلّون الصلوات حيثما أدركتهم ولو على ظهر الكُناسة^(١)، صفّهم في القتال مثل صفّهم في الصلاة. ثمّ قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾^(٢) [الصف: ٤].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال عطاء: «يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ» بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. «ويُنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» عبادة الأصنام، وقطع الأرحام^(٣).

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مذهب مالك أن الطَّيِّبَاتِ هي الْمُحَلَّلَاتِ؛ فكأنه وصفها بالطَّيِّبِ؛ إذ هي لفظَةٌ تتضمّن مدحاً وتشريفاً. وبحسب هذا يقول في الخبائث: إنّها المحرّمات. وكذلك^(٤) قال ابن عباس: الخبائث هي لحم الخنزير والرّبا وغيره^(٥). وعلى هذا حلّل مالك المتقدّرات، كالحيايات، والعقارب، والخنافس ونحوها.

ومذهب الشافعي رحمه الله أن الطَّيِّبَاتِ هي من جهة الطّعم، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها؛ لأنّ عمومها بهذا الوجه من الطّعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير، بل يراها مختصة فيما حلّله الشرع. ويرى الخبائث لفظاً عاماً في المحرّمات بالشرع وفي المتقدّرات؛ فيحرّم العقارب، والخنافس، والورغ، وما جرى هذا المجرى. والناس على هذين القولين^(٦)، وقد تقدّم في «البقرة» هذا المعنى^(٧).

(١) الكُناسة: مُلقَى السّمام. اللسان (كنس).

(٢) أخرجه الدارمي (٥) و(٧) و(٨)، وأبو نعيم في الحلية ٣٨٧/٥، والبخاري في تفسيره ٢٠٥/٢، وعندهم: الحمّادون، بدل: الحامدون. وإسناده ضعيف، وهو موقوف على كعب.

(٣) تفسير البخاري ٢٠٥/٢.

(٤) في (د) و(ز) و(م): لذلك.

(٥) أخرجه الطبري ٤٩٣/١٠.

(٦) المحرر الوجيز ٤٦٣/٢.

(٧) ١١/٣.

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ الإِضْرُ: الثَّقُلُ؛ قاله مجاهد وقتادة وابن جبير. والإِضْرُ أيضاً: العَهْدُ؛ قاله ابن عباس والضحاك والحسن. وقد جَمَعَتْ هذه الآية المعنيين، فإنَّ بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهداً أن يقوموا بأعمالٍ يُقال؛ فَوَضِعَ عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد، ويُقَالُ تلك الأعمال^(١)؛ كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض، ومُواكَلَتِها ومضاجعتِها؛ فَإِنَّهُم كانوا إذا أصابَ ثوبٌ أحدهم بولٌ قرصه، ورُوي: جَلَدُوا أحدهم^(٢). وإذا جمعوا الغنائم نزلت نازاً من السماء فأكلتها^(٣)، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها^(٤)، إلى غير ذلك مما ثبت في الحديث الصحيح وغيره.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَالْأَعْيُنُ عَلَى آغُلَالٍ﴾ فالأغلال: عبارة مستعارة لتلك الأثقال. ومن الأثقال تركُّ الاشتغال يوم السبت، فإنه يُروى أن موسى عليه السلام رأى يوم السبت رجلاً يحمل قصباً، فضرب عنقه^(٥). هذا قول جمهور المفسرين. ولم يكن فيهم الدية، وإنما كان القصاص^(٦). وأمروا بقتل أنفسهم علامة لتوبتهم؛ إلى غير ذلك. فُسِّبَهُ ذلك بالأغلال، كما قال الشاعر:

فليس كعهدِ الدارِ يا أمَّ مالكٍ ولكنَّ أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ
وعادَ الفتى كالكَهْلِ ليس بقائلٍ سوى العدلِ شيئاً فاستراحَ العواذلُ^(٧)
فُسِّبَهُ حدودَ الإسلامِ وموانِعَهُ عن التخطى إلى المحظوراتِ بالسلاسلِ المُحيطاتِ

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٦٣. وأخرج الأقوال السالفة الطبري ١٠/٤٩٣ - ٤٩٤.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦) بالرواية الأولى، ومسلم (٢٧٣): (٧٤) بالرواية الثانية من قول أبي موسى الأشعري.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة. وسلف ٦/١٣٠.

(٤) أخرجه أحمد (١٣٥٧٦)، ومسلم (٣٠٢) من قول أنس بن مالك.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٥٢٩ من قول أبي مالك أو سعيد بن جبير.

(٦) المحرر الوجيز ٢/٤٦٤.

(٧) البيتان لأبي خراش الهذلي. وهما في ديوان الهذليين ٢/١٥٠.

بالرَّقاب. ومن هذا المعنى قولُ أبي أحمد بن جحش^(١) لأبي سفيان:
 إِذْهَبْ بِهَا إِذْهَبْ بِهَا طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الْحَمَامِ
 أي: لَرِمَكَ عَارُهَا. يقال: طَوَّقَ فلانٌ كذا إذا لَزِمَهُ^(٢).

التاسعة: إن قيل: كيف عطفت الأغلال وهو جمعٌ على الإضر وهو مفرد؟
 فالجواب أن الإضر مصدرٌ يقع على الكثرة.

وقرأ ابنُ عامر: «أصارهم» بالجمع، مثل: أعمالهم. فجمعه لاختلاف ضروب
 المآثم. والباقون بالتوحيد^(٣)؛ لأنه مصدرٌ يقع على القليل والكثير من جنسه مع أفراد
 لفظه. وقد أجمعوا على التوحيد في قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِسْرًا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
 وهكذا كلُّ ما يردُّ عليك من هذا المعنى، مثل: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. ﴿لَا يَزِيدُ
 إِلَيْهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. و﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَيْفٍ﴾ [الشورى: ٤٥]. كلُّه بمعنى
 الجمع^(٤).

العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: وقروه ونصروه. قال
 الأخفش: وقرأ الجحدريُّ وعيسى: «وَعَزَّرُوهُ»؛ بالتحفيف^(٥). وكذا: «وَعَزَّرْتُمُوهُمْ»
 [المائدة: ١٢]. يقال: عَزَّرَهُ يُعَزِّرُهُ وَيُعَزِّرُهُ^(٦).

و﴿التَّورِ﴾ القرآن. والفَلَّاحُ: الظَّفَرُ بالمطلوب. وقد تقدَّم هذا^(٧).

(١) الأسدي، وهو أخو أم المؤمنين زينب رضي الله عنهما، اسمه: عبد: بغير إضافة، كان ضريباً، شهد
 بدرأ والمشاهد، عدا أبو سفيان على داره لما هاجر إلى المدينة، ولما فتحت مكة قال أبياتاً لأبي سفيان
 منها البيت الذي ذكره المصنف. السيرة النبوية ٤٩٩/١ - ٥٠٠، والإصابة ٦/١١.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٤/٢.

(٣) السبعة ص ٢٩٥، والتيسير ص ١١٣.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٧٩/١.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٦، والمحاسب ٢٦١/١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٥٥/٢ - ١٥٦. وعنه نقل المصنف قول الأخفش.

(٧) ٢٧٨/١.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

ذكر أن موسى بشر به، وأن عيسى بشر به، ثم أمره أن يقول بنفسه: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. و﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ كلمات الله تعالى كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن.

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيُبْذِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

أي: يدعون الناس إلى الهداية. و﴿يَهْتَدُونَ﴾ معناه في الحكم.

وفي التفسير: إن هؤلاء قوم من وراء الصين، من وراء نهر الرَّمْل، يعبدون الله بالحق والعدل، آمنوا بمحمد وتركوا السبت، يستقبلون قبلتنا، لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منا إليهم أحد. فروي أنه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم أمة يهدون بالحق، ولم يقدرُوا أن يكونوا بين ظهرانِي بني إسرائيل حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه^(١) في عُزلة من الخلق، فصار لهم سرب في الأرض، فمشوا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا وراء الصين، فهم على الحق إلى الآن. وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل إليهم بسية^(٢).

ذهب جبريلُ بالنبي ﷺ إليهم ليلة المعراج فأمنوا به، وعلمهم سوراً من القرآن، وقال لهم: «هل لكم مكيال وميزان؟» فقالوا: لا، قال: «فمن أين معاشكم؟» قالوا: نخرج إلى البرية فنزرع، فإذا حصدنا وضعناه هناك، فإذا احتاج أحدنا إليه يأخذ حاجته، قال: «وأين نساؤكم؟» قالوا: في ناحية منا، فإذا احتاج أحدنا لزوجته صار إليها في وقت الحاجة. قال: «فيكذب أحدكم في حديثه؟» قالوا: لو فعل ذلك أحدنا أخذته لظلي، إن النار تنزل فتحرقه. قال: «فما بال بيوتكم مستوية؟» قالوا: لثلاً يعلو

(١) في (د) و(ز): اليمن.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٥٠١ - ٥٠٢ بنحوه من قول ابن جريج وابن عباس رضي الله عنهما. وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/٤٩٢ أنه خبر عجيب.

بعضنا على بعض. قال: «فما بال قبوركم على أبوابكم؟» قالوا: لثلاث نغفل عن ذكر الموت. ثم لما رجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى الدنيا ليلة الإسراء أنزل عليه: ﴿وَيَمَنَّ خَلْقَنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْهَمُونَ بِتَوَلُّوتِكُمْ﴾^(١) [الأعراف: ١٨١]. يعني أمة محمد عليه الصلاة والسلام. يُعلمه أن الذي أعطيتُ موسى في قومه أعطيتُك في أمك. وقيل: هم الذين آمنوا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب^(٢). وقيل: هم قومٌ من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه، ولم يُبدلوا، ولم يقتلوا الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَاعٍ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ وَالسَّلَوتِ كُلُّوا مِنْ كِبَابَتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُتُوا هَذِهِ الْقَرْيَةُ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَعْنَا لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٩﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْسًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّةً﴾ عَدَدَ نِعَمِهِ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وجعلهم أسباطاً ليكون أمرٌ كلُّ سَبْطٍ معروفًا من جهة رئيسهم، فَيُخَفُّ الأَمْرُ عَلَىٰ مُوسَى. وفي التنزيل: ﴿وَبَدَّلْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا﴾ [المائدة: ١٢] وقد تقدّم. وقوله: «اثْنَيْ عَشْرَةَ» والسَّبْطُ مذكّر؛ لأن بعده «أُمَّةً»، فذهب التانيثُ إلى الأُمم. ولو قال: اثني عشر، لتذكير السَّبْطِ جاز، عن الفراء^(٣). وقيل: أراد بالأسباط القبائل والفرق؛ فلذلك أنث العدد. قال الشاعر:

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٢٧٠ مطولاً من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ٣١/١٥.

(٣) معاني القرآن ١/ ٣٩٧. وزاد المير ٣/ ٢٧٥.

وَأَنَّ قَرِيشًا كَلَّمَهَا عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ^(١)
 فذهب بالبطن إلى القبيلة والقبيلة؛ فلذلك أنشأها. والبطن مذكّر؛ كما أنّ الأسباط
 جمع مذكّر^(٢). الزجاج^(٣): المعنى: قَطَعْنَاهُمْ اثْنِي عَشْرَةَ فِرْقَةً.
 ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل من «اثني عشرة»، ﴿أُمَّمًا﴾ نَعَتْ للأسباط.
 وروى المفضل عن عاصم: «وقطعناهم» مُخَفَّفًا^(٤).

«أَسْبَاطًا» الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهما السلام.
 والأسباط مأخوذٌ من السَّبَط، وهو شجرٌ تُعَلِّقُهُ الإبل^(٥). وقد مضى في «البقرة»^(٦)
 مستوفى.

وروى معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله عزّ وجلّ:
 ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ «قالوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. وقيل
 لهم: ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ مُخَذَّاءً﴾ فدخلوا متورّكين على أستاذهم»^(٧).

﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ مرفوع؛ لأنه فعلٌ مستقبل، وموضعه نصب. و«ما»
 بمعنى المصدر، أي: بظلمهم^(٨). وقد مضى في «البقرة» ما في هذه الآية من المعاني

(١) قائله النواح الكلابي فيما ذكره العيني في شرح الشواهد الكبرى (على هامش الخزانة) ٤/٤٨٤، وهو
 في الكتاب ٣/٥٦٥، والكامل ٢/٨٠٢، والخصائص ٢/٤١٧، وصدره عندهم: وإن كلاباً هذه عشر
 أبطن.

(٢) تفسير الطبري ١٠/٥٠٣.

(٣) في معاني القرآن له ٢/٣٨٢.

(٤) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٦٥، ونسبها لأبي
 حيوة، وذكر ابن عطية أن أبان رواها عن عاصم. وقراءة عاصم المشهورة عنه كقراءة الجماعة.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٩٢، وينظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٨٢.

(٦) ٢/٤١٧.

(٧) أخرجه أحمد (٨١١٠)، والبخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥)، وسلف ٢/١٢٥.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٥٦.

والأحكام^(١). والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَتِهِمْ شِرْخًا وَوَيْمٌ لَا يَسْمُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلْوَاهُمْ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ لِكِ رَبِّنَا وَلَهُمْ لَنَبْتُقُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: عن أهل القرية؛ فعبر عنهم بها لما كانت مستقرًا لهم، أو سبب اجتماعهم، نظيره: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ»^(٢) يعني: أهل العرش من الملائكة، فرحاً واستبشاراً بقدومه ﷺ^(٣).

أي: واسأل اليهود الذين هم جيرانك عن أخبار أسلافهم، وما مسح الله منهم قردةً وخنازير. وهذا سؤال تقرير وتوبيخ. وكان ذلك علامةً لصدق النبي ﷺ؛ إذ أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم^(٤).

وكانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ لأننا من سبط خليله إبراهيم، ومن سبط إسرائيل وهم بكر الله^(٥)، ومن سبط موسى كليم الله، ومن سبط ولده عزيز، فنحن من أولادهم. فقال الله عز وجل لنبيه: سلهم يا محمد عن القرية، أما عذبتهم^(٦)

(١) ١٢١/٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه أحمد (١٤١٥٣)، والبخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر ﷺ. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ عند أحمد (١١١٨٤)، وعن أنس ﷺ عند أحمد (١٣٤٥٤)، ومسلم (٢٤٦٧).

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): به، أي: بقدومه والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٥/٢ - ٧٨٦.

(٤) الوسيط ٤١٩/٢، وتفسير البغوي ٢٠٨/٢.

(٥) سلف ٣٨٨/٧ نحوه من قول السدي.

(٦) في النسخ الخطية: عذبهم، والمثبت من (م).

بذنوبهم، وذلك بتغيير قرع من فروع الشريعة^(١).

واختلف في تعيين هذه القرية، فقال ابن عباس وعكرمة والسُّدِّيُّ: هي أَيْلَة. وعن ابن عباس أيضاً أنها مَدِين، بين أَيْلَة والطور. الزُّهْرِيُّ: طَبْرِيَّة. قتادة وزيد بن أسلم: هي ساحلٌ من سواحل الشام، بين مَدِين وَعَيْنُون، يقال لها: مَقْنَاءُ^(٢).

وكان اليهودُ يَكْتُمون هذه القصةَ لِمَا فيها من السُّبَّةِ عليهم.

﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أي: كانت بقُرب البحر، تقول: كنت بحضرة الدار، أي: بقُربها^(٣).

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يصيدون الحِيتان، وقد نُهوا عنه. يقال: سَبَت اليهودُ: تركوا العمل في سَبْتهم. وسَبَت الرجل - للمفعول - سُبَاتاً: أخذَه ذلك، مثل الحَرَس. وأسبَت: سَكَن فلم يتحرَّك. والقومُ: صاروا في السبت. واليهودُ: دخلوا في السبت، وهو اليوم المعروف. وهو من الراحة والقَطْع. ويُجمع أمْسَبْتُ ومُسَبُّوت^(٤) وأسبات^(٥).

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ: «مَنْ احتجَمَ يَوْمَ السَّبْتِ، فأصابه بَرَصٌ، فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٦). قال علماؤنا: وذلك لأن الدَّمَّ يَجْمَدُ يَوْمَ السَّبْتِ، فإذا مددته لِيُستخرجه، لم يَجْرِ وعاد بَرَصاً^(٧).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٥/٢.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ٥٠٧/١٠ - ٥٠٩، وينظر النكت والعيون ٢٧١/٢، والمحرر الوجيز ٤٦٧/٢.

(٣) وقال أبو حيان في البحر ٤/٤١٠: ويحتمل أن يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها، أي: هي الحاضرة في قرى البحر.

(٤) تهذيب اللغة ٣٨٦/١٢، والصحاح (سبت).

(٥) لم تقف على هذا الجمع.

(٦) أخرجه البزار (٣٠٢٢) (زوائد)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٣٤٠ من حديث أبي هريرة ؓ، وفي

إسناده سليمان بن أرقم، قال الدارقطني: متروك، وقال ابن معين: ليس بشيء، ميزان الاعتدال ٢/١٩٦.

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٨١٦) عن الزهري مرسلًا، وهو المحفوظ فيما قاله البيهقي.

(٧) كلام غير صحيح مستند إلى خبر باطل.

وقراءة الجماعة: «يَعْدُونَ». وقرأ أبو نهيك: «يُعَدُونَ» بضم الياء وكسر العين وشدّ الدال^(١). الأولى من الاعتداء، والثانية من الإعداد، أي: يهيئون الآلة لأخذها. وقرأ ابن السَّمِيعِ: «في الأسبات» على جمع السبت^(٢). «إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَكْنَتِهِمْ» وقرأ: «إسباتهم»^(٣).

﴿شَرَعًا﴾ أي: شوارع ظاهرة على الماء كثيرة^(٤). وقال الليث: حيتان شرع رافعة رؤوسها. وقيل: معناه أن حيتان البحر كانت تَرُدُّ يوم السبت عَنقًا^(٥) من البحر فتزاحم^(٦) أيلة. ألهمها الله تعالى أنها لا تُصَاد يوم السبت؛ لِئَنهٗ تعالى اليهودَ عن صيدها. وقيل: إنها كانت تَشْرَعُ على أبوابهم كالكبش البيض رافعة رؤوسها - حكاة بعض المتأخرين - فتعدّوا، فأخذوها في السبت، قاله الحسن^(٧). وقيل: يوم الأحد، وهو الأصحُّ على ما يأتي بيانه.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: لا يفعلون السبت. يقال: سَبَبَتْ يَسِبْتُ إذا عَظَّمَ السبت. وقرأ الحسن: «يُسَبِّتُونَ» بضم الياء^(٨)، أي: يدخلون في السبت؛ كما يقال: أجمعنا، وأظهرنا، وأشهرنا، أي: دخلنا في الجمعة والظهر والشهر^(٩).

(١) هي في تفسير الرازي ٣٧/١٥، والبحر ٤١٠/٤ دون نسبة، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٦، وابن جني في المحتسب ٢٦٤/١ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦٧/٢ أن أبا نهيك قرأ: «يَعْدُونَ». قال ابن جني: أراد يعتدون، فأسكن التاء ليدغمها في الدال، ونقل فتحها إلى العين فصار يَعْدُونَ.

(٢) لم نقف عليها عند غير المصنف، وسلف أننا لم نقف على أن السبت يُجمع على أسبات.

(٣) يعني مصدر «أسبت» كما في البحر المحيط ٤١١/٤، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز ؑ كما في القراءات الشاذة ص ٤٧. ووقع في (م): «أسباتهم».

(٤) تفسير الطبري ٥٠٩/١٠.

(٥) أي: مسرعة، ينظر النهاية (عنت).

(٦) في تهذيب اللغة ٤٢٨/١ (والكلام منه) واللسان (شرع): يتاحم.

(٧) النكت والعيون ٢٧٢/٢.

(٨) القراءات الشاذة ص ٤٧.

(٩) تفسير الطبري ٥١٠/١٠.

﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: حيثانهم.

﴿كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ﴾ أي: نُشِدُّ عليهم في العبادة وَنَحْتَبِرُهُمْ. والكاف في موضع نصب. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بِفِسْقِهِمْ^(١). وسئل الحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله: الحلال لا يأتيك إلا قوتاً، والحرام يأتيك جزفاً جزفاً^(٢)؟ قال: نعم، في قصة داود وأيلة: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ سَكَبَتْهُمُ تُرَعٌ وَإِذْ تَلَقَّوهُمْ لَآ تَأْتِيهِمْ﴾.

وروي في قصص هذه الآية أنها كانت في زمن داود عليه السلام^(٣)، وأن إبليس أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتخذوا الحياض؛ فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها، فلا يُمكنها الخروج منها لِقَلَّةِ الماء، فيأخذونها يوم الأحد^(٤).

وروي أشهب عن مالك قال: زعم ابن رومان أنهم كانوا يأخذ الرجل خيطاً ويضع^(٥) فيه وهقة^(٦)، وألقاها في ذنب الحوت، وفي الطرف الآخر من الخيط وتد، وتركه كذلك إلى الأحد، ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت، ومشي به في الأسواق، وأعلن الفسقة بصيده، فقامت فرقة من بني إسرائيل ونهت، وجاهرت بالنهي واعتزلت.

وقيل: إنَّ الناهين قالوا: لا نساكنكم، فقسموا القرية بجدار. فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس لساناً، فعلوا

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٥٧/٢ .

(٢) الجَزْفُ: الأخذ بالكثرة، ويجزَف له في الكيل: أكثر. اللسان (جرف).

(٣) عرائس المجالس ص ٢٩٠ .

(٤) تفسير البغوي ٢٠٨/٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٧٨٦/٢ .

(٥) في (خ): وجعل، وفي المحرر الوجيز (والكلام منه) ٤٦٧/٢ - ٤٦٨ : ويصنع. وهذا الأثر أخرجه الطبري ٥١٩/١٠ مطولاً.

(٦) في القاموس: الوَهَق، محركة ويُسَكَّن: الحبل يُرمى في أنشوطه، فتؤخذ به الدابة...

على الجدار فنظروا فإذا هم قردة؛ ففتحوا الباب ودخلوا عليهم، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابهم من القردة؛ فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فيقول: ألم تنهكم؟! فتقول برأسها نعم. قال قتادة: صار الشبان قردة والشيخ خنازير، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم^(١).

فعلى هذا القول إن بني إسرائيل لم تفترق إلا فرقتين. ويكون المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: قال الفاعلون للواعظين حين وعظوهم: إذا علمتم أن الله مهلكنا، فلم تعظونا؟ فمسخهم الله قردة. ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ^(٢) إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: قال الواعظون: موعظتنا إياكم معذرة إلى ربكم، أي: إنما يجب علينا أن نعظكم لعلكم تتقون. أسند هذا القول الطبري عن ابن الكلبي^(٣).

وقال جمهور المفسرين: إن بني إسرائيل افتقرت ثلاث فرق، وهو الظاهر من الضمائر في الآية: فرقة عصت وصادت، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً. وفرقة نهت واعتزلت، وكانوا اثني عشر ألفاً. وفرقة اعتزلت ولم تته ولم تعص، وأن هذه الطائفة قالت للناحية: ﴿لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا﴾ تُريد العاصية. ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ على غلبة الظن، وما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمة العاصية. فقالت الناحية: موعظتنا معذرة إلى الله لعلهم يتقون. ولو كانوا فرقتين لقالت الناحية للعاصية: ولعلكم تتقون، بالكاف.

ثم اختلف بعد هذا؛ فقالت فرقة: إن الطائفة التي لم تته ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي؛ قاله ابن عباس. وقال أيضاً: ما أدري ما فعل بهم

(١) عرائس المجالس ص ٢٩٠ - ٢٩١، وتفسير البغوي ٢/ ٢٠٨، وأخرجه الطبري ١٠/ ٥١٥ - ٥١٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما مطولاً. وسلف هذا الكلام ٢/ ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) قرأ حفص: «معذرة» بالنصب، والباقون بالرفع، كما سيأتي.

(٣) تفسير الطبري ١٠/ ٥٢١، والكلام في المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٨.

وهو الظاهر من الآية^(١).

وقال عكرمة: قلت لابن عباس لما قال: ما أدري ما فُعلَ بهم: ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم، فقالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؟ فلم أزل به حتى عرفت أنه قد نَجَّوْا، فكساني حُلَّةً^(٢). وهذا مذهب الحسن^(٣).

ومما يدلُّ على أنه إنما هَلَكَتِ الفرقة العاديَّة لا غير قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الاعراف: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥] الآية.

وقرأ عيسى وطلحة: «مَعْدِرَةٌ» بالنصب. ونصبه عند الكسائي من وجهين: أحدهما على المصدر. والثاني على تقدير: فعلنا ذلك معذرةً. وهي قراءة حَفْص عن عاصم. والباقون بالرفع^(٤)، وهو الاختيار؛ لأنهم لم يُريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمر لِيُمُوا عليه، ولكنهم قيل لهم: لِمَ تَعْظُونَ؟ فقالوا: موعظتنا مَعْدِرَةٌ. ولو قال رجلٌ لرجل: مَعْدِرَةٌ إلى الله وإليك من كذا، يُريد اعتذاراً، لَنَصَبَ. هذا قول سيويه^(٥).

ودلَّت الآية على القول بسدِّ الذرائع^(٦). وقد مضى في «البقرة». ومضى فيها الكلام في الممسوخ هل يَنْسُلُ أم لا، مبيِّناً^(٧). والحمد لله.

ومضى في «آل عمران» و«المائدة» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٨). ومضى في «النساء»^(٩) اعتزال أهل الفساد ومُجانبتهم، وأنَّ من جالسهم كان مثلهم؛ فلا معنى للإعادة.

(١) المحرر الوجيز ٤٦٨/٢، وينظر تفسير البغوي ٢٠٨/٢ - ٢٠٩، والكشاف ١٢٦/٢ - ١٢٧.

(٢) أخرجه الطبري ٥١٤/١٠.

(٣) ذكره البغوي ٢٠٩/٢.

(٤) السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٥٧/٢ - ١٥٨، وينظر الكتاب ٣٢٠/١.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٧/٢.

(٧) ١٦٨/٢ وما بعدها.

(٨) ٧٣/٥ و ٢٥٣/٦.

(٩) ١٨٥/٧.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ التَّوْبَةِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

والتَّسْيَانُ يُطْلَقُ عَلَى السَّاهِي وَالْعَامِدِ التَّارِكِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوه عن قَصْدٍ^(١)، ومنه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيحُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

ومعنى ﴿بِعَدَابِ بَيْتِيسَ﴾ أي: شديد. وفيه إحدى عشرة قراءة:

الأولى: قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي: «بَيْتِيسَ» على وزن فَعِيلٍ^(٢).

الثانية: قراءة أهل مكة: «بَيْتِيسَ» بكسر الباء والوزن واحد^(٣).

والثالثة: قراءة أهل المدينة: «بَيْسَ» الباء مكسورة، بعدها ياء ساكنة، بعدها سين مكسورة منوَّنة^(٤). وفيها قولان. قال الكسائي: الأصل فيه: «بَيْيسَ» خفيفة الهمزة، فالتفتت ياءان، فحذفت إحداهما وكُسر أوَّلُه، كما يُقال: رَغِيْفٌ وَشِهِيْدٌ. وقيل: أراد «بَيْسَ» على وزن فَعِيلٍ، فكسر أوَّلُه، ونخفَّف الهمزة، وحذفت الكسرة، كما يقال: رَجِمَ وَرَجِمَ.

الرابعة: قراءة الحسن: الباء مكسورة، بعدها همزة ساكنة، بعدها سين مفتوحة^(٥).

الخامسة: قرأ أبو عبد الرحمن المقرئ: «بَيْسِ» الباء مفتوحة والهمزة مكسورة والسين مكسورة منوَّنة^(٦).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٧٨٧/٢.

(٢) وأيضاً هي قراءة ابن كثير وعاصم في رواية حفص. السبعة ص ٢٩٦، والتيسير ص ١١٤.

(٣) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦٩/٢، وأبو حيان في البحر ٤١٣/٤، وقال: هي لغة تميم. وقراءة ابن كثير المكِّي هي بفتح الباء كما سلف.

(٤) قرأ بها نافع وأبو جعفر. النشر ٢٧٢/٢.

(٥) ذكرها ابن جنِّي في المحتسب ٢٦٧/١.

(٦) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦٩/٢، وأبو حيان في البحر ٤١٣/٤.

السادسة: قال يعقوب القارئ: وجاء عن بعض القراء: «بعذاب بَيْسٍ» الباء مفتوحة والهمزة مكشورة والسين مفتوحة^(١).

السابعة: قراءة الأعمش: «بَيْسٍ» على وزن قَيْعَلٍ^(٢). ورُوي عنه: «بَيْسٍ» على وزن قَيْعَلٍ^(٣). ورُوي عنه: «بَيْسٍ» بياء مفتوحة وهمزة مُشَدَّدة مكسورة، والسين في كلِّه مكسورة منوَّنة، أعني قراءة الأعمش^(٤).

العاشرة: قراءة نصر بن عاصم: «بعذاب بَيْسٍ» الباء مفتوحة، والياء مشدَّدة بغير همز^(٥).

قال يعقوب القارئ: وجاء عن بعض القراء: «بَيْسٍ» الباء مكسورة، وبعدها همزة ساكنة، وبعدها ياء مفتوحة^(٦). فهذه إحدى عشرة قراءةً ذكَّرها النحاس^(٧).

قال عليُّ بن سليمان: العرب تقول: جاء ببناتٍ بَيْسٍ، أي: بشيءٍ رديء. فمعنى «بِعَذَابٍ بَيْسٍ»: بعذابٍ رديء.

وأما قراءةُ الحسن، فزعم أبو حاتم أنه لا وجهَ لها، قال: لأنه لا يُقال: مررتُ برجلٍ بَيْسٍ، حتى يُقال: بَيْسَ الرجل، أو بَيْسَ رجلاً.

قال النحاس: وهذا مردودٌ من كلامِ أبي حاتم، حكى التَّخَوِيون: إن فعلتَ كذا وكذا فَبِهَا وَنِعَمْتَ. يُريدون^(٨): فبها ونعمتِ الحَصْلَةُ. والتقديرُ على قراءة الحسن:

(١) ذكرها أبو حيان في البحر ٤/٤١٢، وقَّيدها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٦٩ بتشديد الهمزة.

(٢) قال ابن عطية: وهذا شاذٌّ، لأنه لا يوجد قَيْعَلٌ في الصحيح، وإنما يوجد في المعتل، مثل سيِّد ومَيْت. وكذلك قال السمين في الدر المصون ٥/٤٩٨.

(٣) وهي رواية شعبة بخلف عنه.

(٤) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٦٩ - ٤٧٠.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحتسب ١/٢٦٥.

(٦) ذكرها ابن جني في المحتسب ١/٢٦٧ دون نسبة، ونقل ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٧٠ نسبتها للحسن والأعمش.

(٧) في إعراب القرآن ٢/١٥٨ - ١٥٩. وينظر الدر المصون ٥/٤٩٦ - ٤٩٨.

(٨) في النسخ الخطية: يريد، والمثبت من (م) وإعراب القرآن للنحاس.

بعذاب يئس العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: فلما تجاوزوا في معصية الله. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً﴾ يقال: خَسَاةٌ فَخَسَا، أي: باعدته وطرده^(١). وقد تقدّم في «البقرة»^(٢). ودلّ على أن المعاصي سبب النقمة وهذا لا يخفّاء به. فقيل: قال لهم ذلك بكلام يُسمع، فكانوا كذلك. وقيل: المعنى: كَوَّنَاهُمْ قِرَدَةً^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

أي: أعلم أسلافهم أنهم إن غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الأمي بعث الله عليهم من يُعَذِّبُهُمْ. وقال أبو علي: «أَذَّنَ» بالمدّ: أعلم. و«أَذَّنَ» بالتشديد: نادى. وقال قوم: أذّن وأذّن بمعنى أعلم، كما يقال: أيقن وتيقن^(٤). قال زهير:

فقلتُ تَعَلَّمُ أن للصيْدِ غِرَّةً فلا تُضَيِّعها فإنك قاتِلُهُ^(٥)
وقال آخر:

تعلَّمُ أن شرَّ الناسِ حيٌّ يُنَادِي في شِعَارِهِمْ يَسَارُ^(٦)
أي: أعلم.

ومعنى ﴿يَسُومُهُمْ﴾: يُذَيِّقُهُمْ، وقد تقدّم في «البقرة»^(٧). قيل: المراد بـ«يُسُومُهُمْ»^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٦٠/٢ .

(٢) ١٧٤/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٤٧٠/٢ .

(٤) الحجة للقرآء السبعة ٤٠٤/٢ و ٤١٠ ، وحكى هذا الكلام عن سيويه، وهو في كتابه ٦٢/٤ .

(٥) ديوان زهير ص ١٣٤ .

(٦) قائله زهير أيضاً، وهو في ديوانه ص ٣٠٠ .

(٧) ٨٤/٢ .

(٨) ذكره الرازي في تفسيره ٤٢/١٥ .

وقيل: العرب. وقيل: أمة محمد ﷺ، وهو أظهر؛ فإنهم الباقون إلى يوم القيامة. والله أعلم. قال ابن عباس: «سوء العذاب» هنا أخذ الجزية^(١). فإن قيل: فقد مسخوا، فكيف تؤخذ منهم الجزية؟ فالجواب أنها تؤخذ من أبنائهم وأولادهم، وهم أذل قوم، وهم اليهود^(٢). وعن سعيد بن جبير: «سوء العذاب» قال: الخراج، ولم يجب نبي قط الخراج إلا موسى عليه السلام، هو أول من وضع الخراج، فجباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك، ونبينا عليه الصلاة والسلام^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أَصْمًا مِّنْهُمْ أَصْلَابًا وَمِنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَلْوَنَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أَصْمًا﴾ أي: فرقناهم في البلاد. أراد به تشتيت أمرهم، فلم تجتمع^(٤) لهم كلمة. ﴿مِنَهُمْ أَصْلَابًا﴾ رَفَعَ على الابتداء. والمراد: مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَنْ لَمْ يُبَدِّلْ مِنْهُمْ وَمَاتَ قَبْلَ نَسْخِ شَرَعِ مُوسَى. أَوْ هُمُ الَّذِينَ وُجِدُوا فِي الْأَرْضِ، كَمَا سَبَقَ^(٥).

﴿وَمِنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ منصوبٌ على الظرف. قال النحاس: ولا نعلم أحداً رَفَعَهُ^(٦). والمراد الكفارُ منهم. ﴿وَيَلْوَنَهُمُ﴾ أي: اختبرناهم. ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ أي: بالخُصْبِ والعافية. ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: الجذب والشدائد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ليرجعوا عن كفرهم^(٧).

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٠/٥٣٠ - ٥٣١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/٩٧.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/٥٣٢.

(٤) في (د) و(م): تجمع، والكلام في تفسير البغوي ٢/٢٠٩.

(٥) ٧/٣٠٢، ونظر الكشاف ٢/١٢٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٠.

(٧) الوسيط ٢/٤٢٢.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ تَلَّامٌ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ﴾ يعني أولاد الذين فرّقهم في الأرض. قال أبو حاتم: «الْخَلْفُ» بسكون اللام: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء. «وَالْخَلْفُ» بفتح اللام: البَدَل، ولدًا كان أو غريبًا. وقال ابن الأعرابي: «الْخَلْفُ» بالفتح الصالح، وبالجزم الطالح^(١). قال كبيد:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرِبِ^(٢)

ومنه قيل للردّيء من الكلام: خَلْفٌ، ومنه المثل السائر: مَكَتَ أَلْفًا ونطق خَلْفًا^(٣). فَخَلَفَ فِي الدَّمِّ، بالإسكان، وَخَلَفَ بِالْفَتْحِ فِي المَدْحِ. هذا هو المستعمل المشهور. قال عنه: «يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ»^(٤). وقد يُستعمل كلُّ واحدٍ منهما موضع الآخر. قال حسان بن ثابت:

لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لِأَوْلَانَا فِي طَاعَةِ اللّهِ تَابِعُ^(٥)

وقال آخر:

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بئسَ الخَلْفُ أغلِقْ عَنَّا بَابَهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البَّوَابُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عبداً إذا ما ناء بالجِئِلِ وَقَفَ^(٦)

(١) تفسير البغوي ٢/ ٢١٠.

(٢) سلف ٦/ ٤٢٢.

(٣) الصحاح (خلف)، وينظر كتاب الأمثال للقسام بن سلام ص ٥٥، ومجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٣٠.

(٤) سلف ١/ ٦٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٤٧٢، والبيت في ديوان حسان عنه ص ١٤٨.

(٦) الرجز في الكامل عن الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمةً ٣/ ١٣١١. وفي اللسان (خضف) باختلاف في ترتيبه، وفيه: خضف، بدل: وقف.

وَيُرَى: خُضِفَ، أي: رَدِمَ^(١). والمقصود من الآية الذَّمُّ.

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾، قال المفسرون: هم اليهود، وَرِثُوا كتابَ اللهِ فقرؤوه وعَلِمُوهُ، وخالفوا حُكْمَهُ وَأَتَوْا محارمَهُ مع دِرَاسَتِهِمْ له^(٢). فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً.

﴿يَأْخُذُونَ عَرْشَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ ثم أخبر عنهم أنهم يأخذون ما يَعْرِضُ لهم من مَتَاعِ الدنيا لِشِدَّةِ حِرْصِهِمْ وَنَهْمِهِمْ^(٣). ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وهم لا يتوبون. ودلَّ على أنَّهم لا يتوبون قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرْشٌ يَثَلُّهُ يَأْخُذُوهُ﴾ والعَرَضُ: مَتَاعُ الدنيا، بفتح الراء. وبإسكانها: ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير^(٤).

والإشارة في هذه الآية إلى الرِّشَا والمكاسبِ الخبيثة.

ثم ذمَّهم باغترارهم في قولهم: «سَيُغْفَرُ لَنَا»، وأنهم بحالٍ إذا أمكنتهم ثانية ارتكبوها، فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مُصِرُّون، وإنما يقول: سَيُغْفَرُ لَنَا؛ مَنْ أَقْلَعَ وَنَدِمَ^(٥).

قلت: وهذا الوصف الذي ذمَّ اللهُ تعالى به هؤلاء موجودٌ فينا. أسند الدارميُّ أبو محمد: حدَّثنا محمد بن المبارك، حدَّثنا صَدَقَةُ بن خالد، عن ابن جابر، عن شيخ يُكنى أبا عمرو^(٦)، عن معاذ بن جبلٍ ؓ قال: سَيَّلَى القرآنُ في صدور أقوامٍ كما يَيْلَى الثَّوْبُ فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوةً ولا لَذَّةً، يَلْبَسُونَ جِلْدَ الضَّأْنِ على قلوبِ الدُّنَابِ، أعمالُهُمْ طَمَعٌ لا يُخالطه خوفٌ، إنْ قَصَّرُوا قالوا: سنبلغ، وإنْ أساؤوا قالوا: سَيُغْفَرُ لَنَا؛ إِنَّا لا نُشْرِكُ بالله شيئاً^(٧).

(١) قوله: ردم: أي: شرط. اللسان (ردم).

(٢) تفسير البغوي ٢/٢١٠.

(٣) في (ط): ونهيمهم.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/١٠٠.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٧٢.

(٦) في النسخ الخطية: أبا عمر، والمثبت من (م)، وسنن الدارمي، وإتحاف المهرة ١٣/٣٠٥.

(٧) سنن الدارمي (٣٣٤٦)، وإسناده ضعيف.

وقيل: إن الضمير في «يأتهم» ليهود المدينة، أي: وإن يأت يهود يثرب الذين كانوا على عهد النبي ﷺ عَرْضٌ مثله يأخذه كما أخذه أسلافهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالنَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ يريد التوراة. وهذا تشديد في لزوم قول الحق في الشرع والأحكام، وألا يميل الحكام بالرُشا إلى الباطل^(١).

قلت: وهذا الذي لزم هؤلاء وأخذ عليهم به الميثاق في قول الحق لازم لنا على لسان نبينا ﷺ وكتاب ربنا، على ما تقدم بيانه في «النساء»^(٢). ولا خلاف فيه في جميع الشرائع، والحمد لله.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي: قرؤوه، وهم قريبو عهد به^(٣). وقرأ أبو عبد الرحمن: «وَأَدَّارَسُوا ما فيه» فأدغم التاء في الدال^(٤).

قال ابن زيد: كان يأتهم المصحف برشوة، فيخرجون له كتاب الله فيحكمون له به، فإذا جاء المبطل أخذوا منه الرشوة، وأخرجوا له كتابهم الذي كبه بأيديهم وحكموا له. وقال ابن عباس: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ وقد قالوا الباطل في عُفْران ذنوبهم الذي يُوجبونه ويقطعون به^(٥). وقال ابن زيد: يعني في الأحكام التي يحكمون بها، كما ذكرنا.

وقال بعض العلماء: إن معنى «وَدَرَسُوا ما فيه» أي: محوه بترك العمل به والفهم له^(٦)، من قولك: دَرَسَتِ الرِّيحُ الْآثَارَ: إذا مَحَتْهَا^(٧). وخط دارس، ورَبَعَ دارس: إذا

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٧٢.

(٢) ٧/ ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٠٠.

(٤) المحتسب ١/ ٢٦٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٦٠.

(٥) أخرجهما الطبري ١٠/ ٥٣٩ و ٥٤٠.

(٦) النكت والعيون ٢/ ٢٧٥.

(٧) تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٩.

أَمْحَى وَعَفَا أَثْرُهُ. وهذا المعنى مُوَاطِئٌ - أي: موافق - لقوله تعالى: ﴿بَدَدَ قُرَيْبٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١] الآية. وقوله: ﴿قَبَدُوهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] حسب ما تقدّم بيانه في «البقرة»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ لِعَجْرِ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: بالتوراة، أي: بالعمل بها، يقال: مَسَكَ بِهِ وَتَمَسَكَ بِهِ، أي: استمسك به^(٢). وقرأ أبو العالية وعاصم في رواية أبي بكر «يُمْسِكُونَ»^(٣) بالتخفيف من أَمْسَكَ يُمْسِكُ. والقراءة الأولى أولى؛ لأن فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه، فبذلك يُمدحون. فالتمسك بكتاب الله والذين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك^(٤). وقال كعب بن زهير - فجاء به على طبعه - يذم بكثرة نقض العهد^(٥).

فما تُمْسِكُ بالعهد الذي زَعَمْتَ إلا كما تُمْسِكُ الماءَ العَرَابِيلَ^(٦)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَانَتْ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُم وَقَعُوا فِيهِمْ خُدُوعًا مَّا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذَكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبَلِ﴾ «نَفَقْنَا» معناه: رَفَعْنَا. وقد تقدّم بيانه في «البقرة». ﴿كَانَتْ ظِلَّةٌ﴾ أي: كأنه - لارتفاعه - سحابة تُظِلُّ. ﴿خُدُوعًا مَّا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجِدِّ. وقد مضى في «البقرة» إلى آخر الآية^(٧).

(١) ٢٦٨/٢ - ٢٦٩.

(٢) الصحاح (مسك).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٠/٢، وقرائة أبي بكر في السبعة ص ٢٩٧، والتيسر ص ١١٤.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٨٢/١.

(٥) من قوله: فجاء به... إلى هذا الموضع، وقع في (م) بعد البيت، والمثبت موافق لإعراب القرآن للنحاس ١٦١/٢ (والكلام منه).

(٦) ديوان كعب ص ٨٥، وصدر البيت فيه: وما تمسك بالوصل...

(٧) تقدم ما ذكره المصنف في الموضعين ١٦٤/٢ - ١٦٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي: واذكر لهم مع ما سبق من تذكير الموائيق في كتابهم ما أخذت من الموائيق من العباد يوم النذر. وهذه آيةٌ مُشْكِلَةٌ، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها، فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه:

فقال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض.

قالوا: ومعنى ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيدهِ؛ لأنَّ كلَّ بالغٍ يعلم ضرورةً أنَّ له ربًّا واحداً، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: قال^(١). فقام ذلك مقامَ الإشهاد عليهم والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ذهب إلى هذا الفقهاء وأطنب^(٢).

وقيل: إنَّه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنَّه جعلَ فيها من المعرفة ما عَلِمَتْ به ما خاطبها^(٣).

قلت: وفي الحديث عن النبي ﷺ غيرُ هذين القولين، وأنَّه تعالى أخرج الأشباح فيها الأرواح من ظهر آدم عليه السلام. روى مالكٌ في «موطئه»^(٤) أن عمر بن الخطاب ؓ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٦١/٢.

(٢) ذكر نحو هذا الكلام الرازي في تفسيره ٥٠/١٥.

(٣) النكت والعيون ٢٧٧/٢.

(٤) ٨٩٨ - ٨٩٩، ومن طريقه أخرجه أحمد (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)،

والنسائي في الكبرى (١١١٢٦) كلهم من طريق مسلم بن يسار عن عمر ؓ.

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ». فقال رجل: ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلُهُ اللّهُ النَّارَ».

قال أبو عمر^(١): هذا حديثٌ منقطع الإسناد؛ لأنَّ مسلمَ بن يسار لم يلقَ عمر^(٢). وقال فيه يحيى بن معين: مسلم بن يسار لا يُعرف، بينه وبين عمر نُعَيْمُ بن ربيعة، ذكره النسائي^(٣)، ونُعَيْم غير معروف بحمل العلم. لكن معنى هذا الحديث قد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم^(٤).

روى الترمذي وصحَّحه عن أبي هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا خَلَقَ اللّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا [مِنْ ذُرِّيَّتِهِ] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَبَيْضاً مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ

(١) في التمهيد ٦/٣ - ٧، والامتناع ٢٦/٩٠.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٠٣ - ٥٠٤: الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نُعَيْم بن ربيعة عمداً لما جهل حاله ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يُرسل كثيراً من المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصولات.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٦/٤ - ٥ من طريق النسائي، وليس هو في سنته من هذه الطريق، إنما فيه من طريق أخرى (١١٢٦) وينظر تحفة الأشراف ٨/١١٣.

(٤) حديث عمر رضي الله عنه أخرجه أحمد (١٩٦)، والترمذي (٢١٣٥) و(٣١١١). وحديث ابن مسعود رضي الله عنه سلف ٢٩٦/١. وحديث علي رضي الله عنه أخرجه أحمد (٦٢١)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (١٠٢٨٦)، ومسلم (٢٦٥١).

مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ. فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيَّضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ، كَمْ جَعَلْتَ عُمرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا انْقَضَى عُمرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ، فَتَنَسَّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ^(١).

في غير الترمذي: «فحينئذ أمر بالكتاب والشهود»^(٢) في رواية: «فرأى فيهم الضعيف والغني والفقير»^(٣)، والمبتلى والصحيح. فقال له آدم: يا رب، ما هذا؟! ألا سويت بينهم؟! قال: أردت أن أشكر^(٤).

وروى عبد الله بن عمرو^(٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس»^(٦). وجعل الله لهم عقولاً كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم، وأن لا إله غيره. فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم بأنه سيبعث إليهم الرسل، فشهد بعضهم على بعض. قال أبي بن كعب: وأشهد عليهم السماوات السبع، فليس من أحد يؤلد إلى يوم القيامة إلا وقد أخذ عليه العهد^(٧).

(١) قوله: آدم، ليس في النسخ الخطية، وأثبتناه من (م)، وسنن الترمذي (٣٠٧٦) وما سلف بين حاصرتين منه وسلفت هذه القطعة ٢٩٤/١.

(٢) هو عند الترمذي أيضاً (٣٣٦٨)، وأخرجه ابن حبان (٦١٦٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) بعدها في (د) و(ز) و(ظ): والذليل.

(٤) أخرج هذه الرواية أبو يعلى في مسنده (٦٣٧٧) من حديث أبي هريرة ؓ. وأوردتها باللفظ الذي ذكره المصنف ابن العربي في أحكام القرآن ٧٨٩/٢. وقوله: «أردت أن أشكر» قال السندي (كما في حاشية المسند ١٥٧/٣٥): أي: ولا يحصل منهم الشكر على النعمة إلا إذا عرفوها بصدقها.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): عمر، والمثبت من (خ) و(م).

(٦) أخرجه الطبري ٥٥٢/١٠، وأورده ابن كثير ٥٠٢/٣، وضعف رفعه، وذكر أن وقفه على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أصح.

(٧) المحرر الوجيز ٤٧٤/٢، وقول أبي هريرة ؓ أخرجه أحمد (٢١٢٣٢).

واختُلف في الموضع الذي أخذ فيه الميثاقُ حين أُخْرِجُوا، على أربعة أقوال: فقال ابن عباس: ببطن نَعْمَان، وإِدْ إلى جَنْبِ عَرَفَةَ^(١). ورُوي عنه أَنَّ ذلك بِدَهْنَا^(٢) - أرضٍ بالهند - الذي هبط فيه آدم عليه السلام.

وقال يحيى بن سلام: قال ابن عباس في هذه الآية: أهبط الله آدم بالهند، ثم مسح على ظهره، فأخرج منه كلَّ نَسَمَةٍ هو خالقُها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^(٣) قال يحيى: قال الحسن: ثم أعادهم في صُلب آدم عليه السلام^(٤). وقال الكلبي: بين مكة والطائف^(٥).

وقال السُّدِّي: في السماء الدنيا حين أهبط من الجنة إليها، مسح على ظهره، فأخرج من صفحة ظهره اليمنى ذُرِّيَّةً بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي. وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذُرِّيَّةً سوداء وقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي^(٦). قال ابن جريج: خرَّجَتْ كلُّ نفس مخلوقة للجنة بيضاء، وكلُّ نفس مخلوقة للنار سوداء^(٧).

الثانية: قال ابن العربي رحمه الله^(٨): فإن قيل: فكيف يجوز أن يُعَذَّبَ الخلق وهم لم يُذنبوا، أو يُعاقَبهم على ما أرادَه منهم، وكتبَه عليهم، وساقَهم إليه^(٩)؟ قلنا:

(١) أخرجه الطبري ٥٥٠/١٠ .

(٢) في النسخ: برهبا، والمثبت من تفسير الطبري ٢٢٥/١٣ (طبعة الشيخ محمود شاكر رحمه الله)، وتفسير البغوي ٢/٢١٢، والكلام فيه.

(٣) أخرجه الطبري ٥٤٨/١٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٥٥٥/١٠ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٢/٢١٢ .

(٦) أخرجه الطبري ٥٦٠/١٠ .

(٧) أخرجه الطبري ٥٥٦/١٠ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) في أحكام القرآن ٧٩١/٢ .

(٩) في النسخ الخطية: وساقه إليهم، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

ومن أين يمتنع ذلك، أعقلاً أم شرعاً؟ فإن قيل: لأن الرحيم الحكيم منّا لا يجوز أن يفعل ذلك. قلنا: لأن فوقه آمراً يأمره وناهياً ينهاه^(١)، وربنا تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يجوز أن يقاس الخلق بالخالق، ولا تُحمل أفعال العباد على أفعال الإله^(٢). وبالْحَقِيقَةُ الأفعال كُلُّهَا لله جَلَّ جلاله، والخلق بأجمعهم له^(٣)، صرّفهم كيف شاء، وحكّم بينهم بما أراد^(٤)، وهذا الذي يَجِدُهُ الأدميُّ إنّما تبعثُ عليه رِقَّةُ الجِبِلَّةِ^(٥)، وشفقةُ الجنسيَّةِ، وحبُّ الشاء والمدح؛ لما يتوقَّع في ذلك من الانتفاع، والباري تعالى متقدِّس عن ذلك كلِّه^(٦) فلا يجوز أن يُعتبر به.

الثالثة: واختلف في هذه الآية؛ هل هي خاصّة أو عامّة؟ فقيل: الآية خاصّة؛ لأنّه تعالى قال: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ﴾. فخرج من هذا مَنْ كان من ولد آدم لِصُلْبِهِ. وقال جَلَّ وعزَّ: ﴿أَوْ قَوْلُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾، فخرج منها كلُّ مَنْ لم يكن له آباء مشركون. وقيل: هي مخصوصة فيمن أخذَ عليه العهد على ألسنة الأنبياء. وقيل: بل هي عامّة لجميع الناس؛ لأن كلَّ أحدٍ يعلم أنه كان طفلاً فغُذِيَ ورُبي، وأن له مُدْبِراً وخالقاً. فهذا معنى ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.

ومعنى ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: إنّ ذلك واجبٌ عليهم^(٧). فلما اعترف الخلق لله سبحانه بأنّه الربُّ ثم ذهلوا عنه، ذكّرهم بأنبيائه، وختم الذكر بأفضل أصفياه؛ لتقوم حجته عليهم، فقال له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]. ثم مكّنه من الصيطرة، وآتاه السلطنة، ومكّن له دينه في الأرض.

(١) في النسخ الخطية: أمراً أمره وناهيا نهاه، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٢) في أحكام القرآن: ولا يجوز أن يقاس الخالق بالمخلوق، ولا تحمل أفعال الإله على أفعال العباد.

(٣) لفظه: له، من (م) وأحكام القرآن.

(٤) في (خ): حكم فيهم ما أراد، وفي أحكام القرآن: حكم فيهم كما أراد.

(٥) في النسخ الخطية: الجبيلية، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٦) قوله: كله، من (م).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٦٢/٢.

قال الطُّرْطُوشِي: إِنَّ هَذَا الْعَهْدَ يَلْزِمُ الْبَشَرَ وَإِنْ كَانُوا لَا يَذْكُرُونَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، كَمَا يَلْزِمُ الطَّلَاقَ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِهِ وَقَدْ نَسِيَهِ^(١).

الرابعة: وقد استدللَّ بهذه الآية مَنْ قال: إِنَّ مَنْ مَاتَ صَغِيرًا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ لِإِقْرَارِهِ فِي الْمِيثَاقِ الْأَوَّلِ. وَمَنْ بَلَغَ الْعَقْلَ لَمْ يُغْنِهِ الْمِيثَاقُ الْأَوَّلُ. وَهَذَا الْقَائِلُ يَقُولُ: أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ فِي الْبَابِ.

وهذه المسألة اختلف فيها لاختلاف الآثار، والصحيح ما ذكرناه^(٢). وسيأتي الكلام في هذا في «الرُّوم» إن شاء الله^(٣). وقد أتينا عليها في كتاب «التَّذْكَرَة» والحمد لله^(٤).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ﴾. وألفاظ الآية تقتضي أن الأخذ إنما كان من بني آدم، وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظ^(٥).

ووجه النظم^(٦) على هذا: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم. وإنما لم يذكر ظهور آدم لأن المعلوم أنهم كلهم بنوه، وأنهم أخرجوا يوم الميثاق من ظهره، فاستغنى عن ذكره لقوله: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ﴾^(٧).

﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ قرأ الكوفيون وابن كثير بالتوحيد وفتح التاء^(٨)، وهي تقع للواحد

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٧٥ .

(٢) المفهم ٦/٦٧٧ - ٦٧٨ .

(٣) في تفسير الآية (٣٠) منها.

(٤) ص ٥١١ وما بعدها.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٧٤ .

(٦) في (ظ): النظر.

(٧) تفسير البغوي ٢/٢١٢ .

(٨) السبعة ص ٢٩٨ ، والتيسير ص ١١٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/٤٨٣ ، والكلام منه إلى نهاية المسألة.

والجمع، قال الله تعالى: ﴿مَبَّ لِي مِنَ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً نَبِيَّةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، فهذا للواحد؛ لأنه إنما سأل هبةً وولد، فُبَشِّرَ يحيى. وأجمع القراء على التوحيد في قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٥٨]، ولا شيء أكثر من ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنَّا بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] فهذا للجمع. وقرأ الباقون «ذُرِّيَّاتِهِمْ» بالجمع، لأنَّ الذُرِّيَّةَ لِمَا كانت تقعُ للواحد؛ أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع لتخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يَشْرِكُهَا فيه شيء، وهو الجمع؛ لأنَّ ظهورَ بني آدم استُخرج منها ذُرِّيَّاتٌ كثيرةٌ متناسبة، أعقابٌ بعد أعقاب، لا يعلم عددهم إلاَّ اللهُ، فجمع لهذا المعنى.

السادسة: قوله تعالى: ﴿بِكَلِّكَ﴾ تقدّم القولُ فيها في «البقرة» عند قوله: ﴿بِكَلِّكَ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [الآية: ٨١]، مستوفى، فتأملُه هناك^(١).

«أَنْ يَقُولُوا»، «أَوْ يَقُولُوا»: قرأ أبو عمرو بالياء فيهما^(٢)، ردّهما على لفظ الغيبة المُتكرَّر قبله، وهو قوله: ﴿مَن بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾، وقوله: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أيضاً لفظ غيبية. وكذا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنَّا بَعْدِهِمْ﴾، ﴿وَأَعْلَمَهُمْ﴾ فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة.

وقرأ الباقون بالياء فيهما، ردّوه^(٣) على لفظ الخطاب المتقدم في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾. ويكون: «شهدنا»، من قول الملائكة. لمّا قالوا: «بلى» قالت الملائكة: «شهدنا أن تقولوا» «أو تقولوا» أي: لثلاث تقولوا.

وقيل: معنى ذلك: أنهم لمّا قالوا: «بلى»، فأقرّوا له بالرُّبوبيَّة، قال الله تعالى للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا بإقراركم لثلاث تقولوا، أو تقولوا. وهذا قولٌ مجاهد

(١) ٢٢٦/٢.

(٢) السبعة ص ٢٩٨، والتيسير ص ١١٤.

(٣) في النسخ الخطية: ردّه، والمثبت من (م)، وهو الموافق للكشف عن وجوه القرآيات السبع ٤٨٤/١، والكلام منه.

والضحَّاك والسُّدِّي^(١).

وقال ابنُ عباس وأبيُّ بن كعب: قوله: «شَهِدْنَا» هو مِن قول بني آدم، والمعنى: شَهِدْنَا أَنْكَ رَبَّنَا وَإِلَهُنَا^(٢)، وقال ابن عباس: أشهد بعضهم على بعض، فالمعنى على هذا: قالوا: بلى شَهِدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ^(٣).

فإذا كان ذلك من قول الملائكة؛ فيوقف على «بلى»، ولا يحسنُ الوقفُ عليه إذا كان من قول بني آدم^(٤)؛ لأنَّ «أَنَّ» متعلِّقة بما قبل «بلى» من قوله: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ لثلاثا يقولوا. وقد روى مجاهد عن ابن عمرو^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، كَمَا يُؤْخَذُ بِالْمُشْطِ مِنَ الرَّأْسِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟» قالوا: بلى، قالت الملائكة: شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا. أي: شَهِدْنَا عَلَيْكُمْ بِالْإِقْرَارِ بِالرَّبُّوبِيَّةِ؛ لثلاثا تقولوا، فهذا يدلُّ على التاء. قال مكِّي: وهو الاختيارُ لِصِحَّةِ مَعْنَاهُ، وَلِأَنَّ الْجَمَاعَةَ عَلَيْهِ.

وقد قيل: إنَّ قوله: «شَهِدْنَا» من قول الله تعالى والملائكة. والمعنى: فَشَهِدْنَا عَلَى إِقْرَارِكُمْ؛ قاله أبو مالك، وروى عن السُّدِّي أيضاً^(٦). ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ﴾ أي: اِقْتَدَيْنَا بِهِمْ. ﴿أَفَنهَيْكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُتَّبِعُونَ﴾ بمعنى: لست تفعل هذا. ولا عنر للمقلد في التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُ عَلَيْهِمْ تَبَاؤُا الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانصَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾﴾

ذَكَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ قِصَّةَ عَرَفُوها فِي التَّوْرَةِ. وَاخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِ الَّذِي أُوتِيَ الْآيَاتِ،

(١) أخرجه الطبري ٥٥٢/١٠، و ٥٦١.

(٢) أخرجه الطبري ٥٥٦/١٠ - ٥٥٧.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٧٦، وينظر تفسير الرازي ١٥/٥٢.

(٥) في النسخ والكشف عن وجوه القرآيات السبع ١/٤٨٤، والكلام منه: عمر وسلف في المسألة الأولى.

(٦) أخرجه الطبري ١٠/٥٦٣.

فقال ابن مسعود وابن عباس: هو بلعام بن باعوراء^(١)، ويقال: باعر^(٢)، من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، وكان بحيث إذا نظر رأى العرش، وهو المعنى بقوله: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ ولم يقل: آية، وكان في مجلسه اثنتا عشرة ألف مخبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، ثم صار بحيث إنه كان أول من صنف كتاباً أن ليس للعالم صانع.

قال مالك بن دينار: بُعث بلعام بن باعوراء إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان، فأعطاه وأقطعاه فاتبع دينه، وترك دين موسى، ففيه نزلت هذه الآيات^(٣).

روى^(٤) المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان بلعام قد أوتي النبوة^(٥)، وكان مُجاب الدعوة، فلما أقبل موسى في بني إسرائيل يريد قتال الجبارين، سأل الجبارون بلعام بن باعوراء أن يدعوه على موسى، فقام ليدعوه، فتحوّل لسانه بالدعاء على أصحابه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أقدر على أكثر مما تسمعون، واندلج لسانه على صدره، فقال: قد ذهب مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، وسامكر لكم، فأني أرى أن تُخرجوا إليهم فتياتكم، فإن الله يغيض الزنى، فإن وقعوا فيه هلكوا، ففعلوا، فوقع بنو إسرائيل في الزنى، فأرسل الله عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً. وقد ذكر هذا الخبر بكماله الثعلبي وغيره^(٦).

وروي أن بلعام بن باعوراء دعا ألا يدخل موسى مدينة الجبارين، فاستجيب له وبقي في الثي، فقال موسى: يا رب، بأيّ ذنب بقينا في الثي؟ فقال: بدعاء بلعام،

(١) أخرجه الطبري ٥٦٦/١٠ - ٥٦٨ .

(٢) في (د) و(ز) و(ظ): باعم، وفي (م): ناعم، والمثبت من (خ).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١٨/٥ .

(٤) قوله: روى، من (م).

(٥) قوله: أوتي النبوة، مردود، كما سيرد.

(٦) عرائس المجالس ص ٢٣٩ - ٢٤١، وأخرجه الطبري ٥٧٦/١٠ عن سيّار.

قال: فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمّع دعائي عليه، فدعا موسى أن ينزِعَ الله عنه الاسمَ الأعظمَ، فسلخَهُ الله ما كان عليه^(١).

وقال أبو حامد في آخر كتابٍ «منهاج العارفين» له: وسمعتُ بعضَ العارفين يقول: إنَّ بعضَ الأنبياء سألَ الله تعالى عن أمرٍ يلعم وطردوه بعدَ تلك الآيات والكرامات، فقال الله تعالى: لم يشكُرني يوماً من الأيامِ على ما أعطيتُهُ، ولو شكُرني على ذلك مرّةً لما سلبتُهُ.

وقال عكرمة: كان يلعم نبياً وأوتي كتاباً، وقال مجاهد: إنّه أوتي النبوةَ، فرشاه قومُهُ على أن يسكتَ ففعلَ وتركهم على ما هم عليه^(٢). قال الماوردي: هذا غيرُ صحيح؛ لأنَّ الله تعالى لا يصطفي لنبوّتهِ إلّا مَنْ يعلم^(٣) أنّه لا يخرجُ عن طاعتهِ إلى معصيته^(٤).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفني، وكان قد قرأ الكُتُبَ وعلمَ أنّ الله مرسلٌ رسولاً في ذلك الوقت، وتمنى أن يكونَ هو ذلك الرسولَ، فلَمّا أرسلَ الله محمداً ﷺ حسدُهُ وكفرَ به^(٥). وهو الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ: «أمنَ شِعْرُهُ وكَفَرَ قَلْبُهُ»^(٦).

وقال سعيد بن المسيّب: نزلت في أبي عامر بن صيفي، وكان يلبسُ المُسوخَ في

(١) عرائس المجالس ص ٢٤١، وتفسير البغوي ٢/٢١٤، وهذه الأخبار كلها من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/٥٧٣ - ٥٧٤.

(٣) في (م): علم.

(٤) النكت والعيون ٢/٢٧٩، ورثه أيضاً ابن عطية في المحرر الرجز ٢/٤٧٦ وقال: وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد.

(٥) أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٣، وأخرجه مختصراً الطبري ١٠/٥٧٠ - ٥٧١ من قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٧/٤ بهذا اللفظ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرج أحمد (١٩٤٥٧)، ومسلم (٢٢٥٥) من حديث الشريد بن سويد ؓ أن النبي ﷺ استنشه من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشده... فقال النبي ﷺ: «فلقد كاد يُسلمَ في شعره».

الجاهليَّة، فكفَّر بالنبِيِّ ﷺ، وذلك أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: «جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ: فَإِنِّي عَلَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَسْتُ عَلَيْهَا، لِأَنَّكَ أَدْخَلْتَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»، فَقَالَ أَبُو عَامِرٍ: أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنَّا طَرِيداً وَحِيداً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ، أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنَّا كَذَلِكَ»، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا يُعْرَضُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ. فَخَرَجَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى الشَّامِ، وَمَرَّ إِلَى قَيْصَرَ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَنَافِقِينَ: اسْتَعِدُّوا، فَإِنِّي آتِيكُمْ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرَ بِجُنْدٍ لِيُخْرِجَ مُحَمَّدًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَمَاتَ بِالشَّامِ وَحِيداً^(١)، وَفِيهِ نَزَلُ: ﴿وَلَا مَكَادَا لِمَنْ حَارَبَكَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧]، وَسَيَأْتِي فِي «بِرَاءة».

وقال ابن عباس في رواية: نزلت في رجلٍ كان له ثلاث دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهَا فِيهَا، وَكَانَتْ لَهَا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: الْبَسُوسُ، وَكَانَ لَهَا مِنْهَا وَلَدٌ، فَقَالَتْ: اجْعَلْ لِي مِنْهَا دَعْوَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ: لَكَ وَاحِدَةٌ، فَمَا تَأْمُرِينَ؟ قَالَتْ: أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي امْرَأَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهَا رَغِبَتْ عَنْهُ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهَا أَنْ يَجْعَلَ لَهَا كَلْبَةً نَبَاحَةً. فَذَهَبَ فِيهَا دَعْوَتَانِ، فَجَاءَ بَنُوهَا وَقَالُوا: لَا صَبْرَ لَنَا عَنْ هَذَا، وَقَدْ صَارَتْ أُمَّنَا كَلْبَةً يُعِيرُنَا النَّاسُ بِهَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا كَمَا كَانَتْ^(٢)، فَدَعَا اللَّهَ فَعَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ، وَذَهَبَتْ الدَّعَوَاتُ فِيهَا^(٣). وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَشْهُرُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ.

قال عبادة بن الصامت: نزلت في قريش، آتاهم الله آياته التي أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ، فانسلخوا منها، ولم يقبلوها^(٤). قال ابن عباس: كان يلعام من مدينة الجبارين، وقيل: كان من اليمن^(٥).

(١) عرائس المجالس ص ٢٤٢، ومجمع البيان ٦٥/٩ - ٦٦.

(٢) في (خ) و(ظ): إلى مثل ما كانت عليه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١٧/٥، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٣ - ٢٢٤ وأورده ابن كثير في تفسيره ٥٠٧/٣ - ٥٠٨، وقال: غريب.

(٤) لم تقف عليه.

(٥) أخرجهما الطبري ٥٦٨/١٠ - ٥٦٩ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾ أي: من معرفة الله تعالى، أي: نُزِعَ منه العلمُ الذي كان يعلمه، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «العلمُ علمان: علمٌ في القلب، فذلك العلمُ النَّافِعُ، وعلمٌ على اللسان، فذلك حُجَّةُ الله تعالى على ابنِ آدم»^(١)، فهذا مثلُ علمِ بلعام وأشباهه، نعوذُ بالله منه، ونسأله التوفيقَ والمماتَ على التحقيق.

والانسلاخُ: الخروجُ، يُقال: انسلختَ الحيَّةَ من جلدها، أي: خرجتَ منه^(٢)، وقيل: هذا من المقلوب، أي: انسلختَ الآياتَ منه.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لَحِقَ به، يُقال: أتبعَت القوم، أي: لحقتهم.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، انتظروا خروجَ محمدٍ ﷺ فكفروا به^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُنَكِّتَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَإِنَّا لَهُ لَشَاقِقُونَ﴾ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ حَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْقُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ يريدُ بِلعام، أي: لو شِئْنَا لأمتناه قبلَ أن يعصي، فرفعناه إلى الجنة، ﴿بِهَا﴾ أي: بالعملِ بها^(٤). ﴿وَلَنُنَكِّتَهُ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: رَكَنَ إليها، عن ابنِ جبير والسدي. مجاهد: سَكَنَ إليها^(٥)، أي: سَكَنَ إلى لذاتها، وأصلُ الإخلاقِ اللزومُ، يُقال: أخلَدَ فلانٌ بالمكان: إذا أقامَ به ولزَمَهُ، قال زهير:

لِمَنِ الدِّيارُ عَشِيَّتِها بِالْفَدْقِ كَالوَخِي فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ^(٦)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٥/١٣، والدارمي في سننه (٣٦٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٥٠) عن الحسن مرسلًا. وأخرجه الدارمي (٣٦٤) من قول الحسن.

(٢) تفسير أبي الليث ٥/١.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢١٥، وتفسير الرازي ٥٤/١٥ - ٥٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٦٣/٢.

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٥٨٤/١٠.

(٦) ديوان زهير ص ٢٦٨، ووقع في النسخ: بالفرقد، والمثبت من الديوان، وهو الصواب فيما قاله =

يعني: المُقيم، فكأنَّ المعنى: لَزِمَ لَذَاتِ الأَرْضِ، فعبّر عنها بالأرض، لأنَّ متاع الدنيا على وجه الأرض.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: ما زَيَّنَ له الشيطان. وقيل: كان هواه مع الكفار^(١). وقيل: اتَّبَعَ رِضًا زَوْجِيَّةً^(٢)، وكانت رَغِبَتْ فِي أَمْوَالٍ حَتَّى حَمَلَتْهُ عَلَى الدَّعَاءِ عَلَى مُوسَى.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ ابتداءً وخبر، ﴿إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ شرطٌ وجوابه، وهو في موضعِ الحال، أي: فمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ لَاهِثًا، والمعنى: أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا يَرَعُوي عَنِ المَعْصِيَةِ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ الَّذِي هَذِهِ حَالُهُ^(٣)، فالمعنى: أَنَّهُ لَاهِثٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، طَرَدْتَهُ أَوْ لَمْ تَطْرُدْهُ. قال ابنُ جُرَيْجٍ: الْكَلْبُ مُنْقَطِعُ الْفُوَادِ، لَا فُوَادَ لَهُ، إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ، كَذَلِكَ الَّذِي يَتْرِكُ الْهَدْيَ لَا فُوَادَ لَهُ، وَإِنَّمَا فُوَادُهُ مُنْقَطِعٌ^(٤). قال القتيبي: كُلُّ شَيْءٍ يَلْهَثُ فَإِنَّمَا يَلْهَثُ مِنْ إِغْيَاءٍ أَوْ عَطَشٍ، إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يَلْهَثُ فِي حَالِ الْكَلَالِ وَحَالِ الرَّاحَةِ، وَحَالِ الْمَرَضِ وَحَالِ الصَّحَّةِ، وَحَالِ الرِّيِّ وَحَالِ الْعَطَشِ، فَضَرَبَهُ اللهُ مَثَلًا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَقَالَ: إِنْ وَعِظْتَهُ ضَلَّ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ ضَلَّ، فَهُوَ كَالْكَلْبِ إِنْ تَرَكْتَهُ لَهَثَ، وَإِنْ طَرَدْتَهُ لَهَثَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْتَمِعُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾^(٥) [الأعراف: ١٧٣].

قال الجوهري: لَهَثَ الْكَلْبُ؛ بِالْفَتْحِ؛ يَلْهَثُ لَهْثًا وَلَهْثًا؛ بِالضَّمِّ؛ إِذَا أُخْرِجَ لِسَانُهُ مِنَ التَّعَبِ أَوْ الْعَطَشِ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا أُغْيِيَ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ لِأَنَّكَ إِذَا حَمَلْتَ عَلَى الْكَلْبِ نَبَّحَ وَوَلَّى هَارِبًا، وَإِنْ تَرَكْتَهُ شَدَّ عَلَيْكَ وَنَبَّحَ،

= الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تفسير الطبري (طبعته) ١٣/ ٢٧٠.

قال ثعلب شارح الديوان: القفدند: المرتفع فيه صلابة وحجارة. كالوحي: كالكتاب.

(١) أخرجه الطبري ١٠/ ٥٨٥ من قول ابن زيد.

(٢) ذكره أبو الليث ١/ ٥٨٣.

(٣) في (خ) و(د) و(ز) و(م): حالته، والمثبت من (ظ) وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٦٣، والكلام منه.

(٤) أخرجه الطبري ١٠/ ٥٨٦ - ٥٨٧.

(٥) تاويل مشكل القرآن ص ٢٨٦.

فَيُتَعَبُ نَفْسَهُ مُقْبِلًا عَلَيْكَ وَمُدْبِرًا عَنْكَ، فَيَعْتَرِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ مَا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ الْعَطَشِ مِنْ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ^(١). قال الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»^(٢): إِنَّمَا شَبَّهَ بِالْكَلْبِ مِنْ بَيْنِ السَّبَاعِ؛ لِأَنَّ الْكَلْبَ مِثَّ الْفَوَادِ، وَإِنَّمَا لُهَاثُهُ^(٣) لِمَوْتِ فَوَادِهِ. وَسَائِرُ السَّبَاعِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَلذَلِكَ لَا يَلْهَثُنَّ. وَإِنَّمَا صَارَ الْكَلْبُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ آدَمَ ﷺ إِلَى الْأَرْضِ شَمِتَ بِهِ الْعَدُوُّ، فَذَهَبَ إِلَى السَّبَاعِ فَأَشْلَاهُمْ^(٤) عَلَى آدَمَ، فَكَانَ الْكَلْبُ مِنْ أَشَدِّهِمْ ظَلَمًا، فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ بِالْعَصَا الَّتِي صُرِّفَتْ إِلَى مُوسَى بِمَدْيَنَ، وَجَعَلَهَا آيَةً لَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيئِهِ، وَجَعَلَ فِيهَا سُلْطَانًا عَظِيمًا، وَكَانَتْ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ، فَأَعْطَاهَا آدَمَ ﷺ يَوْمَئِذٍ لِيُطْرَدَ بِهَا السَّبَاعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَمَرَهُ فِيمَا رُوي أَنَّ يَدْنُو مِنَ الْكَلْبِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَلْفَهُ الْكَلْبُ، وَمَاتَ الْفَوَادُ مِنْهُ لِسُلْطَانِ الْعَصَا، وَأَلْفَ بِهِ وَيَوْلِدِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؛ لَوْضَعِ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَصَارَ حَارِسًا مِنْ حُرَّاسِ وَلَدِهِ. وَإِذَا أُدْبِ وَعُلِّمَ الْأَصْطِيَادَ تَأَدَّبَ وَقَبِلَ التَّعْلِيمَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَمْلُؤُنَّ مِنَّا عَلَيْهِمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤].

السدي: كَانَ يُلْعَمُ بَعْدَ ذَلِكَ يَلْهَثُ كَمَا يَلْهَثُ الْكَلْبُ^(٥). وَهَذَا الْمَثَلُ فِي قَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ فِي كُلِّ مُنَافِقٍ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَتَلْتُمْ كَنُزِلَ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾ أي: إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ بِدَابَّتِكَ أَوْ بِرِجْلِكَ يَلْهَثُ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَلَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هَذَا شَرُّ تَمَثِيلٍ؛ لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي أَنَّهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ حَتَّى صَارَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بِكَلْبٍ لَاهِثٍ أَبَدًا،

(١) الصحاح (لهث).

(٢) قوله: في نوادر الأصول، من (م) ولم نقف عليه في المطبوع منه، وهذا الخبر الذي أورده المصنف منه باطل.

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): إلهائه، وسقطت العبارة من (د)، والمثبت من (م).

(٤) أي: دعاهم، وأشليتهم الكلب على الصيد مثل: أغرته، وزناً ومعنى. المصباح المنير (شلو).

(٥) أخرجه الطبري ٥٨٨/١٠.

حِيلَ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ، فَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ تَرْكَ اللَّهْثَانِ^(١).

وقيل: من أخلاق الكلب الوقوع بمن لم يُخَفِّه على جهة الابتداء بالجفاء، ثم تهدأ طائشته ينيل كلِّ عَوْضٍ حَسِيسٍ. ضربته الله مثلاً للذي قَبِلَ الرِّشْوَةَ فِي الدِّينِ حَتَّى انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

فَدَلَّتِ الْآيَةُ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا عَلَى أَلَّا يَغْتَرَّ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ، إِذْ لَا يَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ. وَدَلَّتْ عَلَى مَنَعِ اخْتِذِ الرِّشْوَةَ لِإِبْطَالِ حَقِّ أَوْ تَغْيِيرِهِ، وَقَدْ مَضَى بَيَانُهُ فِي «المائدة»^(٢).

وَدَلَّتْ أَيْضاً عَلَى مَنَعِ التَّقْلِيدِ لِعَالَمٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يُبَيِّنُهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَى هَذَا آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا، فَوَجِبَ أَنْ يُخَافَ مِثْلُ هَذَا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَلَّا يَقْبَلَ مِنْهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ^(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي: هو مثل جميع الكفار. وقوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ﴾ يُقَالُ: سَاءَ الشَّيْءُ: قَبِيحٌ، فَهُوَ لِأَزْمٍ، وَسَاءَهُ يَسُوؤُهُ مَسَاءَةً، فَهُوَ مُتَعَدٌّ، أَيْ: قَبِيحٌ مِثْلَهُمْ، وَتَقْدِيرُهُ: سَاءَ مِثَلًا مِثْلُ الْقَوْمِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، وَنَصَبَ «مِثَلًا» عَلَى التَّمْيِيزِ^(٤).

قال الأخفش^(٥): فَجُعِلَ الْمَثَلُ الْقَوْمَ مَجَازًا. وَالْقَوْمُ مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، أَوْ عَلَى إِضْمَارٍ مُبْتَدَأً، التَّقْدِيرُ: سَاءَ الْمَثَلُ مِثَلًا هُوَ مِثْلُ الْقَوْمِ. وَقَدَّرَهُ أَبُو عَلِيٍّ: سَاءَ مِثَلًا مِثْلُ الْقَوْمِ^(٦). وَقَرَأَ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ وَالْأَعْمَشُ: «سَاءَ مِثْلُ الْقَوْمِ»: رَفَعَ مِثَلًا بِ «سَاءَ»^(٧).

(١) معاني القرآن للنحاس ١٠٦/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٥٨٦/١٠.

(٢) ١٨٣/٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٤/٢.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٥٧/١٥.

(٥) في معاني القرآن ٥٣٧/٢ - ٥٣٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٦٤/٢.

(٦) وهو قول الزجاج كما في معاني القرآن ٣٩١/٢.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٦٤/٢، وقرائة عاصم الجحدري في القراءات الشاذة ص ٤٧.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

تقدّم معناه في غير موضع. وهذه الآية تردّ على القدرة كما سبق، وتردّ على مَنْ قال: إنّ الله تعالى هدى جميع المُكَلِّفِينَ، ولا يجوز أن يُضِلَّ أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آفَاقٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْقَفُولُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

أخبر تعالى أنّه خلق للنَّار أهلاً بعدله، ثم وصفهم فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: هم ^(١) بمنزلة مَنْ لا يفقه؛ لأنهم لا يتفهمون بها ^(٢)، ولا يعقلون ثواباً ولا يخافون عقاباً. و﴿أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الهدى. و﴿آفَاقٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ المواعظ، وليس الغرضُ نفي الإدراكات عن حواسهم جملةً كما بيّناه في «البقرة» ^(٣).

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنهم لا يهتدون إلى ثواب، فهم كالأنعام، أي: هيئتهم الأكل والشرب، وهم أضلُّ؛ لأنَّ الأنعام تُبْصِرُ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا وَتَتَّبِعُ مَالِكَهَا، وهم بخلاف ذلك ^(٤). وقال عطاء: الأنعامُ تعرفُ الله، والكافرُ لا يعرفه. وقيل: الأنعامُ مُطِيعَةٌ لله تعالى، والكافرُ غيرُ مُطِيعٍ ^(٥).

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْقَفُولُونَ﴾ أي: تركوا التدبُّر، وأعرضوا عن الجنة والنَّار.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فيه ستُّ مسائل:

(١) لفظة «هم» ليست في (م).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٦٤/٢.

(٣) ٣٢٤/١.

(٤) الوسيط ٤٣٠/٢.

(٥) تفسير أبي الليث ٥٨٤/١، وتفسير الرازي ٦٥/١٥.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أمرٌ بإخلاص العبادة لله، ومجانبة^(١) المشركين والمُلحدين.

قال مقاتل وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من المسلمين، كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعمُ محمدٌ وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحداً، فما بالُ هذا يدعو ربَّين اثنين؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢).

الثانية: جاء في كتاب الترمذي و«سنن» ابن ماجه^(٣) وغيرهما حديثٌ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نصٌّ فيه: «تسعة وتسعين اسماً»، وفي أحدهما ما ليس في الآخر. وقد بيَّنا ذلك في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»^(٤).

قال ابن عطية^(٥) - وذكر حديث الترمذي - : وذلك الحديث ليس بالمتواتر - وإن كان قد قال فيه أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقةٌ عند أهل الحديث - وإنما المتواترُ منه قوله ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةٌ إلا واحداً من أحصاها دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٦)، ومعنى «أحصاها»: عدّها وحفظها.

وقيل غير هذا مما بيَّناه في كتابنا^(٧). وذكرنا هناك تصحيح حديث الترمذي^(٨)، وذكرنا من الأسماء ما اجتمع عليه وما اختلف فيه مما وقفنا عليه في كُتب أئمتنا ما

(١) في (ظ): واجتنب.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٢/٢١٧.

(٣) سنن الترمذي (٣٥٠٧)، وسنن ابن ماجه (٣٨٦١).

(٤) ص ٨٠ وما بعدها.

(٥) في المحرر الوجيز ٢/٤٨١.

(٦) أخرجه أحمد (٧٥٠٢)، والبخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٧) الأسنى ص ٣٢.

(٨) الأسنى ص ٨٣.

يُنَيَّفُ عَلَى مَثِي اسْمٍ^(١). وذكرنا قبل تعيينها في مقدمة الكتاب اثنين وثلاثين فصلاً فيما يتعلّق بأحكامها، فمن أرادَه وَقَفَ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَوْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ. وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ، لَا رَبَّ سِوَاهُ.

الثالثة: واختلف العلماء من هذا الباب في الاسم والمسمى، وقد ذكرنا ما للعلماء من ذلك في «الكتاب الأسنى»^(٢). قال ابن الحصار: وفي هذه الآية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه على التسمية. فقوله: «ولله» وقع^(٣) على المسمى، وقوله: «الأسماء» - وهو جمع اسم - واقع على التسميات، يدلُّ على صحّة ما قلناه قوله: «فادعوه بها»، والهاء في قوله: «فادعوه» تعود على المسمى سبحانه وتعالى، فهو المدعو، والهاء في قوله: «بها» تعود على الأسماء، وهي التسميات التي يدعى بها لا غيرها، هذا الذي يقتضيه لسان العرب. ومثّل ذلك قول رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء؛ أنا محمد، وأحمد، الحديد»^(٤). وقد تقدّم في «البقرة» شيء من هذا^(٥).

والذي يذهب إليه أهل الحق أنّ الاسم هو المسمى، أو صفة له تتعلّق به، وأنّه غير التسمية.

قال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٦): فيه ثلاثة أقوال:

قال بعض علمائنا: في ذلك دليل على أنّ الاسم المسمى؛ لأنّه لو كان غيره لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى.

(١) الأسنى ص ٩٦ وما بعدها.

(٢) ص ٥٩ وما بعدها.

(٣) في (خ) و(ز) و(ظ): واقع.

(٤) أخرجه أحمد (١٦٧٣٤)، والبخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم.

(٥) ٤٢٠/١.

(٦) لم تقف عليه في أحكام القرآن. وذكره المصنف أيضاً في الأسنى ص ٦٠ - ٦٣.

الثاني: قال آخرون: المرادُ به التسميات؛ لأنه سبحانه واحدٌ، والأسماءُ جمعٌ. قلت: ذكرَ ابن عطية في «تفسيره» أن الأسماءَ في الآية بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يجوز غيره^(١).

وقال القاضي أبو بكر في كتاب «التمهيد»^(٢): وتأويلُ قول النبي ﷺ: «لله تسعةٌ وتسعون اسماً، مَنْ أحصاها دخلَ الجنةَ»، أي: إنَّ له تسعةً وتسعين تسميةً بلا خلاف، وهي عباراتٌ عن كون الله تعالى على أوصافٍ شتى، منها ما يستحقُّه لنفسه، ومنها ما يستحقُّه لصفةٍ تتعلَّق به، وأسماءُه العائدةُ إلى نفسه هي هو، وما تعلَّق بصفةٍ له فهي أسماءٌ له، ومنها صفاتٌ لذاته، ومنها صفاتٌ أفعال. وهذا هو تأويلُ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ لَأَسْفَقَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: التسمياتُ الحُسنَى.

الثالث: قال آخرون منهم: ولله الصفات.

الرابعة: سمَّى الله سبحانه أسماءه بالحُسنَى؛ لأنها حسنةٌ في الأسماعِ والقلوب، فإنَّها تدلُّ على توحيدِهِ وكرمه وجُوده ورحمته وإفضاله. و«الحُسنَى» مصدرٌ وُصِفَ به. ويجوز أن يقدرَ «الحُسنَى» فعلى، مؤنَّثُ الأحسن، كالكبرى تانيثُ الأكبر، والجمعُ الكُبر والحُسن. وعلى الأوَّلِ أفرد كما أفرد وصفٌ ما لا يعقل، كما قال تعالى: ﴿مَقَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]، و﴿يَنْجِبَالُ أَوْيِ مَعَهُ﴾^(٣) [سبا: ١٠].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيُطلب بكلِّ اسم ما يليقُ به، تقول: يا رحيمِ ارحمني، يا حكيمِ احكِّم لي، يا رزَّاقِ ارزقني، يا هاديِ اهدني، يا فتَّاحِ افتح لي، يا توَّابِ تُبِّ عليَّ، هكذا فإنَّ دعوتَ باسمِ عامٍّ؛ قلت: يا مالكُ ارحمني، يا عزيزُ احكِّم لي، يا لطيفِ ارزقني. وإنَّ دعوتَ بالاسمِ^(٤) الأعظمِ،

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٨٠.

(٢) تمهيد الأوائل ص ٢٦٣.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٨٠.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): بالأعم. والمثبت من (خ) وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٠٥، والكلام منه.

فقلت: يا الله، فهو متضمّن لكلّ اسم. ولا تقول: يا رزّاق اهديني، إلّا أن تريد: يا رزّاق ارزقني الخير^(١).

قال ابن العربي: وهكذا، ربّ دعاءك تكنّ من المُخلصين^(٢). وقد تقدّم في «البقرة»^(٣) شرائط الدعاء، وفي هذه السورة أيضاً^(٤)، والحمد لله.

السادسة: أدخل القاضي أبو بكر بن العربي عدّة من الأسماء في أسمائه سبحانه، مثل: مُتّمّ نوره، وخيرُ الوارثين، وخيرُ الماكرين، ورابعُ ثلاثة، وسادسُ خمسة، والطيّب، والمعلّم، وأمثال ذلك^(٥). قال ابن الحصار: واقتدى في ذلك بابن برّجان^(٦)، إذ ذكر في الأسماء «النظيف» وغير ذلك مما لم يرد في كتاب ولا سنّة.

قلت: أمّا ما ذكر من قوله: مما لم يرد في كتاب ولا سنّة، فقد جاء في «صحيح» مسلم: «الطيب»^(٧). وخرّج الترمذي: «النظيف»^(٨). وخرّج عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «ربّ أعني ولا تُعن عليّ، وانصُرني ولا تنصر عليّ، وامكّر لي

(١) في أحكام القرآن: الهدى.

(٢) في أحكام القرآن: وهكذا ربّ دعاءك على اعتقادك تكن من المحسنين.

(٣) ١٨٢/٣ وما بعدها.

(٤) ص ٢٤٤ من هذا الجزء.

(٥) أحكام القرآن ٧٩٦/٢ - ٧٩٧ و ٧٩٩ و ٨٠٤. ولم نقف على ذكر المعلم من أسمائه تعالى. ولعله في كتابه «الأمم الأتقى» الذي أشار إليه في أحكام القرآن ٨٠٣/٢.

(٦) عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال، أبي الحكم اللخمي المغربي، ثم الأندلسي الإشبيلي، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث، له تصانيف مفيدة، توفي سنة (٥٣٦هـ). السير ٧٢/٢٠.

(٧) الحديث (١٠١٥) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً...» وصلف ٢١/٣.

(٨) الحديث (٢٧٩٩) عن سعد بن أبي وقاص ؓ مرفوعاً، وفيه: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة...». وفي إسناده خالد بن إلياس، قال البخاري: ليس بشيء، وقال أحمد والنسائي: متروك.

ميزان الاعتدال ٦٢٧/١.

ولا تمكّر عليّ» الحديث، وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح^(١). فعلى هذا جائزٌ أن يُقال: يا خيرَ الماكرين امكّر لي ولا تمكّر عليّ. والله أعلم.

وقد ذكرنا «الطيب، والنظيف» في كتابنا^(٢) وغيره مما جاء ذكره في الأخبار، وعن السلفِ الأخيار، وما يجوزُ أن يُسمّى به ويُدعى، وما يجوزُ أن يُسمّى به ولا يُدعى، وما لا يجوزُ أن يُسمّى به ولا يُدعى. حسب ما ذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري. وهناك يتبيّن لك ذلك إن شاء الله تعالى^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُطِغِرُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سِيَجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: «يُلْحِدُونَ» الإلحاد: الميلُ وتركُ القصد، يقال: لحدّ^(٤) الرجل في الدين، وألحد: إذا مال. ومنه اللحدُ في القبر؛ لأنّه في ناحيته^(٥). وقُرئ: «يُلْحِدُونَ»^(٦) لغتان.

والإلحادُ يكون بثلاثة أوجه: أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنّهم عدّلوا بها عما هي عليه، فسّمّوا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، وسناة من المئان، قاله ابن عباس وقتادة^(٧). الثاني: بالزيادة فيها. الثالث: بالتقصان منها، كما يفعلهُ الجهّال الذين يخترعون أدعيةً يُسمّون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير صفاته و^(٨) ما يذكر من أفعاله، إلى غير ذلك مما لا يليق به.

(١) سنن الترمذي (٣٥٥١)، وسلف ١٥٢/٥.

(٢) الأسنى ص ٢٣٥ و ٢٣٩، والكلام السالف فيه ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) الأسنى ص ٣٩ - ٤٠ وعزاه المصنف لكتاب الإيجاز لأبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

(٤) في (د) و(م): ألحد.

(٥) في النسخ الخطية: ناحية، والمثبت من (م). وينظر مجمل اللغة ٨٠٣/٣.

(٦) قرأ بها حمزة. السبعة ص ٢٩٨، والتيسير ص ١١٤.

(٧) تفسير البغوي ٢/٢١٨، وأخرجه الطبري ١٠/٥٩٧ بنحوه.

(٨) قوله: صفاته و، من (ظ).

قال ابن العربي^(١): فَحَذَارٍ مِنْهَا، ولا يدعونَ أحدُكم إلا بما في كتاب الله والكتب الخمسة، وهي البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، فهذه الكتب التي يدورُ الإسلامُ عليها، وقد دخل فيها ما في «الموطأ» الذي هو أصلُ التصانيف، ودُرُوا ما سواها، ولا يقولنَّ أحدُكم: أختار دعاء كذا وكذا؛ فإنَّ الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى المخلوق رسوله ﷺ.

الثانية: معنى الزيادة في الأسماء التشبيهية، والتقصان التعطيل. فإنَّ المُشَبَّهَة وصفوه بما لم يَأْذَنَ فيه، والمُعْطَلَة سلبوه ما اتَّصَفَ به، ولذلك قال أهلُ الحقِّ: إنَّ دِينَنَا طَرِيقٌ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ، لا بتشبيه ولا بتعطيل. وسئل الشيخ أبو الحسن البوشنجي^(٢) عن التوحيد فقال: إثبات ذاتٍ غيرِ مشبَّهة بالذوات، ولا معطَّلة مِنَ الصِّفَات.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ معناه: اتركوهم ولا تُحاجُّوهم ولا تعرَّضوا لهم. فالآية على هذا منسوخة بالقتال، قاله ابن زيد^(٣).

وقيل: معناه الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِداً﴾ [المدثر: ١١] وقوله: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾^(٤) [الحجر: ٣]. وهو الظاهرُ مِنَ الآيَةِ؛ لقوله تعالى: ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

في الخبر أنَّ النبي ﷺ قال: «هُم هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(٥). ورُوي أَنَّهُ قال: «هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ قَوْمَ مُوسَى مِثْلَهَا»، وقرأ هذه الآية^(٦). وقال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا عَلَى الْحَقِّ

(١) في أحكام القرآن ٨٠٥/٢، وما قبله منه.

(٢) علي بن أحمد بن سهل، من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات، كان ذا خلق، متديناً. مات سنة (٨٣٤٨هـ). طبقات الصوفية ص ٤٥٨. وقوله هذا في الرسالة القشيرية ٤٥/١.

(٣) أخرجه الطبري ٥٩٩/١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤٨١/٢.

(٥) أخرجه الطبري ٦٠٠/١٠ عن ابن جريج مرسلأ.

(٦) أخرجه الطبري ٦٠٠/١٠ عن قتادة بنحوه مرسلأ.

حتى ينزل عيسى ابنُ مريم^(١). فدلَّت الآيةُ على أن الله عزَّ وجلَّ لا يُخلي الدنيا في وقتٍ من الأوقاتٍ من داعٍ يدعُو إلى الحقِّ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَلِيحُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

أخبر تعالى عن كذبِ آياته أنه سيستدرجهم من حيث لا يعلمون^(٣). قال ابن عباس: هم أهلُ مكة^(٤). والاستدراجُ هو الأخذُ بالتدريج، منزلةٌ بعدَ منزلة. والدَّرَج: لَفُّ الشيء، يُقال: أدرجته ودرجته. ومنه أدرج الميتُ في أكفانه^(٥). وقيل: هو من الدرَجَة، فالاستدراجُ أن يُحطَّ درجةً بعدَ درجةٍ إلى المقصود^(٦).

قال الضحاك: كلما جدَّوا لنا معصيةً جدَّدنا لهم نعمة^(٧). وقيل لذي النون: ما أقصى ما يُخدع به العبد؟ قال: بالألطف والكرامات؛ لذلك^(٨) قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَلِيحُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٩)؛ نُسبِعُ عليهم النعم، ونُنسِيهم^(١٠) الشكر، وأنشدوا:

أحسنَت ظنَّكَ بالأيامِ إذْ حَسُنْتَ ولم تَحْفَ سوءَ ما يأتي به القَدْرُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦٢٣/٥ (٨٥٨٩) عن الربيع بن أنس مرسلًا. وأخرج أحمد (١٩٨٥١) من حديث عمران بن حصين ﷺ مرفوعاً بلفظ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحقِّ ظاهرين على من تاوأم حتى يأتي أمرُ الله وينزل عيسى ابن مريم». وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، أخرجه أحمد (١٨١٣٥)، والبخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٦٥/٢.

(٣) قوله: من حيث لا يعلمون، من (ظ).

(٤) زاد المسير ٢٩٤/٣.

(٥) تهذيب اللغة ٦٤٢/١٠.

(٦) الكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٢٦، وتفسير الرازي ٧٢/١٥.

(٧) الوسيط للواحد ٤٣١/٢، وتفسير البغوي ٢١٨/٢.

(٨) في النسخ الخطية: كذلك، والمثبت من (م).

(٩) أورده المُناوي في فيض القدير ٣٥٥/١.

(١٠) في (د) و(ظ): نُسبِعُ... ينسِيهم (بالياء).

وسألمثك الليالي فاغترزت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر^(١)

قوله تعالى: ﴿وَأَمِلْ لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمِلْ لَهُمْ﴾ أي: أطيل لهم المدة، وأمهلهم وأوخر عقوبتهم. ﴿إِنْ كَيْدِي﴾ أي: مكري. ﴿مَتِينٌ﴾ أي: شديد قوي. وأصله من المتين، وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب^(٢). قيل: نزلت في المستهزئين من قريش، قتلهم الله في ليلة واحدة بعد أن أمهلهم مدة^(٣). نظيره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقد تقدم^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنْتٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ أي: فيما جاءهم به محمد ﷺ. والوقف على «يتفكروا» حسن^(٥). ثم قال: ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنْتٍ﴾ رد لقولهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقيل: نزلت بسبب أن رسول الله ﷺ قام ليلة على الصفا يدعو قريشاً، فخذأ فخذأ، فيقول: «يا بني فلان»، يُحذِّرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إنَّ صاحبكم^(٦) هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح^(٧).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ قِيَامِي حَدِيثٌ بَعْدَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه أربع مسائل:

(١) نسبها الأبشيهي في المستطرف ١٣٤/٢ للإمام الشافعي.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٧٣/٩.

(٣) تفسير البغوي ٢/٢١٨، وزاد المسير ٣/١٩٤.

(٤) ٤٢٦/٦.

(٥) ذكر أبو بكر ابن الأنباري في الإيضاح ٢/٦٧١، وأبو عمرو الداني في المكفى ص ٢٨١ أنه وقف تام.

(٦) في (خ) و(د) و(ز) و(م): صاحبهم، والمثبت من (ظ).

(٧) أخرجه الطبري ١٠/٦٠٢ عن قتادة مرسلًا.

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ عَجِبَ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ؛ لِيَعْرِفُوا كِمَالَ قُدْرَتِهِ، حَسَبَ مَا بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ «البقرة»^(١). وَالْمَلَكُوتُ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمِبَالِغَةِ، وَمَعْنَاهُ: الْمُلْكُ الْعَظِيمُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٢).

الثانية: استدلَّ بهذه الآية - وما كان مثلها مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْتَهُمَا﴾ [ق: ٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] الآية، وَقَوْلِهِ: ﴿وَوَقَّ أَنْفُسَكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] - مَنْ قَالَ بِوَجُوبِ النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ وَالاعْتِبَارِ بِمَخْلُوقَاتِهِ. قَالُوا: وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ، وَسَلَبَهُمُ الْإِنْتِفَاعَ بِحَوَاسِهِمْ، فَقَالَ: ﴿لَمْ تَمَّ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية.

وقد اختلف العلماء في أوَّلِ الواجبات؛ هل هو النَّظَرُ وَالِاسْتِدْلَالُ، أَوِ الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ التَّصْدِيقُ الْحَاصِلُ فِي الْقَلْبِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ شَرْطِ صِحَّتِهِ الْمَعْرِفَةُ؟ فَذَهَبَ الْقَاضِي^(٣) وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْوَاجِبَاتِ النَّظَرُ وَالِاسْتِدْلَالُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُعَلِّمُ ضَرُورَةً، وَإِنَّمَا يُعَلِّمُ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ^(٤) بِالْأَدَلَّةِ الَّتِي نَصَبَهَا لِمَعْرِفَتِهِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ بَوَّبَ فِي كِتَابِهِ: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا أَنْتُمْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٥) [محمد: ١٩]. قَالَ الْقَاضِي: مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِاللَّهِ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَالْجَاهِلُ بِهِ كَافِرٌ.

قال ابنُ رُشْدٍ فِي «مَقْدَمَاتِهِ»^(٦): وَلَيْسَ هَذَا بِالْبَيِّنِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَصْحَحُ بِالْيَقِينِ الَّذِي قَدْ يَحْصُلُ لِمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ بِالتَّقْلِيدِ، وَبِأَوَّلِ وَهْلَةٍ مِنَ الْإِعْتِبَارِ بِمَا أَرْشَدَ اللَّهُ إِلَى

(١) ٥٠٥/٢

(٢) ٢٣/٧

(٣) هو أبو بكر الباقلاني، كما في مقدمات ابن رشد ١/٣٧، والكلام منه.

(٤) من قوله: لأن الله تبارك وتعالى.. إلى هذا الموضع، من (خ) و(م).

(٥) صحيح البخاري بعد الحديث (٦٧)، ينظر فتح الباري ١/١٥٩.

(٦) ١/٣٧ - ٣٨.

الاعتبار به في غير ما آية. قال: وقد استدللّ الباجيُّ على مَنْ قال: إِنَّ النَّظَرَ والاستدلالَ أوَّلُ الواجباتِ بإجماعِ المسلمينَ في جميعِ الأعصارِ على تسميةِ العمامةِ والمُقلِّدينَ^(١) مؤمنينَ؛ قال: فلو كان ما ذهبوا إليه صحيحاً لَمَا صَحَّ أَنْ يُسَمَّى مؤمناً إِلَّا مَنْ عنده علمٌ بالنَّظَرِ والاستدلالِ. قال: وأيضاً؛ فلو كان الإيمانُ لا يصحُّ إِلَّا بعد النَّظَرِ والاستدلالِ لجازَّ للكفَّارِ إذا غلبَ عليهم المسلمونَ أَنْ يقولوا لهم: لا يحلُّ لكم قتلنا؛ لأنَّ من دينكم أنَّ الإيمانَ لا يصحُّ إِلَّا بعد النَّظَرِ والاستدلالِ، فأخرونا حتى ننظرَ ونستدلَّ، قال: وهذا يؤدِّي إلى تركهم على كفرهم، وألا يُقتلوا حتى ينظروا ويستدلُّوا.

قلت: هذا هو الصحيحُ في الباب، قال رسولُ الله ﷺ: «أمرتُ أَنْ أَقاتِلَ النَّامِرَ حتى يقولوا: لا إلهَ إِلا اللهُ، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلكَ عصموا مِنِّي دماءهم وأموالهم إِلَّا بحقِّها، وحسابهم على اللهِ»^(٢).

وترجمَ ابنُ المنذرِ في كتابِ «الإشراف»^(٣): ذُكِرَ صفةُ كمالِ الإيمانِ: أجمعَ كلُّ مَنْ يُحفظُ عنه من أهلِ العلمِ على أنَّ الكافرَ إذا قال: أشهدُ أنَّ لا إلهَ إِلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، وأنَّ كلَّ ما جاء به محمدٌ حقٌّ، وأتبرأ^(٤) من كلِّ دينٍ يُخالِفُ دينَ الإسلامِ، وهو بالغُ صحيحُ العقلِ؛ أَنَّهُ مسلمٌ، وإنَّ رَجَعَ بعد ذلكَ وأظهرَ الكفرَ؛ كان مرتدّاً يجبُ عليه ما يجبُ على المرتدِّ.

وقال أبو حفص الرُّنْجاني^(٥): وكان شيخنا القاضي أبو جعفر أحمدُ بن محمد

(١) في النسخ: والمقلِّد، والمثبت من مقدمات ابن رشد.

(٢) سلف ٢٠٤/١ مختصراً، وينظر تخريجه ثمة.

(٣) ٢٦٠/٢ - ٢٦١.

(٤) في (د) و(ز): وتبرأ، وفي (م): وأبرأ، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق للإشراف.

(٥) عمر بن علي بن أحمد، قرأ الكلام على أبي جعفر السُّمَّاني، وسمع منه الحديث، توفي سنة (٤٥٩هـ).

طبقات الشافعية ٣٠٢/٥.

السُّمَّنَانِي^(١) يقول: **أَوَّلُ** الواجبات الإيمانُ بالله ورسوله وجميع ما جاء به، ثم النظرُ والاستدلالُ المؤدِّيَانِ إلى معرفة الله تعالى. فيتقدَّم وجوبُ الإيمان بالله تعالى عنده على المعرفة بالله. قال: وهذا أقربُ إلى الصواب، وأرفقُ بالخلْق؛ لأنَّ أكثرهم لا يعرفون حقيقة المعرفة والنظر والاستدلال.

فلو قلنا: **إِنَّ أَوَّلَ** الواجبات المعرفةُ بالله؛ لأدَّى إلى تكفير الجَمِّ الغفير والعدد الكثير، وألَّا يدخل الجنة إلا آحادُ الناس، وذلك بعيدٌ؛ لأنَّ الرسول ﷺ قطع بأنَّ أكثر أهل الجنة أمته، وأنَّ أمم الأنبياء كلُّهم صفٌّ واحدٌ^(٢)، وأمته ثمانون صفًّا. وهذا بين لا إشكال فيه، والحمد لله.

الثالثة: ذهب بعض المتأخرين والمتقدمين من المتكلمين إلى أن من لم يعرف الله تعالى بالطرق التي طرقتها، والأبحاث التي حرروها لم يصحَّ إيمانه، وهو كافر، فيلزم على هذا تكفير أكثر المسلمين، وأوَّل من يُبدأ بتكفيره آباؤه وأسلافه وجيرانه. وقد أُورِدَ على بعضهم هذا فقال: لا تُشنع عليَّ بكثرة أهل النار، أو كما قال^(٣).

قلت: وهذا القول لا يصدر إلا من جاهل بكتاب الله وسنة نبيه؛ لأنه ضيق رحمة الله الواسعة على شردمة يسيرة من المتكلمين، واقتحموا في تكفير عامة المسلمين. أين هذا من قول الأعرابي الذي كشف عن فرجه ليبيول، وانتهره أصحاب النبي ﷺ: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ: «لقد حَجَّرتَ واسِعاً».

(١) كذا سَمَّاهُ المصنف رحمه الله وياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/١٥٢ و ٢٥٢، والسبكي في طبقات الشافعية ٥/٣٠٢. وسَمَّاهُ الخطيب البغدادي في تاريخه ١/٣٥٥، والذهبي في السير ١٧/٦٥١، واللكنوي في الفوائد البهية ص ٢٦٢: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود السُّمَّنَانِي، الحنفي، العراقي، قاضي الموصل، يعتقد مذهب الأشعري، له تصانيف.

(٢) كذا قال المصنف رحمه الله ولم نقف على من ذكر (صف واحد)، وأخرج أحمد (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) من حديث بُريدة الأسلمي ؓ مرفوعاً بلفظ: «أهل الجنة عشرون ومئة صفٌّ، ثمانون منها من هذه الأمة».

(٣) المفهم ٦/٦٩٣.

خَرَّجَهُ البخاري والترمذي وغيرهما مِنَ الأئمة^(١).

أترى هذا الأعرابي عَرَفَ اللهَ بالدليل والبرهان والحُجَّةِ واليَّانِ؟! وأنَّ رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وكم مِن مثله محكومٌ له بالإيمان. بل اكتفى ﷺ مِن كثير ممن أسلمَ بالنطق بالشهادتين، وحتى إِنَّه اكتفى بالإشارة في ذلك، ألا تراه أنه لَمَّا قال للسوداء: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «مَنْ أنا؟» قالت: أنت رسولُ الله، قال: «أَعْتَقَهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٢)، ولم يكن هناك نَظَرٌ ولا استدلالٌ، بل حَكَمَ بإيمانهم مِن أوَّل وهلة، وإنَّ كان هناك عن النَّظَرِ والمعرفة عَقْلَةٌ. والله أعلم.

الرابعة: ولا يكون النَّظَرُ أيضاً والاعتبارُ في الوجوه الحسنانِ مِنَ المُرَدِّ والنَّسْوَانِ. قال أبو الفرج الجوزي^(٣): قال أبو الطَّيِّبِ طاهر بن عبد الله الطبري: بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السَّماعَ أَنَّها تُضيفُ إليه النَّظَرَ إلى وجه الأُمرد، وربما زَيَّنَتْه بالحُلِيِّ والمُصبغاتِ مِنَ الثياب، وتزعمُ أَنَّها تقصدُ به الازدِيادَ في الإيمان بالنَّظَرِ والاعتبار، والاستدلال بالصَّنعة على الصانع. وهذه النهايةُ في متابعة الهوى ومُخادعة العقل ومُخالفة العلم.

قال أبو الفرج: وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل: لم يُحِلَّ اللهُ النَّظَرَ إلا على صورٍ لا ميلَ للنفس إليها، ولا حَظَّ للهوى فيها، بل عبرةٌ لا يُمازجُها شهوة، ولا يُقارنُها^(٤) لذَّة. ولذلك ما بعثَ اللهُ سبحانه امرأةً بالرسالة، ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مُؤدِّناً، كلُّ ذلك لأنَّها محلُّ شهوةٍ وفتنة. فمن قال: أنا آخذُ^(٥) مِنَ الصورِ المُستحسنة عِبْراً؛ كذَّبناه، وكلُّ مَنْ مَيَّرَ نفسه بطبيعة تُخرجه عن طباعتنا كذَّبناه، وإنَّما هذه تُخدَعُ الشيطانَ للمُدَّعين.

(١) صحيح البخاري (٦٠١٠)، وسنن الترمذي (١٤٧)، وهو عند أحمد (٧٢٥٥) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) سلف ١٢٣/٥.

(٣) في تليس إبليس ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٤) في (ظ): يقارنها، وفي تليس إبليس: تعترها.

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(م) وتليس إبليس: أجد، والمثبت من (ظ).

وقال بعض الحكماء: كلُّ شيء في العالم الكبير له نظيرٌ في العالم الصغير، ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقد بيّنا وجه التمثيل في أوّل «الأنعام»^(١).

فعلى العاقل أن ينظرَ إلى نفسه، ويتفكّر في خَلْقِهِ؛ مِن حين كونه ماءً دافقاً إلى كونه خلقاً سوياً، يُعان بالأغذية ويُرَبَّى بالرّفق، ويُحَفَظ باللين حتى يكتسب القوَى ويبلغ الأشدّ. وإذا هو قد قال: أنا، وأنا، ونسي حين أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، وسيعودُ مقبوراً، فيا ويحه إن كان محسوراً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿تَبِعْتُمْ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦]. فينظرُ أنه عبدٌ مريبٌ مكلفٌ، مخوّفٌ بالعذاب إن قصر، مرَجى^(٢) بالثواب إن ائتمّر، فيقبَل على عبادة مولاها، فإنه^(٣) وإن كان لا يراه؛ يراه، ولا يخشى^(٤) النَّاسَ، واللهُ أحقُّ أن يخشاه، ولا يتكبر على أحدٍ من عباده الله؛ فإنه مؤلّفٌ من أقدار، صائرٌ إلى جنة - إن أطاع - أو إلى نار. وقال ابن العربي^(٥): وكان شيوخنا يستحبّون أن ينظرَ المرءُ في الآياتِ الحكميّة التي جمعت هذه الأوصاف العلميّة:

كَيْفَ يَزُفُّهُ مَن رَّجِيْعُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ ضَجِيْعُهُ
هُوَ^(٦) مِنْهُ وَإِلَيْهِ وَأَخْوَهُ وَرَضِيْعُهُ

(١) ٣١٨/٨.

(٢) في (د) و(ز) و(م): مرتجياً، وفي (ظ): يرجى، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي ٨٠٧/٢، والكلام منه، وما سيرد بين حاصرتين منه أيضاً.

(٣) لفظة: فإنه، من أحكام القرآن لابن العربي.

(٤) في النسخ: ويخشى، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي.

(٥) في أحكام القرآن ٨٠٧/٢.

(٦) في (د) و(ز) و(ظ) و(م) وأحكام القرآن: فهو، والمثبت من (خ) وهو الموافق لديوان ابن الرومي ١٥٥٢/٤، والآيات له.

وهو يدعوه^(١) إلى الحَحِّ ش^(٢) بضم فسطة فيطبعة
 قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ، أَيْ: وفيما خلقَ الله
 من الأشياء. ﴿وَأَنْ عَمَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: وفي آجالهم التي عسى أن تكون
 قد قُرُبَتْ، فهو في موضعِ خفض، معطوفٌ على ما قبله^(٣). وقال ابن عباس: أرادَ
 باقترابِ الأجلِ يومَ بَدْرِ ويومِ أُحُدِ^(٤). ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بأيِّ قرآنٍ غيرِ
 ما جاء به محمدٌ ﷺ يُصدِّقون؟^(٥).

وقيل: الهاءُ للأجل، على معنى: بأيِّ حديثٍ بعدَ الأجلِ يؤمنون حين لا ينفعُ
 الإيمان؟ لأنَّ الآخرةَ ليست بدارٍ تكليف^(٦).

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيَ لَمْ يَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾
 بيِّنَ أن إعراضهم لأنَّ الله أضلَّهُم، وهذا ردُّ على القدرية. ﴿وَدَرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾
 بالرفع على الاستثناف^(٧). وقرئ بالجزمِ حملاً على موضعِ الفاءِ وما بعدها^(٨).
 ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيرون، وقيل: يترددون، وقد مضى في أوَّلِ «البقرة» مُستوفى^(٩).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا
 لَوْ قَبَّأَ إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
 قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ «أَيَّانَ» سؤالٌ عن الزمان، مثل: متى.

(١) في الديوان: ثم يلجيه.

(٢) الحَحِّ: (بفتح الحلة وضمها): موضع فضله الحاجة، وأصله من الحَحِّ: البستان؛ لأنهم كانوا كثيراً ما يتفوطون في البساتين. النهاية (حشش).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٥/٢.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) الوسيط للواحدي ٤٣٢/٢.

(٦) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤٨٣/٢.

(٧) قرأ بها أبو عمرو وعاصم. السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥.

(٨) الكشف عن وجوه القرءات السبع ٤٨٥/١، وقرأ بها حمزة والكسائي، وقرأ الباقر: وتلَّوهم.

(٩) ٣١٧/١ - ٣١٨.

قال الراجز:

أَيَّانَ تَقْضِي حَاجَتِي أَيَّانَا أَمَا تَرَى لِنُجْحِهَا أَوَّانَا^(١)
وكانت اليهودُ تقول للنبيِّ ﷺ: إن كنت نبياً فأخبرنا عن الساعة متى تقوم^(٢).
وَرُوِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَفَرْطِ الْإِنكَارِ^(٣).

و«مُرساها» في موضع رَفَعٍ بالابتداء عند مسيبويه^(٤)، والخبرُ: «أَيَّانَ»، وهو ظرفٌ
مبنيٌّ على الفتح؛ بُني لأنَّ فيه معنى الاستفهام^(٥).

و«مُرساها» بضم الميم، من: أرساها الله، أي: أثبتها، أي: متى مُثَبَّتُها، أي:
متى وقوعها. وبفتح الميم من: رَسَتْ، أي: ثَبَّتَتْ ووقفت، ومنه: ﴿وَقَدُّورٍ رَأْسِيكَتُ﴾
[سبا: ١٣]. قال قتادة: أي: ثابتات^(٦).

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ ابتداءً وخبر^(٧)، أي: لم يُبَيِّنْها لأحد، حتى يكون العبدُ
أبدأً على حَذَرٍ ﴿لَا يَجِيئُهَا﴾ أي: لا يُظْهِرُها ﴿لَوْ قَبَّأ﴾ أي: في وقتها ﴿إِلَّا مَوَّءٌ﴾،
والتَّجْلِيَّةُ: إظهارُ الشيء، يُقال: جلا لي فلانُ الخبرَ: إذا أظهره وأوضحه.

ومعنى ﴿تَقَلَّتْ لِي السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ خَفِيَ عِلْمُهَا على أهل السماوات والأرض.
وكلُّ ما خَفِيَ عِلْمُهُ فهو ثَقِيلٌ على الفؤاد^(٨). وقيل: كَبُرَ مَجِيئُهَا على أهل السماوات

(١) النكت والعيون ٢/ ٢٨٤، وهو في مجاز القرآن لأبي عُبَيْدَةَ ١/ ٢٣٤، وتفسير الطبري ١٠/ ٦٠٦،
واللسان (أبن) وفيها: إِيَّانَا، بدل: أَوَّانَا، قال ابن منظور: إِيَّانُ كل شيء: وقته وحينه الذي يكون فيه.

(٢) أخرجه الطبري ١٠/ ٦٠٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري ١٠/ ٦٠٤ عن قتادة بنحوه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٦٦.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٣٠٦.

(٦) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٣٤.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٦٦.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٣/ ١١٠ - ١١١.

والأرض، عن الحسن وغيره. ابن جريج والسُّدِّي: عَظَمَ وصفها على أهل السماوات والأرض. وقال قتادة وغيره: المعنى: لا تُطيقها السماوات والأرضُ لِعِظَمِهَا؛ لأنَّ السماء تنشقُّ، والنجوم تتناثرُ، والبحار تنضُبُ^(١). وقيل: المعنى: ثقَلت المسألة عنها^(٢). ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بِنَهْئٍ﴾ أي: فجأة، مصدرٌ في موضع الحال^(٣).

﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالمٌ بها، كثيرُ السؤالِ عنها. قال ابن فارس^(٤): الحَفِيٌّ: العالمُ بالشيء، والحَفِيٌّ: المُستقصي في السؤال. قال الأعشى^(٥):

فإنَّ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رَبِّ سَائِلٍ حَفِيٌّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أضعَدَا
يقال: أحفى في المسألة وفي الطلب، فهو مُحْفِفٌ، وحَفِيٌّ على التكثير، مثل مُخْصِبٍ وَخَصِيبٍ. قال محمد بن يزيد: المعنى: يسألونك كأنك حَفِيٌّ بالمسألة عنها، أي: مُلِحٌّ، يذهب إلى أنه ليس في الكلام تقديم وتأخير^(٦).

وقال ابن عباس وغيره: هو على التقديم والتأخير، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ بهم، أي: حَفِيٌّ ببرهم وقرح بسؤالهم، وذلك لأنهم قالوا: بيننا وبينك قرابة، فأسير إلينا بوقت الساعة^(٧).

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ليس هذا تكريراً، ولكن أحد العِلْمَيْنِ لوقوعها، والآخِرُ لِكُنْهَها^(٨).

(١) تفسير الطبري ٦٠٨/١٠ - ٦٠٩، والنكت والعيون ٢/٢٨٥.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/١١١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٦.

(٤) في مجمل اللغة ١/٢٤٣.

(٥) ديوانه ص ١٨٥.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٦، ومحمد بن يزيد: هو المبرّد.

(٧) تفسير الطبري ٦١١/١٠ - ٦١٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣/١١١ - ١١٢.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٦.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا أملك أن أجلب إلى نفسي خيراً، ولا أذفع عنها شراً؛ فكيف أملك علم الساعة^(١). وقيل: لا أملك لنفسي الهدى والضلال^(٢).

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في موضع نصبٍ بالاستثناء، والمعنى: إلا ما شاء الله أن يُملكني ويُمكنني منه، وأنشد سيويه:

مهما شاء بالناس يفعل^(٣)

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ المعنى: لو كنت أعلم ما يريد الله عزَّ وجلَّ مني من قبل أن يُعرفنيهِ؛ لفعلته. وقيل: لو كنت أعلم متى يكون لي النصر في الحرب لقاتلت فلم أعلب^(٤).

وقال ابن عباس: لو كنت أعلم سنة الجذب لهيأت لها في زمن الخصب ما يكفيني^(٥). وقيل: المعنى لو كنت أعلم التجارة التي تنفق لأشترتها وقت كسادها^(٦). وقيل: المعنى: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، عن الحسن وابن جريج^(٧). وقيل: المعنى: لو كنت أعلم الغيب لأجبت عن كل ما أسأل عنه^(٨).

(١) تفسير أبي الليث ٥٨٧/١.

(٢) أخرجه الطبري ٦١٦/١٠ عن ابن جريج.

(٣) من بيت للأسود بن يعقوب كما في كتاب سيويه ٢٤٦/٢، ونوادير أبي زيد ص ١٥٩، وتعامه:

ألا هل لهذا الدهر من مُتَعَلِّلٍ
عن النامس مهما شاء بالناس يفعل

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٦٦/٢ - ١٦٧.

(٥) معاني القرآن للنحاس ١١٢/٣، والمحرر الوجيز ٤٨٥/٢.

(٦) أورده بنحوه أبو الليث في تفسيره ٥٨٧/١، والماوردي في النكت والعيون ٢٨٥/٢.

(٧) النكت والعيون ٢٨٥/٢، وأخرجه الطبري ٦١٦/١٠ من قول ابن جريج ومجاهد.

(٨) أورده الطبرسي في مجمع البيان ٧٩/٩.

وكلُّهُ مُراد، والله أعلم.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِذْ أَنَا أَلَا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا استئناف كلام، أي: ليس بي جنون؛ لأنهم نسبوه إلى الجنون. وقيل: هو متصل، والمعنى: لو علمتُ الغيب لما مسني سوءٌ ولَحِذِرْتُ^(١). ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنَا أَلَا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيًّا فَامْرَأَتٌ بِرَبِّهَا فَلَمَّا أَفَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا صَلِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٨﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَمْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال جمهورُ المفسرين: المرادُ بالنفسِ الواحدةِ آدمُ [عليه السلام]. ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنسَ بها ويطمئن، وكان هذا كله في الجنة. ثم ابتداءً بحالةٍ أخرى هي في الدنيا بعدَ هبوطِهما، فقال: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ كنايةٌ عن الوِاقاع^(٢). ﴿حَمَلًا خَفِيًّا﴾، كلُّ ما كان في بطنٍ أو على رأسِ شجرةٍ؛ فهو حَمَلٌ؛ بالفتح. وإذا كان على ظهرٍ أو على رأسٍ؛ فهو حِمْلٌ؛ بالكسر. وقد حكى يعقوب في حَمَلِ النخلة الكَسْر^(٣).

وقال أبو سعيد السيرافي^(٤): يُقال في حَمَلِ المرأةِ: حَمَلٌ وحِمْلٌ، يُشَبَّهُ مرَّةً

(١) تفسیر الرازي ٨٥/١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤٨٦/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٧/٢، ويعقوب: هو ابن السُّكَيْت. وينظر إصلاح المنطق له ص ٣، وتهذيب اللغة ٩٠/٥.

(٤) الحسن بن عبد الله بن المرزبان، نحويٌّ بحداد، تصدر لإقراء القراءات واللغة، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، جُود شرح كتاب سيويه، وله «ألفات القطع والوصل». توفي سنة (٣٦٨هـ). السير ٢٤٧/١٦.

لاستبطانه بحمْل المرأة، ومرةً لثروزه وظهوره بِحَمْلِ الذَّابَّةِ^(١). والحَمْلُ أيضاً مصدرٌ حَمَلَ عليه يَحْمِلُ حَمَلاً: إذا صَالَ.

﴿فَمَرَّتْ بِمِدٍّ﴾ يعني المَنِيِّ، أي: استمرَّت بذلك الحَمْلِ الخفيف، يقول: تقومُ وتقعُدُ وتَقَلَّبُ، ولا تكثرُ بحمله إلى أن تُقَلَّ، عن الحسن ومجاهد وغيرهما^(٢).

وقيل: المعنى: فاستمرَّت بها الحملُ، فهو من المقلوب، كما تقول: أدخلتُ القَلَنْسُوَّةَ في رأسي. وقرأ عبدُ الله بن عمرو^(٣): «فَمَارَتْ به» بِالْفِ والتخفيف، من: مَارَ يَمُورُ: إذا ذهبَ وجاءَ وتصرَّفَ. وقرأ ابن عباس ويحيى بن يَعْمَرُ: «فَمَرَّتْ به»^(٤) خفيفةً من المِرْيَةِ، أي: شكَّت فيما أصابها، هل هو حَمْلٌ أو مرضٌ، أو نحو ذلك.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَثَقَلَتْ﴾ صَارَتْ ذات ثِقَلٍ، كما تقول: أثمَرَ النخلُ^(٥). وقيل: دخلتُ في الثِقَلِ، كما تقول: أصبحَ وأمسى.

﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ الضميرُ في «دَعَا» عائِدٌ على آدَمَ وحوَاءَ. وعلى هذا القولِ ما رُوِيَ في قِصَصِ هذه الآية أن حوَاءً لَمَّا حملتْ أوَّلَ حَمَلٍ لم تذرِ ما هو - وهذا يُقوِّي قراءةً من قرأ: «فَمَرَّتْ به» بالتخفيف - فجزعتُ لذلك، فوجدَ إبليسُ السبيلَ إليها^(٦).

قال الكلبيُّ: إنَّ إبليسَ أتى حوَاءً في صورة رجلٍ لَمَّا أثقلتُ في أوَّلِ ما حملتُ فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري! قال: إنني أخافُ أن يكونَ بهيمةً. فقالت ذلك لآدَمَ عليه السلام. فلم يزاها في هَمٍّ من ذلك. ثم عاد إليها فقال: هو من الله بمنزلة، فإن دعوتُ الله فولدتُ إنساناً، أفنسمينه^(٧) بي؟ قالت: نعم. قال: فإني

(١) اللسان (حمل).

(٢) أخرجه الطبري ٦١٨/١٠ بنحوه، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣٩٥/٢.

(٣) في النسخ: عبد الله بن عمر، والمثبت من المحرر الوجيز ٤٨٦/٢، والكلام منه. والمحتسب ٢٧٠/١.

(٤) القراءات الشاذة ص ٤٧، والمحتسب ٢٦٩/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٦٧/٢.

(٦) المحرر الوجيز ٤٨٦/٢.

(٧) في (خ) و(ز) و(ظ): فسميه، وفي (د): فسميه باسمي، والمثبت من (م).

أدعو الله. فأتاها وقد ولدت، فقال: سمّيه باسمي. فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث - ولو سمّي لها نفسه لعرفته - عبد الحارث^(١).

ونحو هذا مذكور في^(٢) ضعيف الحديث، في الترمذي^(٣) وغيره.

وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات، فلا يُعوّل عليها من له قلب، فإن آدم وحواء عليهما السلام وإن غرهما بالله الغرور؛ فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، على أنه قد سطر وكتب، قال^(٤) رسول الله ﷺ: «خدعها مرتين: [خدعها] في الجنة، وخدعها في الأرض»^(٥). وعُضِدَ هذا بقراءة السلمي: «أُتْشِرِكُون» بالياء^(٦).

ومعنى ﴿صَلِحًا﴾ يريد: ولدًا سويًا^(٧).

﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَمَلًا لَمْ يُشْرِكَا فِيمَا آتَتْهُمَا﴾. واختلف العلماء في تأويل

الشرك المضاف إلى آدم وحواء، وهي:

الثالثة: قال المفسرون: كان شركاً في التسمية والصفة، لا في العبادة والربوبية^(٨).

(١) تفسير البغوي ٢/٢٢١، وهو ضعيف - كما سيذكر المصنف - ولا يلتفت إليه.

(٢) في (خ) و(ظ) و(م): من، والمثبت من (د) و(ز)، وهو موافق لأحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٠٩، والكلام منه.

(٣) الحديث (٣٠٧٧)، وأخرجه أحمد (٢٠١١٧)، والطبري ١٠/٦٢٣ من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب ؓ مرفوعاً. وعمر بن إبراهيم، قال: فيه ابن عدي في الكامل ٥/١٧٠٠: يروي عن قتادة ما لا يوافق عليه. والحسن البصري مشهور بالتدليس، ولم يثبت سماعه من سمرة إلا حديث العقيقة، كما في مراسيل ابن أبي حاتم ص ٣٢، وجامع التحصيل للعلاني ص ١٩٨. وقد أعلّ ابن كثير هذا الحديث في تفسيره وقال: إن الحسن البصري نفسه فسّر الآية بغير هذا، فلو كان عنده عن سمرة مرفوعاً؛ لما عدل عنه.

(٤) تكرر لفظ: قال في (خ) و(د) و(ز) و(م)، والمثبت موافق ل(ظ).

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٦٣٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٥ (٨٦٦٤) - وما بين حاصرتين منهما - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مرسلًا. ووقع عند ابن أبي حاتم: قال رسول الله ﷺ: خدعها مرتين، قال زيد: خدعها في الجنة، وخدعها في الأرض.

(٦) في الآية التالية، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٨.

(٧) تفسير البغوي ٢/٢٢١.

(٨) تفسير الطبري ١٠/٦٢٩.

وقال أهل المعاني: إنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث، لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد، فسمياه به كما يُسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له، لا على أن الضيف ربه^(١)، كما قال حاتم:

وَأُنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَاً وَمَا فِيَّ إِلَّا تَيْكَ مِنْ شَيْعَةِ الْعَبْدِ^(٢)
وقال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يُعوّل عليه. فقوله: «جَعَلَا لَهُ» يعني الذكْر والأنثى: الكافرين، ويُعنى به الجنسان، ودلّ على هذا: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولم يقل: يُشركان، وهذا قول حسن.

وقيل: المعنى «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»: من هيئة واحدة وشكل واحد، «وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» أي: من جنسها، «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا» يعني الجنسين. وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية^(٣)، فإذا آتاها الولد صالحاً سليماً سويّاً كما أراداه؛ صرفاه عن الفطرة إلى الشرك، فهذا فعل المشركين^(٤). قال **ك**: «ما من مولود إلا يُولدُ على الفطرة - في رواية: على هذه الملة - أبواه يهودانه ويُنصرانه ويُمجسانه»^(٥).

قال عكرمة: لم يخص بها آدم، ولكن جعلها عامّة لجميع الخلق بعد آدم^(٦). وقال الحسين بن الفضل: وهذا أعجب إلى أهل النظر من القول الأول^(٧)؛ لِمَا فِي الْقَوْلِ

(١) وهذا كلام مستند إلى خبر باطل، فلا يعوّل عليه.

(٢) الوسيط للواحد ٤٣٥/٢، وتفسير البغوي ٢٢١/٢، وتفسير الرازي ٨٨/١٥، والبيت في ديوان حاتم الطائي ص ٤٤، وفيه: إلا تلك، بدل: إلا تيك.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٦٧/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٨٦/٢.

(٥) سلف ١٤٨/٧.

(٦) أورده النحاس في معاني القرآن ١١٦/٣، والبغوي في تفسيره ٢٢٢/٢.

(٧) قوله: من القول الأول، من (ظ).

الأوَّلِ مِنَ الْمُضَافِ مِنَ الْعِظَائِمِ بِنَبِيِّ اللَّهِ أَدَمَ.

وقرأ أهل المدينة وعاصم: «شِرْكَاءَ» على التوحيد^(١). وأبو عمرو وسائر أهل الكوفة بالجمع^(٢)، على مثل: فُعَلَاءٌ، جمعُ شريك. وأنكر الأخفش سعيد القراءة الأولى^(٣)، وهي صحيحة على حذف المضاف، أي: جعلوا له ذا شريك، مثل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، فيرجع المعنى إلى أنهم جعلوا له شركاء.

الرابعة: ودلت الآية على أن الحملَ مرضٌ من الأمراض. روى ابن القاسم ويحيى عن مالك قال: أوَّلُ الحملِ بِشْرٌ^(٤) وسرورٌ، وآخره مرضٌ من الأمراض. وهذا الذي قاله مالك: إنَّه مرضٌ من الأمراض يُعطيهِ ظاهراً قوله: ﴿دَعَوْا اللَّهَ رَبِّهِمَا﴾ وهذه الحالُ مُشَاهِدَةٌ في الحوامل^(٥)، ولأجلِ عِظَمِ الأمرِ وشِدَّةِ الخطبِ جُعِلَ موثماً شهادةً، كما وردَ في الحديث^(٦).

وإذا ثبتَ هذا من ظاهر الآية؛ فحالُ الحاملِ حالُ المريضِ في أفعاله. ولا خلافتَ بين علماء الأماصِ أنَّ فعلَ المريضِ فيما يَهَبُ أو يُحَابِي في ثُلَّةِ.

(١) قرأ بها نافع وأبو جعفر المدنيان وعاصم في رواية شعبة. السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥، والنشر ٢٧٣/٢.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وأبو عمرو البصري وابن كثير المكي وابن عامر الشامي. السبعة ص ٢٩٩ والتيسير ص ١١٥.

(٣) في معاني القرآن له ٥٣٩/٢ - ٥٤٠، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٦٧/٢ - ١٦٨، وما قبله وما بعده منه.

(٤) في (ز) و(ظ) و(م): يسر، والمثبت من (خ) و(د)، وهو الموافق للموطأ ٧٦٤/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٨٠٩/٢، والكلام منه.

(٥) في النسخ: الحُمَالُ، ولم ننف على هذا الجمع، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢٣٣/١ - ٢٣٤، وأحمد (٢٣٧٥٣)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي ١٤/٤ من حديث جابر بن عتيك ﷺ مرفوعاً بلفظ: «الشهادةُ سبعٌ سوى القتلِ في سبيلِ الله..» وذكر: «المرأةُ تموتُ بِجَمْعِ شهيدة». وقوله: تموتُ بِجَمْعِ، أي: الميِّتةُ في الثَّماسِ وولدها في بطنها لم تَلِدْهُ وقد تمَّ خلقه. كما في حاشية السندي على مسند أحمد.

وقال أبو حنيفة والشافعي: إنَّما يكونُ ذلك في الحاملِ بحالِ الطَّلُق، فأما قبلَ ذلك فلا. واحتجُّوا بأنَّ الحملَ عادةٌ، والغالبُ فيه السلامة. قلنا: كذلك أكثرُ الأمراضِ غالبُه السلامة، وقد يموتُ مَنْ لم يَمْرَضْ^(١).

الخامسة: قال مالك: إذا مضت للحاملِ سنَّةٌ أشهرٍ من يومِ حملتْ؛ لم يَجْزُ لها قضاءٌ في مالِها إلا في الثلث^(٢). ومَنْ طَلَّقَ زوجته وهي حاملٌ طلاقاً بائناً؛ فلمَّا أتى عليها سنَّةٌ أشهر، فأرادَ ارتجاعها؛ لم يكنْ له ذلك؛ لأنَّها مريضةٌ، ونكاحُ المريضةِ لا يَصِحُّ^(٣).

السادسة: قال يحيى: وسمعتُ مالكا يقول في الرجلِ يحضِرُ القتالَ: إنَّه إذا زحفَ في الصفِّ للقتالِ؛ لم يَجْزُ له أنْ يقضيَ في مالِه شيئاً إلا في الثلث، وإنَّه بمنزلةِ الحاملِ والمريضِ المَخُوفِ عليه ما كان بتلك الحال^(٤). ويلتحقُ بهذا المحبوسُ للقتلِ في قِصاص. وخالفَ في هذا أبو حنيفة والشافعي وغيرهما.

قال ابن العربي^(٥): وإذا استوعبتَ النَّظَرَ لم تَرْتَبْ في أنَّ المحبوسَ على القتلِ أشدُّ حالاً مِنَ المريضِ، وإنكارُ ذلك غفلةٌ في النَّظَر؛ فإنَّ سببَ الموتِ موجودٌ عندهما، كما أنَّ المرضَ سببُ الموتِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْفُوتَهُ فَكَفَرُوا بِرَأْسِهِمْ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]. وقال رُوَيْشِدُ الطائِي:

يا أيُّها الراكِبُ المُزجِي مَطِيئَتَهُ سائِلُ بني أسدٍ ما هذه الصَّوْتُ
وقلْ لهم بادِرُوا بِالْعُدْرِ وَالتَّمَسُوا قَوْلًا يُبَرِّئُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ^(٦)

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨١٠.

(٢) الموطأ ٢/ ٧٦٥.

(٣) النوادر والزيادات ٤/ ٥٦٠.

(٤) الموطأ ٢/ ٧٦٥.

(٥) في أحكام القرآن ٢/ ٨١٠، وما قبله منه.

(٦) سلف البيتان ٣/ ٩١.

وممَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]. فكيف يقول الشافعي وأبو حنيفة:
الحال الشديدة إنما هي المبارزة، وقد أخبر الله عزَّ وجلَّ عن مقاومة العدو وتداني
الفریقین بهذه الحالة العظمی من بلوغ القلوب الحناجر، ومن سوء الظنون بالله، ومن
زلزلة القلوب واضطرابها؛ هل هذه حالة تُرى على المريض أم لا؟ هذا ما لا يشكُّ فيه
مُنْصِفٌ، وهذا لمن ثبتَّ في اعتقاده، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وشاهدَ الرسولَ
وآياته، فكيف بنا؟!!

السابعة: وقد اختلف علماؤنا في راكب البحر وقت الهول، هل حكمه حكم
الصَّحیح أو الحامل؟

فقال ابن القاسم: حكمه حكم الصَّحیح. وقال ابن وهب وأشهب: حكمه حكم
الحامل إذا بلغت سنة أشهر. قال القاضي أبو محمد: وقولهما أقيس؛ لأنها حالة
خوفٍ على النفس كإثقال الحمل^(١).

قال ابن العربي^(٢): وابنُ القاسم لم يركب البحرَ، ولا رأى دوداً^(٣) على عود،
ومن أراد أن يوقن بالله أنه الفاعل وحده لا فاعل معه، وأنَّ الأسبابَ ضعيفةٌ لا تعلق
لموقن بها، ويتحقَّق التوكُّل والتفويض، فليركب البحرَ.

قوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا تَصَرًّا وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ أي: أيعبدون ما لا يقدر على خلق شيء.
﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: الأصنام مخلوقة. وقال: «يُخْلَقُونَ» بالواو والنون؛ لأنهم اعتقدوا

(١) عقد الجواهر الثمينة لابن شاس ٤٠٥/٣، والمعونة لعبد الروهاب البغدادي ١٦٤١/٣.

(٢) أحكام القرآن ٨١١/٢. والكلام السابق فيه إلا قول القاضي أبي محمد.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي: ولا أرى أنهم دود.

أَنَّ الْأَصْنَامَ تَضَرُّ وَتَنْفَعُ، فَأَجْرِيَتْ مُجْرَى النَّاسِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْقَتْلُ أَدْخُلُوا سَنَكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمَمَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ أي: إِنَّ الْأَصْنَامَ، لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْصَرُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ ﴿١٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا﴾ قال الأخفش: أي: وإن تدعو الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم. ﴿سَوَاءً عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ قال أحمد بن يحيى: لأنه رأس آية، يريد أنه قال: ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ ولم يقل: أم صمتم. وصامتون وصمتم عند سيبويه واحد^(١). وقيل: المراد من سبق في علم الله أنه لا يؤمن.

وَقُرئ: «لَا يَسْتَجِيبُوا» مشدداً ومخففاً^(٢)، لغتان بمعنى. وقال بعض أهل اللغة: «أَتَبَعَهُ» مخففاً: إذا مضى خلفه ولم يدركه. و«اتَّبَعَهُ» مشدداً: إذا مضى خلفه فأدركه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٩٣﴾ أَلْهَمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ﴾ ﴿١٩٤﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ حاجهم في عبادة الأصنام. «تَدْعُونَ»: تعبدون. وقيل: تدعونها آلهة. «مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: من غير الله. وَسُمِّيَتِ الْأَوْثَانُ عِبَادًا؛ لأنها مملوكة لله مسخرة.

الحسن: المعنى: أن الأصنام مخلوقة أمثالكم.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٢. وأحمد بن يحيى: هو ثعلب.

(٢) قرأ نافع: «يَسْتَجِيبُوا»، وقرأ الباقون: «يَسْتَجِيبُوا». السبعة ص ٢٩٩، والتيسير ص ١١٥.

ولمَّا اعتقد المشركون أنَّ الأصنامَ تضرُّ وتنفع؛ أجزاها مجرى الناس، فقال: ﴿فَادْعُوهُمْ﴾، ولم يقل: فادعوهنَّ. وقال: «عِبَادٌ»، وقال: «إِنَّ الَّذِينَ»، ولم يقل: إِنَّ التي. ومعنى «فَادْعُوهُمْ» أي: فاطلبوا منهم النفع والضرَّ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ عبادة الأصنام تنفع. وقال ابن عباس: معنى فادعوهم: فاعبدوهم.

ثم وَيَخْتِمْ اللهُ تعالى، وَسَقَمَ عقولهم فقال: ﴿أَلْهَمَ أَزْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآية. أي: أنتم أفضل منهم، فكيف تعبدونهم؟ والغرضُ بيانُ جهلهم؛ لأنَّ المعبود يتصف بالجوارح.

وقرأ سعيد بن جبير: «إِنَّ الَّذِينَ تدعون من دون الله عباداً أمثالكم» بتخفيف «إِنَّ» وكسرها لالتقاء الساكنين، ونصب «عباداً» بالتثنية، «أمثالكم» بالنصب^(١). والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، أي: هي حجارة وخشب؛ فأنتم تعبدون ما أنتم أشرف منه.

قال النحاس^(٢): وهذه قراءة لا ينبغي أن يُقرأ بها من ثلاث جهات: أحدها: أنها مخالفة للسواد. والثانية: أنَّ سيبويه يختار الرفع في خبر «إِنَّ» إذا كانت بمعنى «ما»، فيقول: إِنَّ زَيْدًا منطلق؛ لأنَّ عمل «ما» ضعيف، و«إِنَّ» بمعناها، فهي أضعف منها. والثالثة: إِنَّ الكسائيَّ زعم أنَّ «إِنَّ» لا تكاد تأتي في كلام العرب بمعنى «ما»، إلا أن يكون بعدها إيجاب؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الأصل أن تكون اللام مكسورة، فحذفت الكسرة لثقلها. ثم قيل: في الكلام حذف، المعنى: فادعوهم إلى أن يتبعوكم، فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين أنهم آلهة.

وقرأ أبو جعفر وشيبة: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ بضم الطاء^(٣)، وهي لغة. واليد

(١) القراءات الشاذة ص ٤٨، والمحتسب ١/ ٢٧٠.

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ١٦٨ - ١٦٩ وما قبله منه.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، النشر ٢/ ٢٧٤.

والرُّجُل والأذُن مؤنثات يُصَغَّرْنَ بالهاء. وتزاد في اليد ياء في التصغير، تردُّ إلى أصلها فيقال: يُدَيِّه؛ بالتشديد؛ لاجتماع الياءين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي الأصنام. ﴿ثُمَّ كِيدُون﴾ أنتم وهي. ﴿فَلَا تُنظِرُون﴾ أي: فلا تؤخِّرون. والأصل: «كيدوني» حذف ياء الياء لأن الكسرة تدلُّ عليها. وكذا: ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾^(١). والكيد: المكر. والكيد: الحرب؛ يقال: غزا فلم يلق كيداً.

﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ أي: الذي يتولَّى نصرتي^(٢) وحفظي الله. ووليُّ الشيء: الذي يحفظه، ويمنع منه^(٣) الضرر. والكتاب: القرآن.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي: يحفظهم. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جِهَاراً غيرَ سِرٍّ يقول: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يعني فلاناً - ليسوا لي بأولياء، إنما وليُّي الله وصالح المؤمنين»^(٤).

وقال الأخفش: وقرئ: «إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ» يعني جبريل. النحاس: هي قراءة عاصم الجَحْدَرِيِّ^(٥). والقراءة الأولى أئبن؛ لقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْعَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصُدُّونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلْحَمِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ كرره ليبين أنَّ ما يعبدونه لا ينفَع ولا يضرُّ.

(١) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «كيدوني» بإثبات الياء وصلأ، ويعقوب وهشام بخلف عنه وصلأ ووقفأ. وقرأ يعقوب: «تنظرون» بالحالين. السبعة ص ٢٩٩ - ٣٠٠، والتيسير ص ١١٥، والنشر ١٨١/٢ و ١٨٤.

(٢) في (م): نصري.

(٣) في (م): عنه. والكلام في إعراب القرآن للنحاس ١٦٩/٢.

(٤) صحيح مسلم (٢١٥). وأخرجه أيضاً أحمد (١٧٨٠٤)، والبخاري (٥٩٩٠). قال القاضي عياض في إكمال المعلم ٦٠٠/١: «يعني فلاناً» هي كناية عن قوم كره الراوي تسميتهم لما يقع في نفوس ذرايعهم... وقيل: إن المكنى عنه الحكم بن العاص.

(٥) إعراب القرآن ١٦٩/٢. ونسب القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٨ للحسن وثيبة وضئف هذه القراءة أبو حاتم فيما نقله عنه أبو حيان في البحر ٤٤٦/٤.

﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُنَى﴾ شرط، والجواب: ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾. ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ مستأنف. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في موضع الحال. يعني الأصنام. ومعنى النظر: فتح العينين إلى المنظور إليه، أي: وتراهم كالناظرين إليك. وخبر عنهم بالواو - وهي جماد لا تبصر - لأن الخبر جرى على فعلٍ مَنْ يعقل^(١). وقيل: كانت لهم أعين من جواهر مصنوعة، فلذلك قال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. وقيل: المراد بذلك المشركون، أخبر عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم.

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ﴿١٩٧﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات^(٢). فقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الحَضُّ على التعلُّق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة.

قلت: هذه الخصال تحتاج إلى بسط، وقد جمعها رسول الله ﷺ لجابر بن سليم. قال جابر بن سليم أبو جري: ركب قعودي^(٣)، ثم أتيت إلى مكة، فطلبت رسول الله ﷺ، فأنحيت قعودي بباب المسجد، فدُلوني على رسول الله ﷺ، فإذا هو جالس؛ عليه بُرد من صوف؛ فيه طرائق حمر، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليك

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٨١٥/٢.

(٣) القعود من الدواب: ما يقعد الرجل للركوب والحمل... ومن الإبل: ما أمكن أن يركب، وأدناه أن يكون له ستان. النهاية (قعد).

السلام». فقلت: «إنا معشر أهل^(١) البادية، قومٌ فينا الجفاء، فعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها. قال: «إذن» ثلاثاً، فدنوت، فقال: «أعد علي»، فأعدت عليه، فقال: «اتقِ الله، ولا تحقرن من المعروف شيئاً، و[لو] أن تلقى أخاك بوجه مُنبسط، و[لو] أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ سبك بما^(٢) يعلم منك؛ فلا تُسبه بما تعلم فيه، فإن الله جاعلٌ لك أجراً وعليه وزراً، ولا تسب شيئاً مما حوَّلك الله تعالى». قال أبو جري: فوالذي نفسي بيده، ما سببتُ بعده شاةً ولا بعيراً. أخرجه أبو بكر البزار في «مسنده» بمعناه^(٣).

وروى أبو سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعون منكم بسط الوجه وحسن الخلق»^(٤).

وروى البخاري^(٥) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير في قوله: «خُذْ مَعَاذَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعُرَى» قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.

وروى سفيان بن عيينة، عن الشعبي أنه قال: إن جبريل نزل على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟»، فقال: «لا أدري حتى أسأل العالم». في رواية: «لا أدري حتى أسأل ربي». فذهب فمكّت ساعة، ثم رجع فقال: «إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك»^(٦). فنظمه بعض

(١) لفظة أهل، من (م).

(٢) في النسخ: بما لا. والمثبت موافق لأحكام القرآن لابن العربي ٢/٨١٢ - ٨١٣، ومصادر التخریج.

(٣) لم نقف عليه في مطبوع مسند البزار. وأخرجه أحمد (٢٠٦٣٢)، وأبو داود (٤٠٨٤)، والترمذي (٢٧٢١)، والنسائي في الكبرى (٩٦١١). وما بين حاصرتين منها.

(٤) أخرجه البزار (١٩٧٧) و(١٩٧٨) (زوائد)، وأبو يعلى (٦٥٥٠)، والحاكم ١/١٢٤ وقال: حديث صحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢: فيه عبد الله بن سعيد المقبري، وهو ضعيف.

(٥) في صحيحه (٤٦٤٣) و(٤٦٤٤). ووقع في النسخ غير (ظ) قبل ذلك قوله: وقال ابن الزبير: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس. وهو تكرار لما سيورده المصنف من صحيح البخاري، والمثبت من (ظ).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨١٢. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/٢٤٦، والطبري ١٠/٦٤٣ و٦٤٤، وأبو الليث في تفسيره ١/٥٩٠.

الشعراء فقال:

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِي ثَلَاثَةِ مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ فَذَاكَ^(١) الْفَتَى
إِعْطَاءُ مَنْ تَحْرِيْمُهُ وَوَصْلُ مَنْ تَقَطَّعُهُ وَالْعَفْوُ عَمَّنِ اعْتَدَى
وقال جعفر الصادق: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في
القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية^(٢). وقال ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ»^(٣). وقال الشاعر:

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي إِلَّا الشُّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بِاقِي
وَلَوْ أَنَّنِي تُحْيِرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ^(٤)
وقال سهل بن عبد الله: كلّم الله موسى بطور سيناء. قيل له: بأي شيء أوصاك؟
قال: بتسعة أشياء، الخشية في السرّ والعلانية، وكلمة الحق في الرضا والغضب،
والقصد في الفقر والغنى، وأمرني أن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو
عمن ظلمني، وأن يكون صمتي تفكراً، وقولي ذكراً^(٥)، ونظري عبرة.

قلت: وقد روي عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «أمرني ربي بتسع: الإخلاص في
السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو
عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكراً،
وصمتي فكراً، ونظري عبرة»^(٦).

(١) في (م): فذلك.

(٢) ذكره البخوي في تفسيره ٢/٢٢٤.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٩٢ من حديث أبي هريرة ربه بلفظ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وأخرجه أيضاً أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٥٧) وشعب الإيمان (٨٥١٠).

(٥) في (م): نطقي ذكراً، وصمتي فكراً.

(٦) لم تقف عليه بتمامه وأخرج بعضه القضاعي في الشهاب (١١٥٩) نحوه مختصراً من حديث ابن عائشة، عن أبيه. قال الذهبي في الميزان ٣/٥٥٠: حديث معضل.

وقيل: المراد بقوله: «خُذِ الْعَفْوَ» أي: الزكاة؛ لأنها يسيرٌ من كثير. وفيه بُعد؛ لأنه من عَفَاً: إذا دَرَسَ. وقد يقال: خذ العفو منه، أي: لا تَنْقُصْ عليه وسامحه^(١). وسبب النزول يردُّه، والله أعلم. فإنه لَمَّا أمره بمحاجة المشركين؛ دلَّه على مكارم الأخلاق، فإنها سَبَبُ جَرِّ المشركين إلى الإيمان. أي: إقْبَلْ من الناس ما عفا لك من أخلاقهم وتيسر؛ تقول: أخذت حَقِّي عَفْوَاً صَفْوَاً، أي: سهلاً.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف. وقرأ عيسى بن عمر: «بالعُرْفِ» بضمين^(٢)، مثل الحُلْمِ، وهما لغتان. والعُرْفُ والمَعْرُوفُ والقَارِفةُ: كلُّ خِصْلَةٍ حسنة ترتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس.

قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْلَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّوِّ وَالنَّامِ^(٣)
وقال عطاء: «وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ» يعني بلا إله إلا الله^(٤).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّاتِ﴾ أي: إذا أقمت عليهم الحجة، وأمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك؛ فأعرض عنهم؛ صيانة له^(٥)، ورفعاً لِقَدْرِهِ عن مجابوتهم. وهذا وإن كان خطاباً لِنَبِيِّهِ عليه الصلاة والسلام؛ فهو تأديبٌ لجميع خلقه. وقال ابن زيد وعطاء: هي منسوخةٌ بآية السيف. وقال مجاهد وقتادة: هي مُحْكَمَةٌ؛ وهو الصحيح لما رواه البخاري^(٦) عن عبد الله بن عباس قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس بن حِصْنِ، وكان من النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمَرُ، وكان القراءُ أصحابَ مَجْلِسِ^(٧) عُمَرَ ومشاورته، كَهَوْلًا كانوا أو سُبَانًا.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٤٨.

(٣) البيت للحطية، وهو في ديوانه ص ٢٨٤، وتقدم ١٢٦/٧.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٢٤/٢.

(٥) بعدها في (م): عليهم. وفي إعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٢؛ وعنه نقل المصنف: عنهم.

(٦) في صحيحه (٧٢٨٦).

(٧) في (م): مجالس.

فقال عُيَيْتَةَ لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجهٌ عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه. فاستأذن لعُيَيْتَةَ. فلَمَّا دخلَ قال: يا ابنَ الخطاب، واللَّهِ ما تُعطينا الجَزَلَ، ولا تحكُمُ بيننا بالعدل. قال: فغضب عمر حتى هَمَّ بأن يَقَعَ به. فقال الحُرُّ: يا أمير المؤمنين، إنَّ اللهَ قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإنَّ هذا منَ الجاهِلين. فوالله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عزَّ وجلَّ.

قلت: فاستعمال عمرَ ﷺ لهذه الآية واستدلال الحُرِّ بها يدلُّ على أنها مُحكِّمة لا منسوخة. وكذلك استعملها الحسنُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما؛ على ما يأتي بيانه^(١). وإذا كان الجَفَاء على السلطان تعمُّداً واستخفافاً بحقه؛ فله تعزيره. وإذا كان غير ذلك؛ فالإعراضُ والصَّفْحُ والعفو؛ كما فعل الخليفةُ العَدْل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: لَمَّا نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «كيف يا ربَّ والغضب؟» فنزلت: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ﴾^(٢). ونزَعُ الشيطان: وساوسه. وفيه لغتان: نَزَعٌ ونَفَرَ، يقال: إِيَّاكَ والنَّزَاعُ والنَّعَاز، وهم المورثون^(٣).

الزجاج^(٤): النَّزْعُ أذنى حركة تكون، ومن الشيطان أذنى وَسْوَسَة. قال سعيد بن المسيَّب: شهدتُ عثمانَ وعليًّا وكان بينهما نَزْعٌ من الشيطان، فما أبقي واحدٌ منهما

(١) في المسألة الثانية بعد آية.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٤٦/١٠ عن ابن زيد.

(٣) في (ظ): الموسوسون. وقال في اللسان (ورش): التوريش: التحريش؛ يقال: ورَّشت بين القوم وأرَّشت.

(٤) في معاني القرآن له ٣٩٦/٢.

لصاحبه شيئاً، ثم لم يَبْرَحَا حتى استغفَرَ كُلُّ واحدٍ منهما لصاحبه^(١).

ومعنى ﴿يَزْعَمَنَّكَ﴾: يُصِيبَنَّكَ وَيَعْرِضُ لَكَ - أي^(٢): عند الغضب - وسوسةً بما لا يحلُّ. ﴿فَأَسْتَوِدُّ بِاللَّوِّ﴾ أي: اطلبِ النجاةَ من ذلك بالله. فأمر تعالى أن يدفع الوسوسةَ بالالتجاء إليه، والاستعاذة به، ولله المثلُّ الأعلى؛ فلا يُستعاذ من الكلاب إلا بربِّ الكلاب. وقد حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنعُ بالشیطان إذا سَوَّلَ لَكَ الخطايا؟ قال: أجاهدُه. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهدُه. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهدُه. قال: هذا يطول، أرايتَ لو مررتَ بغنمٍ فنبحك كلبها، ومنعك^(٣) من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأردُّ عليه^(٤) جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغفُ بصاحب الغنم يكفُه عنك.

الثانية: النَّزْعُ وَالنَّزْغُ وَالنَّزْغُ وَالنَّزْغُ وَالنَّزْغُ وَالنَّزْغُ، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، وقال: ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَائِمِ الْغَنَائِمِ﴾ [الناس: ٤]. وأصلُ النزغ: الفساد؛ يقال: نَزَغَ بيننا؛ أي: أفسد. ومنه قوله: ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: أفسد. وقيل: النزغ: الإغواء والإغراء، والمعنى متقارب. قلت: ونظير هذه الآية ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: مَنْ خَلَقَ كَذَا وكذا؟ حتى يقول له: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَ ذلك فليستعذُ بالله وتُيْنِتِهِ»^(٥). وفيه عن عبد الله قال: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال: «تلكَ مَخْضُ الإِيْمَانِ»^(٦). وفي حديث أبي هريرة: «ذَلِكَ صَرِيحُ الإِيْمَانِ»^(٧) والصريح: الخالص.

(١) أخرجه الخلال في السنة (٧١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد ٢١٩/٥.

(٢) ليست في (م).

(٣) في النسخ: ومنع. والمثبت من (ظ).

(٤) في (م): وأرد.

(٥) صحيح مسلم (١٣٤): (٢١٤). وأخرجه أيضاً أحمد (٨٣٧٦)، والبخاري (٣٢٧٦).

(٦) صحيح مسلم (١٣٣). وعبد الله هو ابن مسعود.

(٧) صحيح مسلم (١٣٢). وأخرجه أحمد (٩١٥٦).

وهذا ليس على ظاهره؛ إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأنَّ الإيمانَ اليقينَ، وإنما الإشارةُ إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع^(١) في أنفسهم. فكأنه قال: جَزَعُكُمْ من هذا هو محضُ الإيمانِ وخالصُه؛ لصحة إيمانكم، وعلِمكم بفسادها. فسَمَى الوسوسةَ إيماناً لَمَّا كان دفعُها والإعراضُ عنها، والردُّ لها، وعدمُ قبولها، والجزعُ منها؛ صادراً عن الإيمان.

وأما أمرُه بالاستعاذة؛ فليكون تلك الوسوس من آثار الشيطان. وأما الأمرُ بالانتهاء؛ فَعَن الركون إليها والالتفات نحوها. فَمَن كان صحيحَ الإيمان، واستعمل ما أمره به ربُّه ونبيُّه؛ نفعه وانتفع به. وأما مَنْ خالجه الشبهةُ، وَعَلَب عليه الجسُّ، ولم يقدر على الانفكاك عنها؛ فلا بُدَّ من مشافهته بالدليل العقلي؛ كما قال ﷺ للذي خالطته شبهةُ الإبل الجرب حين قال النبيُّ ﷺ: «لا عَدْوَى». فقال أعرابيٌّ: فما بالُ الإبلِ تكون في الرَّمْلِ كأنها الطِّبَاءُ، فإذا دخلَ فيها البعيرُ الأجرَبُ أُجربها. فقال ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الأوَّلِ؟»^(٢) فاستأصل الشبهة من أصلها^(٣). فلَمَّا ينس الشيطانُ من أصحاب محمد ﷺ بالإغواء^(٤) والإضلال؛ أخذ يُشَوِّش عليهم أوقاتهم بتلك الألقِيَّات^(٥)، والوسوسِ الثَّرَهَات، فنَفَرَتْ عنها قلوبهم، وعَظَمَ عليهم وقوعها عندهم، فجاؤوا - كما في الصحيح - فقالوا: يا رسول الله، إِنَّا نَجِدُ في أنفسنا ما يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قال: «أَوْ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟». قالوا: نعم. قال: «ذلك صريحُ الإيمان»^(٦) رَغْمًا للشيطان حسب ما نطق به القرآن في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

(١) قوله: وقع من (م)، وهو الموافق لإكمال المعلم ٤٢٨/١، وعنه نقل المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٢٠)، والبخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) المفهم ٣٤٦/١.

(٤) في (م): بالإغراء.

(٥) الألقِيَّات، جمع ألقِيَّة، وزن: أَعْتَبْتِه، وهي ما ألقى من التناجي والألغاز. ينظر القاموس (لقي).

(٦) هو في صحيح مسلم (١٣٢) من حديث أبي هريرة، وسلف قريباً.

فألخواطر التي ليست بمستقرة، ولا اجتلبتها الشبهة؛ فهي التي تُدفع بالإعراض عنها، وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة^(١). والله أعلم. وقد مضى في آخر «البقرة»^(٢) هذا المعنى، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْبِرُونَ ﴿١٧٢﴾﴾
فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يريد الشرك والمعاصي. ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ هذه قراءة أهل البصرة وأهل مكة^(٣). وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة: «طَائِفٌ»^(٤). ورؤي عن سعيد بن جبير: «طَيْفٌ» بتشديد الياء^(٥). قال النحاس^(٦): كلام العرب في مثل هذا: «طَيْفٌ» بالتخفيف؛ على أنه مصدر من طاف يَطِيفُ. قال الكسائي: هو مخفَّفٌ من (طَيْفٌ)؛ مثل: مَيْتٌ ومَيْتٌ. قال النحاس^(٧): ومعنى «طَيْفٌ» في اللغة: ما يُتَخَيَّلُ في القلب، أو يُرَى في النوم؛ وكذا معنى طائف. وقال أبو حاتم: سألتُ الأضَمِّيَّ عن طَيْفٍ؛ فقال: ليس في المصادر فَيَعْل. قال النحاس^(٨): ليس هو بمصدر، ولكن يكون بمعنى طائف. والمعنى: إنَّ الذين اتَّقَوْا

(١) إكمال المعلم ٤٢٩/١ .

(٢) ٤٩٥/٤ .

(٣) يعني قرأ بها أبو عمرو البصري وابن كثير المكي، وقرأ بها أيضاً الكسائي من أهل الكوفة. السبعة ص ٣٠١، والتيسير ص ١١٥ .

(٤) قرأ بها نافع المدني وعاصم وحمزة من أهل الكوفة، ووافقهم ابن عامر الشامي. وأما الكسائي من أهل الكوفة فقرأ: «طيف»، كما سلف.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٨ .

(٦) في إعراب القرآن ١٧١/٢ . وما قبله منه.

(٧) المصدر السابق.

(٨) في إعراب القرآن ١٧١/١ . وما سيرد بين حاصرتين منه.

المعاصي إذا لَحِقَهُمْ شَيْءٌ [من الشيطان] تَفَكَّرُوا في قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي إنعامه عليهم، فتركوا المعصية. وقيل: الطَّيْفُ والطَّائِفُ معنيان مختلفان. فالأوَّل: التخيل، والثاني: الشيطان نفسه. فالأوَّل مصدر طاف الخيال يَطِيفُ^(١) طَيْفًا؛ ولم يقولوا من هذا: طائف في اسم الفاعل. قال السهيلي^(٢): لأنه تَخِيلَ لا حَقِيقَةً له. فأما قوله: ﴿طَافَ طَائِفًا طَائِفٌ بَيْنَ رَبِّكَ﴾ [القلم: ١٩] فلا يقال فيه: طَيْفٌ؛ لأنه اسمُ فاعلٍ حَقِيقَةٌ، ويقال: إنه جبريل.

قال الزجاج^(٣): طُفْتُ عليهم أطوف، وطاق الخيال يَطِيفُ.

وقال حسان^(٤):

فَدَعَّ هذا ولكن من لِيَطِيفِ يُورِّقُنِي إذا ذهب العِشَاءُ
مجاهد: الطَّيْفُ: الغضب^(٥). ويُسمَّى الجنونُ والغضبُ والوسوسةُ طَيْفًا؛ لأنه
لَمَّةٌ^(٦) من الشيطان تُشَبِّه بَلَمَّةَ الخيال.

﴿إِذَا هُمْ مُبْهِرُونَ﴾ أي: منتهون. وقيل: فإذا هم على بصيرة. وقرأ سعيد بن
جبير: «تَدَكَّرُوا» بتشديد الذال، ولا وجه له في العربية؛ ذكره النحاس^(٧).

الثانية: قال عِصَامُ بن المُضْطَلِقِ: دخلتُ المدينة، فرأيت الحسن بن عليٍّ
عليهما السلام، فأعجبني سَمْتُهُ وحُسْنُ رُوَاهِ، فأثار منِّي الحسدَ ما كان يُجِنُّهُ^(٨)

(١) في النسخ: يطوف. والمثبت من الروض الأنف ٤/١١٧. قال في اللسان (طيف): طاف يطفيف ويطوف طيفاً وطوفاً.

(٢) في الروض الأنف ٤/١١٧، وما قبله منه بنحوه.

(٣) في معاني القرآن ٢/٣٩٦.

(٤) ديوانه ص ٧.

(٥) أخرجه الطبري ١٠/٦٤٨.

(٦) اللَّمَّةُ: الخطرة تقع في القلب. النهاية (لم).

(٧) في إعراب القرآن ٢/١٧١، ونسب القراءة لمجاهد.

(٨) أي: يَكْتُمُ.

صدري لأبيه من البُغْض، فقلت: أنتَ ابنُ أبي طالب؟ قال: نعم. فبالغتُ في شتمه وشتَم أبيه، فنظر إليَّ نظرةَ عاطفٍ رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فقرأ إلى قوله: ﴿وَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ثم قال لي: خَفِّضْ^(١) عليك، استغفرُ اللهَ لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناكَ، ولو استرَفَدْتَنَا^(٢) أرفدناكَ، ولو استرَشَدْتَنَا أَرشَدناكَ. فتوسَّم في الندم على ما فرَط منِّي، فقال: ﴿لَا تَتَّعِبْ عَلَيْكُمُ الْعَيْدُ الْيَوْمَ بِغُفْرَانِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] أَمِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَنْتَ؟ فقلت: نعم. فقال:

شِنْشِنَةٌ أَغْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ^(٣)

حَيَّاكَ اللهُ وَبِيَّاكَ^(٤)، وعافاك وأذاك^(٥)، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك إن شاء الله. قال عصام: فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي، ثم انسللت^(٦) منه ليوذاً^(٧)، وما على وجه الأرض أحب إليَّ منه ومن أبيه^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ قيل: المعنى: وإخوان الشياطين - وهم الفُجَّار من ضُلَّالِ الإنس - تَمُدُّهم الشياطينُ في الغيِّ. وقيل للفجار:

(١) أي: هَوِّن.

(٢) الاسترفاد من الرفد، وهو العطاء والصلة.

(٣) قال في مجمع الأمثال ١/ ٣٦١: قال ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جدُّ أبي حاتم، أو جدُّ جدِّه، وكان له ابن يقال له: أخزم. وقيل: كان عاقاً، فمات وترك بنتين، فوثبوا على جدِّهم أبي أخزم فأدموه، فقال: إن بنيَّ ضرجوني بالدم... والشنينة: الطبيعة والعادة.

(٤) بيَّاك: بؤاك منزلاً. مختار الصحاح (بيا).

(٥) أي: أعانك. لسان العرب ٨/ ٢٦٨.

(٦) في (م): تسللت.

(٧) أي: تسترأ.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٣/ ٢٤٧.

إخوان الشياطين؛ لأنهم يقبلون منهم. وقد سبق في هذه الآية ذكر الشيطان. هذا أحسن ما قيل فيه، وهو قول قتادة^(١) والحسن والضحاك. ومعنى «لَا يُقْصِرُونَ» أي: لا يتوبون ولا يرجعون. وقال الزجاج^(٢): في الكلام تقديم وتأخير؛ والمعنى: والذين تدعون من دونه لا يستطيعون لكم نصراً ولا أنفسهم ينصرون، وإخوانهم يمدُّونهم في الغي؛ لأن الكفار إخوان الشياطين.

ومعنى الآية: إنَّ المؤمن إذا مَسَّهُ طَيْفٌ من الشيطان تنبَّه عن قُرْب؛ فأما المشركون فيمدُّهم الشيطان. و«لَا يُقْصِرُونَ» قيل: يرجع إلى الكفار على القولين جميعاً. وقيل: يجوز أن يرجع إلى الشيطان. قال قتادة: المعنى ثم لا يُقْصِرُونَ عنهم ولا يرحمونهم^(٣). والإقصار: الانتهاء عن الشيء، أي: لا تُقْصِرُ الشياطينُ في مَدِّهم الكفارَ بالغيِّ.

وقوله: ﴿فِي الْغَيِّ﴾ يجوز أن يكون متصلاً بقوله: «يَمْدُدُونَهُمْ»، ويجوز أن يكون متصلاً بالإخوان^(٤). والغَيُّ: الجهلُ.

وقرأ نافع: «يَمْدُدُونَهُمْ» بضم الياء وكسر الميم، والباقون بفتح الياء وضم الميم. وهما لغتان: مَدٌّ وأَمَدٌ، ومَدٌّ أكثر؛ بغير ألف؛ قاله مكِّي^(٥).

النحاس^(٦): وجماعة من أهل العربية ينكرون قراءة أهل المدينة؛ منهم أبو حاتم وأبو عبيد، قال أبو حاتم: لا أعرف لها وجهاً، إلا أن يكون المعنى: يزيّدونهم في

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٥٢/١٠ .

(٢) في معاني القرآن ٣٩٧/٢ ، ونقل عنه المصنف بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧١/٢ - ١٧٢ وما قبله منه.

(٣) أخرجه الطبري ٦٥٣/١٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٧٢/٢ .

(٥) في الكشف عن وجوه القراءات ٤٨٧/١ . وقراءة نافع في السبعة ص ٣٠١ ، والتيسير ص ١١٥ .

(٦) في إعراب القرآن ١٧٢/٢ .

الغَيِّ. وَحَكَى جماعَةً من أهل اللغة؛ منهم أبو عبيد؛ أنه يقال إذا كَثُرَ شيءٌ شيئاً بنفسه: مَدَّهُ، وإذا كَثُرَ^(١) بغيره قيل: أمدّه؛ نحو: ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبِّكُمْ بِمَنْسِقَةِ الْفَوْزِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. وحكي عن محمد بن يزيد أنه احتجّ لقراءة أهل المدينة قال: يقال: مَدَدْتُ له في كذا؛ أي: زَيَّنْتُهُ له واستدعيته أن يفعله. وأمددته في كذا؛ أي: أعنته برأي أو غير ذلك.

قال مكّي^(٢): والاختيار الفتح؛ لأنه يقال: مددت في الشَّرِّ، وأمددت في الخير؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَيُدْرِكُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]. فهذا يدلُّ على قوَّة الفتح في هذا الحرف؛ لأنه في الشَّرِّ، والغَيِّ هو الشَّرُّ، ولأن الجماعة عليه. وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ: ﴿يُمَادُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾^(٣).

وقرأ عيسى بن عمر: ﴿يُقْضِرُونَ﴾ بفتح الياء وضم الصاد وتخفيف القاف^(٤). الباقون: ﴿يُقْضِرُونَ﴾ بضدّه، وهما لغتان. قال امرؤ القيس:
سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَ^(٥)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَنبِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ أي: تقرؤها عليهم. ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ لولا بمعنى: هلاً، ولا يليها على هذا المعنى إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً^(٦)، وقد

(١) في النسخ: مده. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٢) في الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٨٧ - ٤٨٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٢، والقراءات الشاذة ص ٤٨.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٩٣، والقراءات الشاذة ص ٤٨.

(٥) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: وحلّت سليمي بطن قو فمزعرا. وهو في ديوانه ص ٥٦: قال شارحه: سما لك الشوق أي: ارتفع وذهب بك كل مذهب؛ لبعد الأجرة عنك بعدما كان أقصر عنك وكفّ بقرب من تحب دنوه منك، وقو وعرعر: موضعان.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٢.

تقدّم القول فيها في البقرة مستوفى^(١). ومعنى «اجْتَبَيْتَهَا»: اختلقتها من نفسك. فأغلمهم أنّ الآيات من قبيل الله عزّ وجلّ^(٢)، وأنّه لا يقرأ عليهم إلا ما أنزله عليه. يقال: اجْتَبَيْتُ الكلامَ، أي: ارتجَلْتُهُ واختلقتُهُ واخترعتُهُ: إذا جئت به من عند نفسك^(٣).

﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي: من عند الله، لا من عند نفسي.
 ﴿هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، جمع بصيرة، وهي الدلالة والعبارة، أي: هذا الذي دللتكم به على أنّ الله عزّ وجلّ واحدٌ بصائرٌ، أي: يُستبصر بها.
 وقال الزجاج^(٤): «بصائرٌ» أي: طُرُقٌ، والبصائر: طُرُقُ الدَّمِ^(٥). قال الجعفي^(٦):
 راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي ينعُدو بها عتدٌ وأى^(٧)
 ﴿وَهْدَىٰ﴾: رُشد وبيان. ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: ونعمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٨)
 فيه مسألان^(٨):

- (١) ٣٤٢/٢ .
 (٢) معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٢ .
 (٣) معاني القرآن للنحاس ١٢١/٣ . ونسبه الرازي ١٥/١٠١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣١٢ للفراء .
 (٤) معاني القرآن له ٣٩٧/٢ .
 (٥) في (م): الدين. وفي معاني الزجاج: طرائق الدم. قال في الصحاح (بصر): البصيرة من الدم: ما كان على الأرض. وقال الأصمعي: والبصيرة شيء من الدم يُستدل به على الرُّمِيَّةِ .
 (٦) هو الأسمر (بالسين المهملة)، الشاعر الفارس المشهور، كما ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف ص ٥٨ ، ونقل عن ابن الكلبي أن اسمه مرثد بن أبي حمران... سُمي بالأسمر لقوله:
 فلا يدعني قوسي لسعد بن مالك إذا لم أشعرْ عليهم وأنقِبِ
 (٧) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٣٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٧ ، والصحاح (بصر)، واللسان (عتد، بصر، وأى). وفيه: فرسٌ عَتِدٌ، بفتح التاء وكسرها أي: شديد تامّ الخلق، سريع الوثبة، مُعدٌّ للحري، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. وفيه أيضاً: الوأى من اللواب: السريع المشدد الخلق.
 (٨) كذا في النسخ. ولكنه لم يذكر إلا مسألة واحدة.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَكُمْ تَرْحَمُونَ﴾^(١) قيل: إن هذا نزل في الصلاة؛ روي عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وجابر، والزُّهري، وعبيد الله بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن المسيب^(٢).

قال سعيد: كان المشركون يأتون رسول الله ﷺ إذا صَلَّى، فيقول بعضهم لبعض بمكة: لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والعَوَّا فيه^(٣)، فأنزل الله جلَّ وعزَّ جواباً لهم: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(٤).

وقيل: إنها نزلت في الخطبة؛ قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم، والقاسم بن مُخَيَّمِرَة، ومسلم بن يسار، وشهر بن حوشب، وعبد الله بن المبارك^(٥). وهذا ضعيف؛ لأن القرآن فيها قليل، والإنصات يجب في جميعها؛ قاله ابن العربي^(٦). النقاش: والآية مَكِّيَّة، ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة. وذكر الطبري عن سعيد بن جبير أيضاً: أن هذا في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة، وفيما يَجْهَرُ به الإمام، فهو عام^(٧). وهو الصحيح؛ لأنه يجمع جميع ما أوجبه هذه الآية وغيرها من السنَّة في الإنصات^(٨). قال النقاش: أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة.

النحاس^(٩): وفي اللغة يجب أن يكون في كل شيء، إلا أن يدلُّ دليلٌ على اختصاص شيء.

(١) أخرج هذا القول عنهم الطبري في تفسيره ٦٥٨/١٠ - ٦٦٠.

(٢) حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِكَلِمَاتِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْوَعْدِ بِمَا لَكُمْ تَقْوِينَ﴾ [نصت: ٢٦].

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣١٢. وسعيد هو ابن المسيب.

(٤) تفسير الطبري ٦٦٤/١٠، والدر المشور ٣/٣١٢.

(٥) في أحكام القرآن ٢/٨١٧.

(٦) تفسير الطبري ٦٦٦/١٠، ونقله عنه المصنف بواسطة المحرر الوجيز ٢/٤٩٤، وما بعده منه.

(٧) المحرر الوجيز ٢/٤٩٤.

(٨) في إعراب القرآن ٢/١٧٣.

وقال الزجاج: يجوز أن يكون ﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا﴾: اعملوا بما فيه، ولا تجاوزوه^(١).

والإنصات: السكوت للاستماع والإصغاء والمراعاة. أَنْصَتَ يُنْصِتُ إِنْصَاتًا؛ وَنَصَّتَ أَيْضًا؛ قال الشاعر:

قال الإمام عليكم أَمْرَ سَيِّدِكُمْ فلم نُخَالِفْ وَأَنْصَتْنَا كَمَا قَالَا^(٢)
ويقال: أَنْصِتُوهُ وَأَنْصِتُوا لَهُ؛ قال الشاعر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَأَنْصِتْهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ^(٣)
وقال بعضهم في قوله: ﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا﴾: كان هذا لرسول الله ﷺ خاصاً لِيَعْبَهُ عَنْهُ أَصْحَابُهُ^(٤).

قلت: هذا فيه بعدٌ، والصحيح القول بالعموم؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، والتخصيص يحتاج إلى دليل.

وقال عبد الجبار بن أحمد^(٥) في «فوائد القرآن» له: إن المشركين كانوا يكثرون اللَّغْظَ وَالشَّغْبَ تَعْتَبًا وَعِينَادًا؛ على ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. فأمر الله المسلمين حالة أداء الوحي أن يكونوا على خلاف هذه الحالة، وأن يستمعوا، ومدح الجن على ذلك فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية^(٦) [الأحقاف: ٢٩].

(١) معاني القرآن له ٣٩٨/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤٩٤/٢.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) الصحاح (نصت). وقال: ويروى: «فصدقوها». والبيت نسيه في اللسان (نصت) للحميم بن صعب. قال: وحذام اسم امرأة الشاعر، وهي بنت العتيك بن أسلم.

(٤) معاني القرآن للحماس ١٢٣/٣.

(٥) القاضي أبو الحسن الهمداني، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية. ولي قضاء القضاة بالرقي، مات سنة (٤١٥هـ)، من أبناء التسعين. السير ٢٤٤/١٧.

(٦) أحكام القرآن للكميا الطبري ١٤٣/٣ - ١٤٤.

وقال محمد بن كعب القُرظي: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ في الصلاة أجاهه من وراءه؛ إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا مثل قوله، حتى يقضي فاتحة الكتاب والسورة. فليث بذلك ما شاء الله أن يلبث؛ فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فأنصتوا^(١). وهذا يدل على أنَّ المعنيَّ بالإنصات ترك الجهر على ما كانوا يفعلون من مجاوية رسول الله ﷺ.

وقال قتادة في هذه الآية: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة، فيسألهم: كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(٢). وعن مجاهد أيضاً: كانوا يتكلمون في الصلاة بحاجتهم؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣).

وقد مضى في «الفاتحة» الاختلاف في قراءة المأموم خلف الإمام. ويأتي في الجمعة^(٤) حكم الخطبة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٥)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ نظيره: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ وقد تقدّم^(٥).

قال أبو جعفر النحاس^(٦): ولم يُختلف في معنى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أنه في الدعاء.

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٩٧٨) (تفسير)، بنحوه مختصراً، وابن أبي حاتم (٨٧٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٤٧/٢، والطبري ١٠/٦٦٢.

(٣) أحكام القرآن للكي الطبري ٣/١٤٧. وما قبله منه.

(٤) عند تفسير الآية ٩ منها، المسألة السابعة.

(٥) ٧/٢٢٣.

(٦) في معاني القرآن ٣/١٢٣.

قلت: قد روي عن ابن عباس أنه يعني بالذكر القراءة في الصلاة^(١). وقيل: المعنى: اقرأ القرآن بتأمل وتدبر.

«تَضَرُّعًا» مصدر، وقد يكون في موضع الحال. «وَخَيْفَةً» معطوف عليه، وجمع خيفة: خِوْفٌ؛ لأنه بمعنى الخَوْف؛ ذكره النحاس^(٢). وأصل خيفة: خِوْفَةٌ؛ قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها. خاف الرجلُ يخافُ خوفاً وخيفةً ومخافةً، فهو خائف، وقوم خُوفٌ على الأصل، وخُيِّفَ على اللفظ. وحكى الفراء أنه يقال أيضاً في جمع خيفة: خَيْف^(٣). قال الجوهري^(٤): والخَيْفَةُ الخوفُ، والجمع خَيْفٌ، وأصله الواو.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ أي: دون الرفع في القول. أي: أَسْمِعْ نَفْسَكَ؛ كما قال: ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بين الجهر والمُخافتة. ودلَّ هذا على أنَّ رَفَعَ الصوتَ بالذكر ممنوعٌ؛ على ما تقدَّم في غير موضع.

﴿بِالْفُؤْدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ قال قتادة وابن زيد: الأَصَالُ: العَشِيَّات. والفُؤْدُوُّ جمع عُذْوَةٍ. وقرأ أبو ميَنْجَز: ﴿بِالْفُؤْدُوِّ وَالْإِصَالِ﴾ وهو مصدر أصلنا، أي: دخلنا في العَشِيَّةِ^(٥). والأَصَالُ جمع أَصْلٌ؛ مثل: طُنْبٌ وأَطْنَابٌ^(٦)؛ فهو جمع الجمع، والواحد أصيلٌ، جُمع على أَصْلٍ؛ عن الزجاج^(٧). الأَخْفَشُ^(٨): الأَصَالُ جمع أصيلٌ؛ مثلُ يَبِينٍ وإيْمَانٍ. الفراء: أَصْلٌ جمع أصيلٌ، وقد يكون أَصْلٌ واحداً، كما قال الشاعر:

(١) الوسيط للواحد ٢/ ٤٤٠، والبغوي ٢/ ٢٢٦.

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ١٧٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٣، ولم تقف على قول الفراء في معانيه.

(٤) في الصحاح (خوف).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٣. والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٨، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٧١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٣.

(٧) في معاني القرآن له ٢/ ٣٩٨.

(٨) معاني القرآن له ٢/ ٥٤١. ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٣.

ولا بأحسنَ منها إذ ذنّا الأصل^(١)

الجوهري^(٢): الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أصل وأصال وأصائل؛ كأنه جمع أصيلة؛ قال الشاعر^(٣):

لعمري لانت البيت أكرم أهله وأعد في أفيائه بالأصائل

ويُجمع أيضاً على أضلان؛ مثل بَعير وُغران؛ ثم صغروا الجمع فقالوا:

أضيلان، ثم أبدلوا من النون لآماً فقالوا: أضيلال؛ ومنه قول النابغة^(٤):

وقفتُ فيها أضيلالاً أسائلها عيَّت جواباً وما بالربيع من أحدٍ

وحكى اللخاني: لقيته أضيلالاً.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: عن الذكر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَجِئُونَ وَلَهُ

يَسْتَجِئُونَ ﴿١٥﴾﴾

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة بإجماع. وقال:

«عِنْدَ رَبِّكَ» - والله تعالى بكلِّ مكان^(٥) - لأنهم قريبون من رحمته، وكلُّ قريب من

رحمة الله عزَّ وجلَّ فهو عنده؛ عن الزجاج^(٦). وقال غيره: لأنهم في موضع لا ينفذ

فيه إلا حكم الله. وقيل: لأنهم رُسلُ الله؛ كما يقال: عند الخليفة جيش كثير.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٢. والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١١٧. وصدر البيت: يوماً بأطيب منها نشر رائحة.

(٢) الصحاح (أصل).

(٣) هو أبو ذؤيب، والبيت في ديوان الهذليين ص ١٤١.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٠، وسلف ٤٦٠/١.

(٥) العبارة موهمة، وأهل السنة يقولون: إن الله عز وجل فوق السماء وعلمه في كل مكان.

(٦) معاني القرآن له ٣٩٨/٢. ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٢، وما بعده منه.

وقيل: هذا على جهة التشريف لهم، وأنهم بالمكان المكرم؛ فهو عبارة عن قربهم في الكرامة لا في المسافة^(١).

﴿رُسِيحُهُمْ﴾ أي: ويعظمونه وينزهونه عن كل سوء. ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ قيل: يصلون. وقيل: يذللون، خلاف أهل المعاصي^(٢).

الثانية: والجمهور من العلماء في أن هذا موضع سجود للقارئ. وقد اختلفوا في عدد سجود القرآن؛ فأقصى ما قيل: خمس عشرة؛ أولها خاتمة الأعراف، وآخرها خاتمة العلق؛ وهو قول ابن حبيب وابن وهب - في رواية - وإسحاق. ومن العلماء من زاد سجدة الحجر؛ قوله تعالى: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ﴾ [٩٨] على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. فعلى هذا تكون ست عشرة. وقيل: أربع عشرة؛ قاله ابن وهب في الرواية الأخرى عنه، وأسقط ثمانية الحجج؛ وهو قول أصحاب الرأي^(٣)، والصحيح سقوطها؛ لأن الحديث لم يصح بثبوتها؛ رواه ابن ماجه وأبو داود في سننهما عن عبد الله بن مثنى من بني عبد كلال، عن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن؛ منها ثلاث في المفضل، وفي الحجج سجدتان^(٤). وعبد الله بن مثنى لا يحتج به؛ قاله أبو محمد عبد الحق^(٥).

وذكر أبو داود أيضاً من حديث عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله، أفي سورة الحج سجدتان؟ قال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»^(٦). في إسناده

(١) نحوه في المحرر الوجيز ٤٩٥/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٢.

(٣) المفهم ١٩٥/٢.

(٤) سنن ابن ماجه (١٠٥٧)، وسنن أبي داود (١٤٠١). وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢٢٣/١ قال ابن حجر في التلخيص الحبير ٩/٢: حسنه المنذري والنووي، وضعفه عبد الحق وابن القطان، وفيه عبد الله ابن مثنى وهو مجهول، والراوي عنه الحارث بن سعيد المتقي، وهو لا يعرف أيضاً.

(٥) في الأحكام الوسطى ٩٢/٢.

(٦) سنن أبي داود (١٤٠٢). وأخرجه أيضاً أحمد (١٧٣٦٤)، والترمذي (٥٧٨).

عبد الله بن لَهَيْعَةَ، وهو ضعيف جداً. وأثبتها^(١) الشافعيُّ، وأسقط سجدة ص. وقيل: إحدى عشرة سجدة، وأسقط آخرة الحجِّ وثلاث المفصَّل، وهو مشهور مذهب مالك، وروي عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم.

وفي سنن ابن ماجه: عن أبي الدرداء قال: سجدتُ مع النبي ﷺ إحدى عشرة سجدة، ليس فيها من المفصَّل شيءٌ: الأعراف، والرعد، والنحل، وبني إسرائيل، ومريم، والحجِّ سجدة، والفرقان، وسليمان سورة النمل، والسجدة، وص، وسجدة الحواميم^(٢).

وقيل: عشرة؛ وأسقط: آخرة الحجِّ، وص، وثلاث المفصَّل؛ ذكر عن ابن عباس.

وقيل: إنها أربع: سجدة الم تنزِيل، وحم تنزِيل، والنجم، والعلق.

وسببُ الخلاف اختلافُ النقل في الأحاديث والعمل، واختلافهم في الأمر المجرَّد بالسجود في القرآن؛ هل المرادُ به سجودُ التلاوة، أو سجود الفرض في الصلاة^(٣)؟

الثالثة: واختلفوا في وجوب سجود^(٤) التلاوة؛ فقال مالكٌ والشافعيُّ: ليس بواجب. وقال أبو حنيفة: هو واجب. وتعلَّق بأنَّ مطلقَ الأمر بالسجود على الوجوب، ويقول عليه الصلاة والسلام: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ سَجْدَةً؛ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ بِبِكْمِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - فِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي^(٥) - أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ؛ فَلَهُ

(١) يعني ثانية الحج، وفي (م): وأثبتها (يعني سجدتي الحج).

(٢) سنن ابن ماجه (١٠٥٦). وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٦٩٢)، والترمذي (٥٦٨) مختصراً. قال أبو داود عقب (١٤٠١): روي عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: إحدى عشرة سجدة. وإسناده وإياه وقع في مطبوع ابن ماجه: والحج وسجدة الفرقان. وهو خطأ.

(٣) المفهم ١٩٥/٢. وما قبله منه.

(٤) في النسخ الخطية: سجدة. والمثبت من (م)، والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٠/٢.

(٥) وقع بعدها في النسخ غير (ظ): ويقول عليه السلام إخباراً عن إبليس لعنه الله. والصواب ما أثبتناه، فهو حديث واحد؛ رواه مسلم عن ابن أبي شيبة وأبي كريب. ووقع في (ظ): ويقول عليه السلام: أمر ابن آدم... الخ. سقط منها: إذا قرأ ابن آدم...

الجَنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ؛ فَلْيِ النَّارُ». أخرجه مسلم^(١). ولأنَّ النبي ﷺ كان يحافظ عليه. وَعَوَّلَ علماؤنا على حديثِ عمرَ الثَّابِتِ - خَرَّجَهُ البخاري^(٢) - أنه قرأ سجدة^(٣) على المنبر، فنزل فسجد، وسجد الناس معه، ثم قرأها^(٤) في الجمعة الأخرى، فَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلسُّجُودِ، فقال: أيها الناسُ، على رِسْلِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْتُبْهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَشَاءَ. وذلك بمحضر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من الأنصار والمهاجرين، فلم يُنْكَرْ عليه أحد، فثبت الإجماعُ به في ذلك. وأما قوله: «أمر ابن آدم بالسُّجُودِ» فإخبارٌ عن السُّجُودِ الواجب، ومواظبةُ النبي ﷺ تدلُّ على الاستحباب، والله أعلم.

الرابعة: ولا خلاف في أنَّ سجودَ القرآن يحتاجُ إلى ما تحتاجُ إليه الصلاةُ من طهارةٍ حَدِيثٍ وَنَجَسٍ، وَنِيَّةٍ، وَاسْتِقْبَالِ قِبْلَةٍ، وَوَقْتٍ^(٥). إلا ما ذكر البخاريُّ عن ابن عمر أنه كان يسجد على غير طهارة^(٦). وذكره ابن المنذر عن الشعبي^(٧).

وعلى قول الجمهور هل يحتاج إلى تحريم ورفع يدين عنده وتكبير وتسليم؟ اختلفوا في ذلك؛ فذهب الشافعيُّ وأحمد وإسحاق إلى أنه يُكَبَّرُ ويرْفَعُ للتكبير لها^(٨).

وقد رُوِيَ في الأثر عن ابن عمر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا سَجَدَ كَبَّرَ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَفَعَ كَبَّرَ^(٩).

(١) في صحيحه (٨١) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه أيضاً أحمد (٩٧١٣).

(٢) في صحيحه (١٠٧٧) بنحوه.

(٣) في (م): آية سجدة. والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٠/٢.

(٤) في صحيح البخاري وأحكام القرآن لابن العربي: قرأ بها.

(٥) المفهم ١٩٦/٢، وإكمال المعلم ٥٢٣/٢.

(٦) ذكره البخاري تعليقاً قبل الحديث (١٠٧١)، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/٢، ومن طريقه ابن حجر في تغليق التعليق ٤٠٨/٢.

(٧) ذكر ابن قدامة في المغني ٣٥٨/٢ عن الشعبي أن مَنْ سَمِعَ السَّجْدَةَ عَلَى غَيْرِ وَضوءٍ سَجَدَ حَيْثُ كَانَ وَجْهًا.

(٨) المفهم ١٩٦/٢.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٠/٢. وأخرج نحوه أبو داود (١٤١٣) من طريق عبد الله بن عمر، =

ومشهور مذهب مالك أنه يُكَبَّرُ لها في الخفض والرفع في الصلاة. واختلف عنه في التكبير لها في غير الصلاة، وبالتكبير لذلك قال عامة الفقهاء .

ولا سلام لها عند الجمهور، وذهب جماعة من السلف وإسحاق إلى أنه يُسَلَّمُ منها. وعلى هذا المذهب يتحقق أن التكبير في أولها للإحرام، وعلى قول مَنْ لا يُسَلَّمُ يكون للسجود فحسب. والأوَّلُ أَوْلَى؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وتحريمُها التكبيرُ، وتحليلُها التسليم»^(١). وهذه عبادة لها تكبير، فكان لها تحليلٌ كصلاة الجنائز، بل أَوْلَى، لأنها فعل، وصلاة الجنائز قولٌ. وهذا اختيار ابن العربي^(٢).

الخامسة: وأما وقته؛ فقيل: يسجد في سائر الأوقات مطلقاً؛ لأنها صلاة لسبب. وهو قولُ الشافعي وجماعة. وقيل: ما لم يُسْفِرَ الصبحُ، أو ما لم تَضُمَّرَ الشمسُ بعد العصر. وقيل: لا يسجد بعد الصبح، ولا بعد العصر. وقيل: يسجد بعد الصبح [ما لم يُسْفِرَ] ولا يسجد بعد العصر. وهذه الثلاثة الأقوال في مذهبنا. وسبب الخلاف: معارضة ما يقتضيه سبب قراءة السجدة من السجود المرتب عليها؛ لعموم النهي عن الصلاة بعد العصر، وبعد الصبح، واختلافهم في المعنى الذي لأجله نُهي عن الصلاة في هذين الوقتين، والله أعلم^(٣).

السادسة: فإذا سجد يقول في سجوده: اللَّهُمَّ احطط عني بها وزراً، واكتب لي بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً. رواه ابن عباس عن النبي ﷺ؛ ذكره ابن ماجه^(٤).

= عن نافع، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فإذا مرَّ بالسجدة كَبَّرَ وسجد، وسجدنا معه. والحديث أصله في البخاري (١٠٧٥)، ومسلم (٥٧٥) من طريق عبيد الله بن عمر، وليس فيه: كَبَّرَ.

(١) أخرجه أحمد (١٠٠٦)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥) من حديث علي بن أبي طالب ؓ. وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٣٨)، وابن ماجه (٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ.

(٢) في أحكام القرآن ٢/ ٨٢٠.

(٣) المفهم ٢/ ١٩٦، وما بين حاصرتين منه.

(٤) سنن ابن ماجه (١٠٥٣). وأخرجه أيضاً الترمذي (٥٧٦) و(٣٤٢٤) وفي إسناده حسن بن محمد بن =

السابعة: فإن قرأها في صلاة؛ فإن كان في نافلة، سَجَدَ إِنْ كَانَ مَنْفَرِداً أَوْ فِي جَمَاعَةٍ وَأَمِنَ التَّخْلِيضَ فِيهَا. وَإِنْ كَانَ فِي جَمَاعَةٍ لَا يَأْمَنُ ذَلِكَ فِيهَا؛ فَالْمَنْصُوصُ جَوَازُهُ. وَقِيلَ: لَا يَسْجُدُ. وَأَمَّا فِي الْفَرِيضَةِ فَالْمَشْهُورُ عَنْ مَالِكِ النَّهْيُ عَنْهَا، سِوَاهُ كَانَتْ صَلَاةَ سِرًّا أَوْ جَهْرًا، جَمَاعَةً أَوْ فَرَادَى. وَهُوَ مُعَلَّلٌ بِكَوْنِهَا زِيَادَةً فِي أَعْدَادِ سَجُودِ الْفَرِيضَةِ. وَقِيلَ: مُعَلَّلٌ بِخَوْفِ التَّخْلِيضِ عَلَى الْجَمَاعَةِ؛ وَهَذَا أَشْبَهَ. وَعَلَى هَذَا لَا يُمْنَعُ مِنْهُ الْفَرَادَى وَلَا الْجَمَاعَةُ الَّتِي يَأْمَنُ فِيهَا التَّخْلِيضُ^(١).

الثامنة: رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّى مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا أَلْتَمَأْتُمْ أَنْتَقَتْ﴾ فَسَجَدَ؛ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ فِيهَا حَتَّى أَلْقَاهُ. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ^(٢).

وفيه: وَقِيلَ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: الرَّجُلُ يَسْمَعُ السَّجْدَةَ وَلَمْ يَجْلِسْ لَهَا؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ قَعَدَ لَهَا؟ كَأَنَّهُ لَا يُوجِبُهُ عَلَيْهِ. وَقَالَ سَلْمَانَ: مَا لِهَذَا عَدَوْنَا. وَقَالَ عَثْمَانَ: إِنَّمَا السَّجْدَةُ عَلَى مَنْ اسْتَمَعَهَا. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لَا يَسْجُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا، فإِذَا سَجَدْتَ وَأَنْتَ فِي حَضْرٍ فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، فَإِنْ كُنْتَ رَاكِبًا فَلَا عَلَيْكَ حَيْثُ كَانَ وَجْهَكَ. وَكَانَ السَّائِبُ [بْنُ يَزِيدٍ] لَا يَسْجُدُ لِسُجُودِ الْقَاصِصِ^(٣). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

= عبادة الله، وهو مجهول، قال العقيلي في الضعفاء ١/٢٤٣، لا يُتَابِعُ عَلَى حَدِيثِهِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(١) المفهم ١٩٦/٢.

(٢) صحيح البخاري (٧٦٦). ولم يتفرد بإخراجه؛ فقد أخرجه مسلم (٥٧٨): (١١٠)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧١٤٠)، وأبو داود (١٤٠٨)، والنسائي في المجتبى ١٦٢/٢ - ١٦٣، وفي الكبرى (١٠٤٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب سجود القرآن - قبل الحديث (١٠٧٧) وما بين حاضرتين منه. ووصل هذه الآثار ابن حجر في تغليق التعليق ٢/٤١١ - ٤١٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال

مدينة بدرية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس: هي مدينة
إلا سبع آيات؛ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر سبع آيات^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا
ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: روى عبادة بن الصّامت قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فلحقوا
العدو؛ فلما هزمهم الله اتبعتهم طائفة من المسلمين يقتلونهم، وأحدقت طائفة
برسول الله ﷺ، واستلوت^(٢) طائفة على العسكر والنهب^(٣)، فلما نفى الله العدو
ورجع الذين طلبوهم؛ قالوا: لنا النفل؛ نحن الذين طلبنا العدو، وينا نفاهم الله
وهزمهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: ما أنتم أحقّ به منّا، بل هو لنا، نحن
أحدقنا برسول الله ﷺ لئلا ينال العدو منه غرة. وقال الذين استلوتوا على العسكر
والنهب: ما أنتم بأحقّ منّا، هو لنا، نحن حوينا واستلوتنا^(٤) عليه؛ فأنزل الله
عزّ وجلّ: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

(١) النكت والعيون ٢/٢٩٢، وينظر المحرر الوجيز ٢/٤٩٦.

(٢) في النسخ: واستولت، والمثبت من الثّر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ١١١ - والكلام
منه - ، وسيرد شرحها.

(٣) النّهب: الغنيمة. النهاية (نهب).

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): واستولينا، والمثبت من (خ)، وهو موافق للذّر.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ . فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ فُؤَادٍ بَيْنَهُمْ (١) .

قال أبو عمر (٢) : قال أهلُ العلمِ بلسانِ العربِ : اسْتَلَوْا : أطافوا وأحاطوا ؛ يقالُ : الموتُ مُسْتَلَوٍ على العبادِ . وقوله : فَقَسَمَهُ عن فُؤَادٍ : يعني عن سرعة . قالوا : والفُؤَادُ ما بين حَلْبَتِي الناقَةِ . يقالُ : انتظَرَهُ فُؤَادَ ناقةٍ ؛ أي : هذا المقدار . ويقولونها بالضمِّ والفتح : فُؤَادٍ وفُؤَادٍ .

وكانَ هذا قبل أن يَنزَلَ : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] . وكانَ المعنى عند العلماء : أي : إلى الله وإلى الرسولِ الحُكْمُ فيها والعملُ بها بما يَقْرَبُ من الله تعالى .

وذكر محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي قال : سألتُ عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النَّفْلِ ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعهُ اللهُ من أيدينا وجعلهُ إلى الرسول ، فقَسَمَهُ رسولُ اللهِ ﷺ عن بَؤَاء . يقول : على السَّوَاء (٣) . فكان ذلك تقوى الله وطاعة رسولهِ وصلاخ ذاتِ اليَين (٤) .

وَرُويَ في الصحيح عن سعدِ بن أبي وقاص قال : أصابَ رسولُ اللهِ ﷺ (٥) غَنِيمَةً

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٣٥/٢ - ١٣٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٢/٦ ، وعندهما : استولت ... استولوا ... بدل : استلوت ... استلوا . . . التي وقعت عند ابن عبد البر ، ولم تقف على هذا اللفظ في المعجم ، غير أنه جاء في المعجم الوسيط : استلوى بهم الدهر : أبادهم .

(٢) هو ابن عبد البر ، وكلامه في الدرر ص ١١١ .

(٣) السيرة النبوية ٦٤٢/١ ، وأخرجه من طريق ابن إسحاق أحمد (٢٢٧٥٣) .

(٤) الدرر لابن عبد البر ص ١١١ - ١١٢ .

(٥) في (د) و(م) : اغتتم أصحاب رسول الله ﷺ ، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ) وهو الموافق لصحيح مسلم ١٨٧٧/٢ (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة : باب في فضل سعد بن أبي وقاص ، واللفظ له كما سيذكر المصنف ، وما سيرد بين حاصرتين منه .

عظيمة، فإذا فيها سيفٌ، فأخذته، فأتيتُ به النبي ﷺ، فقلت: نَفَلَنِي هذا السيفَ، فأنا مَنْ قد عَلِمْتَ حاله. قال: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ». فانطلقتُ حتى [إذا] أردتُ أن ألقِيه في القَبْضِ^(١)؛ لامتني نفسي، فرجعتُ إليه فقلتُ: أَعْطِينِيهِ. قال: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ». فأنزل الله: ﴿يَتْلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾. لفظُ مسلم. والرواياتُ كثيرة، وفيما ذكرناه كفايةً، والله الموفق للهداية.

الثانية: الأنفال واحدها نَفْلٌ، بتحريك الفاء، قال:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٍ وبإذن الله رَيْثِي وَعَجَلٌ^(٢)
أي: خيرٌ غنيمة.

والنَّفْلُ: اليمين؛ ومنه الحديث: «فَتَبَّرْتُمْ يَهُودَ بَنَفْلٍ خَمْسِينَ مِنْهُمْ»^(٣). والنَّفْلُ: الانتفاء، ومنه الحديث: «فَاتَّقَلَّ مِنْ وَلَدِهَا»^(٤).

والنَّفْلُ: نبتٌ معروف^(٥). والنَّفْلُ: الزيادةُ على الواجب؛ وهو التطوُّع. وولدُ الولد نافلة؛ لأنَّه زيادةٌ على الولد. والغنيمةُ نافلة؛ لأنها زيادةٌ فيما أحلَّ الله لهذه الأمة ممَّا كان محرماً على غيرها. قال ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ» وفيها: «وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ»^(٦). والأنفال: الغنائم أنفسها. قال عترة:

(١) القَبْضُ، بالتحريك: هو ما يُجمع من الغنيمة قبل أن تُقسَم. النهاية (قبض).

(٢) قائله ليبيد، وهو في ديوانه ص ١٧٤، وقوله: رَيْثِي: الرَيْثُ: الإبطاء. اللسان (ريث).

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٦٨٩٩) من حديث أنس ؓ مطولاً وفيه: «أترضون نفلَ خمسين من اليهود ما قتلوه»، وسلفت أحاديث القسامة ١٩٦/٢ . . .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مالك في الموطأ ٥٦٧/٢، وأخرجه أحمد (٤٥٢٧)، والبخاري (٥٣١٥) وعندهما: فانتفى من ولدها. ينظر التمهيد ١٣/١٥، والاستذكار ٢١٦/١٧، وينظر الفتح ٤٦٠/٩. وفي معاجم اللغة: انتفل من الشيء، أي: انتفى منه.

(٥) هو نحو البرسيم (الفصّة، أو: الفُضْفُصَة): العَلْفُ المعروف. ينظر القاموس والمعجم الوسيط (برسم، نفل).

(٦) أخرجه أحمد (٩٣٣٧)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة ؓ، والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٤/٢، وينظر تهذيب اللغة ٣٥٥/١٥.

إِنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْوَعَى نُرْوِي الْقَنَا وَنَعِفُّ عِنْدَ مِقَاسِمِ الْأَنْفَالِ^(١)
أي: الغنائم.

الثالثة: واختلف العلماء في محلّ الأنفال على أربعة أقوال: الأول: محلّها فيما شدّد عن الكافرين إلى المسلمين، أو أخذَ بغير حرب. الثاني: محلّها الخمس. الثالث: خمس الخمس. الرابع: رأسُ الغنيمة؛ حسب ما يراه الإمام.

ومذهب مالك رحمه الله أنّ الأنفالَ مواهبُ الإمام من الخمس، على ما يرى من الاجتهاد، وليس في الأربعة الأقسام نقلٌ، وإنّما لم يرَ النقل من رأس الغنيمة؛ لأنّ أهلها معيّنون، وهم المؤجّفون، والخمس مردودٌ قسمه إلى اجتهاد الإمام. وأهلُه غيرُ معيّنين^(٢). قال ﷺ: «ما لي ممّا أفاء الله عليكم إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم»^(٣). فلم يُمكن بعد هذا أن يكون النقل من حقّ أحد، وإنّما يكون من حقّ رسول الله ﷺ، وهو الخمس^(٤). هذا هو المعروف من مذهبه.

وقد روي عنه أنّ ذلك من خمس الخمس. وهو قولُ ابن المسيّب والشافعي وأبي حنيفة^(٥).

وسبب الخلاف حديثُ ابن عمر، رواه مالك^(٦) قال: بعث رسولُ الله ﷺ سريةً قبلَ تجدي، فغنموا إبلاً كثيرة، وكانت سهمانهم اثني عشرَ بعيراً، أو أحدَ عشرَ بعيراً؛

(١) ديوان عنترة ص ١٩٣، وفيه: حوس، بدل: احمر، وكلاهما بمعنى: اشتدّ. اللسان. (حمر) و(حمس). وفيه: تقاسم، بدل: مقاسم.

(٢) التمهيد ٥٣/١٥، والاستذكار ١٠١/١٥، وأحكام القرآن ٢/٨٢٥ - ٨٢٦.

(٣) أخرجه أحمد (٦٧٢٩)، وأبو داود (٣٦٩٤)، والنسائي ٦/٢٦٢ - ٢٦٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفي الباب عن العرياض بن سارية ؓ عند أحمد (١٧١٥٤)، وعن عمرو بن عبّسة ؓ عند أبي داود (٢٧٥٥). وعن عبادة بن الصامت ؓ عند أحمد (٢٢٧١٨).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٢٧.

(٥) المفهم ٣/٥٣٦.

(٦) في الموطأ ٢/٤٥٠، وهو عند أحمد (٥٢٨٨)، والبخاري (٣١٣٤)، ومسلم (١٧٤٩).

وَنَقَلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا.

هكذا رواه مالك على الشك في رواية يحيى عنه، وتابعه على ذلك جماعة رُوِيَ «الموطأ» إلا الوليد بن مسلم، فإنه رواه عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر؛ فقال فيه: فكانت سُهمانهم اثني عشر بَعِيرًا، وَنَقَلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا. ولم يَشْكُ.

وذكر الوليد بن مسلم والحكم بن نافع، عن شعيب بن أبي حمزة، عن نافع، عن ابن عمر قال: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ قَبْلَ نَجْدٍ - فِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ: أَرْبَعَةَ آلَافٍ - وَانْبَعَثْتُ سَرِيَّةً مِنَ الْجَيْشِ - فِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ: فَكُنْتُ مِمَّنْ خَرَجَ فِيهَا - فَكَانَ سُهْمَانُ الْجَيْشِ اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا، اثْنِي عَشَرَ بَعِيرًا؛ وَنَقَلَ أَهْلَ السَّرِيَّةِ بَعِيرًا بَعِيرًا، فَكَانَ سُهْمَانُهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا؛ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ^(١).

فاحتج بهذا من يقول: إِنَّ النَّقْلَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْخُمْسِ. وبيانه أن هذه السرية لو نُزِلَتْ عَلَى أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا عَشْرَةَ مِثْلًا أَصَابُوا فِي غَنِيمَتِهِمْ مِثَّةً وَخَمْسِينَ، أَخْرَجَ مِنْهَا خُمْسَهَا ثَلَاثِينَ، وَصَارَ لَهُمْ مِثَّةٌ وَعِشْرُونَ؛ قُسِمَتْ عَلَى عَشْرَةِ وَجَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَا عَشَرَ بَعِيرًا، اثْنَا عَشَرَ بَعِيرًا، ثُمَّ أُعْطِيَ الْقَوْمُ مِنَ الْخُمْسِ بَعِيرًا بَعِيرًا؛ لِأَنَّ خُمْسَ الثَّلَاثِينَ لَا يَكُونُ فِيهِ عَشْرَةُ أَبْعَرَةٍ. فَإِذَا عَرَفَتْ مَا لِلْعَشْرَةِ عَرَفَتْ مَا لِلْمِثَّةِ وَالْأَلْفِ وَأَزِيدَ.

واحتج من قال: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ بِأَنَّ قَالَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ثِيَابٌ تُبَاعُ، وَمَتَاعٌ غَيْرُ الْإِبِلِ، فَأُعْطِيَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْبَعِيرُ قِيَمَةَ الْبَعِيرِ مِنْ تِلْكَ الْعُرُوضِ^(٢).

ومما يعضد هذا ما روى مسلم^(٣) في بعض طرق هذا الحديث: فَأَصْبْنَا إِبِلًا وَغَنَمًا؛ الْحَدِيثُ.

(١) في سننه (٢٧٤١)، والكلام السابق في التمهيد ٣٥/١٤، وفيه رواية الوليد بن مسلم التي أشار إليها المصنف.

(٢) التمهيد ٦٥/١٤ - ٦٦، والاستذكار ١٠٥/١٤ - ١٠٦.

(٣) الحديث (١٧٤٩): (٣٧).

وذكر محمد بن إسحاق في هذا الحديث: أَنَّ الأمير نَقَلَهُمْ قَبْلَ الْقَسَمِ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّقْلُ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيْمَةِ، وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ مَالِكٍ^(١). وَقَوْلُ مَنْ رَوَى خِلَافَهُ أَوْلَى لِأَنَّهُمْ حُقُوظٌ؛ قَالَ أَبُو عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

وَقَالَ مَكْحُولٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ: لَا يُنْقَلُ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْعُلَمَاءِ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَإِنْ زَادَهُمْ قَلِّبْ لَهُمْ وَيَجْعَلْ ذَلِكَ مِنَ الْخُمْسِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَيْسَ فِي النَّقْلِ حَدٌّ لَا يَتَجَاوِزُهُ الْإِمَامُ^(٣).

الرَّابِعَةُ: وَدَلَّ حَدِيثُ ابْنِ عَمْرٍو عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْوَلِيدُ وَالْحَكَمُ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ السَّرِيَّةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْعَسْكَرِ فَعَنِمَتْ أَنَّ الْعَسْكَرَ شُرَكَاءُهُمْ. وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ وَحُكْمٌ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْحَدِيثِ غَيْرُ شُعَيْبٍ عَنْ نَافِعٍ، وَلَمْ يَخْتَلَفِ الْعُلَمَاءُ فِيهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ^(٤).

الخَامِسَةُ: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْإِمَامِ يَقُولُ قَبْلَ الْقِتَالِ: مَنْ هَدَمَ كَذَا مِنَ الْحِصْنِ فَلَهُ كَذَا، وَمَنْ بَلَغَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا فَلَهُ كَذَا، وَمَنْ جَاءَ بِرَأْسِ فَلَهُ كَذَا، وَمَنْ جَاءَ بِأَسِيرٍ فَلَهُ كَذَا؛ يُضَرِّبُهُمْ^(٥)؛ فَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَرِهَهُ. وَقَالَ: هُوَ قِتَالٌ عَلَى الدُّنْيَا. وَكَانَ لَا يُجِيزُهُ. قَالَ الثَّوْرِيُّ: ذَلِكَ جَائِزٌ وَلَا بِأَمْرٍ بِهِ^(٦).

قُلْتُ: وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى مَرْفُوعاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا، وَمَنْ أَسْرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا». الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ^(٧).

وَفِي رِوَايَةٍ عَكْرَمَةَ عَنْهُ^(٨) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ كَذَا وَكَذَا، وَأَتَى مَكَانَ كَذَا

(١) التمهيد ٤١/١٤، ورواية محمد بن إسحاق أخرجه أبو داود (٢٧٤٣).

(٢) التمهيد ٤٦/١٤ - ٤٧.

(٣) التمهيد ٥٣/١٤ و ٥٥، والاستذكار ١٠٤/١٤ و ١٠٧.

(٤) الاستذكار ١٠٠/١٤، والمفهم ٣/٥٣٧.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): يُضَرِّبُهُمْ، وكلاهما بمعنى واحد.

(٦) التمهيد ٥١/١٤ و ٥٥، والاستذكار ١٠٢/١٤.

(٧) أخرجه أبو داود (٢٧٣٨).

(٨) أخرجه أبو داود (٢٧٣٧) والرواية السالفة عن عكرمة عنه أيضاً.

وكذا، فله كذا». فتسارع الثُّبَانُ وثبتَ الشُّيُوخُ مع الرِّايَاتِ؛ فلما فُتِحَ لهم؛ جاء الثُّبَانُ يَطْلُبُونَ ما جُعِلَ لهم، فقال لهم الأشياخ: لا تذهبون به دوننا، فقد كُنَّا رِذَاءَ لكم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ذكره إسماعيل بن إسحاق أيضاً.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لجرير بن عبد الله البجلي لما قدم عليه في قومه وهو يريد الشام: هل لك أن تأتي الكوفة ولك الثلث بعد الخمس من كل أرض وسني^(١)؟ وقال بهذا جماعة فقهاء الشام: الأوزاعي ومكحول وابن حيوة وغيرهم. ورأوا الخمس من جملة الغنيمة، والتقل بعد الخمس ثم الغنيمة بين أهل العسكر؛ وبه قال إسحاق وأحمد وأبو عبيد. قال أبو عبيد: والناس اليوم على أن لا نقل من جملة^(٢) الغنيمة حتى تُخمس.

وقال مالك: لا يجوز أن يقول الإمام لسرية: ما أخذتم فلکم ثلثه. قال سحنون: يريد ابتداء. فإن نزل مضي، ولهم أنصباؤهم في الباقي.

وقال سحنون: إذا قال الإمام لسرية: ما أخذتم فلا خمس عليكم فيه؛ فهذا لا يجوز، فإن نزل رددته؛ لأن هذا حكم شاذ لا يجوز ولا يمضي^(٣).

السادسة: واستحب مالك رحمه الله ألا يُنقل الإمام إلا ما يظهر، كالعمامة والفرس والسيف. ومنع بعض العلماء أن يُنقل الإمام ذهباً أو فضة أو لؤلؤاً ونحوه. وقال بعضهم: النقل جائز من كل شيء^(٤). وهو الصحيح؛ لقول عمر^(٥) ومقتضى الآية، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٥٦).

(٢) في (د) و(ز) و(م): جهة، والمثبت من (خ) و(ظ) وهو الموافق للمصادر. والكلام في الأموال لأبي عبيد ص ٣٢٢، والتمهيد ٥٦/١٤، والاستذكار ١٠٧/١٤ - ١٠٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤٩٨/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٩٩/٢.

(٥) سلف قريباً.

السابعة: قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أمرٌ بالتقوى والإصلاح، أي: كونوا مجتمعين على أمر الله في الدعاء: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ ذَاتَ الْبَيْنِ، أي: الحالَ التي يقع بها الاجتماع^(١). فدلَّ هذا على التصريح بأنه شَجَرَ بينهم اختلاف، أو مالت النفوسُ إلى التَّشَاخُ؛ كما هو منصوصٌ في الحديث^(٢).

وتقدَّم معنى التقوى^(٣)، أي: اتقوا الله في أقوالكم وأفعالكم، وأصلحو ذات بينكم. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الغنائم وغيرها^(٤). ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنَّ سبيلَ المؤمن أن يمتثل ما ذكرنا. وقيل: «إِنْ» بمعنى «إِذْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قال العلماء: هذه الآية تحريضٌ على إلزام طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به من قسمة تلك العنينة^(٥).

والوَجَلُّ: الخوف. وفي مُستقبله أربع لغات: وَجَلَّ يُوَجِّلُ وَيَجَلُّ وَيَجَلُّ وَيَجَلُّ، حكاية سيبويه^(٦). والمصدر وَجَلَّ وَجَلًّا وَمَوْجَلًّا - بالفتح - وهذا مَوْجَلُّه - بالكسر -

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧٥/٢ .

(٢) يعني حديث عبادة بن الصامت ؓ السالف في المسألة الأولى. والكلام بنحوه في المفهم ٥٣٧/٣ .

(٣) ٢٤٨/١ .

(٤) في (م): ونحوها.

(٥) الوسيط ٤٤٤/٢ .

(٦) الكتاب ١١١/٤ - ١١٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧٥/٢ .

للموضع والاسم. فمن قال: يا جَل في المستقبل؛ جَعَلَ الواو ألفاً لفتح ما قبلها. ولغة القرآن الواو ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣].

ومن قال: «يَجَل» بكسر الياء؛ فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إِيَجَل، ونحن نِيَجَل، وأنت تِيَجَل؛ كلها بالكسر. ومن قال: «يِيَجَل» بناءً على هذه اللغة، ولكنه فَتَحَ الياء كما فتحوها في يعلم، ولم تُكسر الياء في يعلم لاستثقالهم الكسر على الياء. وكُسِرَت في «يِيَجَل» لِتَقْوِي إِحْدَى الْيَاءَيْنِ بِالْآخَرَى. وَالْأَمْرُ مِنْهُ «إِيَجَل» صارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. وتقول: إني منه لأَوْجَل^(١). ولا يقال في المؤنث: وَجَلَاء: ولكن وَجِلَةٌ.

وروى سفيان عن السُّدِّي في قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: إذا أراد أن يظلم مظلماً قيل له: اتق الله، كَفَّ وَوَجِلَ قَلْبُهُ^(٢).

الثانية: وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ عِنْدَ ذِكْرِهِ. وَذَلِكَ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ وَمُرَاعَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَكَأَنَّهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَشْرِكِ الْمُؤْتَبِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]. وَقَالَ: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]. فَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى كَمَالِ الْمَعْرِفَةِ وَثِقَةِ الْقَلْبِ .

وَالْوَجَلُ: الْفَرَعُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ فَلَا تَنَاقُضَ. وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَقَشِرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. أَي: تَسْكُنُ نَفُوسُهُمْ مِنْ حَيْثُ الْيَقِينُ إِلَى اللَّهِ وَإِنْ كَانُوا يَخَافُونَ اللَّهَ^(٣).

فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سَطْوَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ؛ لَا كَمَا يَفْعَلُهُ جُهَّالٌ

(١) كذا في الصحاح (وجل)، والكلام منه، وفي اللسان: وتقول منه: إني لأوجل.

(٢) أخرجه الطبري ٢٩/١١، والبيهقي في الشعب (٧٣٧).

(٣) تفسير الرازي ١١٨/١٥.

العوامِّ والمبتدعة الطَّعام^(١) من الرُّعيق والرُّثير، ومن الثُّهاقِ الذي يُشبه نُهاق الحمير. فيقال لمن تعاطى ذلك، ورَّعِمَ أنَّ ذلك وَجَدٌ وخشوعٌ: لم تبلغ أن تُساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله؛ ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله. وكذلك^(٢) وصف الله أحوالَ أهل المعرفة عند سماع ذكره، وتلاوة كتابه فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]. فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم.

ومن لم يكن كذلك؛ فليس على هديهم، ولا على طريقتهم فمن كان مُسْتَنًا فليستَنَّ، ومن تعاطى أحوال المجانين والمجون^(٣)؛ فهو من أخسَّهم حالاً. والجنون فنون.

روى مسلم عن أنس بن مالك أنَّ النَّاسَ سألوا النَّبِيَّ ﷺ حتى أَحَقَّوه في المسألة، فخرج ذات يومٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فقال: «سَلُونِي، لا تسألوني عن شيءٍ إِلَّا بَيَّنَّته لكم ما دمتُ في مقامي هذا». فلَمَّا سَمِعَ ذلك القومُ أَرْمُوا ورَهَبُوا أن يكونَ بين [يَدَي] أمرٍ قد حَضَرَ. قال أنس: فجعلتُ التَّفِيْتُ يميناً وشمالاً؛ فإذا كلُّ إنسانٍ لافَّ رأسه في ثوبه يبكي. وذكر الحديث^(٤).

وروى الترمذي^(٥) - وصحَّحه - عن العرياض بن سارية قال: وَعَظَّنَا رسولُ الله ﷺ موعظةً بليغةً دَرَزَتْ منها العيون، وَوَجَلَّتْ منها القلوب. الحديث. ولم يقل: رَعَقْنَا، ولا رَقَصْنَا، ولا رَقْنَا^(٦)، ولا قُمْنَا.

(١) أي: أرغاد الناس. الصحاح (طغم).

(٢) في (خ) و(د) و(م): ولذلك، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق للمفهم ١٦٠/٦، والكلام منه.

(٣) في (د) و(ز) و(م): الجنون، والمثبت من (خ) و(ظ) وهو الموافق للمفهم.

(٤) صحيح مسلم (٢٣٥٩): (١٣٧)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (١٢٨٢٠)، والبخاري

(٦٣٦٢) وقوله: أَحَقَّوه، أي: ألحوا عليه. وقوله: أَرْمُوا، أي: سكتوا. المفهم ١٥٨/٦ - ١٥٩.

(٥) في سننه (٢٦٧٦)، وهو عند أحمد (١٧١٤٢)، وسلف ص ١١٨ من هذا الجزء.

(٦) الرُّقْن: الرقص. الصحاح (زفن).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: تصديقاً. فإنَّ إيمانَ هذه الساعة زيادةٌ على إيمانِ أمس، فمن صدَّق ثانياً وثالثاً فهو زيادةٌ تصديقٍ بالنسبة إلى ما تقدَّم^(١).

وقيل: هو زيادةٌ انشراح الصدر بكثرة الآيات والأدلة، وقد مضى هذا المعنى في «آل عمران»^(٢).

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ تقدَّم معنى التوكل في «آل عمران» أيضاً^(٣).

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ تقدَّم في أول سورة البقرة^(٤).

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: الذي استوى في الإيمان ظاهرهم وباطنهم. ودلَّ هذا على أنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً، وقد قال عليه الصلاة والسلام لحارثة^(٥): «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، فما حقيقةُ إيمانك؟» الحديث^(٦).

وسأل رجلُ الحسنَ فقال: يا أبا سعيد، أمؤمنٌ أنت؟ فقال له: الإيمانُ إيمانان، فإنَّ كنتَ تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورأسله والجنَّة والنَّار والبعث والحساب، فأنا به مؤمن. وإنَّ كنتَ تسألني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) الوسيط للواحدى ٢/٤٤٤، وزاد المسير ٣/٣٢٠.

(٢) ٤٢٣/٥ - ٤٢٦.

(٣) ٢٩٠/٥ - ٢٩١.

(٤) ٢٥٣/١.

(٥) هو الحارث بن مالك الأنصاري، قال الذهبي في التجرید ١/١٠٨: قيل: هو حارثة الأنصاري الذي روي أن النبي ﷺ قال: كيف أصبحت يا حارث، وينظر التعليق التالي.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣٦٧)، والبيهقي في الشعب (١٠٥٩١) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري صاحب القصة، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف. وأخرجه البيهقي (١٠٥٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده يوسف بن عطية البصري؛ قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/١٧٤-١٧٥: وهو ضعيف جداً، ونقل عن البيهقي قوله: هذا منكر، وقد خبط فيه يوسف فقال مرة: الحارث، وقال مرة: حارثة. وأورده الذهبي في الميزان ٤/٤٦٩ وعده من مناكير يوسف بن عطية. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١٤) عن صالح بن مسمار. قال الحافظ ابن حجر: هو معضل.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فوالله ما أدري أنا منهم أم لا^(١).

وقال أبو بكر الواسطي: مَنْ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا؛ قِيلَ لَهُ: الْحَقِيقَةُ تُشِيرُ إِلَى إِشْرَافٍ وَإِطْلَاعٍ وَإِحَاطَةٍ، فَمَنْ فَقَدَهُ بَطَلَ دَعْوَاهُ فِيهَا.

يريدُ بذلك ما قاله أهلُ السُّنَّةِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ مَنْ كَانَ مُحْكَمًا لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْ سِرِّ حِكْمَتِهِ تَعَالَى فَدَعْوَاهُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا غَيْرُ صَحِيحٍ^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ^(٣): الْكَافُ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ؛ أَي: الْأَنْفَالُ ثَابِتَةٌ لَكَ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، أَي: مِثْلَ إِخْرَاجِ رَبُّكَ إِيَّاكَ مِنْ بَيْتِكَ^(٤) بِالْحَقِّ. وَالْمَعْنَى: امْضِ لِأَمْرِكَ فِي الْغَنَائِمِ، وَنَقُلْ مَنْ شِئْتَ وَإِنْ كَرِهُوا؛ لِأَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَعَلَ لِكُلِّ مَنْ أُنِيَ بِأَسِيرٍ شَيْئًا؛ قَالَ: يَبْقَى أَكْثَرُ النَّاسِ بِغَيْرِ شَيْءٍ^(٥). فَمَوْضِعُ الْكَافِ فِي «كَمَا» نَصَبٌ كَمَا ذَكَرْنَا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ أَيْضًا^(٦).

قال أبو عبيدة: هو قَسَمٌ، أَي: وَالَّذِي أَخْرَجَكَ، فَالْكَافُ بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَ«مَا»

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٦). والحسن: هو البصري.

(٢) الرسالة القشيرية ٥٠/١.

(٣) في معاني القرآن ٤٠٠/٢.

(٤) في النسخ: مثل إخراجك ربك من بيتك، والمثبت من معاني القرآن للزجاج، والكلام منه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب. وينظر حديث ابن عباس رضي الله عنهما السالف ص ٤٤٦ من هذا الجزء.

(٦) معاني القرآن للفراء ٤٠٣/١، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٦/٢.

بمعنى الذي^(١).

وقال سعيد بن مسعدة: المعنى: أولئك هم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بيتك بالحق^(٢). قال: وقال بعض العلماء: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ^(٣).

وقال عكرمة: المعنى: أطيعوا الله ورسوله كما أخرجك^(٤). وقيل: «كَمَا أَخْرَجَكَ» متعلق بقوله: ﴿هَلُمَّ دَرَجَاتِكُمْ﴾ المعنى: لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم، أي: هذا الوعد للمؤمنين حق في الآخرة كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له، فَأَنْجَزَكَ^(٥) وعدك، وأظفرك بعدوك وأوفى لك؛ لأنه قال عز وجل: ﴿وَإِذْ يَبْعُدُكُمْ اللَّهُ بِإِحْسَانٍ وَأَنَّهَا لَكُمُ﴾ [الأنفال: ٧]. فكما أنجز هذا الوعد في الدنيا؛ كذا يُنجزكم ما وعدكم به في الآخرة. وهذا قول حسن ذكره النحاس واختاره^(٦).

وقيل: الكاف في «كما» كإف التشبيه، ومخرجه على سبيل المُجازاة؛ كقول القائل لعبده: كما وجهتُك إلى أعدائي فاستضعفوك، وسألت مدداً فأمددتك، وقويتك وأزحتُ علتك؛ فخذهم الآن فعاقبهم بكذا. وكما كسوتك، وأجريتُ عليك الرزق؛

(١) مجاز القرآن ٢٤٠/١ لأبي عبيدة، وأورده النحاس في إعراب القرآن ١٧٦/٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٢/٢. وجواب القسم - على هذا القول -: «بجادلونك في الحق...». وقد ردّ الناس قاطبةً على أبي عبيدة قوله هذا وقالوا: كان ضعيفاً في النحو. كما في الدر المصون ٥٦٠/٥.

(٢) معاني القرآن لسعيد بن مسعدة، وهو الأخفش ٥٤١/٢، ونقله المصنف عنه مع قوله الذي بعده بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧٦/٢. وعلى هذا القول فإن الكاف نعمتٌ لا «حقاً». قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٢/٢: والمعنى على هذا التأويل كما تراه لا يتناسق.

(٣) يعني - على هذا القول - أن الكاف في محل رفع؛ كأنه ابتداء وخبر. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٢/٢: وهذا المعنى وضعه هذا المفسر، وليس من ألفاظ الآية في ورد ولا صدر.

(٤) المحرر الوجيز ٥٠٢/٢، وأخرجه الطبري ٣٣/١١.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): فأنجز.

(٦) في إعراب القرآن ١٧٦/٢ - ١٧٧.

فاعمل كذا وكذا. وكما أحسنتُ إليك فاشكُرني عليه. فقال: كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحقِّ، وعَشَاكم الثُّعَاصَ أَمَنَةً مِنْهُ - يعني به إيَّاه ومن معه - وأنزلَ من السماء ماءً لِيُطَهِّرَكم بِهِ، وأنزلَ عَلَيْكم من السماء مَلَائِكَةً مُرَدِّفِينَ؛ فاضربوا فوقَ الأعناقِ، واضربوا منهم كلَ بَنَانٍ؛ كأنه يقول: قد أزحمتُ عَلَيْكم، وأمددْتُكم بالملائكة؛ فاضربوا منهم هذه المواضع، وهو المَقْتَل؛ لِيَتَّبِعُوا مُرَادَ اللَّهِ فِي إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ. والله أعلم^(١).

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: لكارهون تركَ مَكَّةَ، وتركَ أموالهم وديارهم.

قوله تعالى: ﴿يَجِدُوكُمْ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٢)

قوله تعالى: ﴿يَجِدُوكُمْ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾؛ مجادلَّتْهم: قولُهم لَمَّا نَدَبْتَهُمْ إِلَى الْعَيْرِ^(٣)، وفاتَ الْعَيْرُ، وأمرهم بالقتال، ولم يكن معهم كبيرُ أُهْبَةٍ؛ شقَّ ذلك عليهم، وقالوا: لو أخبرتنا بالقتال لأخذنا العُدَّةَ. ومعنى «في الْحَقِّ» أي: في القتال. «بعد ما بَيَّنَّ» لهم أنك لا تأمرُ بشيءٍ إلا بإذن الله.

وقيل: بعد ما تَبَيَّنَّ لهم أَنَّ اللَّهَ وَعَدَّهُمْ؛ إِمَّا الظَّفَرَ بِالْعَيْرِ أَوْ بِأَهْلِ مَكَّةَ، وإذُ^(٣) فاتَ الْعَيْرُ، فلا بدَّ من أهلِ مَكَّةَ وَالظَّفَرَ بِهِمْ. فمعنى الْإِنْكَارِ لمجادلتهم.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ كراهةٌ لِّلِقَاءِ الْقَوْمِ. ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يعلمون أَنَّ ذَلِكَ واقِعٌ بِهِمْ؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ [النبا: ٤٠] أي: يعلم.

(١) أورد هذا القول أبو حيان في البحر ٤/٤٦٢، وقال: وملخص هذا القول الطويل أن «كما أخرجك»

يتعلق بقوله: «فاضربوا» [الآية: ١٢]، وفيه من الفصل والبعد ما لا يخفى به.

(٢) يعني عَيْرُ أَبِي سَفِيَانَ، والقصة مشهورة، وينظر المحرر الوجيز ٢/٥٠٣.

(٣) في (د) و(ز) و(ظ): وإذا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ عَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَوَةِ تَكُوْثَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ «إِحْدَى» في موضع نصب مفعول ثانٍ. «أَنَّهَا لَكُمْ» في موضع نصب أيضاً بدلاً من «إِحْدَى».

﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي: تحبُّون. ﴿أَنَّ عَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَوَةِ تَكُوْثَ لَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة^(١): أي: غير ذات الحدِّ. والشُّوْكَوَةُ: السُّلَاح. والشُّوْكَ: النَّبْتُ الذي له حَدٌّ؛ ومنه رجلٌ شَانِكُ السُّلَاحِ، أي: حديدُ السُّلَاحِ. ثُمَّ يُقَلَّبُ فيقال: شَاكِي السُّلَاحِ^(٢). أي: تودُّونَ أَنْ تَقْفَرُوا بالطائفة التي ليس معها سلاحٌ ولا فيها حرب؛ عن الزجاج^(٣). ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: أَنْ يُظْهِرَ الإسلامَ. وَالْحَقُّ حَقٌّ أَبَدًا، ولكن إظهاره تحقيقٌ له من حيثُ إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ أَشْبَهَ الْبَاطِلَ^(٤).

«بِكلماته» أي: بوعده؛ فإنه وَعَدَ نَبِيَّهَ ذلك في سورة الدخان فقال: ﴿يَوْمَ تَبِطُّ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الآية: ١٦] أي: من أبي جهلٍ وأصحابه. وقال: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةً﴾^(٥) [التوبة: ٣٣]. وقيل: «بِكلماته» أي: بأمره إِنَّا كُمْ أَنْ تُجَاهِدُوهُمْ^(٦). ﴿وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يَسْتَأْصِلُهُم بِالْهَلَاكِ.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي: يُظْهِرَ دِينَ الإسلامِ وَيُعْزِّه. ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي: الكُفْرَ. وإبطاله: إعدامه؛ كما أَنَّ إِحْقَاقَ الْحَقِّ إِظْهَارُهُ؛ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا

(١) في مجاز القرآن ١/ ٢٤١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧٧/٢، وما قبله منه.

(٢) تهذيب اللغة ١٠/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٤٠٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٧٧/٢.

(٤) تفسير الرازي ١٥/ ١٢٨.

(٥) زاد المسير ٣/ ٣٢٤.

(٦) تفسير الطبري ١١/ ٤٩.

هُوَ زَاهِقٌ ﴿[الأنبياء: ١٨]﴾. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَتَطْمَئِنُّ بِيهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الاستغاثة: طلب العَوْتِ والنَّصْرِ. عَوْتُ الرجل؛ قال: وَاغْوَتْهُ. والاسمُ: العَوْتُ والعَوَاتُ والعَوَاتُ. واستغاثني فلان فَاغْتَه، والاسمُ: الغِيَاثُ؛ عن الجوهري^(١).

وروى مسلم^(٢) عن عمر بن الخطاب ؓ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهَمَّ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا^(٣)؛ فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ». فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ. فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ^(٤) مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. وذكر الحديث.

﴿مُرَدِّفِينَ﴾ بفتح الدال قراءة نافع. والباقون بالكسر؛ اسم فاعل^(٥)، أي:

(١) الصحاح (غوث).

(٢) في صحيحه (١٧٦٣)، وهو عند أحمد (٢٠٨)، وسلف ٢٩٦/٥.

(٣) رواية المطبوع من صحيح مسلم: ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً، والرواية أعلاه هي رواية المفهم ٥٧٢/٣، قال أبو العباس القرطبي: والمشهور بين أهل التواريخ أن جميع من شهد بدرًا مع من ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ فِي عَدُوِّ ابْنِ إِسْحَاقَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَفِي عَدَدِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم ٨٥/١٢: وقع لجماهير رواة مسلم: كذلك، بالذال، ووقع لبعضهم: كفاك، بالفاء.

(٥) السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦.

مُتَابِعِينَ^(١)، تأتي فرقة بعد فرقة، وذلك أهيب في العيون.

و«مُرْدَفِينَ» بفتح الدال على ما لم يُسَمَّ فاعله؛ لأنَّ النَّاسَ الَّذِينَ قَاتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ أُرْدِفُوا بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ أَي: أَنْزِلُوا إِلَيْهِمْ لِمَعُونَتِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ. فـ «مُرْدَفِينَ» بفتح الدال نعتٌ لـ «ألفٍ». وقيل: هو حالٌ من الضمير المنصوب في «مُجِدِّكُمْ». أي: مُجِدِّكُمْ فِي حَالِ إِرَادَتِكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(٢)، وهذا مذهبٌ مجاهد^(٣).

وحكى أبو عبيدة^(٤): أَنْ رَدَفَنِي وَأَرَدَفَنِي وَاحِدًا. وأنكر أبو عبيد أن يكون أردف بمعنى ردف، قال: لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]، ولم يقل: المُرْدَفَةُ.

قال النحاس ومكي^(٥) وغيرهما: وقراءة كسر الدال أولى؛ لأنَّ أهلَ التَّوَابِلِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يُفَسِّرُونَ. أي: أَرْدَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ولأنَّ فِيهَا مَعْنَى الْفَتْحِ عَلَى مَا حَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ، وَلِأَنَّ عَلَيْهِ أَكْثَرَ الْقُرَّاءِ.

قال سيويه: وقرأ بعضهم: «مُرْدَفِينَ» بفتح الراء وشذ الدال، وبعضهم: «مُرْدَفِينَ» بكسر الراء. وبعضهم: «مُرْدَفِينَ» بضم الراء. والدال مكسورة مشددة في القراءات الثلاث. فالقراءة الأولى تقديرها عند سيويه: مُرْتَدِفِينَ، ثُمَّ أَدْغَمَ التَّاءَ فِي الدَّالِ، وَأَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الرَّاءِ لِثَلَا يَلْتَقِيَ سَاكِنَانِ. والثانية كُثِرَتْ فِيهَا الرَّاءُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ. وَضُمَّتِ الرَّاءُ فِي الثَّلَاثَةِ لِتَبَاعًا لِضَمَةِ الْمِيمِ؛ كَمَا تَقُولُ: رُدُّ يَا هَذَا^(٦).

وقرأ جعفر بن محمد وعاصم الجحدري: «بألف» جمع ألف؛ مثل فُلْسٍ وَأَفْلَسٍ.

(١) أخرجه الطبري ٥٤/١١ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٨٩/١.

(٣) ذكره النحاس في إعراب القرآن ١٧٨/٢.

(٤) في مجاز القرآن ٢٤١/١، ونقله المصنف عنه بواسطة الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٨٩/١.

(٥) قول النحاس في إعراب القرآن ١٧٨/٢، وما قبله منه، وقول مكي في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٨٩/١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٢، وينظر كتاب سيويه ٤٤٤/٤، والمحتسب ٢٧٣/١.

وعنه أيضاً: «بالآف»^(١).

وقد مضى في «آل عمران» ذكرُ نُزولِ الملائكةِ وسيماهم وقتالهم. وتقدّم فيها القولُ في معنى قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾^(٢). والمراد الإمداد. ويجوز أن يكون الإرداف.

﴿وَمَا أَلْتَمِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ نَبّه على أن النصر من عنده جلّ وعزّ؛ لا من الملائكة، أي: لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة. والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجّة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِيْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ﴾ مفعولان. وهي قراءة أهل المدينة^(٣)، وهي حسنة لإضافة الفعل إلى الله عزّ وجلّ لتقدّم ذكره في قوله: ﴿وَمَا أَلْتَمِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. ولأنّ بعده: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ﴾، فأضاف الفعل إلى الله عزّ وجلّ. فكذلك الإغشاء يُضاف إلى الله عزّ وجلّ ليتشاكل الكلام.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يَغَشِّبُكُمُ النَّعَاسُ»^(٤) بإضافة الفعل إلى النَّعَاسِ. دليله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّيٰنَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] في قراءة من قرأ بالياء أو بالتاء^(٥)؛ فأضاف الفعل إلى النَّعَاسِ أو الأمانة. والأمانة هي النَّعَاسُ، فأخبر أن النَّعَاسَ هو الذي يَغشى القوم.

(١) وزن: أحمال، كما في الدرّ المصون ٥/٥٦٦، ووقع في النسخ: بالث. وينظر القرلوات الشاذة ص ٤٩، والمححر الوجيز ٢/٥٠٤.

(٢) ٥/٢٩٦ - ٢٩٩ و ٣٠٤.

(٣) يعني بضم الياء وسكون الفين، وكسر الشين المخففة، وبعدها ياء ساكنة، ونصب «النعاس»، وقرأ بها نافع وأبو جعفر. السبعة ص ٣٠٤، والنشر ٢/٢٧٦ وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٩. (ووقع سقط في مطبوع التيسير ص ١١٦).

(٤) السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦.

(٥) قرأ حمزة والكسائي من السبعة: «تغشى» بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وسلفت ٥/٣٧٠.

وقرأ الباقر: «يُعَشِّيَكُم» [بضم الياء و] بفتح الغين وشدّ الشين^(١). «النعاس» بالنصب على معنى قراءة نافع، لغتان بمعنى؛ عَشَى وأَعَشَى، قال الله تعالى: ﴿فَأَعَشَيْنَاهُمُ﴾ [يس: ٤٩]. وقال: ﴿فَنَشْنَاهَا مَا عَشَى﴾ [النجم: ٥٤]. وقال: ﴿كَأَنَّمَا أَغَشِيَتِ وَجُوهَهُمْ﴾ [يونس: ٢٧].

قال مكّي^(٢): والاختيار ضمُّ الياء والتشديد ونصبُ النعاس؛ لأنَّ بعده ﴿أَمَنَةً﴾ والهاء في «منه» لله، فهو الذي يُعَشِّيهِمُ النعاس، ولأنَّ الأكثرَ عليه. وقيل: أمانة من العدو.

﴿أَمَنَةً﴾ مفعولٌ من أجله أو مصدر؛ يقال: أَمِنَ أَمَنَةً وَأَمْنًا وَأَمَانًا^(٣)، كلُّها سواء.

والنعاسُ حالةُ الأمن الذي لا يخاف. وكان هذا النعاسُ في الليلة التي كان القتالُ من عَديها، فكان النومُ عجيبياً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المُهِمِّ، ولكنَّ الله رَبَّظَ جَاشَهُمْ. وعن عليٍّ ؑ قال: ما كان فينا فارسٌ يومَ بدرٍ غيرُ المِقْدَادِ على فرسٍ أَبْلَقٍ، ولقد رأيتُنا وما فينا إلَّا نائمٌ إلَّا رسولَ الله ﷺ تحت شجرةٍ يُصلي ويكي حتى أصبح. ذكره البيهقي^(٤).

الماوردي^(٥): وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان: أحدهما: أن قَوَّاهم بالاستراحة على القتال من الغد. الثاني: أن أَمَّنَهُم بزوال الرُّعب من قلوبهم؛ كما يقال: الأَمْنُ مُنِيمٌ، والخوفُ مُسْهِرٌ. وقيل: عَشَّاهم في حال التقاء الصَّفِّين. وقد مضى مثلُ هذا في يوم أُحُدٍ في «آل عمران»^(٦).

(١) السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦.

(٢) في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٨٩/١ - ٤٩٠ وما قبله وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٢.

(٤) في دلائل النبوة ٣٨/٣ - ٣٩، وهو في مستند أحمد (١٠٢٣).

(٥) في النكت والعيون ٢٩٩/٢.

(٦) ٣٦٩/٥.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِيضَ الشَّقِيظِينَ وَيُلْغِطُ عَلَيْكُمْ قُلُوبِكُمْ وَبَيَّنَّتْ فِي الْأَقْدَامِ﴾ ظاهر القرآن يدل على أَنَّ النُّعَاسَ كان قبل المطر. وقال ابن أبي نَجِيح: كان المطرُ قبل النُّعَاسِ^(١).

وحكى الزجاج^(٢): أَنَّ الكُفَّارَ يَوْمَ بدرٍ سبقوا المؤمنين إلى ماء بدرٍ فنزلوا عليه، وبقي المؤمنون لا ماء لهم^(٣)، فَوَجَسَتْ^(٤) نفوسهم، وعَطَشُوا، وأجنبوا، وصلُّوا كذلك، فقال بعضهم في نفوسهم بالقاء الشيطان إليهم: نزعنا أئاماً أولياء الله وفينا رسوله وحائناً هذه والمشركون على الماء! فأنزل الله المطرَ ليلة بدرٍ السابعة عشرة من رمضان حتَّى سالت الأودية، فشربوا وتطهَّروا وسَقُوا الظَّهْرَ، وتلبَّدت السَّبْخَةُ^(٥) التي كانت بينهم وبين المشركين حتَّى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال.

وقد قيل: إِنَّ هذه الأحوال كانت قبل وصولهم إلى بدرٍ؛ وهو أصح، وهو الذي ذكره ابنُ إسحاق في سيرته^(٦) وغيره. وهذا اختصاره:

قال ابن عباس: لَمَّا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بأبي سفيان أَنَّهُ مُقْبِلٌ مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْرٌ قَرِيشٍ فِيهَا الْأَمْوَالُ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفِلَكُمُوهَا» قَالَ: فَانْبَعَثَ مَعَهُ مَنْ خَفَتْ؛ وَثَقُلَ قَوْمٌ وَكَرِهُوا الْخُرُوجَ، وَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَلُوي عَلَى مَنْ تَعَدَّرَ، وَلَا يَنْتَظِرُ مَنْ غَابَ ظَهْرُهُ، فَسَارَ فِي ثَلَاثِ مِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ مِهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ.

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال: كان المهاجرون يوم بدرٍ نيفاً وثمانين،

(١) أخرجه الطبري ٦٦/١١ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) في معاني القرآن ٤٠٣/٢ - ٤٠٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٦/٢ .

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٠٧/٢ : والصحيح من القول... أن المؤمنين سبقوا إلى الماء بيدر، وفي هذا كلام حباب بن المنذر حين نزل رسول الله ﷺ على أول الماء... وسياتي.

(٤) في (ظ): فوحشت.

(٥) السَّبْخَةُ: الأرض المالحة والتي تسوخ فيها الأقدام. اللسان (سبخ).

(٦) كما في السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٦/١ - ٦٠٧ ، وأخرجه من طريق ابن إسحاق الطبري ٤١/١١ .

وكان الأنصارُ نيفاً وأربعين وميتين^(١). وخرَجَ أيضاً عنه قال: كُنَّا نتحدَّثُ أَنَّ أصحابَ محمدٍ ﷺ كانوا ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشر، على عِدَّةٍ^(٢) أصحابِ طالوتَ الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزَ معه إلا مؤمن^(٣).

وذكر البيهقي^(٤) عن أبي أيوب الأنصاري قال: فخرجنا. يعني إلى بدر؛ فلَمَّا سيرنا يوماً أو يومين؛ أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نَعْمَدَ، ففعلنا؛ فإذا نحن ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشر رجلاً، فأخبرنا النبي ﷺ بعدتنا، فسُرَّ بذلك وحمِدَ الله وقال: «عِدَّةُ أصحابِ طالوت».

قال ابن إسحاق^(٥): وقد ظنَّ النَّاسُ بأجمعهم أَنَّ رسولَ الله ﷺ لا يَلْقَى حَرْباً؛ فلم يَكْثُر استعدادُهم. وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسَّسُ^(٦) الأخبارَ، ويسألُ مَنْ لَقِيَ من الرُّكبانِ تخوفاً على أموالِ الناسِ، حتى أصابَ خبراً من بعض الرُّكبانِ أَنَّ محمداً رسولَ الله ﷺ قد استنفرَ لكم النَّاسَ؛ فَحَدِرَ عند ذلك، واستأجرَ ضَمُضَمَ بنَ عمرو الغفاري، وبعثه إلى مكَّة، وأمره أن يأتيَ قريشاً يستنفرهم إلى

(١) كذا قال المصنف رحمه الله، والذي في صحيح البخاري (٣٩٥٦) من طريق شعبة: كان المهاجرون يوم بدر ثيفاً على ستين... وأما الرواية التي ذكرها المصنف أعلاه، فقد أخرجها الحاكم في المستدرک ٢١/٣ من طريق آخر عن شعبة، وذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٩١/٧ وقال: وهو خطأ في هذه الرواية لإطباق أصحاب شعبة على ما وقع في البخاري. ا.هـ. وينحو ما ذكره المصنف عن عدد المهاجرين أخرج به البخاري أيضاً (٤٠٢٦) عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قال: .. فجميع من شهد بدرأ من قريش ممن ضرب له بسهمه أحدٌ وثمانون رجلاً. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٢٦/٧: فيجمع بينهما بأن حديث البراء أورد فيمن شهدها حساً وحديث الباب (يعني حديث ابن شهاب) فيمن شهدها حساً وحكماً...

(٢) في (د) و(م): عدد، والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ).

(٣) صحيح البخاري (٣٩٥٩).

(٤) في دلائل النبوة ٣٧/٣.

(٥) كما في السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٧/١. وهو في أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٩/٢.

(٦) في السيرة النبوية: يتحسس (بالحاء) قال الشَّهلي في الروض الأنف ٤٣/٣: التحسس - بالحاء - أن تسمع الأخبار بنفسك، والتجسس - بالجيم -: أن تفحص عنها بغيرك.

أموالهم، ويُخبرهم أن محمداً ﷺ قد عَرَضَ لها في أصحابه، ففعل ضَمُّصَم. فخرج أهلُ مَكَّةَ في ألفِ رجلٍ أو نحو ذلك، وخرج النبي ﷺ في أصحابه، وأتاه الخبرُ عن قريشٍ بخروجهم لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ، فاستشار النبي ﷺ النَّاسَ، فقام أبو بكر فقال فأحسن، وقام عمرُ فقال فأحسن، ثم قام المِقْدَادُ بن عمرو فقال: يا رسولَ الله، إِمضِ لِمَا أَمَرَكَ اللهُ، فتنحَنُ معك، واللَّهِ، لا نَقولُ كما قالت بنو إسرائيل: «اذْهَبْ أنت وربُّك فقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» [المائدة: ٢٤]، ولكن اذْهَبْ أنت وربُّك فقَاتِلَا، إِنَّا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحقِّ، لو سِرْتَ إلى بَرَكِ العِمَادِ - يعني مدينة الحبشة^(١) - لَجَالِدْنَا معك من دونه؛ فَسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ ودعا له بخير. ثم قال: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» يريدُ الأنصار. وذلك أَنَّهُم عَدَدُ النَّاسِ، وكانوا حين بايعوه بالعَقَبَةِ قالوا: يا رسولَ الله، إِنَّا بُرَاءُ من ذِمَامِكَ حتى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ في ذِمَّتِنَا، نمنعُك ممَّا نمنعُ منه أَنْفُسَنَا وأبْنَاءَنَا ونسَاءَنَا.

فكان رسولُ الله ﷺ يَتَخَوَّفُ ألا تكون الأنصارُ ترى أن عليها نُصْرَتَهُ إلا بالمدينة، وأنه ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوِّ بغير بلادهم. فلَمَّا قال ذلك رسولُ الله ﷺ كلَّمه سعدُ بن معاذٍ - وقيل: سعد بن عُبادة، ويمكنُ أَنَّهُمَا تكلَّمَا جميعاً في ذلك اليوم - فقال: يا رسولَ الله، كأنَّكَ تريدُنَا معشرَ الأنصارِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «أجل». فقال: إِنَّا قد آمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ، فامضِ لِمَا أَمَرَكَ اللهُ، فوالذي بعثك بالحقِّ، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخضتَه لخضنَاهُ معك. فقال رسولُ الله ﷺ: «امضُوا على بركةِ الله، فكأنِّي أنظرُ إلى مصارعِ القومِ»^(٢).

(١) عزاه السُّهيلي في الروض الأنف ٤٥/٣ لبعض كتب التفسير. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٣٢/٧: هو موضع على خمس ليالٍ من مكة إلى جهة اليمن. وقيل: هي أقاصي هجر، وقيل: هو في أقصى اليمن. قال الحافظ ابن حجر: والأول أولى.

(٢) السيرة النبوية ٦١٤/١ - ٦١٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٨٢٩/٢. وأخرجه بتمامه الطبري ٤١/١١ - ٤٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه مختصراً أحمد (١٣٢٩٦) و(١٣٢٩٧)، ومسلم (١٧٧٩) من حديث أنس بن مالك ؓ، وفيهما أن الذي تكلَّم عن الأنصار هو سعد بن عبادَةَ. قال =

فمضى رسول الله ﷺ وسبق قريشاً إلى ماء بدر. ومنع قريشاً من السَّبِقِ إليه مطرٌ عظيمٌ أنزله الله عليهم، ولم يُصِيبْ منه المسلمين إلا ما شدَّ لهم دَهَسَ الوادي وأعانهم على المَسِيرِ. والدَّهَسُ: الرملُ اللينُ الذي تسوخُ فيه الأرجلُ. فنزل رسولُ الله ﷺ على أدنى ماءٍ من مياه بدرٍ إلى المدينة، فأشارَ عليه الحُجَّابُ بنُ المنذرِ بنِ الجُمُوحِ^(١) بغير ذلك وقال له: يا رسولَ الله، أرايتَ هذا المنزلَ، أمزَلٌ^(٢) أنزَلَكهُ اللهُ؛ فليس لنا أن نتقدَّمه أو نتأخَّرَ عنه، أم هو الرأيُّ والحربُ والمَكِيدَةُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «بل هو الرأيُّ والحربُ والمَكِيدَةُ». فقال: يا رسولَ الله، إنَّ هذا ليس لك بمنزل، فانهض بنا إلى أدنى ماءٍ من القومِ فنزلهُ ونُغَوِّزْ^(٣) ما وراءه من القَلْبِ^(٤)، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه فنشربُ ولا يشربون. فاستحسنَ رسولُ الله ﷺ ذلك من رأيه، وفعلهُ.

ثم التَقُوا، فنصرَ الله نبيَّهُ والمسلمين، فقتَلَ من المشركين سبعين وأَسَرَ منهم سبعين^(٥)، وانتَقَمَ منهم للمؤمنين، وشفى الله صَدْرَ رسوله عليه الصلاة والسلام وصدورَ أصحابه من غَيْظِهِمْ. وفي ذلك يقول حسان^(٦):

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ كَمَحَطِّ الوَحْيِ فِي الوَرَقِ القَشِيبِ^(٧)

= الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٨٨/٧ : فيه نظر؛ لأن سعد بن عباد لم يشهد بدرأ وإن كان يُعَدُّ فيهم لكونه ضرب له بسهمه.. ووقع عند الطبراني أن سعد بن عباد قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب. اهـ. وقول المقداد بن عمرو ؓ عند البخاري (٤٦٠٩) من حديث ابن مسعود ؓ.

(١) وقع في النسخ واللُّرر لابن عبد البر ص ١٠٦ - والكلام منه -: الحجاب بن المنذر بن عمرو بن الجموح، والمثبت من الاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الإصابة) ٢٨٧/٢ وغيره من كتب الرجال. والحُجَّاب بن المنذر: أنصاري خزرجي سُلمي، توفي في خلافة عمر رضي الله عنهما. الإصابة ١٩٦/٢ - ١٩٧.

(٢) في (م): أمزلاً.

(٣) في (د) و(ز): نعلول، وهو تحريف، وفي (خ) و(م): نعوور (بالعين المهملة) والمثبت من (ظ) وهو الموافق للثُرر. قال الخشني في شرح غريب السير ٣٥/٢ : من رواه بالعين المعجمة فعنائه: تُذْهِبه وتُدْفِئُه، ومن رواه بالعين المهملة فعنائه: تُسَدِّدُه.

(٤) القَلْبُ: جمع قَلِيب، وهي البئر التي لم تُطَوَّر. النهاية (قلب).

(٥) قاله ابن عباس ؓ ضمن حديث طويل، أخرجه مسلم (١٧٦٣) وسلف ٢٩٧/٥.

(٦) في ديوانه ص ١٢-١٤، وينظر السيرة النبوية ١/٦٣٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٣١ - ٨٣٢.

(٧) الكتيب: كُدْمُ الرَّمْلِ. والقشيب: الجديد. شرح غريب السير للخشني ٢/٤٠ وما بعدها.

تداولها الرياح وكلُّ جَوْنٍ
فامسى رُبُعُهَا خَلْقاً وأمست
فَدَعَّ عَنْكَ التَّدَكُّرُ كُلَّ يَوْمٍ
وَحَبَّرَ بِالذِّي لَا عَيْبَ فِيهِ
بِمَا صَنَعَ الْإِلَهُ غَدَاةَ بَدْرِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءُ
فَلَا قِينَاهُمْ مِنَّا بِجَمْعِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَّرُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ وَازَّرْتَهَا^(٥)
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيعاً
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالِ

من الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبٍ^(١)
يَبَاباً بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ^(٢)
وَرَدُّ حَرَارَةٍ^(٣) الصَّدْرِ الْكَثِيبِ
بِضِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكُذُوبِ
لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْعُرُوبِ
كَأَسْدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خَاظِي الْكُعُوبِ^(٤)
بَنُو النَّجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ^(٦)
وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجَبُوبِ^(٧)
ذَوِي نَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَمِيبٍ^(٨)

(١) الْجَوْنُ: السحاب الأسود، والْوَسْمِيُّ: مطر الخريف. وسَكُوبٌ: كثير السيلان. المصدر السابق.

(٢) الرَّبِيعُ: المنزل ودار الإقامة. اللسان (ربيع) وفي الديوان: رسمها، بدل: ربعها. وقوله: يَبَاباً، أي: قفراً. شرح الخشني.

(٣) فِي الدِّيَانِ: حِزَاة. وهي وجع في القلب من غيظ ونحوه. اللسان (حزز).

(٤) الصَّوَارِمُ: السيوف، والمرهقات: القاطعات. وخواظي الكعوب، معناه: مُكْتَبِرٌ شَدِيدٌ، والكعوب: عَقْدُ الْقَنَا (الرمح). شرح غريب السير ٤٠/٢ - ٤١.

(٥) فِي الدِّيَانِ: آزَرْتَهَا. قال السهيلي في الووض الأنف ٦٣/٣: ولو قال: آزَرْتَهَا - بالهمز - لجاز.. لكن أراد حسان معنى الوزير.

(٦) الْغَطَارِيفُ: السادة، واحدهم غَطْرِيفٌ، وحذف الياء من الغطاريف لإقامة وزن الشعر. الدين الصليب، أي: الشديد. شرح غريب السير ٤١/٢.

(٧) الْجَبُوبُ: وجه الأرض. المصدر السابق.

(٨) فِي الدِّيَانِ: ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا تَسِيبٌ.

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَان حَقًّا
فَمَا نَطَقْتُمْ، وَلَوْ نَطَقْتُمْ لَقَالُوا
قَدَفْنَا هُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ^(١)
وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
أَصَبْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ

وهنا ثلاث مسائل:

الأولى: قال مالك: بلغني أن جبريلَ عليه السلام قال للنبي ﷺ: كيف أهل بدر فيكم؟ قال: «خيارنا» فقال: إنهم كذلك فينا^(٢). فدلَّ هذا على أن شَرَفَ المخلوقات ليس بالذوات، وإنما هو بالأفعال. فللملائكة أفعالها الشريفة من المواظبة على التسبيح الدائم، ولنا أفعالنا بالإخلاص بالطَّاعة، وتتفاضلُ الطاعاتُ بتفضيل الشرع لها، وأفضلها الجهاد، وأفضلُ الجهاد يوم بدر؛ لأنَّ بناءَ الإسلام كان عليه.

الثانية: ودلَّ خروجُ النبي ﷺ لِيَلْقَى الْعِيرَ على جواز النَّقْرِ^(٣) للغنيمة؛ لأنها كَسِبَ حلال. وهو يردُّ ما كرهه مالكٌ من ذلك؛ إذ قال: ذلك قتالٌ على الدنيا^(٤)، وما جاء أنَّ «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٥) دون مَنْ يقاتلُ للغنيمة، يراؤ به إذا كان قصده وحده، وليس للذَّين فيه حظٌّ. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالعير، ليس دونها شيء، فناداه العباسُ - وهو في الأسرى - لا يصلحُ هذا. فقال له النبي ﷺ: «ولم؟» قال: لأنَّ اللهَ وعدك إحدَى الطَّائفتين، وقد أعطاك الله ما وعدك. فقال النبي ﷺ: «صدقت»^(٦). وعَلِمَ ذلك

(١) كباكب، أي: جماعات. شرح غريب السير ٤١/٢.

(٢) نقله المصنف عن ابن العربي في أحكام القرآن ٨٣١/٢ - وما بعده منه - وأخرجه أحمد (١٥٨٢٠) من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والبخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة بن رافع الزرقني.

(٣) في (خ) (د) (و) (م): النفر.

(٤) سلف ٣٦٣/٧.

(٥) أخرجه أحمد (١٩٤٩٣)، والبخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري والكلام إلى آخر هذه المسألة من أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٠/٢ - ٨٣١.

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٢٢) دون قول النبي ﷺ: «صدقت».

العباسُ بحديثِ أصحابِ النبي ﷺ وبما كان من شأنِ بدرٍ، فسمعَ ذلك في أثناء الحديث.

الثالثة: رَوَى مسلمٌ^(١) عن أنس بن مالك أن رسولَ الله ﷺ تركَ قتلى بدرٍ ثلاثاً، ثم قام عليهم فناداهم فقال: «يا أبا جهلِ بنِ هشام، يا أميةَ بنَ خلف، يا عتبةَ بنَ ربيعة، يا شيبَةَ بنَ ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدَ ربكم حقاً؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً». فسمعَ عمرُ قولَ النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، كيف يسمعون، وأنى يُجيبون وقد جئُوا؟ قال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمعَ لِمَا أقولُ منهم، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يُجيبوا». ثم أمر بهم فسُجِّبوا فألقوا في القليب، قليبِ بدر.

«جئُوا» بفتح الجيم والياء، ومعناه: أئتُوا فصاروا جِيعاً.

وقول عمر: «يسمعون» استبعادٌ على حُكم ما جرت به العادة^(٢). فأجابه النبي ﷺ بأنهم يسمعون كَسَمِعِ الأحياء.

وفي هذا ما يدلُّ على أن الموتَ ليس بَعَدَمٍ محضٍ، ولا فناً صرفاً، وإنما هو انقطاعُ تعلقِ الروحِ بالبدنِ ومفارقته، وحيلولةُ بينهما، وتبدُّلُ حالٍ، وانتقالُ من دارٍ إلى دار. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الميْتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِه، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُه؛ إِنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» الحديث. أخرجه الصحيح^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَثِبَتْ بِهٖ الْأَقْدَامُ﴾ الضمير في «به» عائدةٌ على الماء الذي شدَّ دَهَسَ الوادي، كما تقدَّم^(٤). وقيل: هو عائدةٌ على رَبِطِ القلوب؛ فيكون تثيبتُ الأقدام عبارةً عن النصرِ والمعونة في موطنِ الحرب^(٥).

(١) في صحيحه (٢٨٧٤)، وهو عند أحمد (١٣٢٩٦) مطول.

(٢) في النسخ: على ما جرت به حكم العادة، والمثبت من المفهم ١٥١/٧، والكلام منه.

(٣) أخرجه أحمد (١٢٢٧١)، والبخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس ؓ، والكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٠/٢.

(٤) ص ٤٦٣ من هذا الجزء.

(٥) المحرر الوجيز ٥٠٧/٢.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيَاتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ﴾ العاملُ في «إِذْ» «يُنَبِّتُ»، أي: يُنَبِّتُ به الأقدامَ ذلك الوقت. وقيل: العاملُ «ليربط»، أي: وليربط إذ يُوحى. وقد يكون التقدير: أذُكُرُ إذ يُوحى رَبُّكَ إلى الملائكة. ﴿أَنْ مَعَكُمْ﴾ في موضع نصب، والمعنى: بآني معكم، أي: بالنصر والمعونة. «مَعَكُمْ» بفتح العين ظرفٌ، ومن أَسَكَّنَهَا فهي عنده حرف^(١).

﴿فَتَيَاتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بشُرُوهم بالنصر، أو القتالِ معهم، أو الحضورِ معهم من غير قتال؛ فكان المَلَكُ يسير أمامَ الصفِّ في صورة الرجل ويقول: سيروا، فإنَّ الله ناصرُكم^(٢). ويظنُّ المسلمون أنه منهم.

وقد تقدَّم في «آل عمران»^(٣) أنَّ الملائكةَ قاتلت ذلك اليوم. فكانوا يرون رؤوساً تندرُ^(٤) عن الأعناق من غير ضاربٍ يرونه. وسَمِعَ بعضهم قائلاً يسمع قوله ولا يرى شخصه: أقدمُ حيزوم^(٥). وقيل: كان هذا التثبيتُ ذِكرَ رسولِ الله ﷺ للمؤمنين نزولَ الملائكةَ مدداً.

قوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ﴾ تقدَّم في «آل عمران» بيانهُ^(٦).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤٠٤/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٢.

(٢) أورده الواحدي في الوسيط ٤٤٧/٢ ونسبه لمقاتل.

(٣) ٢٩٦/٥.

(٤) أي: تسقط، القاموس (ندر).

(٥) قطعة من قول ابن عباس ؓ، أخرجه مسلم (١٧٦٣)، وسلف ٢٩٧/٥.

(٦) ٣٥٦/٥.

﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ هذا أمرٌ للملائكة. وقيل: للمؤمنين^(١)، أي: اضربوا الأعناق، و«فوق» زائدة؛ قاله الأخفش^(٢) والضحاك وعطية^(٣). وقد روى المسعودي قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله، وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق»^(٤).

وقال محمد بن يزيد: هذا خطأ؛ لأن «فوق» تفيده معنى، فلا يجوز زيادتها، ولكن المعنى أنهم أبيع لهم ضرب الوجوه وما قرب منها^(٥).

وقال ابن عباس: كل هام وجُمجمة^(٦). وقيل: أي: ما فوق الأعناق، وهو الرؤوس؛ قاله عكرمة^(٧).

والضرب على الرأس أبلغ؛ لأن أذى شيء يؤثر في الدماغ. وقد مضى شيء من هذا المعنى في «النساء»، وأن «فوق» ليست بزائدة عند قوله: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾^(٨) [النساء: ١١].

﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال الزجاج^(٩): واحد البنان بنانة، وهي هنا الأصابع وغيرها من الأعضاء. والبنان مشتق من قولهم: أبى الرجل بالمكان: إذا أقام به. فالبنان يُعتمَلُ به ما يكون للإقامة والحياة. وقيل: المراد بالبنان هنا أطراف

(١) الوسيط للواحد ٤٤٨/٢ .

(٢) في معاني القرآن ٥٤١/٢ - ٥٤٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٧٠/١١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٠/١٢ ، والطبري ٧٠/١١ من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرسلًا.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٢ .

(٦) ذكره الواحلي في الوسيط ٤٤٨/٢ من قول عطية، وقوله: هام: هو جمع هامة، وهي الرأس. الصحاح (هم).

(٧) أخرجه الطبري ٧١/١١ .

(٨) ١٠٥/٦ .

(٩) في معاني القرآن ٤٠٥/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٢ .

الأصابع من اليدين والرجلين. وهو عبارة عن الثبات في الحرب وموضع الضرب؛ فإذا ضربت البنان؛ تعطل من المضروب القتال بخلاف سائر الأعضاء^(١).

قال عترة:

وكان فتى الهنجا يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كل بنان^(٢)
ومما جاء أن البنان الأصابع قول عترة أيضاً:

وأن الموت طوع يدي إذا ما وصلت بناتها بالهندواني^(٣)
وهو كثير في أشعار العرب، البنان: الأصابع.

قال ابن فارس^(٤): البنان: الأصابع، ويقال: الأطراف. وذكر بعضهم أنها سُميت بناناً لأن بها صلاح الأحوال التي بها يستقر الإنسان ويبن. وقال الضحاک: البنان كل مفصل^(٥).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوْقُوْهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾ «ذلك» في موضع رفع على الابتداء [أو خبراً]، والتقدير: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك^(٦). «شاقوا الله» أي: أولياءه. والشقاق: أن يصير كل واحد في شق. وقد تقدم^(٧).

﴿ذَلِكَ كُمْ فَذُوْقُوْهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابَ النَّارِ﴾ قال الزجاج^(٨): «ذلكم» رفع

(١) المحرر الوجيز ٥٠٨/٢ .

(٢) ديوان عترة ص ٧٠ ، وفيه: لدى، بدل: فتى.

(٣) ديوان عترة ص ٧٢ ، وقوله: بالهندواني: هو السيف المطبوع من حديد الهند. الصحاح (هند).

(٤) مجمل اللغة ١١٤/١ .

(٥) أخرجه الطبري ٧٢/١١ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٢ ، وما بين حاصرتين منه.

(٧) ٤١٩/٢ .

(٨) في معاني القرآن ٤٠٧/٢ .

بإضمار الأمر أو القصة، أي: الأمرُ ذلكم فذوقوه. ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ بـ «ذوقوا»؛ كقولك: زيداً فاضربه^(١). ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين.

«وأن» في موضع رفعٍ عطف على «ذلكم». قال الفراء^(٢): ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ؛ بمعنى: ويأن للكافرين. قال: ويجوز أن تُضمَر: واعلموا أن الزَّجاج^(٣): لو جازَ إضمارُ: واعلموا لجازَ زيدٌ منطلقاً، وعمراً جالساً، بل كان يجوز في الابتداء: زيداً منطلقاً؛ لأنَّ المُخبر مُعلِّمٌ، وهذا لا يقوله أحدٌ من النحويين.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَوْلِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَيْكَ فَشَرٌّ لَّكَ فَمَا يُغْنِيكَ عَنِ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿زَحَفَا﴾ الرَّحْفُ: الدُّنُوُّ قليلاً قليلاً. وأصله الاندفاعُ على الألية؛ ثم سُمِّي كلُّ ما مشى في الحرب إلى آخرَ زاحفاً^(٤). والتزاحفُ: التَّدَانِي والتقارب؛ يقال: زحف إلى العدو زحفاً. وازدحفت القومُ، أي: مشى بعضهم إلى بعض. ومنه زحافتُ الشَّعر، وهو أن يسقط بين الحرفين حرفٌ فيزحف أحدهما إلى الآخر^(٥).

يقول: إذا تدانيتُم وتعاينتُم فلا تفرُّوا عنهم، ولا تُعظوهم أدباركم. حرَّم الله ذلك على المؤمنين حين فرَضَ عليهم الجهادَ وقاتل الكفار^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٥٠٩/٢.

(٢) في معاني القرآن له ٤٠٥/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٨١/٢.

(٣) في معاني القرآن له ٤٠٨/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٨١/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥٠٩/٢.

(٥) تهذيب اللغة ٣٧١/٤.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٢/٢.

قال ابن عطية: والأدبارُ جمع دُبُر. والعبارة بالدُّبُر في هذه الآية متمكِّنة الفصاحة؛ لأنها بِشِعَّة على الفارِّ، ذامَّة له^(١).

الثانية: أمر الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية ألا يُؤلِّيَ المؤمنون أمام الكفار. وهذا الأمرُ مقيَّدٌ بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين؛ فإذا لَقِيَتْ فِتْنَةٌ من المؤمنين فِتْنَةٌ - هي ضِعْفٌ - من المشركين؛ فالفرضُ ألا يَفِرُّوا أمامهم. فمن فرَّ من اثنين فهو فارٌّ من الرَّحْف. ومن فرَّ من ثلاثة فليس بفارٌّ من الرَّحْف، ولا يتوجَّه عليه الوعيد. والفرارُ كبيرةٌ موبقةٌ بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة^(٢).

وقالت فرقةٌ منهم ابن الماجشون في «الواضحة»: إنَّه يُراعى الضَّعْف والقوَّة والعُدَّة، فيجوزُ على قولهم أن يَفِرَّ مئةُ فارسٍ من مئة فارس إذا عَلِموا أن ما عند المشركين من النَّجدة والبَسالة ضِعْفٌ ما عندهم. وأمَّا على قول الجمهور فلا يحلُّ فرار مئةٍ إلا مِمَّا زادَ على المئتين^(٣). فمهما كان في مقابلة مسلم أكثر من اثنين؛ فيجوزُ الانهزام، والصبر أحسن. وقد وقف جيشُ مُؤتَةَ وهم ثلاثة آلاف في مقابلة مئتي ألف، فيهم مئة ألف من الروم، ومئة ألف من المُستعربة من لَحْم وجُدَام.

قلت: ووقع في تاريخ فتح الأندلس، أن طارِقاً^(٤) مولى موسى بن نصير سار في ألف وسبع مئة رجلٍ إلى الأندلس، وذلك في رجب سنة ثلاثٍ وتسعين من الهجرة^(٥)؛ فالتقى ومليك الأندلس لُذريق وكان في سبعين ألف عِنان، فزحف إليه

(١) المحرر الوجيز ٥١٠/٢، دون قوله: الأدبار جمع دبر.

(٢) في (د) و(ز) و(ظ): الأمة.

(٣) المحرر الوجيز ٥١٠/٢.

(٤) كان أميراً على طنجة بأقصى المغرب، هزم الفرنج، وانتح قرطبة، وكتب بالنصر إلى مولاة موسى بن نصير، فحسده وتوغَّده، ثم قبض عليه وأساء إليه. وموسى بن نصير: هو أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، حجَّ مع سليمان، فمات بالمدينة. السير ٤٩٦/٤ و ٥٠٠.

(٥) في تاريخ الطبري ٤٦٨/٦، والمنتهى ٣٠٣/٦، والكامل لابن الأثير ٥٦١/٤ - ٥٦٢ أن فتح الأندلس سنة اثنين وتسعين من الهجرة، وأن عدد جيش المسلمين اثنا عشر ألفاً.

طارقٌ وصَبْرٌ له، فَهَزَمَ اللَّهُ الطَّاغِيَةَ لُدْرِيْقٍ، وَكَانَ الْفَتْحُ.

قال ابن وهب: سمعتُ مالكا يُسأل عن القوم يُلْقون العدوَّ أو يكونون في محرسٍ يحْرُسون، فيأتيهم العدوُّ وهم يسيرون، أيقَاتلون أو ينصرفون فيؤذنون أصحابهم؟ قال: إن كانوا يَفْوُونَ على قتالهم قاتلوهم، وإلا انصرفوا إلى أصحابهم فأذنُوهم^(١).

الثالثة: واختلفَ النَّاسُ هل الفِراؤُ يومَ الرَّحْفِ مخصوصٌ بيومِ بدرٍ، أم عامٌّ في الزحوفِ كُلِّها إلى يومِ القيامةِ؟ فرُوِيَ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أنَّ ذلكَ مخصوصٌ بيومِ بدرٍ، وبه قال نافعٌ والحسنُ وقتادةٌ ويزيدُ بنُ أبي حبيبٍ والضَّحَّاكُ^(٢)، وبه قال أبو حنيفة^(٣). وأنَّ ذلكَ خاصٌّ بأهلِ بدرٍ، فلم يكن لهم أنْ ينحازوا، ولو انحازوا لانحازوا للمشركين، ولم يكن في الأرضِ يومئذٍ مسلمونٌ غيرهم، ولا للمسلمين فتنةٌ إلاَّ النبي ﷺ، فأما بعد ذلك فإنَّ بعضَهم فتنةٌ لبعض.

قال الكيا^(٤): وهذا فيه نظرٌ، لأنَّه كان بالمدينة خلقٌ كثيرٌ من الأنصار، لم يأمرهم النبي ﷺ بالخروج، ولم يكونوا يرونَ أنَّه قتالٌ، وإنما ظنُّوا أنَّها العير؛ فخرجَ رسولُ الله ﷺ فيمن خَفَّ معه.

ويروى عن ابن عباسٍ وسائرِ العلماء أنَّ الآيةَ باقيةٌ إلى يومِ القيامةِ^(٥).

احتجَّ الأولون بما ذكرنا، ويقولون تعالى: «يومئذٍ»، فقالوا: هو إشارةٌ إلى يومِ بدرٍ، وأنَّه نُسِخَ حُكْمُ الآيةِ بآيةِ الضَّعْفِ^(٦). وبقي حُكْمُ الفِراؤِ من الرَّحْفِ ليس بكبيرة. وقد فرَّ النَّاسُ يومَ أُحُدٍ، فعفا الله عنهم، وقال الله فيهم يومَ حُنينٍ: ﴿ثُمَّ وَكَلْتُمْ

(١) الكافي لابن عبد البر ٤٦٤/١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٢/٢، وقول أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ أخرجه الطبري ٧٧/١١.

(٣) النكت والعيون ٣٠٤/٢.

(٤) في أحكام القرآن ١٥٣/٣، والكلام السابق فيه مختصر.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٢/٢.

(٦) يعني قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا

مِثَّتَيْنِ...﴾ [الأنفال: ٦٦].

مُذَرِّبِينَ ﴿ [التوبة: ٢٥]، ولم يقغ على ذلك تعنيف.

وقال الجمهور من العلماء: إنّما ذلك إشارة إلى يوم الرّحف الذي يتضمّنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ﴾. وحكم الآية باقي إلى يوم القيامة بشرط الضّعف الذي بيّنه الله تعالى في آية أخرى، وليس في الآية نسخ^(١). والدليل عليه أنّ الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه^(٢). وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأكثر العلماء.

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة^(٣) أنّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»: وفيه: «والتولي يوم الرّحف» وهذا نص في المسألة. وأما يوم أحد فإنّما فرّ الناس من أكثر من ضعفهم^(٤) ومع ذلك عُنّفوا. وأما يوم حنين فكذلك من فرّ إنّما انكشف عن الكثرة؛ على ما يأتي بيانه^(٥).

الرابعة: قال ابن القاسم: لا تجوز شهادة من فرّ من الرّحف. ولا يجوز لهم الفرار وإن فرّ إمامهم؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ الآية. قال: ويجوز الفرار من أكثر من ضعفهم^(٦). وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً؛ فإن بلغ اثني عشر ألفاً لم يحلّ لهم الفرار، وإن زاد عدد المشركين على الضّعف؛ لقول رسول الله ﷺ: «ولن يُغلبَ اثنا عشر ألفاً من قلة»^(٧) فإن أكثر أهل العلم خصّصوا هذا العدد بهذا الحديث من عموم الآية.

قلت: رواه أبو بشرٍ وأبو سلمة العاملي - وهو الحكم بن عبد الله بن حطّاف،

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٣٣.

(٣) الحديث (٨٩)، وهو عند البخاري (٢٧٦٦).

(٤) في (خ) و(ظ): ضعفيهم، والكلام في المحرر الوجيز ٢/ ٥١٠.

(٥) في سورة التوبة عند تفسير الآية (٢٥) منها.

(٦) في (خ) و(ظ): ضعفيهم. وينظر قول ابن القاسم في النوار والزيادات ٣/ ٥٤ بنحوه.

(٧) النوار والزيادات ٣/ ٥٣، وسيأتي تخريج الحديث بعده.

وهو متروك - قالوا : حَدَّثَنَا الرَّهْرِيُّ، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال : «يا أَكْثَمُ بنِ الْجَوْنِ، أُعْزُّ مع غير قومك يَحْسُنُ خُلُقُكَ، وتكرم على رُفَقائِكَ. يا أَكْثَمُ بنِ الْجَوْنِ، خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ، وخَيْرُ الطَّلَاعِ أَرْبَعُونَ، وخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِثَّةٍ، وخَيْرُ الْجِيوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُؤْتَى اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ»^(١).

رُوِيَ عن مالك ما يدلُّ على ذلك من مذهبه، وهو قوله لِلْعَمَرِيِّ العابد^(٢) إِذْ سَأَلَهُ : هل لك سَعَةٌ في ترك مجاهدةٍ مَن غَيْرِ الأحكامِ وبِدَلْهَا؟ فقال : إنْ كان معك اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا فلا سَعَةٌ لك في ذلك^(٣).

الخامسة : فَإِنَّ فَرًّا فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. روى الترمذيُّ عن بلال بن يسار بن زيد قال : حَدَّثَنِي أَبِي عن جَدِّي، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول : «مَنْ قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَإِنْ كان قد فَرَّ سِنَ الرَّحْفِ». قال : هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ»^(٤).

السادسة : قوله تعالى : ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَيْهِ﴾ التحريف : الزوال عن جهة الاستواء. فالمتحرف من جانب إلى جانب لمكايد الحرب غير مُنهزم؛ وكذلك المتحيز إذا نوى التحيز إلى فئة من المسلمين لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ؛ فيرجع إلى القتال

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٢٣٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٥١)، وقال : أبو بشر هو الوليد بن محمد الموقري، وكلاهما ليس بشيء (يعني أبا سلمة وأبا بشر) قال الدارقطني : كان الحكم يضع الحديث، وقال يحيى : الموقري كذاب. وأخرجه ابن ماجه (٢٨٢٧) من طريق أبي سلمة وحده، وليس فيه ذكر الطلاع. وأخرج أحمد (٢٦٨٢) وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مئة، وخير الجيوش... إلى آخر الحديث. قال أبو داود : الصحيح أنه مرسل. وقوله : «خير الرفقاء أربعة» سلف ٤٥٠/٦.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ، أبو عبد الرحمن القرشي، المدني، الزاهد، توفي سنة (١٨٤هـ). السير ٣٧٣/٨.

(٣) أحكام القرآن للكميا الهراسي ٣/١٥٤.

(٤) سنن الترمذي (٣٥٧٧)، وهو عند أبي داود (١٥١٧)، وفي إسناده يسار بن زيد، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/٤٤٤ : لا يعرف.

غيرُ منهزمٍ أيضاً.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر أنه كان في سريةٍ من سرايا رسول الله ﷺ قال: فحاصَّ الناسُ حَيْضَةَ، فكنْتُ فيمن حاص، قال: فلَمَّا بَرَزْنَا قلنا: كيف نصنعُ وقد قَرَزْنَا من الرِّحْفِ وِئُونًا بالغضب. فقلنا: ندخلُ المدينة، فنتبَّئُ^(١) فيها، ونذهبُ ولا يرانا أحدٌ. قال: فدخلنا فقلنا: لو عَرَضْنَا أنفسنا على رسول الله ﷺ، فإن كانت لنا توبةٌ أقمنا، وإن كان غيرَ ذلك ذهبنا. قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبلَ صلاةِ الفجر، فلَمَّا خرج قُمنا إليه فقلنا: نحنُ الفرَّارون، فأقبل إلينا فقال: «لا، بل أنتم العكَّارون». قال: فدنونا فقبَّلنا يده. فقال: «أنا فئةُ المسلمين»^(٢).

قال ثعلب: العكَّارون هم العظَّافون^(٣). وقال غيره: يقال للرجل الذي يُؤلِّي عند الحرب ثمَّ يكرُّ راجعاً: عكَّرَ واعتكَّر^(٤).

وروى جرير عن منصور، عن إبراهيم قال: انهزم رجلٌ من القادسية، فأتى المدينةَ إلى عمر فقال: يا أميرَ المؤمنين، هلكت! فررتُ من الرِّحْفِ. فقال عمر: أنا فشك^(٥).

وقال محمد بن سيرين: لما قُتل أبو عُبَيْد^(٦) جاء الخبرُ إلى عمر فقال: لو انحاز

(١) سنن أبي داود (٢٦٤٧)، وهو عند أحمد (٥٣٨٤)، والترمذي (١٧١٦). وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف. وقوله: فحاصَّ الناسُ حَيْضَةَ، قال السندي في حاشية المسند: أي: جالوا جولة يطلبون الفرار.

(٢) في (ز) و(ظ): فنبئت، وفي (د): ونبئت، وفي (خ): فنتبَّئُ وهي روايات؛ كما في نسخة أبي داود (٢٦٣٩) تحقيق الشيخ محمد عوامة، وذكر أيضاً رواية: فنتبَّئُ.

(٣) غريب الحديث لابن الجوزي ١٢٠/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٣٠٥/١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٧٥/١٢.

(٦) في النسخ: أبو عبيدة، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، وأبو عُبَيْد: هو ابن مسعود بن عمرو الثقفي، أسلم في عهد رسول الله ﷺ، واستعمله عمر ٣ سنة ثلاث عشرة، وسيَّره إلى العراق، وقُتل شهيداً. أسد الغابة ٢٠٥/٦، والإصابة ٢٤٩/١١. والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ٥٣٦/١٢، والطبري ٨٠/١١، وابن الأثير في أسد الغابة.

إِلَيَّ لَكُنْتُ لَهُ فِتْنَةً، فَأَنَا فِتْنَةٌ كُلُّ مُسْلِمٍ.

وعلى هذه الأحاديث لا يكون الفرار كبيرة؛ لأنَّ الفِتْنَةَ هنا المدينة والإمام وجماعة المسلمين حيث كانوا. وعلى القول الآخر يكون كبيرة؛ لأنَّ الفِتْنَةَ هناك الجماعة من الناس الحاضرة للحرب. هذا على قول الجمهور أنَّ الفرار من الرَّحْفِ كبيرة. قالوا: وإنما كان ذلك القول من النبي ﷺ وعمرَ على جهة الحِيْظَةِ على المؤمنين، إذ كانوا في ذلك الزمان يَثْبُتُونَ لأضعافهم مِراراً^(١)، والله أعلم. وفي قوله: «والتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ»^(٢) ما يكفي.

السابعة: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَكَتْ بِعَضْبٍ مِنْ أَلْفٍ﴾ أي: استحقَّ الغضب. وأصل: «باء»: رَجَعَ. وقد تقدَّم^(٣). ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: مُقَامُهُ. وهذا لا يدلُّ على الخلود؛ كما تقدَّم في غير موضع^(٤). وقد قال ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدِ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي: يومَ بدر. رُوِيَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا صَدَرُوا عَنْ بَدْرٍ ذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا فَعَلَ: قَتَلْتُ كَذَا، فَعَلْتُ كَذَا؛ فَجَاءَ مِنْ ذَلِكَ تَفَاخُرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ إِعْلَامًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَمِيتُ وَالْمَقْدِّرُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يُشَارِكُ بِتَكْسِبِهِ وَقَضَاهُ.

(١) المحرر الوجيز ٢/٥١٠.

(٢) يعني في حديث أبي هريرة: «اجتنبوا السبع الموبقات...» وسلف في المسألة الثالثة.

(٣) ٢/١٥٥.

(٤) ١/٣٦٢ و ٦/١٣٦ و ٧/٤٥.

(٥) سلف في المسألة الخامسة، وإسناده ضعيف.

وهذه الآية تردُّ على من يقول بأنَّ أفعال العباد خلقٌ لهم^(١). فقيل: المعنى فلم تقتلوهم، ولكنَّ الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم. وقيل: ولكنَّ الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم^(٢).

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ مثله. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. واختلف العلماء في هذا الرمي على أربعة أقوال:

الأول: إنَّ هذا الرميَّ إنَّما كان في حَضْبِ رسول الله ﷺ [المشركين] يوم حُنين^(٣)؛ رواه ابنُ وهب عن مالك. قال مالك: ولم يبقَ في ذلك اليوم أحدٌ إلا وقد أصابه ذلك. وكذلك روى عنه ابن القاسم أيضاً^(٤).

الثاني: أنَّ هذا كان يوم أُحُدٍ حين رمى أبيُّ بن خَلَفٍ بالحَرْبَةِ^(٥) في عُقْبِهِ؛ فَكَّرَ أَبِيٌّ مُنْهَزِمًا. فقال له المشركون: والله، ما بك من بأس. فقال: والله، لو بصق عليَّ لقتلني. أليس قد قال: بل أنا أقتله؟! وكان قد أوعد أبيُّ رسولَ الله ﷺ بالقتل بمكَّة؛ فقال له رسولُ ﷺ: «بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ». فمات عدوُّ الله من ضربةِ رسولِ الله ﷺ في مَرْجِعِهِ إِلَى مَكَّة، بموضعٍ يقال له: سَرْفِ^(٦).

قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَ أَبِيٌّ مُقْتَمًا فِي الْحَدِيدِ عَلَى فَرْسِهِ يَقُولُ: لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا مُحَمَّدٌ؛ فَحَمَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرِيدُ قَتْلَهُ.

قال موسى بن عقبة: قال سعيدُ بن المسيَّب: فاعترضَ له رجالٌ من المؤمنين، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَلَّوْا طَرِيقَهُ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يَاقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

(١) المحرر الوجيز ٥١١/٢.

(٢) النكت والعيون ٣٠٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس ؓ مطولاً، وفيه: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٣/٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٣/٢.

(٦) الدرر لابن عبد البر ص ١٦٣، وسرف، ككتف: موضع قرب التنعيم. القاموس (سرف).

فَقُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرْقُوتَةَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّرْعِ؛ فَطَعَنَهُ بِحَرْبَتِهِ، فَوَقَعَ أَبِي عَنْ فَرَسِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمًا. قَالَ سَعِيدٌ: فَكَسَرَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ. قَالَ: فَفِي ذَلِكَ نَزَلَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١). وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت عَقِيبَ بَدْرِ^(٢).

الثالث: أَنَّ الْمَرَادَ السَّهْمُ الَّذِي رَمَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِصْنِ خَيْبَرٍ، فَسَارَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى أَصَابَ ابْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ وَهُوَ عَلَى فَرَّاشِهِ. وَهَذَا أَيْضًا فَاسِدٌ، وَخَيْبَرٌ وَقَتْحُهَا أَبْعَدُ مِنْ أُحُدٍ بِكَثِيرٍ. وَالصَّحِيحُ فِي صُورَةِ قَتْلِ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ غَيْرُ هَذَا^(٣).

الرابع: أَنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ بَدْرِ؛ قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ. وَهُوَ أَصَحُّ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ بَدْرِيَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «خُذْ قَبْضَةً مِنَ التَّرَابِ». فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التَّرَابِ، فَرَمَى بِهَا وَجُوهَهُمْ، فَمَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَصَابَ عَيْنِيهِ وَمَنْخَرِيهِ وَقَمَّهُ تَرَابٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ؛ وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤)، وَسَيَاتِي.

قال ثعلب: المعنى: «وَمَا رَمَيْتَ الْفَرْعَ وَالرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ إِذْ رَمَيْتَ بِالْحَضْبَاءِ فَانْهَزَمُوا، «وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»^(٥) أَي: أَعَانَكَ وَأَطْفَرَكَ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: رَمَى اللَّهُ لَكَ، أَي: أَعَانَكَ وَأَطْفَرَكَ وَصَنَّعَ لَكَ. حَكَى هَذَا أَبُو عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِ الْمَجَازِ^(٦).

وقال محمد بن يزيد: وَمَا رَمَيْتَ بِقَوَّتِكَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّكَ بِقُوَّةِ اللَّهِ رَمَيْتَ^(٧).

﴿وَلِيَسِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ الْبَلَاءُ هَاهُنَا النُّعْمَةُ. وَاللَّامُ تَتَعَلَّقُ بِمَحذُوفٍ،

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢١١ - ٢١٢. والثُّرُقُوتَةُ (بفتح التاء): المعظم الذي بين ثُقرة النحر والعاتق. والبيضة يعني الخوذة.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥١١، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٣ عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير.

(٤) أخرجه الطبري ١١/ ٨٦، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٣٤.

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٧٧.

(٦) ١/ ٢٤٤.

(٧) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٧٧.

أي: ولْيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ فِعْلَ ذَلِكَ.

﴿ذَلِكَم وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ قراءة أهل الحَرَمِينَ وأبي عمرو^(١). وقراءة أهل الكوفة: ﴿مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢). وفي التشديد معنى المبالغة. ورُوي عن الحسن: ﴿مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ بالإضافة والتخفيف^(٣). والمعنى: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُلْقِي فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ حَتَّى يَتَشَتَّتُوا وَيَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ فَيَضَعُفُوا. وَالْكَيْدُ: الْمَكْرُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ شرط وجوابه. وفيه ثلاثة أقوال:

يكون خطاباً للكفار؛ لأنهم استفتحوا فقالوا: اللَّهُمَّ؛ أَفْطَعْنَا لِلرَّجِمِ، وَأَظْلَمْنَا لَصَاحِبِهِ، فَانصُرْهُ عَلَيْهِ؛ قاله الحسن ومجاهد وغيرهما^(٥). وكان هذا القول منهم وقت خروجهم لِنَصْرَةِ الْعَبْرِ.

وقيل: قاله أبو جهلٍ وقت القتال^(٦).

وقال النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ مِمَّنْ قُتِلَ بِيَدِ^(٧).

والاستفتاح: طلبُ النصر، أي: قد جاءكم الفتح، ولكنه كان للمسلمين عليكم؛

(١) السبعة ص ٣٠٤، والتيسير ص ١١٦ ويعني بأهل الحرمين نافعاً وابن كثير.

(٢) يعني هي قراءة عاصم في رواية شعبية، وحمزة والكسائي. وقرأ بها أيضاً ابن عامر الشامي.

(٣) وهي قراءة عاصم في رواية حفص، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ١٨٢/٢، وما بعده منه.

(٤) ٤٦٢/٦.

(٥) مجمع البيان ١٢٥/٩. وينظر النكت والعيون ٣٠٥/٢.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٦٦١) من قول عبد الله بن ثعلبة بن صعير.

(٧) تفسير الطبري ١٤٤/١١ - ١٤٥، وسيرد عند تفسير الآية (٣٢) من هذه السورة.

أي: فقد جاءكم ما بانَ به الأمرُ، وانكشف لكم الحقُّ.

﴿وَأَن تَنفُتُوهَا﴾ أي: عن الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. ﴿وَأَن تَعُودُوا﴾ أي: إلى هذا القول وقتالِ محمد. ﴿نَعُدُّ﴾ إلى نُضِرَ المؤمنين^(١). ﴿وَأَن تُغْفِرَ عَنكُمُ فَتَكُنَّ﴾ أي: جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾. ﴿وَأَن كَثُرَتْ﴾ أي: في العدد.

الثاني: يكون خطاباً للمؤمنين، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. وإن ﴿تَنفُتُوهَا﴾، أي: عن مثلِ ما فعلتموه من أخذِ الغنائم والأسرى قبل الإذن، ﴿فهو خيرٌ لكم﴾. ﴿وَأَن تَعُودُوا﴾ أي: إلى مثل ذلك نَعُدُّ إلى توبيخكم. كما قال: ﴿أَلَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية [الأنفال: ٦٨].

والقول الثالث: أن يكون ﴿إِن تَسْتَفِيحُوا فَفَعَدَّ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ خطاباً للمؤمنين، وما بعده للكفار^(٢)، أي: وإن تعودوا إلى القتال نَعُدُّ إلى مثلِ وقعة بدر. القشيري: والصحيح أنه خطابٌ للكفار، فإنهم لما نَفَرُوا إلى نُصْرَةِ الْعَبِيرِ تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الطائفتين، وأفضلَ الدِّينين. المهدي: وروي أنَّ المشركين خرجوا معهم بأستار الكعبة يستفتحون بها، أي: يستنصرون^(٣).

قلت: ولا تعارض، لاحتمال أن يكونوا فعلوا الحاليتين.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر الألف على الاستثناف، وبفتحها عطف على قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾. أو على قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾. أو المعنى: ولأنَّ الله؛ والتقدير: لِكثرتها وأنَّ الله^(٤). أي: من كان الله في نصره؛ لم تغلبه فئة وإن كثرت^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٨٢/٢.

(٢) إعراب النحاس ١٨٢/٢.

(٣) تفسير الطبري ٩٢/١٠.

(٤) قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص بفتح الهمزة، والباقرن بكسرهما. السبعة ص ١، والتيسير ص ١١٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ١٨٢/٢.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٤٩١/١.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعْتُمْ سَمْعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الخطابُ للمؤمنين المُصدِّقين. أفردهم بالخطاب دون المنافقين إجلالاً لهم. جَدَّدَ اللهُ عليهم الأمرَ بطاعة الله والرسول، ونهاهم عن التَّوَلَّى عنه. هذا قول الجمهور. وقالت فرقة: الخطابُ بهذه الآية إنما هو للمنافقين. والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بالستهم فقط.

قال ابن عطية^(١): وهذا وإن كان مُحتمِلاً على بُعد، فهو ضَعِيفٌ جداً؛ لأجل أنَّ الله تعالى وَصَفَ مَنْ خَاطَبَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْإِيمَانِ. وَالْإِيمَانُ التَّصَدِيقُ، وَالْمُتَافِقُونَ لَا يَتَّصِفُونَ مِنَ التَّصَدِيقِ بِشَيْءٍ. وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّ الْخِطَابَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّهُ أَجْنَبِيٌّ مِنَ الْآيَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ التَّوَلَّى: الإِعْرَاضُ. وَقَالَ: «عَنَّهُ» وَلَمْ يَقُلْ: عَنْهُمَا لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَتُهُ؛ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٢) [التوبة: ٦٢].

﴿وَأَتَّبَعْتُمْ سَمْعُونَ﴾ ابتداءً وخبرٌ في موضع الحال. والمعنى: وأنتم تسمعون ما يثلى عليكم من الحُجج والبراهين في القرآن^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: كاليهود أو المنافقين أو المشركين. وهو من سَمَعَ الأذن. ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يتدبَّرون ما سَمِعُوا، ولا

(١) في المحرر الوجيز ٥١٣/٢، وما قبله منه.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٥٠/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٢.

يُفَكِّرُونَ فِيهِ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ وَأَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ. نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ^(١).

فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ؛ لَا فَائِدَةَ لَهُ^(٢) مَا لَمْ يَظْهَرِ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِامْتِنَالِ فِعْلِهِ. فَإِذَا قَصَرَ فِي الْأَمْرِ فَلَمْ يَأْتِهَا، وَاعْتَمَدَ النَّوَاهِيَ فَاقْتَحَمَهَا، فَأَيُّ سَمْعٍ عِنْدَهُ، وَأَيُّ طَاعَةٍ! وَإِنَّمَا يَكُونُ حِينْتِذُ بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِيمَانَ، وَيُسِرُّ الْكُفْرَ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾. يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ^(٣)، أَوِ الْيَهُودَ أَوِ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْكُفْرَ شَرٌّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ^(٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قَالَ: هُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ. وَالْأَصْلُ: أَشْرٌ، حُدِفَتِ الْهَمْزَةُ لِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ. وَكَذَا: خَيْرٌ، الْأَصْلُ: أَخَيْرٌ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ قِيلَ: الْحُجَجُ وَالْبِرَاهِينُ؛ إِسْمَاعٌ تَفْهَمُ. وَلَكِنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِشِقَاوَتِهِمْ. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أَي: لَوْ أَفْهَمَهُمْ لَمَّا آمَنُوا بَعْدَ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ بِكُفْرِهِمْ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَأَسْمَعَهُمْ كَلَامَ الْمَوْتَى الَّذِينَ طَلَبُوا إِحْيَاءَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا إِحْيَاءَ قُصِيِّ بْنِ كِلَابٍ وَغَيْرِهِ لِيَشْهَدُوا بِبِنُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الزَّجَاجُ^(٦): لَأَسْمَعَهُمْ جَوَابَ كُلِّ مَا سَأَلُوا عَنْهُ. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٢ .

(٢) في (م): فيه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٤/٢ .

(٤) الحديث (٤٦٤٦).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٢ .

(٦) في معاني القرآن ٤٠٩/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٣٠٧/٢ ، وما قبله منه.

إذ سبق في علمه أنهم لا يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ هذا خطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف^(١). والاستجابة: الإجابة. و﴿يُحْيِيكُمْ﴾ أصله: يُحْيِيكُمْ، حُذفت الضمة من الياء لثقلها، ولا يجوز الإدغام^(٢).

قال أبو عبيدة^(٣): معنى «اسْتَجِيبُوا»: أجيئوا، ولكن عُرِفَ الكلام أن يتعدى «استجاب» بلام، ويتعدى «أجاب» دون لام. قال الله تعالى: ﴿يَقَوْمًا لِيُجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣١]. وقد يتعدى «استجاب» بغير لام، والشاهد له قول الشاعر:

وداع دعا يا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فلم يَسْتَجِيبُهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٤)

تقول: أجابه وأجاب عن سؤاله. والمصدر: الإجابة. والاسم: الجابة؛ بمنزلة الطاقة والطاعة. تقول: أساء سَمْعاً فأساء جابة^(٥). هكذا يُتَكَلَّمُ بهذا الحرف. والمجاوبة والتجاوب: التناوب. وتقول: إنه لَحَسَنُ الْجِيبَةِ (بالكسر) أي: الجواب^(٦).

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ متعلق بقوله: «استجيبوا». المعنى: استجيبوا لما يحييكم إذا

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٤ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٣ .

(٣) في مجاز القرآن ١/ ٢٤٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥١٤ . والبيت نسبة أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٤٥ ، والجوهري في الصحاح (جوب) لكعب بن سعد الفزري، وهو في الأصمعيات ص ٩٦ .

(٥) قال في اللسان (جوب): أصل هذا المثل أنه كان لسهل بن عمرو ابن مضعوف، فقال له إنسان: أين أمك؟ - أي: أين تصدق؟ فظن أنه يقول له: أين أمك - فقال: ذهبت تشتري دقيقاً، فقال أبوه: أساء سمعاً فأساء جابة.

(٦) الصحاح (جوب).

دعاكم. وقيل: اللام بمعنى: إلى، أي: إلى ما يحييكم، أي: يُحيي دينكم ويعلمكم. وقيل: أي: إلى ما يحيي به قلوبكم فتوحده. وهذا إحياء مستعار؛ لأنه من موت الكفر والجهل.

وقال مجاهد والجمهور: المعنى: استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونوا^(١)؛ ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية. وقيل: المراد بقوله: «لما يحييكم»: الجهاد، فإنه سبب الحياة في الظاهر؛ لأنَّ العدو إذا لم يُغزَّ؛ غزا، وفي غزوه الموت، والموت في الجهاد الحياة الأبدية؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. والصحيح العموم؛ كما قال الجمهور.

الثانية: رَوَى البخاريُّ عن أبي سعيد بن المُعلَى قال: كنتُ أصلي في المسجد، فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنتُ أصلي. فقال: «ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾». وذكر الحديث. وقد تقدَّم في الفاتحة^(٢). وقال الشافعيُّ رحمه الله: هذا دليلٌ على أنَّ الفعلَ الفرضَ أو القولَ الفرضَ إذا أتيتَ به في الصلاة لا تبطل؛ لأمرِ رسولِ الله ﷺ بالإجابة؛ وإن كان في الصلاة^(٣).

قلت: وفيه حجةٌ لقول الأوزاعي: لو أنَّ رجلاً يصلي، فأبصر غلاماً يريد أن يسقط في بئر، فصاح به، وانصرف إليه، وانتهره؛ لم يكن بذلك بأس^(٤). والله أعلم.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: إنه يقتضي النصَّ منه على تحلُّقه تعالى الكفرَ والإيمانَ، فيحوِّل بين المرء الكافر وبين الإيمان

(١) المحرر الوجيز ٥١٤/٢.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٧٦). وهو في مستد أحمد (١٥٧٣٠)، وسلف ١٦٧/١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٥/٢.

(٤) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٣٤٩/١.

الذي أمره به، فلا يكتسبه إذا لم يُقَدِّرْهُ عليه؛ بل أقدَرَهُ على ضِدِّهِ؛ وهو الكفر. وهكذا المؤمن يحولُ بينه وبين الكفر.

فَبَانَ بهذا النصُّ أنه تعالى خالقٌ لجميعِ اكتسابِ العبادِ خيرِها وشرِّها. وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا ومُقَلَّبِ القلوب»^(١). وكان فِعْلُ اللّهِ تعالى ذلك عدلاً فيمن أضلَّهُ وحذَلَّهُ؛ إذ لم يمنعهم حقاً وجب عليه فتزول صفةُ العدل، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضَّلَ به عليهم، لا ما وجب لهم.

قال السُّدِّيُّ: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمنَ إلا بإذنه، ولا يكفرَ أيضاً إلا بإذنه، أي: بمشيئته. والقلبُ موضعُ الفِكرِ^(٢). وقد تقدَّم في «البقرة» بيانه^(٣). وهو بيدُ الله، متى شاء حالٌ بين العبد وبينه بمرضٍ أو آفةٍ كيلا يعقل، أي: يادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكَّنوا منها بزوال العقل.

وقال مجاهد: المعنى: يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع^(٤). وفي التنزيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَنُكَرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٢٧] أي: عقل. وقيل: يحول بينه وبينه بالموت، فلا يُمكنه استدراكُ ما فات.

وقيل: خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو، فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه، بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً، ويبدل عدوهم من الأمن خوفاً^(٥). وقيل: المعنى يقلبُ الأمورَ من حالٍ إلى حال. وهذا جامع.

واختيار الطبري^(٦): أن يكون ذلك إخباراً من الله عزَّ وجلَّ بأنه أملكُ لقلوب

(١) أخرجه أحمد (٤٧٨٨)، والبخاري (٦٦١٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال: كانت يمين النبي ﷺ التي يحلفُ عليها: «لا ومُقَلَّبِ القلوب».

(٢) أخرجه الطبري ١١١/١١.

(٣) ٢٨٥/١.

(٤) أخرجه الطبري ١١٠/١١.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٥/٣.

(٦) في تفسيره ١١٢/١١.

العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء؛ حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ عطف. قال الفراء^(١): ولو استأنفت فكسرت: «وانه» كان صواباً.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين ألا يُقرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمَّهم العذاب^(٢). وكذلك تأوَّل فيها الزبير بن العوام فإنه قال يومَ الجمل، وكان سنة ست وثلاثين: ما علمتُ أننا أردنا بهذه الآية إلا اليوم، وما كنتُ أظنُّها إلا فيمن خوطب ذلك الوقت^(٣). وكذلك تأوَّل الحسنُ البصري والسُّدي وغيرُهما؛ قال السُّدي: نزلت الآية في أهل بدرٍ خاصَّة، فأصابتهم الفتنة يومَ الجمل فاقتلوا^(٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ، وقال: أمر الله المؤمنين ألا يُقرُّوا المنكر فيما بينهم، فيعمَّهم الله بالعذاب.

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بين ناسٍ من أصحابي فتنة؛ يغفرها الله لهم بصحبتهم إيتاي، يستنُّ بهم فيها ناسٌ بعدهم يُدخلهم الله بها النار»^(٥).

(١) في معاني القرآن ٤٠٧/١. ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٢.

(٢) أخرجه الطبري ١١٥/١١.

(٣) المحرر الوجيز ٥١٥/٢. وأخرج نحوه أحمد (١٤٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٢).

(٤) المحرر الوجيز ٥١٥/٢. وأخرج ابن أبي شيبة ٢٧٦/١٥ و ٢٧٧، والطبري ١١٣/١١ - ١١٤ و ١١٥ قول الحسن والسدي.

(٥) أخرجه نحوه الطبراني في الأوسط (٣٢٤٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٤/٧: فيه إبراهيم بن أبي الفياض؛ قال ابن يونس: يروي عن أشهب مناكير.

قلت: وهذه التأويلات هي التي تعضدها الأحاديث الصحيحة؛ ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الْحَبْتُ»^(١). وفي صحيح الترمذي: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ ولم يأخذوا على يديه أَوْشَكَ أَنْ يُمَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»^(٢). وقد تقدّمت هذه الأحاديث^(٣).

وفي صحيح البخاري والترمذي: عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا؛ هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(٤). ففي هذا الحديث تعذيبُ العامةِ بذنوبِ الخاصةِ، وفيه استحقاقُ العقوبةِ بتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر.

قال علماؤنا: فالفتنة إذا عُمِلَتْ هَلَكَ الْكُلُّ، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تُعَيَّرْ وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم؛ كما في قصة السَّبْتِ حين هجروا العاصين وقالوا: لا نُسَاكِنُكُمْ^(٥).

وبهذا قال السلف ﷺ؛ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: تُهْجَرُ الْأَرْضُ الَّتِي يُصْنَعُ فِيهَا الْمُنْكَرُ جِهَارًا، وَلَا يُسْتَفْرَقُ فِيهَا^(٦). واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٠). وأخرجه أيضاً أحمد (٢٧٤١٣)، والبخاري (٣٣٤٦).

(٢) في قوله: صحيح الترمذي، تجوز، وهو في سننه (٢١٦٨) عن أبي بكر الصديق ﷺ. وأخرجه أيضاً أبو داود (٤٣٣٨)، وبنحوه أخرجه أحمد (١)، وابن ماجه (٤٠٠٥). قال الترمذي: حديث صحيح.

(٣) ٣٨٦/٣، ١٥٧/٧.

(٤) صحيح البخاري (٢٤٩٣)، وسنن الترمذي (٢١٧٣). وهو في مسند أحمد (١٨٣٦١).

(٥) تقدم ١٧٠/٢.

(٦) ذكره ابن حجر في فتح الباري ١٠/١٣.

عن أرض معاوية حين أعلن بالربا؛ فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها. خرَّجه الصحيح^(١).

ورَوَى البخاريُّ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنزلَ اللهُ بقوم عذاباً، أصابَ العذابُ مَنْ كان فيهم، ثم بُعثوا على أعمالهم»^(٢). فهذا يدلُّ على أنَّ الهلاكَ العامُّ؛ منه ما يكون طُهرة للمؤمنين، ومنه ما يكون نِقمة للفاسقين. ورَوَى مسلم عن عبد الله بن الزبير، أنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالت: عَيَّبَ رسولُ الله ﷺ في منامه، فقلت: يا رسولَ الله، صنعتَ شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: «العَجَبُ، إنَّ ناماً من أمَّتِي يؤمُّون هذا البيتَ برجلٍ من قريش، قد لجأَ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداءِ حُصِفَ بهم». فقلنا: يا رسولَ الله، إنَّ الطريقَ قد يَجْمَعُ الناسَ. قال: «نعم، فيهم المُسْتَبْصِرُ والمُجْبورُ وابنُ السبيلِ، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدُّرون مصادِرَ شئى، يبعثُهُم اللهُ تعالى على نيئاتهم»^(٣).

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُزِدْ وَازِدَةً وَّزِدْ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا يوجب ألا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبةُ بصاحب الذنب.

فالجواب: أنَّ الناسَ إذا تظاهروا بالمنكرَ فَمِنَ الفرضِ على كلِّ مَنْ رآه أن يغيِّره، فإذا سكت عليه؛ فكلُّهم عاصٍ؛ هذا بفعله، وهذا برضاه. وقد جعل الله في حُكْمه

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٦٣٤/٢ من حديث عطية بن يسار عن أبي الدرداء. قال ابن عبد البر في التمهيد ٧١/٤ - ٧٢: عطية لا أحفظ له سماعاً من أبي الدرداء... ولم يشهد هذه القصة...، وأنكرها بعضهم لأن شيئاً بهذه القصة عرضت لمعاوية مع عبادة بن الصامت، وهي صحيحة مشهورة محفوظة لعبادة مع معاوية. وسلف الخبر ٣٨٤/٤ - ٣٨٥.

(٢) صحيح البخاري (٧١٠٨). وأخرجه أيضاً أحمد (٥٨٩٠)، ومسلم (٢٨٧٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٨٤). وهو بنحوه في مسند أحمد (٢٤٧٣٨). وقوله: «عَيَّبَ» أي: اضطرب بجسمه، وقيل: حرَّك أطرافه كمن يأخذ شيئاً أو يدفعه. و«المستبصر»: المستبين لذلك القاصد له عمداً. و«المجبور»: المكره. و«ابن السبيل»: سالك الطريق معهم وليس منهم. و«يصدرون»: يبعثون. شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١٨ - ٧.

وحكمته الراضي بمنزلة العامل؛ فانتظم في العقوبة؛ قاله ابن العربي^(١)، وهو مضمون الأحاديث كما ذكرنا. ومقصود الآية: واتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والظالم.

الثانية: واختلف النحاة في دخول النون في «لَا تُصِيبَنَّ»؛ فقال القراء: هو بمنزلة قولك: انزل عن الدابة لا تطرحنك؛ فهو جواب الأمر بلفظ النهي، أي: إن تنزل عنها لا تطرحنك، ومثله قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨] أي: إن تدخلوا لا يحطمنكم؛ فدخلت النون لما فيه من معنى الجزاء^(٢).

وقيل: لأنه خرج مخرج القَسَم، والنون لا تدخل إلا على فعل النهي أو جواب القَسَم^(٣).

وقال أبو العباس المبرّد: إنه نهى بعد أمر، والمعنى النَّهْيُ للظالمين، أي: لا تقرين الظلم. وحكى سيبويه: لا أريتك هاهنا، أي: لا تكن هاهنا، فإنه من كان هاهنا رأيت^(٤).

وقال الجرجاني: المعنى: اتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا خاصة، فقوله: «لَا تُصِيبَنَّ» نهى في موضع وصف النكرة، وتاويله الإخبار بإصابتها الذين ظلموا. وقرأ عليّ وزيد بن ثابت وأبيّ وابن مسعود: «لَتُصِيبَنَّ» بلا ألف^(٥). قال المهدوي: من قرأ: «لَتُصِيبَنَّ» جاز أن يكون مقصوداً من: «لَا تُصِيبَنَّ» حذفت الألف كما حذفت من «ما» وهي أخت «لا» في نحو: أم والله لأفعلن، وشبهه^(٦). ويجوز أن تكون مخالفة لقراءة الجماعة، فيكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة.

(١) في أحكام القرآن ٨٣٦/٢.

(٢) ذكر نحوه القراء في معاني القرآن ٤٠٧/١ مختصراً. وينظر معاني القرآن للزجاج ٤١١/٢.

(٣) ذكر نحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥١٥/٢ ونسبه للمهدوي.

(٤) المحرر الوجيز ٥١٦/٢.

(٥) القراءات الشاذة ص ٤٩، والمحتسب ٢٧٧/١.

(٦) المحتسب ٢٧٧/١، والدر المصون ٥٩٢/٥.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَمُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمْ
النَّاسُ فَآؤِنَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِبُونَ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ قال الكلبي: نزلت في المهاجرين؛ يعني
وصف حالهم قبل الهجرة وفي ابتداء الإسلام. ﴿مُسْتَضْعَمُونَ﴾ نعت. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي:
أرض مكة. ﴿تَخَافُونَ﴾ نعت. ﴿أَنْ يَخطفَكُمْ﴾ في موضع نصب^(١). والخطف: الأخذ
بسرعة. ﴿النَّاسُ﴾ رفع على الفاعل.

قتادة وعكرمة: هم مشركو قريش. وهب بن منبه: فارس والرُّوم. ﴿فَآؤِنَكُمْ﴾ قال
ابن عباس: إلى الأنصار. السُّدي: إلى المدينة؛ والمعنى واحد^(٢).
أوى إليه؛ بالمد: ضَمَّ إليه. وأوى إليه؛ بالقصر: انضمَّ إليه.

﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾: قَوَامِكُمْ. ﴿يُصْرِبُونَ﴾ أي: بقوته^(٣). وقيل: بالأنصار. وقيل: بالملائكة
يوم بدر. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: الغنائم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قد تقدّم معناه^(٤).

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

رُوي أنها نزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بني قُرَيْظَةَ بالذبح. قال
أبو لُبابة: واللّه ما زالت قدماي حتى علمتُ أنني قد خنتُ اللهَ ورسولَه؛ فنزلت هذه
الآية. فلما نزلت شدَّ نفسَه إلى سارية من سوازي المسجد، وقال: واللّه لا أذوقُ
طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوبَ اللهُ عليّ. الخبر مشهور^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٨٤/٢ .

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ١١٨/١١ - ١٢٠ .

(٣) في (ظ): تقوية. وفي (م): بعونه.

(٤) ١٠٤/٢ .

(٥) أخرج الطبري في تفسيره ١١/١٢١ ، وفي تاريخه ٢/٥٨٤ - ٥٨٥ ، وذكره ابن هشام في المسيرة

وعن عكرمة قال: لما كان شأن قريظة بعث النبي ﷺ علياً ﷺ فيمن كان عنده من الناس، فلما انتهى إليهم؛ وقَعُوا في رسول الله ﷺ، وجاء جبريل عليه السلام على فرس أبلق، فقالت عائشة رضي الله عنها: فلكاتني أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام، فقلت: هذا دحية يا رسول الله؟ فقال: «هذا جبريل عليه السلام». قال: «يا رسول الله، ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم؟» فقال رسول الله ﷺ: «فكيف لي بحصنهم؟» فقال جبريل: «فإني أدخل فرسي هذا عليهم». فركب رسول الله ﷺ فرساً مُعْرَوْرِيًّا؛ فلما رآه عليٌّ ﷺ قال: يا رسول الله، لا عليك ألا تأتيهم، فإنهم يشتمونك. فقال: «كَلَّا، إنها ستكون تحية». فأتاهم النبي ﷺ فقال: «يا إخوة القردة والخنازير» فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت فحاشاً. فقالوا: لا نزل على حكم محمد، ولكننا نزل على حكم سعد بن معاذ؛ فنزل. فحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم. فقال رسول الله ﷺ: «بذلك طرقتي المَلَكُ سَحْرًا». فنزل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْوُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْوُوا أَمْثَلَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْلُمُونَ﴾. نزلت في أبي ثبابة، أشار إلى بني قريظة - حين قالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ - لا تفعلوا، فإنه الذبيح، وأشار إلى حلقة^(١).

وقيل: نزلت الآية في أنهم كانوا يسمعون الشيء من النبي ﷺ، فيلقونه إلى المشركين ويُفشونه^(٢).

وقيل: المعنى بغلول الغنائم. ونسبتها إلى الله؛ لأنه هو^(٣) الذي أمرَ بقسمتها، وإلى الرسول ﷺ؛ لأنه المؤدِّي عن الله عزَّ وجلَّ والقيِّمُ بها^(٤).

والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء، ومنه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من الجوع، فإنه يئس الضَّجِيع، ومن الخيانة،

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ١٧٨/٣ وينظر حديث عائشة رضي الله عنها في مسند أحمد (٢٥٠٩٧). والمُعْرَوْرِي: لا سَرَجَ عليه ولا غيره. النهاية (عرا).

(٢) أخرجه الطبري ١٢٣/١١ عن السدي.

(٣) لفظ: (هو) من (ظ).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٨٤/٢.

فإنها بثست البطانة. أخرجه النسائي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول...؛ فذكره^(١).

﴿وَتَحَوُّنًا آمَنَّتْكُمْ﴾ في موضع جزم، نسقاً على الأول. وقد يكون على الجواب، كما يقال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن^(٢).

والأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد^(٣)، وسُميت أمانة لأنها يؤمن معها من منح الحق؛ مأخوذة من الأمان. وقد تقدّم في «النساء» القول في أداء الأمانات والودائع وغير ذلك^(٤).

﴿وَأَسْتُرْتُمْ مَوَالِدَكُمْ﴾ أي ما في الخيانة من التُّبُّح والعار. وقيل: تعلمون أنها أمانة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فَتَنَّا وَكَانَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فَتَنَّا﴾ كان لأبي لبابة أموال وأولاد

في بني قريظة؛ وهو الذي حمّله على ملايتهم^(٥)، فهذا إشارة إلى ذلك. ﴿فَتَنَّا﴾ أي: اختبار؛ امتحنهم بها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فأثروا حقه على حَقِّكُمْ.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقْوُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قد تقدّم معنى «التقوى»^(٦). وكان الله عالماً بأنهم يتقون أم لا يتقون، فذكر بلفظ

(١) سنن النسائي المجتبى ٢٦٣/٨، والكبرى (٧٨٥١) و(٧٨٥٢). وأخرجه أيضاً أبو داود (١٥٤٧)، وابن ماجه (٣٣٥٤).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٨٤/٢.

(٣) تفسير الطبري ١٢٥/١١.

(٤) تقدم ٤٢٣/٦.

(٥) تفسير الواحدي ٤٥٤/٢.

(٦) ٢٤٨/١.

الشرط؛ لأنه خاطب العبادَ بما يخاطب بعضهم بعضاً. فإذا اتقى العبدُ ربَّه - وذلك باتباع أوامره، واجتناب نواهيه - وترك الشبهاتِ مخافةً الوقوعِ في المحرّمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفّظ من شوائب الشرك الخفّي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالغفلة^(١) عن المال، جعل له بين الحقِّ والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إيماناً. قال ابن وهب: سألتُ مالكا عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَقْتُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ قال: مخرجاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾. وحكى ابن القاسم وأشهب عن مالك مثله سواء^(٢)، وقاله مجاهد قبله^(٣).

وقال الشاعر:

مَا لَكَ مِنْ طُولِ الْأَسَى فُرْقَانُ بَعْدَ قَطِينِ رَحْلُوا وَيَأْتُوا

وقال آخر:

وَكَيْفَ أَرْجِي الْخَلْدَ وَالْمَوْتُ طَالِبِي وَمَا لِي مِنْ كَأْسِ الْمَنِيَةِ فُرْقَانُ^(٤)

ابن إسحاق: «فُرْقَانًا»: فضلاً بين الحق والباطل^(٥)؛ وقاله ابن زيد^(٦). السدي:

نَجَاةٌ^(٧). الفراء^(٨): فتحاً ونصراً. وقيل: في الآخرة، فيدخلكم الجنة، ويدخل الكفار النار.

(١) في (م): بالعفة.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٢٨/١١.

(٤) المحرر الوجيز ٥١٨/٢.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٨٣٩/٢. وأخرجه الطبري ١٣١/١١.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٦/٣.

(٧) أخرجه الطبري ١٣٠/١١.

(٨) في معاني القرآن له ٤٠٨/١.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة؛ فاجتمع رأيهم على قتله، فبيّته، ورسدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ودعا الله عز وجل أن يُعَمِّي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غَشِيَهُم النُّومُ، فوضع على رؤوسهم تراباً ونهض. فلما أصبحوا خرج عليهم علي فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا^(١). الخبر مشهور في السيرة وغيرها^(٢).

ومعنى «لِيُثْبِتُوكَ»: ليحبسوك؛ يقال: أثبتته: إذا حبسته. وقال قتادة: «لِيُثْبِتُوكَ» وثاقاً. وعنه أيضاً وعبد الله بن كثير: ليسجنوك^(٣).

وقال أبان بن تغلب وأبو حاتم: ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد. قال الشاعر:

فقلتُ ويحكما ما في صحيفتكم قالوا الخليفة أمسى مُثَبَّتاً وَجِعا^(٤)

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ عطف. ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ مستأنف. والمكر: التدبير في الأمر في خفية. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ابتداء وخبر. والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون^(٥).

(١) الدرر لابن عبد البر ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤٨١/١ - ٤٨٢.

(٣) تفسير الطبري ١٣٢/١١ - ١٣٣.

(٤) مجمع البيان للطبرسي ١٣٧/٩. ونسب البيت في الأغاني ٢١٢/١٧ لمعاوية بن يزيد، وهو في ديوانه ص ١٢. وفيه: قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم. وفي مجمع البيان: قلت ويحك ماذا في صحيفتكم.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٨٤/٢ - ١٨٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

نزلت في النضر بن الحارث؛ كان خرج إلى الحيرة في التجارة، فاشترى أحاديث كليلة ودمنة، وكسرى وقيصر؛ فلما قصَّ رسول الله ﷺ أخبارَ مَنْ مَضَى قال النضر: لو شئتُ لقلتُ مثلَ هذا. وكان هذا وقاحةً وكذباً^(١).

وقيل: إنهم توهموا أنهم يأتون بمثله، كما توهمت سحره موسى، ثم راموا ذلك فعجزوا عنه، وقالوا عناداً: إن هذا إلا أساطير الأولين. وقد تقدّم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمِمَّا كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَآتِنَا عَذَابَ نَارٍ أَوْ سَكِينًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

القراءة^(٣) على نصب «الحق» على خبر «كان»، ودخلت «هو» للفصل. ويجوز: «هو الحق» - بالرفع - «مِنْ عِنْدِكَ»^(٤). قال الزجاج^(٥): ولا أعلمُ أحداً قرأ بها، ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها، ولكن القراءة سُنَّةٌ، لا يُقرأ فيها إلا بقراءة مَرْوِيَّةٍ^(٦).

واختلف فيمن قال هذه المقالة؛ فقال مجاهد وابن جبير: قائل هذا هو النضر بن الحارث^(٧).

أنس بن مالك: قائله أبو جهل؛ رواه البخاري ومسلم^(٨).

(١) تفسير الواحدي ٢/٤٥٥، والطبري ١١/١٤٢ - ١٤٣.

(٢) ٣٤٦/٨.

(٣) في (م): القراء.

(٤) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٤٩ للأعمش.

(٥) في معاني القرآن ٢/٤١١، وما قبله منه.

(٦) في النسخ: مرضية. والمثبت من معاني القرآن.

(٧) أخرجه الطبري ١١/١٤٤.

(٨) صحيح البخاري (٤٦٤٨) و(٤٦٤٩)، وصحيح مسلم (٢٧٩٦).

ثم يجوز أن يقال: قالوه لشبهة كانت في صدورهم، أو على وجه العناد والإيهام^(١) على الناس أنهم على بصيرة، ثم حلَّ بهم يوم بدر ما سألوا.

حكى أن ابن عباس لقيَه رجلٌ من اليهود، فقال اليهوديُّ: ممن أنت؟ قال: من قريش. فقال: أنت من القوم الذين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية. فهلاً عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحقُّ من عندك فاهدنا له! إن هؤلاء قوم يجهلون. قال ابن عباس: وأنت يا إسرائيلي، مَنْ القوم الذين لم تَجِفَّ أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه، وأنجي موسى وقومه؛ حتى قالوا: ﴿أَجَلْ لَنَا إِلَهُهَا كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَهُهُمُ﴾ فقال لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾، فاطرق اليهوديُّ مُفْحَمًا^(٢).

﴿فَأَنْطَرَ﴾ أمطر في العذاب. ومَطَرَ في الرحمة؛ عن أبي عبيدة^(٣). وقد تقدَّم^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ يَمُذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَفْتِرُونَ﴾

لَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» الآية، نزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ يَمُذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ كذا في صحيح مسلم^(٥).

وقال ابن عباس: لم يعذب أهل قرية حتى يخرج النبيُّ منها والمؤمنون؛ ويلحقوا بحيث أمروا^(٦).

(١) في (م): والإيهام.

(٢) المفهم ٣٤٧/٧.

(٣) مجاز القرآن ١/٢٤٥. ونقل عنه المصنف بواسطة المحرر الوجيز ٢/٥٢١.

(٤) لم نقف عليه، وذكره عند تفسير الآية (٨٢) من سورة هود.

(٥) (٢٧٩٦) وهو عند البخاري، وسلف قريباً.

(٦) أخرجه الطبري بنحوه ١١/١٥٠.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ابن عباس: كانوا يقولون في الطواف: غفرانك^(١). والاستغفار وإن وقع من القنَّار يُدفع به ضربٌ من الشرور والإضرار.

وقيل: إنَّ الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم؛ أي: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين؛ فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره؛ قاله الضحاك وغيره^(٢).

وقيل: إنَّ الاستغفار هنا يراد به الإسلام؛ أي: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يسلمون؛ قاله مجاهد وعكرمة^(٣).

وقيل: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: في أصلابهم من يستغفر الله. رُوي عن مجاهد أيضاً^(٤).

وقيل: معنى «يَسْتَغْفِرُونَ»: لو استغفروا، أي: لو استغفروا لم يعذبوا، استدعاهم إلى الاستغفار؛ قاله قتادة وابن زيد^(٥).

وقال المدائني عن بعض العلماء قال: كان رجل من العرب في زمن النبي ﷺ مُسْرِفاً على نفسه، لم يكن يتحرَّج؛ فلما أن تُوفِّي النبي ﷺ لبس الصوفَ ورجعَ عمَّا كان عليه، وأظهر الدينَ والنُسكَ. فقيل له: لو فعلتَ هذا والنبي ﷺ حيٌّ لَفَرِحَ بك. قال: كان لي أمانان، فمضى واحدٌ وبقي الآخرُ؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فهذا أمان. والثاني: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري ١١/١٥١.

(٢) أخرجه الطبري ١١/١٤٨ - ١٤٩.

(٣) أخرجه الطبري ١١/١٥٤ - ١٥٥.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٥١.

(٥) أخرجه الطبري ١١/١٥٣ - ١٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: وما يمنعمهم من أن يُعذبوا^(١). أي: إنهم مستحقون العذاب لِمَا ارتكبوا من القبائح والأسباب، ولكن لكل أجل كتاب، فعذبهم الله بالسيف بعد خروج النبي ﷺ، وفي ذلك نزلت: ﴿سَأَلَ سَائِلًا بِصُدَابٍ وَأَجْرٍ﴾ [المعارج: ١]^(٢).

وقال الأخفش^(٣): إِنَّ «أَنْ» زائدة. قال النحاس^(٤): لو كان كما قال لرفع «يعذبهم». ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن المتين أولياؤه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَنُفِقُوا نَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون؛ فكان ذلك عبادة في ظنهم^(٥).

والمُكَاءُ: الصَّفير، والتصديَّةُ: التصفيق؛ قاله مجاهد والسُّدِّيُّ وابنُ عمر^(٦).

ومنه قول عترة:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٥.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٤٩.

(٣) في معاني القرآن له ٢/ ٥٤٥.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ١٨٥. وعنه نقل المصنف قول الأخفش.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره ١١/ ١٦٤.

(٦) أخرج هذه الأقوال الطبري ١١/ ١٦٣ - ١٦٥.

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكَتُ مُجَدَّلًا تَمْكُو قَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَغْلِمِ^(١)

أي: تصوّت. ومنه: مكّت استُ الدابة: إذا نفخت بالريح.

قال السُّدِّيُّ: المُكَاءُ: الصّفير، على لحن طائر أبيض بالحجاز يقال له:

المُكَاءُ^(٢).

قال الشاعر:

إِذَا عَرَدَ الْمُكَاءُ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ^(٣)

قتادة: المُكَاءُ: ضربٌ بالأيدي، والتّصدية: صياح^(٤). وعلى التفسيرين ففيه ردٌّ

على الجهّال من الصوفية الذين يرقّصون ويصفّقون ويصعقون. وذلك كلّ منكر يتنزّه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشرّكين فيما كانوا يفعلونه عند البيت.

وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: الْمُكَاءُ: إِدْخَالُهُمْ أَصَابِعَهُمْ

فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَالتّصْدِيَةُ: الصّفِير، يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً ﷺ عن الصلاة^(٥).

قال النحاس^(٦): المعروف في اللغة ما روي عن ابن عمر. حكى أبو عبيد^(٧) وغيره أنه

يقال: مَكَا يَمْكُو مَكْوًا وَمُكَاءً: إِذَا صَفَّرَ. وَصَدَّى يُصَدِّي تصدّية: إِذَا صَفَّقَ^(٨)؛ ومنه

قول عمرو بن الإطنابة^(٩):

(١) ديوان عنترة ص ٢٤. الحليل: الزوج. والغانية: الزوجة التي غنيت بزوجها، أو التي غنيت بحسنها

وجمالها. والمجدل: الملقى بالجدالة، وهي الأرض. والفريضة: اللحم بين الكتف والصدر. والأعلم:

مشقوق الشفة العليا. ينظر اللسان (حلل، غنى، جدل، فرص، علم).

(٢) أخرجه الطبري ١٦٦/١١. وفيه: على نحو طائر...

(٣) أدب الكاتب ص ١٩٣، وأماله القالي ٣٢/٢، واللسان (مكو).

(٤) تفسير الطبري ١٦٦/١١.

(٥) أخرجه الطبري ١٦٥/١١.

(٦) في معاني القرآن ١٥٢/٣. وما قبله منه.

(٧) في (د) ومعاني القرآن للنحاس ١٥٢/٣: أبو عبيدة.

(٨) إعجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٦/١.

(٩) التكت والعيون للماوردي ٣١٥/٢، قال في اللسان (طنب): ابن الإطنابة: رجل شاعر، والإطنابة أمه،

وهي امرأة من بني كنانة بن القيس.. واسم أبيه: زيد قناة.

وظلُّوا جميعاً لهم ضجَّةٌ مُكاءً لدى البيت بالتَّصديَّةِ
أي: بالتصفيق.

سعيد بنُ جبير وابنُ زيد: معنى التَّصديَّة: صدُّهم عن البيت^(١)؛ فالأصل على هذا تَصْدِةٌ، فأبدل من إحدى الدالين ياء.

ومعنى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: المؤمن من الكافر. وقيل: هو عامٌّ في كلِّ شيء من الأعمال والنفقات وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُوَدُّوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٨﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمر النبي ﷺ أن يقول للكفار هذا المعنى، وسواءً قاله بهذه العبارة أو غيرها. قال ابن عطية^(٢): ولو كان كما ذكر الكسائي أنه في مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ﴾^(٣) لَمَا تَأَدَّتْ الرسالةُ إلا بتلك الألفاظ بعينها، هذا بحسب ما تقتضيه الألفاظ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ يريد عن الكفر. قال ابن عطية^(٤): ولا بُدَّ، والحامل على ذلك جواب الشرط بـ «يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»، ومغفرة ما قد سلف لا تكون إلا لِمُنْتَهٍ عن الكفر.

ولقد أحسن القائل أبو سعيد أحمد بن محمد الزبيري:

يستوجبُ العفوَ الفتى إذا اعترف ثم انتهى عما أتاه وأقترف

(١) تفسير الطبري ١٦٧/١١ و ١٦٨ .

(٢) في المحرر الوجيز ٥٢٧/٢ ، وما قبله منه .

(٣) القراءات الشاذة ص ٥١ ، والكشاف ١٥٧/٢ .

(٤) في المحرر الوجيز ٥٢٧/٢ .

لقوله سبحانه في المعترف إن ينتهوا يُغْفَرُ لَهُمْ ما قد سَلَفَ^(١)
 رَوَى مسلمٌ عن ابن شُمَاسَةَ^(٢) المَهْرِيِّ قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في
 سِياقَةِ الموت، فبَكَى^(٣) طويلاً. الحديث. وفيه: فقال النبي ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ
 الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قبله، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَها، وَأَنَّ الحِجَّ يَهْدِمُ ما كان
 قَبْلَهُ» الحديث^(٤).

قال ابنُ العربي^(٥): هذه لطيفةٌ من الله سبحانه مَنْ بها على الخلق؛ وذلك أَنَّ
 الكفارَ يقتحمون الكفرَ والجرائمَ، ويرتكبون المعاصيَ والمآثمَ؛ فلو كان ذلك يوجب
 مؤاخَذةَ لهم لما استدرَكوا أبداً توبةً، ولا نالَهم مغفرةٌ. فيسرُ الله تعالى عليهم قَبولَ
 التوبةِ عند الإنابة، وتَذَلُّ المغفرةِ بالإسلام، وهَدَمَ جميعَ ما تقدم؛ ليكون ذلك أقربَ
 لدخولهم في الدين، وأذَعَى إلى قبولهم لكلمة المسلمين، ولو عَلِموا أنهم يواخِذون
 لَمَّا تابوا ولا أسلموا.

وفي صحيح مسلم: أَنَّ رجلاً فيمن كان قبلكم قَتَلَ تِسْعَةً وتسعين نَفْساً، ثم سأل:
 هل له من توبة؟ فجاء عابداً فسأله: هل له من توبة؟ فقال: لا توبة لك. فقتله، فَكَمَّلَ
 به مئة؛ الحديث^(٦).

(١) تقدم البيت الأول دون نسبة ٣٢٨/٥. وهو في المستطرف ٤١٧/٢. ونسبه الثعالبي في يتيمة الدهر
 ٣٦٨/٢ إلى عبد المحسن بن محمد الصوري.

(٢) في (خ) و(د) و(ز) و(م): أبي شماسة. وفي (ظ): ابن اسما. وهو خطأ. وابن شماسة - بفتح الشين
 وضمها، كما في المفهم ٣٢٨/١، وشرح النووي ١٣٧/٢، وقتيده ابن حجر في تقريب التهذيب
 بالكسر. واسمه عبد الرحمن.

(٣) في (د) و(م): يبكي. والمثبت من (خ) و(ز) و(ظ) وهو موافق لصحيح مسلم.

(٤) صحيح مسلم (١٢١)، وهو في مستند أحمد (١٧٨٢٧).

(٥) في أحكام القرآن ٨٤١/٢.

(٦) صحيح مسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري بنحوه. ونقله المصنف عنه بواسطة أحكام القرآن
 لابن العربي ٨٤٢/٢، وفيه: «عالمأ» بدل: «عابداً». وأخرجه أيضاً أحمد (١١١٥٤)، والبخاري
 (٣٤٧٠).

فانظروا إلى قول العابد^(١): لا توبة لك؛ فلماً علم أنه قد آياسه؛ قَتَلَهُ، فِعْلَ
الآيس من الرحمة. فالتفسيرُ مفسدةٌ للخليفة، والتيسير مصلحة لهم.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا جاء إليه رجلٌ لم يَقْتُلْ فسأله:
هل لقاتلٍ من توبة؟ فيقول: لا توبة؛ تخويفاً وتحذيراً. فإذا جاءه مَنْ قَتَلَ فسأله: هل
لقاتل من توبة؟ قال له: لك توبة؛ تيسيراً وتأليفاً. وقد تقدّم.

الثالثة: قال ابنُ القاسم وابنُ وهب عن مالك: من^(٢) طَلَّقَ في الشرك ثم أسلم:
فلا طلاق له. وكذلك مَنْ حلف فأسلم؛ فلا جِنْتٌ عليه. وكذا من وجبت عليه هذه
الأشياء [ثم أسلم] فذلك مغفور له. فأما مَنْ افتري على مسلم ثم أسلم؛ أو سرق ثم
أسلم؛ أقيم عليه الحدُّ للفرية والسرقة. ولو زنى وأسلم، أو اغتصب مسلمة ثم أسلم؛
سقط عنه الحدُّ.

ورَوَى أشهب عن مالك أنه قال: إنما يعني الله عزَّ وجلَّ ما قد مضى قبل
الإسلام، من مالٍ أو دمٍ أو شيءٍ. قال ابنُ العربي^(٣): وهذا هو الصواب؛ لِمَا قَدَّمناه
من عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾،
وقوله: «الإسلام يهدم ما كان قبله»^(٤)، وما بيَّناه من المعنى من التيسير وعدم التنفير.

قلت: أمَّا الكافرُ الحربيُّ فلا خلاف في إسقاط ما قَعَلَهُ في حال كفره في دار
الحرب. وأمَّا إِنْ دخل إلينا بأمان فقتلَ مسلماً؛ فإنه يُحدُّ، وإن سرق؛ قُطِع. وكذلك
الذميُّ إذا قَدَفَ حدَّ ثمانين، وإذا سرق قُطِع، وإن قَتَلَ قُتِل. ولا يُسقط الإسلام ذلك
عنه لنقضه العهدَ حال كفره؛ على رواية ابن القاسم وغيره.

قال ابن المنذر: واختلفوا في النصراني يزني ثم يُسلم، وقد شهدت عليه بينة من

(١) في أحكام القرآن لابن العربي: العالم.

(٢) في النسخ: فيمن، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي. وما سيرد بين حاضرتين منه.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٤٢، وما قبله منه.

(٤) سلف في المسألة الثانية.

المسلمين؛ فحكى عن الشافعي رحمه الله إذ هو بالعراق: لا حدَّ عليه ولا تغريب؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾. قال ابن المنذر: وهذا موافق لما روي عن مالك.

وقال أبو ثور: إذا أقرَّ وهو مسلم أنه زنى وهو كافر، أقيم عليه الحدُّ. وحكى عن الكوفي أنه قال: لا يُحدُّ.

الرابعة: فأما المرتدُّ إذا أسلم وقد فاتته صلوات، وأصاب جنایاتٍ وأتلف أموالاً؛ فقيل: حكمه حكم الكافر الأصلي إذا أسلم؛ لا يؤخذ بشيء مما أحدثه في حال ارتداده.

وقال الشافعي في أحد قوليه: يلزمه كل حق لله عزَّ وجلَّ وللأدمي؛ بدليل أن حقوقَ الأدمين تلزمه، فوجب أن تلزمه حقوقُ الله تعالى.

وقال أبو حنيفة: ما كان لله يسقط، وما كان للأدمي لا يسقط.

قال ابنُ العربي^(١): وهو قول علمائنا؛ لأنَّ الله تعالى مستغني عن حقِّه، والأدمي مفتقر إليه. ألا ترى أن حقوقَ الله عزَّ وجلَّ لا تجب على الصبيِّ، وتلزمه حقوقُ الأدمين. قالوا: وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ عامٌّ في الحقوق التي لله تعالى.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُودُوا﴾ يريد: إلى القتال؛ لأنَّ لفظة «عاد» إذا جاءت مطلقة فإنما تتضمن الرجوعَ إلى حالةِ كان الإنسان عليها، ثم انتقل عنها. قال ابن عطية^(٢): ولسنا نجدُ في هذه الآية لهؤلاء الكفار حالة تشبه ما ذكرنا إلا القتال. ولا يجوز أن يُتأوَّل: إلى الكفر؛ لأنهم لم ينفصلوا عنه، وإنما قلنا ذلك في «عاد» إذا كانت مطلقة؛ لأنها قد تجيء في كلام العرب داخلة على الابتداء والخبر، فيكون

(١) في أحكام القرآن ٢/ ٨٤٢ - ٨٤٣ ، وما قبله منه.

(٢) في المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٧ ، وما قبله منه.

معناها معنى صار؛ كما تقول: عاد زيدٌ مَلِكًا؛ تريد: صار. ومنه قول أبي الصلت^(١):
 تلك المكارمُ لا قَعْبَانِ^(٢) من لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا
 وهذه لا تتضمن الرجوعَ إلى حالة قد كان العائدُ عليها قَبْلُ، فهي مقيدة بخبرها؛
 لا يجوز الاختصار دونه^(٣)، فحكمها حكم صار.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ عبارة تجمع الوعيدَ والتهديدَ والتمثيلَ
 بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ
 فَإِنِ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَصَلُّونَ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَوْلَانِكُمْ بِسَمِ الْوَالِيْنَ وَيَعْمَ النَّصِيرُ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: كُفِّر. إلى آخر الآية تقدّم معناها
 وتفسير ألفاظها في «البقرة»^(٤) وغيرها، والحمد لله.

تم الجزء التاسع من تفسير القرطبي، ويليهِ الجزء العاشر
 وأوله تفسير قوله تعالى من سورة الأنفال

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾

(١) الشعر والشعراء ٤٦٢/١، والمعقد الفريد ٢٤/٢، ومعجم البلدان (خمدان) ٢١١/٤. وأبو الصلت هو

والد أمية، والبيت أيضاً في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٧٩، وديوان النابغة الجعدي ص ١١٢.

(٢) القَعْبُ: القَدْح الضخم الغليظ الجافي. وقيل: قدح من خشب مقعر. لسان العرب (قعب).

(٣) في الشيخ: دونها، والمثبت من المحرر الوجيز ٥٢٧/٢، والكلام منه، إلى آخر تفسير الآية.

(٤) ٢٤٦/٣.

فهرس الجزء التاسع

- ٥ - قوله تعالى: ﴿أَفَسَبَّحَ اللَّهُ آتَيْنِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...﴾ [١١٤]
- ٦ - قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ كَيْفَتْ رَبِّكَ حِدَةً وَعَدْلًا...﴾ [١١٥-١١٧]
- ٨ - قوله تعالى: ﴿تَكَلُّوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [١١٨]
- ٩ - قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ...﴾ [١١٩]
- ١٠ - قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظِلَهِمَ الْاِرْبَعِ وَأَظِلَّكُمْ...﴾ [١٢٠]
- ١١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذُكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...﴾ [١٢١]
- ١٨ - قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ سَيِّئًا مَلْمُوزًا وَمَمْلُوكًا لَمْ يُؤْرَكُوا مِمَّا يُبَىءُ فِي أَثَابِهِ...﴾ [١٢٢]
- ١٩ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمِينَ مَعْرِيبِينَ يَسْتَكْبِرُوا فِيهَا...﴾ [١٢٣]
- ٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ...﴾ [١٢٤]
- ٢٢ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِالْإِسْلَامِ...﴾ [١٢٥]
- ٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا...﴾ [١٢٦]
- ٢٧ - قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيَهُدُ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾ [١٢٧-١٢٨]
- ٢٩ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الْغَالِبِينَ بَعْثًا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [١٢٩]
- ٣١ - قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ لِيَئِنَّ وَالْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ لَكَاذِبًا...﴾ [١٣٠]
- ٣٣ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهَيْلًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هَمَّتْ بِهَا وَأَعْتَابُهَا عِزَابُونَ﴾ [١٣١]
- ٣٤ - قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ...﴾ [١٣٢-١٣٣]
- ٣٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْشَرْتُمْ بِمُعْجِزَةٍ...﴾ [١٣٤-١٣٥]
- ٣٦ - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ مِثْرًا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَالْغُلَامَ وَاللَّهُمَّ صَبِّحْنَا بِكَ وَبَارِكْ فِيكَ...﴾ [١٣٦]
- ٣٨ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَعْتَبُكَ لِكثِيرٍ مِمَّا اسْتَجِيبُكَ فَتَلَّ أَنْ أَوْلَاهُمْ شُرَكَائِهِمْ...﴾ [١٣٧]
- ٤٤ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ آيَاتُهُمْ وَحَرَّتْ لِحُبِّهِمْ خِطَابًا لَا يَلْمُهُمْ إِلَّا مَنْ لَشَاءَ...﴾ [١٣٨]
- ٤٦ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا عِظَابٌ مُتَمَلِّلَةٌ طَائِفَةٌ مِمَّا يَكْفُرُونَ...﴾ [١٣٩]
- ٤٨ - قوله تعالى: ﴿فَدَحَّيْرَ الْوَيْلِ فَتَلَّوْا أَوْلَادَهُمْ مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [١٤٠]
- ٥٠ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَقْدُونَةٍ وَغَيْرِ مَمْدُونَةٍ...﴾ [١٤١]
- ٧٣ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمْلَةٌ وَفَرَسَاتٌ كَانُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ [١٤٢]
- ٧٦ - قوله تعالى: ﴿تَمَثَّلَتِ أَوْجُهُ مِنَ الضُّكَّانِ آتَيْنِ وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَسْتَجِينُ...﴾ [١٤٣-١٤٤]
- ٨٠ - قوله تعالى: ﴿فَلَا آيَةَ فِي مَا أَوْصَىٰ إِنْ عَصَىٰ عَلَىٰ طَاعَةٍ يَلْمُهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ...﴾ [١٤٥]
- ٩٦ - قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْبًا مِمَّنْ لَمْ يَلْمُوكُمْ...﴾ [١٤٦]

- ١٠١ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَرِسْمٍ...﴾ [١٤٧]
- ١٠٢ قوله تعالى: ﴿سَبِّحُوا لِلَّذِينَ أُسْرِكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أُشْرِكُوا...﴾ [١٤٨-١٤٩]
- ١٠٣ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَسْبُحُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا...﴾ [١٥٠]
- ١٠٤ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا أَتِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [١٥١-١٥٣]
- ١٢٣ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ شَامًا عَلَى الْوَيْحِ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ [١٥٤-١٥٥]
- ١٢٦ قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَٰنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْ رَبِّنَا...﴾ [١٥٦-١٥٧]
- ١٢٧ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ أَوْ بَأْسٌ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [١٥٨]
- ١٣٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا وَكُنَّا مِنْهُمْ لَسَبَّ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ [١٥٩]
- ١٣٦ قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ بِالْبَيِّنَاتِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...﴾ [١٦٠]
- ١٣٧ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مَخاضٌ بِرَبِّي إِنْ مِرَطُوا لَنْ مَسْجُودٍ رَبِّي وَإِنِّي بِمَا آتَانِي رَبِّي كَرِيمٌ...﴾ [١٦١-١٦٣]
- ١٤٣ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَىٰ اللَّهُ عَنِ الرِّبَا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ [١٦٤]
- ١٤٧ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [١٦٥]
- ١٤٩ تفسير سورة الأعراف
- ١٤٩ قوله تعالى: ﴿التَّصَوُّبُ . كَيْفَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي سُدُورِهِ حَرَجٌ مِنْهُ...﴾ [١-٢]
- ١٥١ قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الرِّبَا وَلَا تَلْبِيسًا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ...﴾ [٣]
- ١٥٢ قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكَهَا نَجْمًا مَا بَأْسًا يَكُنَّا أَوْ هُمْ قَاهِلُونَ...﴾ [٤-٥]
- ١٥٥ قوله تعالى: ﴿وَلَنَسْتَأْذِنُ الْبَرِّ أَنْزِيلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلِكَ الرِّسَالِينَ...﴾ [٦-٧]
- ١٥٦ قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ...﴾ [٨-٩]
- ١٦٠ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ رَجْمًا لَكُمْ فِيهَا مَكِيدٌ...﴾ [١٠]
- ١٦١ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتُمْ ثُمَّ سَوَّيْنَاكُمْ ثُمَّ قَالْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ [١١]
- ١٦٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدًا إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾ [١٢]
- ١٦٩ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاقْبَضْ يَدَايَ مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا...﴾ [١٣-١٥]
- ١٧٠ قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ لِأَقْبُدَنَّ لَكَ يَوْمَ تَسْتَقِيمُ...﴾ [١٦-١٧]
- ١٧٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَرَجِ يَدَايَ مَدَامَا مَدُونًا...﴾ [١٨]
- ١٧٤ قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْمُرُونَ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجِنَّةَ تَخْلَعُونَ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُونَ...﴾ [١٩-٢٠]
- ١٧٧ قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبَةٌ إِيَّيَ لَكُنَّ لَوْنُ الشَّيْطَانِ...﴾ [٢١]
- ١٧٨ قوله تعالى: ﴿فَلَنَلْبَسُنَّاهُمْ بَدِيْعًا فَلَمَّا دَافَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَافِحَاتُهَا...﴾ [٢٢-٢٤]
- ١٨١ قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُعْرَضُونَ...﴾ [٢٥-٢٦]
- ١٨٧ قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ لَا يَفِيئُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ...﴾ [٢٧]
- ١٨٩ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا قَسَمْنَا لَكَ الْوَاوِيَةَ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَآلِهَةً مِمَّا جَاءَ...﴾ [٢٨]
- ١٩٠ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [٢٩-٣٠]
- ١٩١ قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ حُدُودًا وَيَتَذَكَّرُ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾ [٣١]

- ٢٠٢ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾ [٣٢]
- ٢١٠ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَبَاطِنَهَا إِذَا عُلَّيَتْ...﴾ [٣٣]
- ٢١٢ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أُمَّةٌ قَدَامًا لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ...﴾ [٣٤]
- ٢١٣ قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعِي مَا مَدَّ إِلَيْنَا بَابِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا...﴾ [٣٥-٣٦]
- ٢١٤ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا...﴾ [٣٧]
- ٢١٦ قوله تعالى: ﴿قَالَ انزُلُونَا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْعِجْنِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ...﴾ [٣٨-٣٩]
- ٢١٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَّبِعْ لَهُمِ الْآيَاتِ السَّمَوِيَّةَ...﴾ [٤٠-٤١]
- ٢٢١ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكُفُّ عَنْهَا نَفْسًا إِلَّا وَرُءُوسَهَا...﴾ [٤٢]
- ٢٢٢ قوله تعالى: ﴿وَوَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ غَيْرِي مِنْ تَحِيْمٍ الْأَنْهَارِ...﴾ [٤٣]
- ٢٢٤ قوله تعالى: ﴿وَيَاذَنْ أَسَافُ أَلَيْتَهُ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا...﴾ [٤٤]
- ٢٢٥ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ...﴾ [٤٥]
- ٢٢٦ قوله تعالى: ﴿وَيَبْتَغُوا حِجَابًا وَكُلَّ الْأَعْرَابِ يَجَالُ بِعَرُوفٍ كَلًّا يَسْتَعْمُونَ...﴾ [٤٦]
- ٢٣١ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْتُمْ أَبَدْتُمُورَهُمْ لِقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...﴾ [٤٧-٤٩]
- ٢٣٢ قوله تعالى: ﴿وَيَاذَنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْسَّرُوا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ [٥٠]
- ٢٣٥ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ [٥١-٥٢]
- ٢٣٦ قوله تعالى: ﴿هَذِهِ بَطْرِيحٌ إِلَّا تَأْوِيلُهَا يَوْمَ يُأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَرْمَةٍ...﴾ [٥٣]
- ٢٣٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [٥٤]
- ٢٤٤ قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ...﴾ [٥٥]
- ٢٤٩ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِسَدِّ مَسَلِحِهَا وَادْعُوهُ حَرًّا وَمَلَمَمًا...﴾ [٥٦]
- ٢٥٢ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَشِيرًا يَلِغُ فِي رَحْمَتِهِ...﴾ [٥٧]
- ٢٥٥ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي الْكَلْبُ يَتَّبِعُ بَنَاتِهِ إِذْ يَبْدُوْنَ وَالَّذِي حَبَّبَ لَا يَجْعَلُ إِلَّا تَكْدِيرًا...﴾ [٥٨]
- ٢٥٧ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [٥٩]
- ٢٦٠ قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّمَا لَدَيْكَ فِي صَافِي ثَمِينٍ...﴾ [٦٠-٦٢]
- ٢٦١ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَحْسَبُونَ أَن جَاءَهُمْ مُّزِقٌ مِّنْ رَبِّكَ عَلَيَّ نَهْلٌ مِّنْ سَمَكٍ يَلْعَبُونَ...﴾ [٦٣-٦٤]
- ٢٦٢ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي عَلِمَ نَارَهُمْ هَرُودًا قَالَ يَقْتُولُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [٦٥-٦٩]
- ٢٦٥ قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْ لَكُمْ آيَةً وَنَذَرْنَا مَا كَانَ يَمِينُ مَنَارًا...﴾ [٧٠-٧٣]
- ٢٦٧ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَا إِذْ جَعَلْنَا خُلُقَاءَ مِنْ بَيْنِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [٧٤]
- ٢٦٩ قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضِيعُوا مِنْ مَائِنِ مَّتَمَّ اسْتَلْمُونَ أَنْتُمْ سِلَاحًا مَّرْسَلٌ مِنْ رَبِّي...﴾ [٧٥-٧٦]
- ٢٧٠ قوله تعالى: ﴿فَتَعَرَّوْا النَّافَةَ وَعَسَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ [٧٧-٧٩]

- ٢٧٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النِّسَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحْسَنِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [٨٠]
- ٢٧٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَأَنْتَؤُنَّ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...﴾ [٨١]
- ٢٧٩ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ...﴾ [٨٤-٨٢]
- ٢٨٠ - قوله تعالى: ﴿وَلِإِنْ مَدِينَتٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ [٨٧-٨٥]
- ٢٨٤ - قوله تعالى: ﴿قَالَ لَللَّذَلِّ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِبَيْتِكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا...﴾ [٨٩-٨٨]
- ٢٨٦ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَلَّذَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَمَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ [٩٣-٩٠] ..
- ٢٨٧ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالْأَسْرَأِ...﴾ [٩٥-٩٤]
- ٢٨٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [٩٦]
- ٢٨٩ - قوله تعالى: ﴿أَمْأَيِّنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيْنَا وَهُمْ نَائِمُونَ...﴾ [٩٨-٩٧]
- ٢٩٠ - قوله تعالى: ﴿أَمْأَيِّنَّا مَعْرَ اللَّهُ فَلَا يَأْمَنُ مَعْرَ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٠١-٩٩] ..
- ٢٩١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتَقِينَ﴾ [١٠٢]
- ٢٩٢ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَكَانَ قَوْمَهُ ظَالِمُونَ...﴾ [١٠٣-١١٢]
- ٢٩٥ - قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ...﴾ [١١٣-١١٤]
- ٢٩٦ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَكْفُورُ بِمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّا لَكَاوِنُونَ...﴾ [١١٧-١١٥]
- ٢٩٨ - قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾ [١٢٦-١١٨]
- ٢٩٩ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَلَّذَلِّ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُونَ مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُخْرِجُوا مِنَ الْأَرْضِ...﴾ [١٢٧-١٢٨]
- ٣٠٢ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْدِيحًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا مِنْ بَدُونٍ مَا يَجْتَنِبُونَ...﴾ [١٢٩]
- ٣٠٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الشَّرَائِعِ...﴾ [١٣٠]
- ٣٠٤ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ مُسْتَسْقِمًا قَالُوا لَنَا مَلَأُونَا...﴾ [١٣١]
- ٣٠٨ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِيُضْرَقَ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٢]
- ٣٠٩ - قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْفُلُوكَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالْبَعَابَ...﴾ [١٣٣]
- ٣١٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا يَمْشُونَ آدَمُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ...﴾ [١٣٤-١٣٦]
- ٣١٦ - قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ مَكْرَهُ الْأَرْضِ وَمَعَادِينَهَا...﴾ [١٣٧] ..
- ٣١٧ - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ فَاتْرًا عَلَىٰ قَوْمٍ يَكْفُرُونَ عَلَىٰ آسَانِهِمْ لِيُذْخِرُوا...﴾ [١٣٨]
- ٣١٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثْوَاهُمْ مُنْذَرٌ مَا هُمْ بِبَدِيلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾ [١٤١-١٣٩]
- ٣١٩ - قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مَوْسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِسَبْعٍ فَمِمَّا بَيْنَتْ رُبِّيهِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً...﴾ [١٤٢]

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي بِآيَاتِكَ...﴾ [١٤٣] ٣٢٤
- قوله تعالى: ﴿قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي...﴾ [١٤٤] ٣٢٧
- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ [١٤٥] ٣٢٨
- قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَا عَمِلُوا...﴾ [١٤٦-١٤٧] ٣٣١
- قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّمَّا كَفَرُوا مِنْ تَلْهَاتٍ وَمِنْ سِحْرِهِمْ عِجْلًا جَبَدًا لَّهُمْ خَوَافًا...﴾ [١٤٨] ٣٣٢
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَفِطَ فِي آيَاتِهِمْ وَقَالُوا أَنهَمْ قَدْ سَلُوا قَالُوا لَهُمْ لَمَّ يَرَسْنَا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُنَّا لَكَ كُفْرًا...﴾ [١٤٩] ٣٣٥
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أِمِينًا قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي بَدِيعَتِي...﴾ [١٥٠-١٥١] ٣٣٦
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَيْلَ سَيَنَالُهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّ فِي آيَاتِنَا...﴾ [١٥٢-١٥٣] ٣٤٤
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ الْفَوْسُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ...﴾ [١٥٤] ٣٤٥
- قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبِيعًا وَجَلًّا لِمِيقَاتِنَا...﴾ [١٥٥] ٣٤٧
- قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ لُدٍّ فِي أَرْضِنَا أَنهَمْ فِي الْآخِرَةِ لِنَّا هَذَا إِنَّا كُنَّا...﴾ [١٥٦] ٣٥٠
- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ أَرْسَلْنَا إِلَهُي الْأَنْجَارَ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ مَكُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ [١٥٧] ٣٥١
- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِبَيِّنَاتٍ...﴾ [١٥٨-١٥٩] ٣٥٨
- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْتَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَسِيبًا...﴾ [١٦٠-١٦٢] ٣٥٩
- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْتَهُمُ مِنَ الْقُرْبَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً لِّلْبَحْرِ إِذْ يَعْبُدُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾ [١٦٣-١٦٤] ٣٦١
- قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْأَلُوا مَا دُعُوا بِإِذْنِ اللَّهِ يَهْتَدُونَ عَنِ الشُّرَكَاءِ...﴾ [١٦٥] ٣٦٧
- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَزَا عَنْ قَوْمِهِمَا عَنَّا قُلْنَا لَمَّ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ...﴾ [١٦٦-١٦٧] ٣٦٩
- قوله تعالى: ﴿وَوَقَّعْنَا فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءً مِنْهُمْ أَسْمَاءُ الْقَدِيلِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [١٦٨] .. ٣٧٠
- قوله تعالى: ﴿فَنَلَّفْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفًا وَوَدَّوا الْكُفْرَ بِأَسْمَاءِ عَرَبٍ هَذَا الْأَدْوَى...﴾ [١٦٩] ٣٧١
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [١٧٠-١٧١] ٣٧٤
- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنهَبَهُمْ عَنْ أَنفُسِهِمُ الَّتِي...﴾ [١٧٢-١٧٤] ٣٧٥
- قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْأُورَىٰ مَائِيكَ مَائِيكَ فَأَسْلَخَ مِنْهَا...﴾ [١٧٥] ٣٨٢
- قوله تعالى: ﴿وَوَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا بِهَا وَلَكِنَّهَا لَمَّا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّعَ مَرَّةً...﴾ [١٧٦-١٧٧] . ٣٨٦
- قوله تعالى: ﴿مَنْ يَسُبَّ اللَّهَ فَسُبُّهُ سُبُّ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَالْضَلِيلُ هُمُ الْخَاسِرُونَ...﴾ [١٧٨-١٨٠] ٣٩٠
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا ثُمَّ يَهْتَدِ بِالْحَقِّ وَرَبُّهُ يَعْلَمُ...﴾ [١٨١] ٣٩٦

- ٣٩٧ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَلِفِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾ [١٨٢]
- ٣٩٨ قوله تعالى: ﴿وَأَسْرِلْ لَهُمْ كَيْدِي مَتِينٌ...﴾ [١٨٣-١٨٥]
- ٤٠٤ قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ مَا يَدْرَأُ لَهُ...﴾ [١٨٦-١٨٧]
- ٤٠٧ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ [١٨٨]
- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَكُمْ مِنْهَا ذُرِّيَّتًا لِتَسْكُنَ فِيهَا...﴾ [١٨٩-١٩٠]
- ٤٠٨ قوله تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُظَنُّونَ...﴾ [١٩١-١٩٣]
- ٤١٤ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أُنْزَلُوا...﴾ [١٩٤-١٩٦]
- ٤١٥ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ دَعْوَتَكُمْ وَلَا إِلَهُكُمْ يَصْرِفُونَ﴾ [١٩٧-١٩٨]
- ٤١٧ قوله تعالى: ﴿خُذِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْفَهِيلَةِ﴾ [١٩٩]
- ٤٢٢ قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا يَتَرَفَّعُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَنَزَعْنَا مِنْهُمُ صَوْتَهُمْ فَهَلْ يَسْمَعُونَ...﴾ [٢٠٠]
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ﴾ [٢٠١-٢٠٢]
- ٤٢٥ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آتَيْنَاهَا...﴾ [٢٠٣]
- ٤٢٩ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢٠٤]
- ٤٣٠ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ...﴾ [٢٠٥]
- ٤٣٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [٢٠٦]
- ٤٣٥ تفسير سورة الأنفال
- ٤٤١ قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ [١]
- ٤٤٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ...﴾ [٢-٤]
- ٤٥٢ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَافِرُونَ﴾ [٥]
- ٤٥٤ قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَكَ فِي النَّارِ بَدْمًا بَيْنَ كَلْمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [٦]
- ٤٥٥ قوله تعالى: ﴿رَبِّدُّ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ بِسَمْعِ الطَّاغُوتِ إِنَّهَا لَكُمْ...﴾ [٧-٨]
- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَاستَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْبَلَدِ مِنَ الْمُشْرِكِ مَرْوِفُونَ...﴾ [٩-١٠]
- ٤٥٦ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُنَادِيكُمُ الْمَلَأُ مِنْهُنَّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خُذُوا الصَّلَاةَ إِنَّهَا لَمِنْ أَعْيُنِكُمْ رَيْبٌ...﴾ [١١]
- ٤٥٨ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوسُفُ رَبُّهُ إِلَى الْمَلِكِ قَالَ إِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَأَخَذَهُ اللَّهُ شَدِيدًا...﴾ [١٢]
- ٤٦٧ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاكَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشْكِرْ لِلَّهِ فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ...﴾ [١٣-١٤]
- ٤٦٩ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُيَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الثَّمَرِ فَاكُلُوا مِنْهُ حَتَّى تَذَكَّرُوا...﴾ [١٥]
- ٤٧٠ [١٦]

- ٤٧٦ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَبَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَبَّلَهُمْ...﴾ [١٧-١٨]
- ٤٧٩ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدْعَانَا كَمَا دَعَاكُمْ الْكُفْرُ...﴾ [١٩]
- ٤٨١ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [٢٠-٢٢]
- ٤٨٢ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ...﴾ [٢٣]
- ٤٨٣ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ [٢٤]
- ٤٨٦ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ قَبِيلٌ لَا تَأْمِنُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٥]
- ٤٩٠ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَبِيلٌ مُتَشَاكِمُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [٢٦]
- ٤٩٠ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَنَحْوَهُمَا أَسْمَاءً مِمَّا كَانَتْ لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا حَرَامٌ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [٢٧]
- ٤٩٢ قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمُرَكُم بِهُنَّ لِلَّهِ وَمَا يُحِلُّ لَهُمْ فَالِإِنَّهُمْ لَكُلِّهَا مَكِينٌ﴾ [٢٨]
- ٤٩٢ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَوَلَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [٢٩]
- ٤٩٤ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يُبَشِّرُوكَ بِقُرْبَانٍ أَذِ لَوْ عَلِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اللَّهَ يَرْسُلُهُمْ وَبِشْرَارِهِمْ لِأَكْثَرِ الْأُمَّةِ الْغَافِلِينَ﴾ [٣٠]
- ٤٩٥ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ نَادُونَ سَأَلْتُمُونَا لِمَ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ نَادُونَ سَأَلْتُمُونَا لِمَ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ نَادُونَ سَأَلْتُمُونَا لِمَ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ نَادُونَ﴾ [٣١-٣٢]
- ٤٩٦ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكُمْ وَلَئِن كُنَّا إِلَّا لِنُعْزِمَكُمْ وَلِنُؤْتِيَكُمْ آيَاتٍ وَتَذَكَّرُونَ﴾ [٣٣]
- ٤٩٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكُمْ وَلَئِن كُنَّا إِلَّا لِنُعْزِمَكُمْ وَلِنُؤْتِيَكُمْ آيَاتٍ وَتَذَكَّرُونَ﴾ [٣٤-٣٧]
- ٥٠٠ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعِيرٌ إِذَا نَادَوْا بِمُعْجِزَاتِنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [٣٨]
- ٥٠٤ قوله تعالى: ﴿وَتَقَبَّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [٣٩-٤٠]
- ٥٠٥ الفهرس